إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف
ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسي
(1290 - 1335 هـ)

تحقيق
الدكتور علي عمر
بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية
بجامعة المنها والإمام بالرياض
ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الأول

الناشر
مكتبة الثقافة الحسينية
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

التحالف: أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

التأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسي، تحقّق على عمر

ط 1 - القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 2008

5 ج: 14 سم

978 238 641

1- الفقهاء - معلم
2- عمر، علي (محقق)
3- البغدان

ديوي: 922,008

رقم الإصدار: 2008/7666
مقولة مبنية الطبعه

***

المؤلف وإسهاماته في الحياة الثقافية بالمغرب

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن الشريف

العلوي السلماسى، أبو زيد: مؤرخ من أعيان المغرب الاقصى ولد سنة

1290 هـ.

كان السلطان محمد بن يوسف يخاطبه بابن عمان، نقيب عائلتنا ومؤرخ

دوليًا.

ولد ونشأ في «مکناسة الزيتون»، واستكمال دراسته في جامعة الفروین

ب‌فاس، سنة 1274 هـ، وتولى نقابة الأشراف بمکناس و«زهره».

وزار «مصر» حجاجاً في سنة 1357 - 1358، واستقر في «الدار البيضاء»،

يدير المدرسة الحربية المغربية فيها، وتوفي في مکناس سنة 1365 هـ.

من كتبه: «إ нарушен أعلام الناس بجمال حاضرة مکناس»، وهو الذي نقدم له

اليوم، و«الدرر الفاخرة بآثار الملوك العلويين بفاس الزاهرة»، وديوان شعر، أكثره

مذائع نبوية.

وجمع خزانة كتب تعد من أكبر الخزائن في المغرب.

والمكاتش الذي نقدم له اليوم يتناول تاريخ مکناس منذ الأجيال القديمة ومنذ

ملوكها الأولين حتى عصر المؤلف.

ويهو للباحثين قبل غيرهم يجدون فيه ما تضمن عليهم به المراجع الأخرى.

حيث تناول في إسهاب تاريخ مکناس وفق منهج لا يتوافر في المراجع المماثلة.

5
وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه الطبعة الأولى لهذا الكتاب بالرباط سنة 1347 ه، وذلك بعد تقييمها.

هذا وقد تركنا النص على حاله في بعض المواد دون تدخل في تعديل أسلوب الكتاب، وذلك وفق منهج المؤلف حيث أشار إلى ذلك بقوله: "وقد أتينا لك أياها المطالع بالنصوص المتبادلة بين نواب الدول الأجنبية ونواب الحكومة الشريفة في المؤتمرات السياسية والاجتماعات الرسمية على ما فيها من علل التركيب وركاكة الإنشاء، وعدم التنظيم، محافظة على نص الأصل وعدم تغييره، واعتمادًا على همة القارئ الليبير، الذي لا تعزب عنه الحقيقة، وسترى بقية من ذلك بعد هذا بقريب.

أما ما عدا ذلك فقد قمت بتصويبه عند موضعه، ولم أشر في تعليقاتي إلى كل ما قمت به من تصويب، وإنما نهبت على بعضه فقط.

***
الموضوعات والصور
الذي صدرت بها طبعة
الرباط سنة 1327هـ
جلالة السلطان الأعظم سيدي محمد بن يوسف

أيد الله نصره وعلاه
الإهداء
(إلى صاحب الجلالة)
(مولانا السلطان سيدى محمد بن يوسف أيده الله)

***

أحسن أثر، عن يراعى يؤثر، فيحمد ويشكر، ويقير بفضله ولا ينكر، مثل إتخاذ أعلام الناس، بجمال حاضرة مكتاس، عاصمة فخر جدوك الكرام، واسطة عقد الملوك العظام، السالك في تدبير المالك، أحسن المسالك، السلطان الجليل، أبو النصر والفدا إسماعيل، وجدك الإمام، الذي خضعت لعزة المشام، أبو زيد عبد الرحمن بن هشام، قدس الله أرواحهما في دار السلام.

وأما أن جناكم المرفوع أمره على المفرق، أحث أن تهدي إلي نفائس الذخائر والمحارق، قدمته هدية، لسمو جلالتكم الزكية، وكل الرجاء أن يحل لديها محل القبول والإقبال، وينظر بعين الاحتفاء والاحتفال.

ولا غرو فإنه حسنة من حسنات عصرك، ومفسرة من مفاخر قطرك ونتيجة اجتهاد أحد أبناء، عائلتك العلياء، ومؤرخي دولتك العلوية، فإليك يا مولاي هدية، وطرفة سنة، تفخر بحلول ناديك، ويناجيك مهديها وناديك:

مولاي يا سبط الرسول محمد
من اسمه المحمود من أسمائه
ل ذوي النهى والفهم في إملائه
وتجاوز المأمون عن أعدائه
معن أقر بعجيزه وعنائه
بيتى فتى أرنا على نظرائه

10
(أهدي لمجلسك الكريم وإنا
فاضل عليه لأنه من ماته)
(كالبحر يمطر السحاب وماله
فازوا بنعمة ربيهم ورضاه)
أهدي كتابا جامعا آثار من
كالترض في أرواحه وبهرائه
أسلافك الغيّر الآلآت أبناؤهم
فاصل فديتك تقف من عابد الـ
ذاك ابن زيدان الذي يزداد في
ولتته يا مولاي في نفس وفاء
فلأنت من تزهو الدنيا بوجوده

***

الله خصك بالسيادة والعلاف
وما لااح بدر ساطع بما بسماته
وحبك ما تزجوه من عائلا
وإلى مراقي السعد ترقى صاعدا

11
Le messager primitif

Drame, sur Vercelli, le 17 août 1909.

Vous êtes chez moi.

C'est pour les plus grands jours que je vous montre les souvenirs de ma jeunesse.
كلمة تقديم

***

بقلم المشير ليوتي ماريشال فرنسا ووزير حربيته ومقيمها العام بالمغرب سابقا وعضو المجتمع العلمي الفرنسي وهي كلمة خاطب بها فضيلة المؤلف بما ترجمته:

طوري في 19 غشت 1929

صديقي العزيز:

قبلت مع مزيد السرور تقديم كتابكم الذي الفتحوه عن تاريخ مكناس، وإن لكم من المزايا ما يجعلكم أجداد الناس بالخوض في هذا المجال، أوليس اسمكم رمزًا لتلك التقاليد التي اعتنت أسركم الكرية بتبعها على مر العصور، أوليست أسركم تنصل مباشرة بعظمة السلطان مولاي إسماعيل الأكبر، وهذا وقد جمعتهم مع احترامكم للمضاي أفكارا حديثة قيمة فأظهرا ذلك بتعاونكم في العمل المشترك بين حكومة المخزن والحماية لترقية ذلك المغرب الذي لا يزيد إلا قوة ورفاهية.

لقد أحستم لنا في فصول عديدة النظير تاريخ مدينتكم منذ الأجيال القديمة ومنذ ملوكها الأولين، ثم صورتم لنا مجد ملك الموال إسماعيل وكيف شيد القصور وخطط البساتين فتبعه في عمله المدهش العظيم الذي شمل جميع أطراف المملكة، وكم بلد لنا أن نتتبع أعماله وراء البحار فنحوي صلاته الودية مع ملكنا العظيم لويس الرابع عشر.
إن كتابكم هذا هو للأدباء قبل غيرهم فيجدون فيه ما تضمن عليهم به المجلدات الكثيرة، ثم هو تلاميذ مدارسكم وتلاميذ مدرستنا "مدرسة الدار البيضاء" حيث سبقي اسمكم محبوبا محترما، ثم هو للفرنسيين الذين سجدون فيه ما يقوى إعجابهم بدلاً منكم.

إني خصصت لكتابكم "عبير الآس" مكان الشرف بين أعز الكتب لدى وبين الذكريات التي تحوط بي وتذكرني سنوات ماضية قضيتها بينكم ولا أنساها أبداً.

وتعدني دائم الاتصال ببلادي العزيزة.

ليوطى

***
تصدير

تاريخ المغرب

(نبذة صغيرة)

***

التاريخ أنهباء الخلف بأحوال السلف، وهو معيار توزن به أعمال الأمة في هذا الوجود ويعمل من مكانها بين الأمم غيرها على هذه الأرض، وهو السائق للعزة والدليل الخريتي في الدلجة.

والمغرب تاريخ معروف في إجماله، مملوء بالبطولة، حفل بالثائر العظمى والوقائع الفاصلة الكبرى، وصاحب دالة على استبثار عمرانه وتمدن سكانه وإدراكه البسطة في أغراض الحياة ومذاهبها، وبلوغه لتفاع المجد وذر الحضارة، لما قام فيه الأفذاذ الذين قادوا الأمام فاحسنا مقادها وساقوا إلى موطن العزة وبلغوها وملته في ذلك كمثل هذه الأقطار المتالف من مجموعة عالم الإسلام ولا سيما وقد كان منها عضوا وابراز الكائنة محسوس الآخر. ومراكش وفاس وسبتة وسجلماسة ثم مكناسة حواضر مغربية كان لها شأن في العلم والأدب والحضارة بحيث يصح إدراجها بجانب غيرها من كريس الإسلام وحواضره في الشرق والغرب.

وقد نشأ التاريخ المغربي مترجا على ناموس النشوء والارتقاء، فلذلك يغلب على عهوده الأولى أن يكون مؤرخها المعاصرون لها أجانب من هذه الديار، ثم لما استقام للبلاد أمرها وبلغت أشدها صار لكل دولة وعصر مؤرخون معاصرون يحفظون للأجيال القادمة أنشاء العصور السالفة وينقلون للآتي خبر الذاهب بما استطاعوا من جمع وتذكير، وأعانهم على ذلك أن جمهورهم كان متصلا بالدولة مطلعا على ما قد يحتاج إليه إذ ليس فيهم - في الغالب - إلا وزير أو كاتب أو نحوهما.
فكان منهم في عهد المرابطين شاعرهم أبو بكر بن الصبرفي الغرناطي (575 - 607) وكان في عهد المهدي والموحدين مؤرخون منهم: "صاحب الآنساب" في معرفة الأصحاب أصحاب الإمام المهدي، وأبو بكر بن علي الصنهاوجي البصق صاحب "تاريخ الموحدين"، وعبد الواحد بن علي التميمي المراكي مؤلف "المعجب" وغيرهم كالقاضي يوسف بن عمر الإشبيلي وابن حموه السرخسی والقاضي الأكرم على بن يوسف القطفي (658 - 707) صاحب تاريخ المغرب ومن تولاه من الموحدين فلما انفرضت دولتهم وقام المرينيون بجعل أعمالهم وضحت في عهدهم الحضارة بالمغرب قام بتدويرها أصحاب الذكرية النبوية وروضة النسيم وروضح القرطاس وشاعر ذلك العصر الكاتب عبد العزيز المزروعي في نظم السلوكي وغيرهم كالسفير الخطيب بن مرقو في المسند الصحيح الحسن في مأثور أبي الحسن وكاتب الدولة ابن خلدون وضيفها ابن الخطيب في آثاره، ثم دالت الدولة للوطاسيين منهم فما لبثوا بها إلا أياما واستلمها منهم السعديون، فظهر بليغهم الوزير الفشتالي يتناول الصفا والجزوالي بالنفحات السنية، وال kính ابن عيسى بالمحدث والمقصور من سنا الملك المنصور، وابن القاضي بالمتنقي المقصور ودرة الحجال، وغيرهم بغير ذلك، ثم صار الأمر للعلويين فكان لهم مثل ما تقدم كتب عن صدر دولتهم القدرية ثم تلاه ابن إبراهيم الدكالي والغزالي والضيفي والظبياني، ونجله في الدولة العلوية كمثل ابن القاضي في الدولة السعدية في الاعتبار بالتاريخ والتدوين فيه، واكتسوت وابن الحاج والسمالي والسباعي وصاحب الاستقصاء وغير هؤلاء.

ومن المؤرخين طائفية تخللت تلك الأدوار وعاشت في ظل أفراياها ولكنها احتت بكثرة ناحية خاصة منها، ولهؤلاء في ذلك طريق مختلف وأسلوب شتى: فمنهم من كان ذو منبج صوفي فرأى الاقتصر على آخبار الزهد والمصطفى، وعددهم في هذه الآمة كثير ولهم فيها أي تأثير، وتدوين أحوالهم وما يتصل بهم.
من قول أو عمل وهؤلاء فريقان: فريق له مؤلفات عامة كتاليف ابن الزيات المراكشي والبادسي والصوامي، وفريق له كتب ورسائل تخص أبا محمد صالح، وأبا عزيز وأضربهم ومؤلفات هؤلاء وموضوعاتهم كثيرة.

ومهم من ألف في أنساب الملوك والقبائل والبيوت الجليلة القدر الكرمة الأصل وأكثر ما ألف في هذا المنهج في أهل فاس وأقله في غيرها من الجهات والكاتبون هنالك كثير.

ومهم أرباب الفهارس والآثبات وهي تفيد من شاء الإطلاع على حالة المغرب العلمية في الجملة، وقد ألف في ذلك عياض كتابه "الغنية"، ثم ابن رشيد وابن الشاط وعبد الوهاب الحضري وأبو زكريا السراج وزروق وابن هلال وابن غازي والمنجور والجاضر وابن القاضي وعبد الواحد السجليسية المراكشي والفاسيون والعراقي ويحيى البكري السوسي والمنجرة واليوسي والمرغيشي والحضيكي والعمري والمناني ابن عبد السلام وابن الحسن والتاردي والبهشتي والوزراء والكوهن وغيرهم.

ومهم من كتب في طبقات الرجال وتراجيم الأعلام كطباقات الملكية للقاضي عياض وتسمى بالقدر، وقد اختصرها ابن سهل وابن علوان المصري وابن حمادة السبتي تلميذ القاضي وزاد عليها زوائد، وطبقات الأعيان لابن عجيبة ورجال القرن العاشر لا عسكر وطبقات القرنين الحادي عشر والثاني عشر للقادري ورجال القرن الحادي عشر المسمى بالإعلام بن مسعود وغير لعبد الله الفاسي وطبقات أهل الحساب والفرائض لابن القاضي وله ذكر علي ابن خلكان هو المسمى بدرة الحجال في أسماء الرجال، وله ذكر آخر على ابن قنفده من أول المائة الثامنة إلى تمام العاشرة وكذلك ذكر علي الصلة أحمد بن فرتون الفاسي (16-700) وابن عبد الملك المراكشي (134-670) فاضي أبي يعقوب المريني على مراكش في كتابه "الذيل والتكملة على الوصول والصلة"، وسلك الفتح بعض أبداء المغرب في
قلائده التي خدم بها مجلس الأمير إبراهيم ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ثم جمع ابن هاني السبتي كتابا في شعراء المائة السابعة سماه "الغرة الطالعة" وجاء بعده أبو الويلد ابن الأحمش فجعل لأدباء العدورة قسمًا من كتابه نثر الجمان فيمن ضمه وإيابهم الرمان، واقتصر العلمي على من لقيه من أدباء عصره في أنيسه المطرع، ومن هذا الباب ما وضع خاصا بعض الأفراد الممتازين كالهيمى وزينر مولاي إسماعيل والعياشي زعيم السواحل وأمثالهما من الفضلاء.

ومهم المؤلفون في المدائين يذكرون أخبارها وما تقلبت فيه من الأحوال وكيف تداولتها الدولة ومن كان فيها من الرجال والأسير النبيلة وقد ألف محمد بن يوسف الوراق الأدمري الاليقاني (1927) في أجواء سجلماسة ونكور والبصرة تأليف حسانا كما يقول ابن حرون. وفي فاس ألف عبد الملك بن موسى الوراق كتابه "المقياس في أخبار فاس" ووصف في تاريخها ابن حرون وابن عبد الكريم وابن أبي زرع وفي رجالها ابن القاضي وابن الأحمش وابن عيشون والمدرع والفاسي والكناني وجمع المقرى كتابا فيمن لقيه من الأعلام بهما وبراكش. و ألف ابن أبي بكر الخضرى السلسل العذب والمهمل الأحلى في سلك من علية سلكهم في الأربعين من جيل فاس ومكتاة وسل. وفي سبعة ألف القاضي عياض العيون الستة وهي من كتبه التي لم تتم. وألف غيره بلغة الأمينة ومقصد اللبيب فيمن كان بسيلة في الدول المريمية من مدرسي وأستاذ وطبيب والكوكب الوقاد فيمن دفن بسيلة من العلماء والزهاد. وفي مكتاة ألف ابن جابر نزهة الناظر وابن غازى روضه الهنوت والبلي السفاحات الوردية. وفي رازية الدلاء ألف الحوات واليازغي. وفي درعة ألف محمد الملك الناصرى الدور المرصعة.

ولا يزال هذا التاريخ المغربي تعمل فيه الأقلم وتنضب في تدوينه المحابر وتعمل فيه الليالي والأيام وهو لا يزداد إلا نذرًا في البحث واستقصاء وتنقيا ومن
ذلك هذه الحركة المباركَة التي قام بها ثلة من أرباب الأقلم في بعض أرجاء المغرب فاختص كل واحد بتدوين تاريخ مدينة من مدنه، كمراَكش وفاس وسلا والرباط وطنجة، وتبين ما كان لها من عهد زاهر ومجد غاير وذكر زعماء رجالها الذين كانت لهم يد في العلم والأدب منها، وجّمع ما كان من ذلك متنازلا بعد أن أدركه التلائي وكاد يصبح مضملاً دائراً، وهي فكرة جميلة كان سعى أربابها مشكورة وعَـسَى أن تعم أصقاع المغرب فيقوم بتنفيذه من يتأسس من نفسه اقتداراً على ولوج هذا الميدان والإجادة من نصيبه منه حتى نرى تلك التوازيزع يوماً وقد أحكم وضعها وأتفنن ترتيبها وجمعها وأصبحت مادة فوارة لتاريخ المغرب العام.

وحذاً أثر جليل من ذلك التحور قد جمع فأواع لاستدرك فاعجب وأغرب، وسيكون ولا ريب من أهم مؤلفات المغرب التاريخية وأغزرها مادة وأكثرها إفادة وnymع، وقد اجتمعت فيه ثلاث من كن فيه كان حقيقة بالامتياز عن غيرها والحظوة بالخصوصية إلا وهي، قيمة الكتاب وأهمية الموضوع اقتدار المؤلف في فنه.

أما عن المؤلف فسمحة الاستاذ النقيب، مؤلف هذا الكتاب أحد حملة التاريخ عندنا الذين يقول لسان حالهم:

فجسم، في دهر ماكث،
وعقل، في أول الدهر ناه.

وهو غني بشهرته ومكاتنه وزراعته الزيدانية عن زيادة التعرف والتبيين.

وأما عن الموضوع فإن مكناس جمعت بين الطريف والتليد والقديم والجديد، وهي إحدى حواضر المغرب بعد سجامعة مركز بني مدرار وفاس كرسى الإدارية ومن اقتفاهم ومراكش دار المرابطين ومن بعدهم. وقد مرت عليها أيام كسبت فيها نضارة الحضارة وظللها جلال الملك والإمارة وكانت فيها قلب المغرب وماواي الوزراء والكتاب والشعراء وأرباب العلوم والصناع والفنون.

١٩
أما عن الكتاب فإن المؤلف متي كان قائمًا على فنه مضطلعًا بأعبائه منقطعاً إلى جاه كتبه بنتيجة ذلك كله، وفي هذا الكتاب ما لا يكاد يتأتي لغير مؤلفه الإتيان به أو العثور عليه، وقد أحيا الله له مواتاً ونشر بإبرازه رفاته وإن فيه قواعد هي أعز ما يطلب، ووثائق تكشف عن كثير من الأسرار المكتومة وتراجع هي لب التاريخ وحليته، ولولا ذهبته وكان لم يكن أربابها شيئًا مذكوراً إلى ما خلى به من نادر الصور وقيم الغرر.

إن أقل ما يجازى به مؤلف وقد أبدى للناس كتابه - بعد أن أنفق عليه من ذهنه ووقته وجهده وبده - أن يقال له: أحسنت وافدت ولا زال قلمك منهلاً.

الرباط 11 جمادى الثانية 1348
عبد الكريم بن الحسن
الحمد لله حق حمد

وللقية الآديب السيد محمد غريط لما وقف على رسم المؤلف:

يا مرسلا الفكر في جنة
من ليس بالمستكبار الجاني
إنه سبتي أن تبصر مبرزها
نثرة أبواب وأعوام
وصفه أحسن تبيان
نعم لفرع الملك زيدان

***
وتفكري فرضي وخير مجالس بي في انفرادي مطربي ومؤانس تفع كعيبه عابث متقاوس
علمى غذا رحيا وراحة بنيتي وتديرى راحيا وريحانى وكى وآرى حياتى دون ذلك ما لها
عبد الرحمن بن زيدان

22
إتناف أعلام الفلاح
بديمأل أخبار حاضرة مكنافار
ابن زيدان
وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآلله
مقدمة المؤلف

حمداً لمن تعالث عظيمته عن أن تحيط بها الأخبار. وتقدس في سلطانه
فقصرت الأفهام عن كنهه على مر الأجيال والأعصار. لا يعزب عن علمه ما كان
وما يكون. ولا تخفي عليه خافية من أحوال الظهور والبطون. كل يوم هو في
شأن، وإليه ترجع الشؤون. مدارك العقول في موقف الحيرة تحت ذيل القصور.
وتحريرات النقول في قصوى العي على بساط الفتوة.

عقل العقل أن يكون محيطاً
وحصّب القبال عن دراية كل نه
سمحاته ما أجل بره، وأوعس استناته، أسدل على كل مكون قبل نشأته
وبعدها فضله وإحسانه.

لم يخل قط عن إمداد وإيجاد
يزيد من فضله من غير تعدد
فالاعتراف له بالبر يورث أن
فله الشكر ما تخلت الألسن بذكر الوقائع، وقامت في صحفات الأنفاذ
أخبار الوقائع.

شكرنا لربٍ تعلَّمْنا
وفضله قدْ توالى
من يصرف العمر منه
في طاعة مَا تعلَّمْنا

٢٥
وشهد أن الله الذي لا إله إلا هو شهادة تعصم من الأوهام والشكوك.
وترشد الجوارم بها إلى الاتفاق في الآخذ والتروك.
تعلى أن يشارك في صفات وكل خلقه كيف الشريك.
تقدس أن تحيط به عقول وجل الله موالاة المليك.
وشهد أن سيدها ونبينا ومولانا مهديا عبده ورسوله الصادق فيما قص من
الأنباء، وأبدى من أسرار من تقدمه من الرسول والأنبياء.
برى الله خير العالحين مكملا أولى علاها فوق ما منه أملا
وصور منه الشكل غير مشارك على كل موجود جلاؤه وفضللا.
فصل لهم عليه صلاة ملأ الأرض والسماء، وتدوم بدوام ملككم، فلا يأتي
عليها إحصاء ولا استقضاء، وعلى آله تغمر الاحتراء وأمان الأماء، القاعدين على
صهوة المجد البالغين من كل مقصد همه، وأصحابه الذين نضرته وشهدوا أزره،
وحملوا عته إلى من لم يحضره نهيه وأمره.
أما بعد: فيقول خديج العلم والتاريخ عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن
ابن علي بن محمد بن عبد المالك بن زيدان ابن فخر ملوك المغرب وجد سلاطينه.
مولانا إسماعيل بن الشريف الحسن السعجلماسى: إن الله تعالى في أجيال العوالم
- من مكهن السر وخفيّ الذقائن - ما لا تحتوى على بيانه فنون المجازات وأنواع
الحقائق، أودع فيها حكما ترجع دون تمام إدراكها الأماني حسريا، وتقف في
مشاهد إدراكها فتنخر آونة شغرا وأخرى برقاتها سكري.
كيف وهي مظاهر قدرتها الباهرة، وتجهيلها التي تكل أولاها والآخرة. فاعقل
الناس من راهه بليل اعتبار، وعرف أن منها ما سبيله الأذكار، وما أبرز
للاختبار، فاعتبروا يا أولي الأبرص، فوقف به ما رأي وسمع من أحوال القرون
الشاسعة، على هدى يجدوه في الأعمال والمعد من الأعمال النافعة.
 وإن الفن الذي يجمع من ذلك زبدة الأوطاب، ويغمر بين ما خبث وطاب،
علم التاريخ الذي هو من أجل ما يذكر، وتقديم أهميته ولا تؤخر، يريك من
المعدوم موجوداً، ومن المقطع سابقاً فصلاً عدوداً، حتى كان من انقراض الآن
ينطق، ويشمس حيائه لا زالت تشرق، فلم يفت المتقدم المتاخر إلا بالاشباح
والصور، إذا جلبت منهم العبر وتلبت عليهم السور.
أخبار من سبقوا إذادنا عصرهم وجودهم يجلل في طي نشرهم
ناجواه دون لسان إذ بسوا من حديثهم ما خلوا في مر عمرهم
فأعرف قدره ما بين الفنون، ومنى فحصته إذا تلبت المتن، فقد نوه الذكر
الحكيم بإناثة شأنته. وقص على المبتكر فائدة وبدائع حسنة، وناهيك بما ضمنه من
أسراره، وكشف للألباب من خبايا أستاره، فقد أرى أخبار المسلاين وحميد
سيرهم، وما لقوا من نشأتهم إلى انتقالهم عن عالم الدنيا ورحلتهم، ومن أجل
ذلك أمر الله أشرف الموجودات، أن يتلمسهم في سنى تلك الحالات فقال:
(فبهذاهم أقتده).}
ولهذا ومله تلك الأعلام لتدوينه، والتنقيح عن تفصيل حوادثه وشئونه،
اقتفا لما ذكر الله في الكتاب، وانتحالاً لما يستعذب ويستطاب ما بين موجز
ومطنب، ومشرق فيه ومغرب.

بيد أنى لم أجد من يشفى العلة، ويبرد من الصادئ الغلطة، بشرح أنباء
مكناسة الزيتون، ونظم ما تتأثر من درها المكنون، بعد بلاغ الجهاد في القديم
والحديث، فيمن يروى سند ذلك الحديث، وما صنفه إمام المحققين وخلاقتهم ابن
غازى في روضة الهوتون، نقطة من بحر ولفقة عجلان لا تأتي على البعض من
عجائب بيت الملك وسرها المصون، ولا تروى من هو بقيظ الجهل بها صديان.
وعندها له لأنه أول قارع لأبوابها، وغير مسبوق بشيء يعتبر في اختراعه من لبابها،
وذلك العادة المحكمة في أول متكلم.

غير أن له الفضيلة بسبقه على العالم والتعلم، فالهجوم على ما يصعب لا
يحكمه إلا البطل، وبعد جنابة النحل يجي العسل، إذ الفضل كل الفضل من إذا
الليل عسوس، طرق العقلية في حينها وقد أحدث بها الحرس، ومن تكلم بعده في
شيء من هذا الموضوع في ديوان فيه أو في غيره مشروع فعلى أثره عدول وإضاءته
فروع ما فروع وأصل ولم أو منهم من هز لنشر طيبها عطفا ولا من اقتطف من مشاقة
أنوارها قطعا بل هم عن تدوين شُتُوهَا في انقباض وكل يدعى أنه خالى الوفاض
إجماعا على الوفاق والترضا، وجنوحا إلى الزمانه بدلا عن الانتهاض، وما أراه
إلا ما تكامل فيها الحسن والإحسان، بهشت العقول فكلا عنهم اليسان وتركوا
القول جملة وتفصيلا، وتساقطوا على غيرها قبلا فقيلا

تكاثرت الظباء على خذاش
فما يدري خذاش ما يصيد
وليس هذا بالرآى الحميد، ولا بما يلوى الليب فيحيد فقد أطبق العقلاء على
أنما لا يدرك كله لا يترك بعضه أو جلبه.

وطالما رمت الأخذ بهذه القاعدة فاجد النفس عن الجولان في ذلك الميدان
قاعدة، إذ فقد مواد تقص تلك الأنباء يوجب العجز عن أن تحمل منها الأعباء
سما وقذف ضن على أشياء جهلاء هذه المدينة التي كانت كل البلاد من محاسنها
مدينة وتقاعدوا على ما لديهم وطوروا كشحا دون الاقتراح فيه عليهم، مما عسى أن
يظن به خبر ذلك الحي، ونشر ما أصبح الآن منه في ريقة الطي أو له سالفة أدنى
استمداد، يكون عند النهوض عمدة استعداد، بل آل سؤالي منهم ما أملت من
dلفرات، أن أصبح ودهم من قبيل العفا الدائر فكان تقليص ظل الوداد نتيجة
الفوضية، وسهم البناء على المعلوم والعارية،_VERIFY_ منهن أن العلم منحصر في الحصول على ذلك الوطر انحصر الشيء المعرف بالدم الجسدي في الخبر، وما دروا أن في بذل ما لديهم إنقاذهما من البلا ورفعهما عن أن يحل بها من الأرضة البلا فجمعوا بين رذيلتي البخل وكتم العلم جمعا، والحال أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فهض من إجابته عندى فرض عين، وخلاله في سماء الوداد كسوف وعين يحتشى بإزعاج على أن أجب تلك الفجاج لأنظما ما سعت الأيام في نثره وأكمل من الروض ما يحسب من بشره وأضيف إلى أغراره ما حدث بعد عصره مرسلاً

عنوان القول غير لاحظ لحصيره

بدرائع تزهو من سناها الخرائط
ونظم شمار ما حذوه القلائد
وفي ظاهر الأرقام تلك روايات

أصول لذي التحقيق يبرق باتنا

فقلت حملتي في قصدك أصار، وقد فقدت من أبناء العصر تأيدا ونصراع
فلتم تزده الإبادة إلا حثا واقتراحا ولا نظم البراهين على الإعوان إلا وقفها وارتباها
فحرك من ما كان سكن هويه وقوي عزمي على فتح ما أطلقت جبهته فاجتهه مستعيدا بربي من حسد سابقى ودونى وتربي لابذا بحوله ومعونته في السر والنجوى سائلًا منه مسحاته أن يجعلنا من اعتصم بحبه الأقوى، وأدرج في سلك أهل الطاعة والرضا، ووفاء من قصده ما يحب ويرضى.

وعنونة (بالإلحاح أعلام الناس بجمال آذاب حاضرة مكناس) ولك أن تسميه

عبير الأس من روض تاريخ مكناس، أو حسن الاقتباس من مفاخر الدولة العلوية وتاريخ مكناس.

ورتبته على مقدمة وأربعه مطالب تنهب علم الشيخ، وتفتح ما أغفل على الطالب.

29
المقدمة

اللغة: تعيين الوقت مطلقاً، وعرفا علم يبحث فيه عما مضى من سالف الدهور وعن أحوال المتقدمين من الأمم وأسماء المشاهير منهم ومعرفة أزمنتهم وأمكنتهم، وسيرهم وعوائدهم، وما يتعلق ب حياتهم ووفياتهم.

وينقسم إلى أثري وبشري: فالأول ما قصته الكتب المنزلة، والسنة النبوية، والثاني ما دونه علماء الأمم من الوقائع والحوادث والحروب، وينقسم أيضاً إلى قديم وحديث، فالقديم: ما كان قبل الإسلام والحديث: ما كان بعده.

وعلى هذا التقسيم جرى جل مؤرخ الخرائط، ولكن أمة وجيل تقاسيم اصطلحوا عليها لسناء بصدمة التعرض لها، ثم ما دون أو بدون في التاريخ إما عام وإما خاص، فقد يقع في الدول من بدء الدنيا، وقد يختص بالدولة الإسلامية (1) القرآن: الجوًان.
مثال، وقد يكون في أعمار الأعيان ووفياتهم، وقد يكون في اختطاف البلدان والمسجد والربط وغير ذلك.
وأما أصل موضوعه فاعمال البشر في كل زمان ومكان، والفحص عن سير المتقدمين من الملوك والعلماء والصلاحاء والوقائع الحربية وغيرها، وحالة الدنيا والعمران، وقوة الدول وفشلها، وأسباب تقدمها وتأخيرها واضمحلالها.
وأما واضع الآثري منه فهو الله تبارك وتعالى، أنزله على رسله الكرام في كتبه النافولة بالحق وأعظمها القرآن، فقد تكررت فيه أقاصيص المتقدمين وأحوال الماضي وخصوصا مع الأنباء والرسلين، حتى قال مولانا تبارك وتعالى فيه خطاباً لبنيا: (وكلما قص علتك من أنباء الرسول ما تبث به فوالدك...؟) (سورة هود آية 12)، وقال: (ولقد جاءهم من الأبناء ما فيه مزدجر) حكمة بالغة...؟ (سورة القمر آية 4، 5). وفي هاتين الآيتين الكرمتين تنبه على ما يقصده العاقل من الإطلاع على أحوال الماضي والوقوف على سير الغابرين من الاعتبار والاتباع والاستبصار، ولذلك نرى القرآن يفتخر في إبصار القصة الواحدة وإعادتها بأسلوب من طرق البلاغة وبرزها في صور ستى على قدر ما فيها من وجه العبر وضرور النظر، حتى احتوى من ذلك على جم لما كان لا يعرف الوجه الواحد من علوم أقاصيص إلا أفراح الرهباني، ورؤساء الأحباء، ولذلك وصف بنيا كتاب ربا هذا بقوله: (فهي نباكم وخبر ما كان قبلكم).
وكذلك أوثى الله تعالى من هذا الفن التاريخي إلى أتباعه - في غير ما أنزله عليهم من الكتب أيضا - ما لا يعطاع استقصاؤه، وقد حدث بنيا من ذلك بما مال الدفاتر، وعلى ذلك جرى سلقنا الصالح، فلم يزل الصحابة رضوان الله عليهم بتفاوضون في حديث من مضى، ويتذاكر في أخبار من تقدمهم من الأمه، واقتيد بهم في ذلك سادات التابعين وأتباعهم بإحسان إلى يوما هذا.
وأما واضع البشر فهو الإنسان وهو قدم الوضع من عهد نبي الله آدم عليه الصلاة والسلام، وتأخذ ذلك هو قوله عندما توقف من نومته التي ألقاهها الله عليه

31
ليخلق حواء من ضلعه - كما ورد في التوراة: (هذه عظم عظمي ولحم لحم)
إذ قوله هذه حكاية حادثة شاهدها وواقعة حال حقها، ثم ترقى التاريخ بهذا المعنى شيئا فشيئا كسائر العلوم البشرية حتى دون ذلك، وكل شيء يبدو صغيرا ثم ينمو كما هو مشاهد، فسنة الله التي قد خلت في عيابه ولن تجد لسنة الله تبدل.
والتاريخ أيضا بمعنى التوقيت أي تمييز الوقت، كذلك قديم الوضع، فقد روى ابن عساكر في تاريخه بإسناده إلى الزهري والشعبي، قال: لما أهبط آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة وانشبت بنو هود في الأرض، أخرجو من هبوطه إلى أن بعث الله سيدنا نوح عليه السلام، فأرخوا من مبعوثه إلى وقعة الطوفان، فأرخوا حتى جاءت حادثة نار سيدنا إبراهيم عليه السلام فأرخوا بها.
ثم اجتمع رأى كل أمة من الأمم على شيء، فأرخ الروم واليونان بيلاد إسكندر الرومي، وأرخ المسيحيون بظهور سيدنا عيسى عليه وعلى نبيا أفضل الصلاة والسلام، وأرخ بنو إسحاق من مبعث نبي إلى مبعث نبي آخر، وأرخ بنو إسماعيل - من بنات البيت - حين بنائه إبراهيم وإسماعيل - حتى تفرقوا، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بخروجهم ومن بقي فيهم آرخ بخروج سعد ونهد وجهينة بنى مذهب من تهامة حتى مات كعب بن لؤي فارخوا من موهبه، ولا زالوا يؤخرون بما كان من الحوادث حتى أتي عام الفيل فجعلوه تاريخا إلى أن حصلت الهجرة فأرخوا بها ويقيت مبادأ للتاريخ الإسلامي إلى الآن(1).
ويتتبرع التاريخ بالليالي، لأن الليل عند السبع سابق على النهار، لأنهم كانوا أميين لا يحسنون الكتابة ولم يعرفوا حساب غيرهم من الأمم، فجسموا بظهور الهلال، وإذا يظهر بالليل فجعلوه مبادأ للتاريخ.

(1) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور 1/301.
وأما ثمرته فالانتفاع بها، فذكر الحوادث التي حصلت في الكون خيراً أو شراً، والتبصر في الأمور والاسترشاد بما ناتج عن كل ما هو آت للعيال في صفات الديمومة والسكون بالآداب والأخلاق الحميدة، إذ قصص من قبلنا عبارة لأولى الألباب في أحوال الدين والدنيا وما يتعلق بها إلا العلمون.

إذا أطلع العاقل على سبب المقدمين من الأمم الراقية وأخلاقياتهم وسياسةهم تأسي بهم وقام نفسه عليهم، فانصح بأحوالهم في دينهم ودنياهم، واكتشف عن عورات الكاذبين فيجنب سوء أعمالهم ووجيه منافسيهم، ووقف على أحوال الصادقين فيقتدي بهم ويرجع لنفسه من معلومات العلماء وتصانيفهم واتشافاتهم ما يشجع ذهنه ويزيده في قوة إدراكه بأقرب الطرق وأيسرها مما يحصل عليه من سبقه إلا بعد العنا وجلد.

وأما فضيلته فهو من أعظم العلوم وأعزالها وأشرفها وأنفعها وأجملها وأكملها فهو أكبر مرب للذاتين ومرق حالة الإنسان والعمران، وهو في الحقيقة برنامج ما مضى وتنكر لمن معنا الأولون من أحوال وتفصيلات، وتصرة لأولى الألباب في المستقبل، وعمر جديد للمطالعين يغمر ولا يهم وفي فضله قيل:

الآ إنا في التاريخ علماً وحكمة
فالفضل قد شاهدته والشهماج
لهذا اعتمى بالكتاب فيه آمنة
وهم كل قطر أو قصصه مدرس
وقال لسان الدين ابن الخطيب في صدر أرجوزته رقم الخلل في نظام الدول:

ففي نفس العائل الاعتبار
والمستنصر استنصر
ففي تمثيل الأخبار
كيف أتى القوم وكيف صاروا
في ثبت الحق بسهم صائب
في ترك الجهل لاهل الجهل
يجرى على الحاضر حكم الغائب
وينظر الدنيا بعين النبل
وقيل:
لاجلها دارت الأفلاك أدوارا
وأقرأ تواريخ من في الدهر قد صارا
إن شئت تكثر عقل فيه مصلحة
فانظر لمعنى المواليد التي اختلتت
وقيل:
من لا يعي التاريخ في صدره
اضاف أعمارا إلى عمره
ليس الإنسان ولا عاقل
ومن دري أخبار من قبله
وقيل:
توهمته قد عاش حينا من الدهر
إذا عرف الإنسان أخبار من مضى
وتحمله قد عاش آخر دهر
وكن ذا نوال واغتنم آخر العمر
فكن عالما أخبار من عاش وانتقض
وقيل:
وما التاريخ إن فكرت إلا
وأخرى سادة علماء كبارا
بادروا في مجالسهم عقرا
ولا تألوا نصحا وادكارا
ولات تاءم تارة فيها ملوكا
وآونة تنادم شرب راح
فمازمع حالات الماضين علماء
ترى فيها البلاد وساكنيها

٣٤
له يعرف من خلف سير من سلف، ولولا لجهلته الأنساب، ونسيت الأحباش، وتقطعت الأسباب. ولم يعلم الإنسان أن أصله من تراب وملائه إلى خراب. وقد ضمت مقالى التاريخية التي أميتها بنادي الخطابة بمكناس خمسة عشر وجا من فضائله فلتنتظر ثمنًا.

وأقوى دليل على فضل وشفه شرفة بين العلم وقوع الاستدلال به والاحتجاج في القرآن الكريم - الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه - في قوله جل من قال: "فأيه أهل الكتاب لم تتحاجون في إبراهيم وما أرسلت التوراة والإنجيل إلا من بعد أفلا تعلمون؟" (سورة آل عمران آية 65) وهذا كما قال العلماء من لطائف الاستدلالات وأنفسها.

وأما حكمه فإنه يكون مطلوبا في غالب الحالات، وربما كان مرتبطا كفاعة، وبالجملة فالقول الفصل ما أصح به أبو على اليوسى - في قانونه - إذ قال: كل ما يحتاج فيه إلله من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة، أو مكيال معلوم، أو مسجد عتيق، أو النبيق فلان بفان من الرواة، أو إمكان الترتيب، أو كان فلان من المتقدمين أو من المتآخرين أو من الصحابة أو لا، وغير ذلك فهو داخل في العلم الشرعية المهمة، وما سوى ذلك بخروج عنها غير أن إفادة أخرى كالاعتبار والاستفصال والاهتمار بوصف محمود بسماع أخبار من اتصف به من صلاح، أو عبادة، أو زهد، أو شجاعة أو حلم، أو سخاء ونحوه والانتهاء عن مذموم عند ذكر من نعيه، أو تعليم صنعة أو حيلة نافعة، أو غير ذلك من المصالح فهو محمود كسائر العلوم التي ليست من أمور الدين كالخراف والصناعات التي تجلب للإنسان - كما هو مشاهد - جزيل المنافع وذلك إن لم يتعال عما هو أهم منه ولا فالاهم المقدم.

وأما نسبته إلى غيره من أصول العلوم الآدبية فهو جزئي لها، وهي اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والمعروض واللفافة والخط وقرض
الشعر والإنشاء والمحاضرات، نعم الثمانية الأولى أصول، والأربعة بعدها فروع، كما صرح بذلك أبو البقاء في كتابته وغيره، قال: ومنها التواريخ والبدع ذيل للمعاني والبيان، وقد جمعها الشيخ حسن العطار في قوله:

نحو وصرف عروض بعده لغة
ثم اشتقاق وقرض الشعر إنشاء
كذا المعاني بيان الخط قافية
تاريخ هذا العلم العرب إحساء

وقد توقف الشيخ الأمير في عد التاريخ من علوم العرب وقوفاً مع ظاهر كون الأمية فيهم هي الاصل وعمة التاريخ الكتابة. ونحن نقول توقفه غير ظاهر، لأن العرب أكثر الناس اعتناء بالمحافظة على معرفة الأنساب وأشاد الأمم ولوعلتنا بحكاية الوقائع والأخبار والحروب والقصص، وذلك في أشعارهم كثير، وغير خاف أن شعر العرب مستودع أخبارها، فهي علومهم وأخبارهم وحكمهم وهو ديوانهم الجامع للآثارهم، وقد جعل الله تعالى أنجيلهم في صدورهم، وأغناهم بقوة الحفظ وسيلان الأذهان عن الاحتياج للكتابة وما يتبعها من الوسائل، ولو دفعتا عليهم التاريخ بعدم كتابتهم لدفعنا بذلك أيضاً عنهم سائر العلوم الأدبية التي لا ينارعهم فيها أحد وذلك باطل بالضرورة، وستر في كلام الحسن بن سهل الآتي قريباً أن علم النسب وأيام الناس عريان الأصل وكفيه به رداً لتوقف الأمير.

ثم إن إطلاق الأدب على الاثنين عشر المذكورة مولد حديث في الإسلام كما أفصحت بذلك شارح القاموس، فإن علم الأدب لغة هو: تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق. قال: أبو زيد الأسuard: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، والأزهرى نحوه كما في المصاحبه ونقل الخفاجى في العبادة عن الجوالينى في شرح أدب الكاتب أن معناه لغة حسن الأخلاق وفعل المكارم.
وقال ابن خلدون في مقدمته: هذا العلم يعني الأدب لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ويجادل في فقه اللفظ والنحو على أساليب العرب ومناهجهم، فجمعون لذلك من كلام العرب ما عما تصلبه الملكة: من شعر عالمي الطبق، وسجع مثبتةً (1) أثناء ذلك متفرقة يستقرمز منها الناظر في الغالب معظم قوائمني العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم بها ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكرهم من الأناسر الشهيرة والأخبار العامة، والمساعدات بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناهج بلاغتهم إذا تصفحه، لأنه لا تصلبه الملكة من حفظه إلا بعد فهمه، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه (2).

ثم إنهم إذا أرادوا جد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبرها والأخذ من كل علم بطرف، يرددون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث تكونت فقط وهي القرآن والحديث إذا لمدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتآخرون عند كلفهم بصناعة البدع من التوراة في أشعارهم وترسلهم بالإفصاحات العلمية، فاحتاج صاحب هذا الفن حتى إلى معرفة اصطلاحات العلماء (3).

ونقل أبو على البيروسي في محاضراته عن الحسن بن سهل قال: الأدب عشرة أصناف: ثلاثة شهريجانية وهي ضرب العود ولعب الشطرنج ولعب بالصواحة، وثلاثة أندلؤزية وهي الطب والهندسة والفيروسية، وثلاثة عربية وهي الشعر والنسب وأيام الناس، والعشر مقتطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجالس وهذا عام ه.

(1) تحرف في المطبع إلى "ثبوت"، وصوابه لدى ابن خلدون الذي ينقل عنه المصنف.
(2) مقدمة ابن خلدون 3/1139.
(3) مقدمة ابن خلدون 3/1139.
وفي نفح الطيب أن علم الأدب في الأندلس كان مقصرًا على ما يحفظ من التاريخ والنظم والشعر ومصطلحات (1) الحكایات، قال: وهو أنبل علم عندهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستقل (2).

وإما كان التاريخ من الفنون الأدبية لأنه أكبر مرشد للتخلق بكارم الأخلاق ومجانبة أهل الذائق والنقاش والفرار من الإشرار، ولأنه أقوى معين ومساعد على نحو قوة ملكة الإنشاء نظما ونظرًا للاستشهاد بشواهده والاستمداد من فوائده والانتمار بأوامره وانتهاء بنواهيه وزواجيه ممن أبصر رشده وأراد الله هدايته.

وأما استمداده فهو إما من الكتب المتزلفة كالتوراة والإنجيل والزبور والفرحان. وإما من أخبار الأنباء أهل التحقيق والعرفان. وإما من الحوادث المشاهدة بالعيان. والآثار الضخمة العظيمة الشان. وإما لما دونه رواة الأخبار وأولاً ما نقله عن مشاهدة وعين. فإن ذلك يغنى هم كل برحلة. ويكسب صاحبه علمًا يقينا لا يشكيه فيه ثان. وإما من الوقائع المسموعة من شاهدها من المعاصرين الأعيان.

نعم لا غنى من يولو في النقل على هذا الأصل من اعتبار أحوال المسموع والمسموع منه، أما الأول فبيان يعتبر إمكانه في نفسه باعتبار العمق والحقيقة فإن دخل في حيز الإمكان بهذين الطبقين نظر فيه، اعتباره ثانيا باعتبار حال المسموع منه بأنه تكون ثقة غير مغفل فإن لم يكن فيها ما منع فحصه يعول عليه ويجعله أصلا لديه، وإما اعتبارنا الإمكان شرطا في قبول ما جاء من هذه الطريق وفي الحقيقة كل الطرق مثلها لأن غير الممكن لا نظر فيه، إذ هو ملطنوم به وجه الآخر به، وأما ما صح عن المعصوم فلا يكون إلا ممكنا إذا:

(1) في المطبوع ومستطفرات، والمثبت لدى المقرى في نفح الطيب الذي ينقل عنه المصنف.
(2) نفح الطيب/222.

38
لم ينحنا بما تعني العقول به حرصة علينا فلم نرتب ولم نهم

وإذا أصابنا يأمن الخائض في هذا الفن من البناء على المستحيل، وإذاء اعتبرنا حال المسموع منه لأنه لا التفتات لنقل كذوب، ولا لمن ليس بإضافته فإنه لا بناء إلا على أساس صحيح، وإلا كان الإنسان عاقته الخيبة، ومن هنا تعلم أن صاحب هذا الفن لا غنى له عن التبصر في علم الحقائق والرقائق والمهارة في المواد والطرائق حتى يكون ناقدًا بصيرا، وإضاعة أذى غنه من سمعه كفيلةً خبيراً.

ومن طرق استمداده أيضًا الآثار القديمة والبناءات الضخمة العظيمة كقصر البنت الموجود أثره بالحجر بكسر الحاء وسكون المعرف اليوم بمدائن صالح في وادي القرى على طريق المار من الشام إلى مكة العظيمة، وبقايا الرواق الأعظم، وقصر بصرى حوران، وقلعة صلخد في حوران، وبقايا قصر المشي، وبقايا القصر الأبيض، وبقايا الأهرام وما بسعود مصر من الآثار، وما بمصر أيضا عند أطلال مدينة طيبة القديمة.

وبما بالقدس الشريف من بقايا بناء نبي الله سيدنا داوود عليه الصلاة وسلام، وما كان شاخصًا من الأطلال قبلي، بل وفي الحين الحالي الكائنة بمدينة وليلى (1) من جبل زهران المعروفة في زمننا الحاضر بقصر فرعون مع ما اكتشفه علماء الفن من الآثار العجيبة الهائلة ذات البال في هذا العهد هنالك أيضا وغير ذلك ما يطول.

ومنها السكك المضوية من ذهب وفضة وغيرهما كورق أهل الكهف، وبحث أحدهم به إلى المدينة كما نص الله تعالى في كتابه الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونقص السحَّب في اليمن، ونقص الرومانيين الموجودة في الزمن الحاضر بمنتزه الآثار المكتشفة بمدينة وليلى المشار لها ووهب اللات وغيرها.

(1) لدى باقوت: ونكلي: مدينة قرب طنجة.
وقد شاهدت عين البعض ما ذكر وصور البعض في كتب المعتنين بذلك
الشأن، وكالرسوم والأعمدة والقوائم الضخمة التي يستدل بقائها من رمان شأنتها
القديم إلى رمان الوقوف عليها على أنها منثور إليها بعين العناية والاعتبار والرعاية
والرسوم والأطلال مع ما رقم عليها، وسمير بك بعض ذلك إن شاء الله فترقب,
وكل ما يشهد لحقيقة الأمر ويتفى به الشك في حكاية الواقع.
ثم بعد تحسين الناظر في هذا الفن لهذه الأصول فعليه أن يبضها بأصل
رابع وهو التثبت والحري والزوم الصدق وعدم اللمع مع غير الحك حتى يتجرد
بالكلية، عن الأعراض الشخصية، والمحاسبة والحمية، وحكاية غير الواقع ونسبة
الأمور والواقع ونسبة الأمور والوقائع لغير أربابها، إذ بالتثبت يشر مقاله، ويذكر
بين البراءة حاله، وبالعلم ينفد من مهاوى السقوط في الزلات والأغاليط، وبالآمانة
تنفى عنه الشهوات والأعراض، فيتكلم بلسان الحرية، متجمفا عن الشهوات
النفسية، وواقفا عند حد العدل والمدنية.
ولأغير أن فحول المؤرخين قد استوعبا أخبار ما تكلموا عليه من أيام
الأمم وسطرواها على صفحات الدفاتر، ولكن خلطها المتطللون بدساتين من
الباطل لاحظوا بطرف فاتر، ولفقوها بزخارف واهي الروايات، ولم يلاحظوا
أسباب الوقائع والأحوال في تلك الحكايات، ولم يرفضوا ترهات الأقوال، ولم
يميزوا بين الصحيح وما ليس عليه تمويل، فتحققهم في أمرها قليل، وطرف
تحقيقهم في الغالب كليل.
وعن ذلك نشأ ما حشيته به التواريخ من كثرة الدخيل، الذي لا يلتفت إليه
إلا سقيم الإدراك عليل، ولا يؤبه به لا في قيب ولا في دبير.
والغرض من التنبيه على هذا تخذير مطالع التواريخ من التمويل على كل
قيل، والبناء عليه من غير تفرقة بين صحيح أصيل، وباطل دخيل.
أما الذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة في التاريخ فهم قليلون، منهم العقوقين في منتصف القرن الثالث، وابن جرير في _تاريخ الأمم والملوك_ المتوفر عام عشرة وثلاثمائة، والمسعودي في تواريخه الثلاث (أخبار الزمن) والأوسط و_مرج الذهب_ المتوفر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وابن الأثير في كامل التواريخ المولود سنة خمس وخمسين وخمسمائة، المتوفر عائلة مائتين وستمائة، وابن خلدون في كتاب العصر وديوان المبتداء والخبر، المتوفر رمضان سنة ثمان وثمانمائة.

وتاريخ هؤلاء من بدء العالم إلى أيامهم، وقد جاء من بعدهم في كل زمان مكان من استدرك ما فاتهم وذيل عليهم بتدرين ما قصرت عنه حياتهم واستمر ذلك إلى وقتنا هذا وهو ثاني عشرة رجب الفرد الحرام عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة والنصف، فكثرت بسبب ذلك موضوعات هذا الفن وتنوع أساليبه، وتعددت أسبابه، حتى لم رأ أحد تقصي ذلك لعجز.

وقد ذكر المسعودي جملة كبيرة منها وتاريخه لغاية سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فما ظنك بما بعد ذلك.

وقد عد الشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي في كتابه _عجائب الآثار_ جملة صالحة منها، وسرب صاحب _كشف الظنون_ من التواريخ في زمانه ثلاث عشرة مائة، وقد أوجز إذ لا موقع لهذا العدد في جانب ما فاته من ماض عنه فأحترى ما هو آت بعده.

فعلى الإنسان أن يستفرغ في الاستطلاع جهده ولا يوقع نفسه في ورطة الحصر، فإنهما ما راه أحد إلا تعلم طره، وأفنى عمره ولم يبلغ غوره. وإن تعدوا نعمة الله لا تخصوها.

وأما مسألته فهي عبارة عن كليات حكمية مأخوذة من التمحيص التفصيلي ينهدي بها في أحوال الدول وآثار حياتهم، كقولهم: كل دولة لا بد لها من عصبة"

العدل روح يحمي البلاد كما دمارها أبدا بالظلم ينحث، وقلة الذين يتعمر المجتمع ذلك، والعدل رمز التمهيد يتظم وقولهم: إن خير السلاطين من عمل في أمر الرعية بالعدل والإنصاف ولم يقبل أبي بعضهم على بعض، وقولهم: الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أوامره ونواهيه، وقولهم: بالعدل تطول المملكة ونصب الرعية وتكثر العمارة، وقولهم: إذا هم الوالي بالخور وعمل به دخول الله النقص في أهل مملكته حتى في التجارات والزراعات وفي كل شيء، وإذا هم بالخير أو عمل به دخول الله البركة على أهل مملكته حتى في التجارات والزراعات وفي كل شيء ويعم البلاد والعباد.

وأعلام أن مدار جل هذه الكليات على العدل "إذن الله يأمر بالعدل والإحسان وإباء ذي القرنى وبنيه عن أهل الحشاء والمخلب واللغ، يعظكم لحكم تذكرون بسبارة" [سورة}
النحل آية 90)، وأن العدل هو القسطاس المستقيم في الرعايا والملامح، فإن الله تعالى خلق العواصم مختلفة متناقلة متضادة مزدوجة، ويعسوب ثباتها الكفيلة بسعادة حياتها هو العدل فيها يربط شؤونهم بالطريق الوسطي، الخالى من التفرقة والشلطل، فإن ذلك به تطمئن القلوب من الشعوب، ويهرب على التعاقد في مدلاهمات الخطوب، ويضده تنايل مهاوى النفل والترفقة والانثار، وتلامع الأمة من شقاوة الحياة سائر الأخطار.

فحقق على كل دولة رامت السعادة والثبات أن تجعل العدل أساس تصرفاتها، ومركز سائر قوتها، وأن تتعاهد إصلاح ما اختفى من ذلك كل حين، وأن تجعل محور دوائر الرقابة منها على ممر الأوقات والسنين، وليس يستنفذ ذلك إلا بإدانة النهضة لتصبح أحوال المولد، والمبادرة لطرد الظل المظلم، والضرب على أيديهم، وإظهار مزايا من وجد منهم لطريق العدل سالمًا، ولسائر الأغراض الشخصية في ولايته تاركًا، فقد قيل لبعض الحكماء: 'بم يزول الملك؟ قال: بgüش الوزير، وسوء التدبير، وفساد الطبية، وظلم الرعية، 'يا داوود إنا جلتك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولا تُتبع الهوى، فتَضَلَّك عن سبيل الله إن الذين يصلون عن سبيل الله لهم غابات شديدًا... (87) [سورة ص آية 26]'.

هذا وقد آن أن نتخلص للمقصود فقوله: حيث كان فن التاريخ تقصر الحافظة عن الإحاطة بإفادته، وتناقص خطأ القلم عن الإسلام بسائر مهماته، تعين صرف العنان من الإنسان لتحرير ما هو الأهم به في طوره الآن.

وذلك شيئاً أصل تخطيط بلدة أقيمت فيها. وأحوال دولة هو الآن بين رجالها، وأهمية الأول هي باعتبار أن جاهل تخطيط بلدة، التي بها مستقب رأسه ومخطط رجال أهل جلدته، يكاد مع انتفاض الموائع ان لا يضرب له في الإنسانية بسهم من فتنه، ويدد ذاهلاً حتى عن أصل نشأته.
وهامة الشابي هي باعتبار أن جاهل ما هو بين الأظهر حال، بكد يحصل
اليأس منه بعرفة ما لم بعد عنه من تقدم من الأحوال. فكانت معيرة الشخص
بتخطيط بلدة إقامتها، وأحوال رجال دولته، عنوانا كاما لتجابته، ومحكا واضحًا
لشفوه قدره ومكاتبه.

وبهذة الطريقة تعين على أن أجعل إفادة الطالب بلخص تخطيط وتقليبات
بلدتنا، ووقائع وأحوال رجال دولتنا، من واجب الحقوق المرعبة، والتحف السنة
المرضية. فقول:

- وتسليم قول بين كل الخليقة
- من الرأى الربح آرجو هداية
- اقام بها عجب وداء ضغينة
- وفتحا قربا يذهب الدرب عن حثا
- ويشرح صدرا ضيقا حرجة بما

المطلب الأول

بلدتنا مكاسمة الزيتون بكسر اليمم كما جزم به يافروت الحموى في معجم
البلدان والفيروزابادي في القاموس. وقد تقال بدون هاء عند عدم الإضافة، ولم
تكون إضافتها للزيتون مقارنة لنشأتها، وإذا حدثت بعد ذلك عند إنشاء الزيتون
بها، وإذا صارت تضاف إليه وقتثال للتحرر عن مكاسمة القبيلة الحالة أحوال تازا
التي بينها وبين فاس ماثية وثمانية وعشرون كيول مترا للذهب من باب الساكنة
بالكاف المعقودة أحد أبوب فاس، والساكنة التي ينسب هذا الباب إليها هي امرأة
مجهودية تزود قرب عام خمسين ومائة ولف ودفنت يسار الخارج من الباب
المذكور، فصار الباب ينسب إليها ذلك.

ووجه تسمية بلدتنا بمكانة سكنى طائفة من القبيلة البربرية الشهيرة بمكانة
بها وذلك في سالف الذكر ونسبه هذه القبيلة هي لجدهم مكاس بن ورصيف
البربري، وتلخيص ما في المقام أن فرقة من قبيلة مكاسة نزل البعض منها شرقى

44
مدينة فاس وهم الذين أفصحتنا سابقاً بكون مقرهم أحواز تارزا ونزل بعض آخر منها غربي مدينة فاس على مسافة ستين كيلومتراً وهم سكان هذه المدينة في الأعصار المتقدمة.

وأشار ابن الرقيق إلى أنهم هم الذين أنشئوها، وأن سكانهم أولا كنفت في بيوت الشعر، ثم حملتهم الثروة على التحاصم وإجلاء الأقوى للأضعف، فصاروا بذلك يتخذون الدور بوقع مكناسة ويتبع بعضهم في ذلك بعضا إلى أن كثرت دورها وصارت من أعظم المدن، وصرح بذلك حسن بن محمد الوزان الغزاني ثم القاضي الشهر في أوربا بجان ليوين في "رحلته" وعلى فتبتها إليهم لإنشائهم لها وسكانهم بها، وقد كان اختطاطهم لها قديما قبل الإسلام كما أوضح به بعض المؤرخين، وصرح بعض المعاصرين من الأوروبيين في مؤلف له في مكناسة بأن ذلك كان في القرن الرابع قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه نبينا وعلىه الصلاة والسلام، وكان تمذنها وقتيل عبارة عن قرى متعددة كما يأتي عن ابن غازر.

تبيهان اثنان: الأول: ما سبق من أن بين فاس ومكناسة ستين كيلومتراً هو الذي حرره أهل الفن من الدولة الخامسية الآن، وقد حققوا ذلك بعلامات نصبوها على رأس كل عدد كما هو شأنهم في أمثال ذلك، وعليه فما وقع في رحلة حسن ابن محمد الوزان من أن بين فاس ومكناسة ستة وثلاثين ميلاً(1) وكذا ما وقع في كتاب فتوحات مولاي رشيد، ومولات إسماعيل لمؤلفه مويت الفرنسي، من أن بين مكناسة وفاس الجديده ثمانية وأربعين ميلاً. وكذا ما وقع في الروض الهتون هنا من قوله مرة إن بين مكناسة وفاس نحووا من ثلاثة برد ونصف مبرد. وقوله: مرة أخرى إن بينهما نحو أربعين ميلاً. هـ.

(1) وصف إفريقيا لابن الوزان - ص 219.
كله مبني على التشاحر عند أهل كل وقت أو ناحية في قدر الميل فإنه يختلف باعتبار ذلك؛ ولذلك وقع الاختلاف في حد الميل إلى أقوال كثيرة كما في القاموس وغيره وأيضا فقد كانت التقديرات مبنية على التقرير غالبًا عند المتقدمين، وكذا يقال في المسافة التي بين تارا وفاس فإن القدر الذي قدرناه فيها هو الذي حرره أهل الفن الآن وحققوه على الوجه السابق، ف ينبغي أن يختار به قول الروض هنا إن بينهما نحوا من سبعة بره.

ومن أبين طريق التوفيق أن يقال: إن المسافة التي قدر من قدمنا ذكرهم هي باعتبار الطرق التي كانت مطروقة في آزمنتهم والطرق الموجودة الآن هي غير تلك، لأنها تفوقها تارة وتجمعها أخرى، بحسب ما يقضي الخط الهندسي العصري بالنسبة للسهل والوعر منها كما هو مشاهد وهو جمع حسن والله أعلم.

ولا تظن أن تحرير هذا البحث لا أهمية له فإن عليه يبني مشروعية قصر الصلاة وعدم لقطع تلك المسافة، وذلك مما كان يتردد فيه أهل العلم لعدم تحرير قدرها.

الثاني: جزم في الروض هنا بأن مكانتة فرقة من زناتة، والذين جرى عليه ابن خلدون والقلقشندي في صبح الأعشاعا وابن الخطيب في الحل الموشية وغيرهم أن مكانتة قليلة مقارنة لزناتة، وإنما جعلت الإضافة للزيتون فارقا لأن الشيء يتميز عن غيره بخصائص التي اختصر بها، إما باعتبار الوجود، وإما باعتبار الكثرة، والثاني هو المراد هنا.

فإن مدينتنا هذه كانت استمرت بكثرة زيتونها كثرة يلبق بإضافتها إليه، وإنما قيدت بقولها كانت وبقولها كثرة تلبق إلا، لأن تلك الكثرة استترت بها قبل لم تبق لهذا المعهد ولا فيما قبل بكثير بما تواشي عليها من الفنون والأهوال والحروب واختلاف الدول وتقلبات الأحوال، سنة الله التي قد خلت في أرضه وعباده ولا أن

46
صورة تقريبية تتمثل الهيأة التي كان عليها قصر الستينية على عهد السلطان الأعظم مولاي إسماعيل
زيتون فاس كان يزيد على زيتونها بنحو ثلاثة أضعاف وما وقع في كتاب الاستبصار
بوجعاب الآثار المؤلف سنة سبع وثمانين وخمسين من أن زيت مكتنسة أكثر زيت
في جميع المغرب (1) يتعين تأويله بما يوافق ما ذكرناه.
قال ابن غزير في روضه: وغارات جل زيتونها وزيتون المرمدة بفاس
وزيتون رباط تازار هو عامل بلاد المغرب محمد بن عبد الله بن واجاج أوائل أيام
الموحدين، وقد كان يبلغ ثمن حب زيتونها عام حمله خمسة وثلاثين ألف دينار
أي مائة وخمسة وسبعين ألف فرنك تقريباً باعتبار صرف وقتنا هذا وهو رجب عام
تسعة وثمانين وثلاثمائة وألف = وذلك قبل أن يستولى على المغرب تخريب بني
مربن عند احتلال أمر الموحدين (2).
قلت: وهذا القدر الذي كان يبلغه ثمن الحب إذ ذاك له بالنسبة لذلك
الزمان وسكته وسببيته فيما يأتي بحول الله على مبدأ الدولة الموحدية وعلى وجه
نسبتها للتوحيد وابن غازر المثيل بهذا على روضه تأتي ترجمته في المحمدين من
رجال مكتنسة إن شاء الله.
ومكتنسة من البلاد العظيمة كما في شرح القاموس وكتاب الاستبصار
ودونك لفظ الاستبصار: وهى من البلاد العتيقة المجيدة، إلى أن قال: وهي من
عذ (3) بلاد المغرب، لها أنظار واسعة (4) وقري عامة وعمائر متصلة (5).
وقال غيره: وكانت المناشير محدقة بها من كل جهة، كل مدشر بمزارعه
وغراساته ومرابعه إلى أن ظهر فساد السعيد بن عبد العزيز في أرض المغرب;

(1) الاستبصار في عجائب الأضرب، ص 188.
(2) الروض الزيتون، ص 180.
(3) في الطب: «عذ» والثبوت من الاستبصار الذي ينقل عن المصنف.
(4) في الطب: «مشعة» والثبوت رواية الاستبصار الذي ينقل عنه المصنف.
(5) الاستبصار، ص 188.

48
وذلك في العشرين الثانية من القرن التاسع، فخلا المداشر والمجلي عنها أهلها، خلا من مداشرها اثنا عشر ألف مدرش والبقاء لله تعالى.

قلت: وهي واسطة عقد عواصم المغرب فاس ومراكش.

واقتصر ياقوت الحموي المولد الرومي الأصل في بغدادي الدار المتوفى بحلب سنة ست وأربعين وستمائة في كتابه "معجم البلدان" على أنهما اسم جامع لمدينتين صغيرتين على ثناية بيعضاء بينهما حصن [جواد] احتر اثنتاهما يوسف بن ناصف وأخرى قدية (1).

قلت: وكأنه يعني بالقدية تاورا المشتهرة زمن عمارتها على الحمامات والمسجد الجامع، وغير ذلك مما يأتي لآن الخراب وإن وقع في مكناسة القدسية سنة خمس وأربعين وخمسوسما فإن تاورا وشيها عمرت بعد ذلك إلى سنة ست عشرة وإستماثة كما يأتي بحول الله فترقب، وقد كان ياقوت في هذا التاريخ الموجود وتأخرت وفاته عنه بنحو عشر سنين كما تقدم.

لكن في "نشق الأزهراء" لشمس الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم الحنفية ما نصه: أجمل مدارس مكناسة مدينتان إحداهما تسمى تاورت (2) وهي مدينة مرتفعة عن الأرض، وشرقها نهر عليه أرحاء بالماه، ويثا بساتين، وأهلها ذوو مال وثروة، وإلها ينسب عمل النحل المكنسي.

والمدينة الأخرى تسمى بنى زيدان، وهي مدينة عظيمة لم يكن في المغرب أنهم منها ويجها نهر يجري في شوارعها وأسواقها ودورها، وثبها حمامات ومدينة مشهورة.

وكتاب "نشق الأزهراء" هذا فرع مؤلفه من تأليفه في ربع عشرين عام حاين وعشرين وسبعين هجرية فصاحبه متاخر عن ياقوت، وقد صرح بأن الثاني

(1) معجم البلدان 5/181.
(2) في الطبع: "أكرار"، في النبتة رواية نزهة المشتاق 1/244 التي ينقل عنها المصنف.
المدينتين المعترتين في مكناس بنى زياد، فمن الجائز أن تكون هي المزادة لياقوت بالمدينة القديمة، ويقوى ذلك ما يأتي عن نزهة المشتاق من أن مكناسة مدينة بنى زياد وأنها مدينة عامة لها أسواق وحمامات ودوار حسنة والمياه تخترق أقتفها، وأنها لم يكن في أيام الملم أعمق قطر منها إلخ.

ولا يمكن أن يكون عنى بالقديمة وليلى لأن مدينة وليلى لا تعرف باسم مكناس، وإن كانت مجاورة له، ولأنها كانت بطلت عمارتها وخرقت إلا النادر منها قبل ولادة ياقوت بما يزيد على مائتي من السنين، ولأن مكناسة القديمة بربرية كما تقدم وليلى رومانية كما يأتي ولغير ذلك مما سيفصل بعد.

ولا تنافي بين الصغر المصروفه به مدينة مكناس في نقل ياقوت وبين العظم المصروف به في نقل شارح القاموس لأن شارح القاموس تأخر زمنه عن زمن ياقوت بالكثير فكل منهما وصفه بما كانت عليه في زمنه.

ورغم شارح القاموس متأخر عن زمن المولى إسماعيل مصير مكناسة على ما هي عليه من العظم حتى الآن ففذلك وصفها به، وأما المدينة الثانية في كلام ياقوت فهي الموجودة الآن.

وقول المعجم على ثنية ببضاء قال الراغب: الثنية من الجبل ما يحتاج في قطعة وسلمك إلى صعود وحدور فكانه يثنى السير.

هذا هو الواقع هنا فإن الآتي لمكناسة من ناحية زرهون يكون من عبوره وادي بوجود - بضم الباء وسكون الواو وضم الراء بعدها واء ساكنة ثم حاء مهملة في صعود إلى أن يدخلها، وكذلك الآتي إليها من ناحية فاس من عبوره وادي ويستثن يفتح الواو وسكون الباء وفتح الميم المهمة بعدها وفتح اللام - كذا رأيته موضحًا بخط صاحب الروض الهتشون - يكون أيضا في صعود إلى أن يدخلها من سائر أبوابها والخارج منها ينحدر.
وقول المعجم بينهما حصناً كأنه يعني به قصر عامل مكتنسة قديماً الآتي في
كلاهم ابن غازى وسياطي عنه أيضاً إطلاق اسم الحصن عليه كما أطلقه ناوق،
والظاهر أن هذا الحصن كان في زمن ياقوت لأرال قائم الجدران فذل ذلك اعتبره،
وإن كان قد خلا قبل ذلك وسمته أيدي التخريب وقت فتح مكتنسة الآتي، ثم
اضمحل أثره بعد ذلك، ولا يصح أن يعني به القصة الأميرية لأنها إذا حدثت
بعد وفاة ياقوت بما يقرب من خمسين سنة كما يأتي في محله ولعدم صدق الثنية
عليها في كلامه.

وقوله اختلف إحداهما يوسف بن تاسفين. هـ.

يوسف هذا هو أعظم أمراء المرابطين ولد سنة أربعمئة وتوفي في مهل محرم
فاتح سنة خمسمئة، فيكون عمره على هذا مائة سنة.

وقد صرح ابن غازى بأن المدينة السمامة مكتنسة في زمنه إما أحدثها
المرابطون بعد ظهور المحدثين، وأول المحدثين ظهوراً المهدى بن تومرت، وهو إما
دخل عاصمة المرابطين مراكش في صفة تاجر قبل الإمارة عام أربعة عشر
وخمسمئة كما قاله غير واحد منهم علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع
من أهل المائة الثالثة في كتابة الأنس المطر.

والامير وقت دخول المهدى بن تومرت المرابط هو علي بن يوسف المذكور
وأيضاً قد اقتصر ابن أبي زرع على أن بناء حصون تاجررة كان سنة خمس
أربعين وخمسمئة كما يأتي، وحينذ كيف يكون مختط المدينة الحادثة هو
يوسف وهو قد مات قبل اختطافها بنحو ست وأربعين سنة، فالصواب أن المخطط
لها من المرابطين من بعده.

فصل: قال في الروض وكانت البلاد قبل فتحها ديار كفر مجرس ونصارية،
وحاضرتها إذ ذاك مدينة يقال لها وليلي سميت باسم ملكها وليلي، وآثارها عظيمة
آثار مدينة وليلي الأزلية
باقتية لهذا العهد بأرض خير من ناحية جبل زرهون، تعرف اليوم بقصر فرعون، هـ. من خطة (1).

وقال بعد هذا: وبأسلوبه، يعني جبل زرهون على اثني عشر ميلا من مكتشة، يقال له تازجا أثر بناء عتيق ضخم يسمى قصر فرعون، وكان تم في واحد عم وخمسين وثلاثة سنة، ويدرك أن وليلة كان ملك الروم وكان له هناك تلك المدينة، وهي كانت حاضرة تلك البلاد كذا ذكره بعض المؤرخين (2).

ولما استولى الفتح على المغرب شمل مدينة وليلة وغيرها، وبها نزل السيد الطاهر النقى المشهور إبراهيم بن عبد الله، رضي الله تعالى عنه، على شيخ أوربة حسباً، وهو مذكور في تأريخه من خطة (3).

قبلت تازجا ضبط بن غازية بفتح الزاوي، ومدينة وليلة رومانية فتحها سيدنا عقب بن نافع عام اثني الخمسين، واعتق من أهل الدين الإسلامي أقصر مكة، ثم استقلوا أيام العباسيين وقامت بالأمر عبد المجيد الأول إلى عام اثني عشر وخمسين ومائتين سنة، وفيه نزلها مولاها إردين بن عبد الله الكامل ثم بنوه من بعد، إلى أن تغلب موسويا على أبي العافية عام خمسة وثمانية، وفي عام خمسين وأربعين، دخل أميرها مهدى بن يوسيف الحزنائي في طاعة يوسف بن ناشفين، وبقيت في طاعة ملوثنة إلى عام واحد وأربعين، وخمسة، فحاصرها عبد المؤمن بن ملك الوحدى، وها تمكن منها طمسها وخرج.

فوفي عام أربعة وأربعين، وخمسة، حدد بالقرب منها حصنا سماه تاكارت، كذا وقفت عليه بخط بعض عدول أعلام مكتشة الأنباط، وسانته لنا مزيد كلام ونقد في ذلك، وكأن البلاد كانت ديار كفر إلغ، لا يختلف ما سبق من كون مكتشة بيرية، لان أنواع الكفر التي ذكرها كلها كانت موجودة في بير.

هذ هذه البلاد.

(1) الروض الهتون - ص 51.
(2) الروض الهتون - ص 29.
(3) الروض الهتون - ص 29 - 20.
وقول ابن غازى: وكانت البلاد يعنى بلاد مكناسة وما وآلاها وما هي منه من بلد المغرب الأقصى هذا هو المعني في محمل كلامته بقرينة قوله: قبل فتحها إلخ، لأنه أشار به للفتح الذي كان في صدر الإسلام، إذ هو الذي كان فيه أهل البلاد على ما وصفهم به وهو كان عموميا في المغرب الأقصى لا في خصوص مكناس، وبقرينة قوله وحاضرتها إلخ فإن مسمى مكناس لم يكن في القديم قط إلا ولا جهة متسعة فيها الحواضر والبوادي والقواعد وغيرها، وإذا مسماه بلاد مخصوصة في مساحة معينة ذات قري بعد بعضه يطلق على جميعها اسم المدينة كما تقدم عن ابن الرقيق وغيره، وبعضهم يتسامح فيطلق على كل قرية مدينة كما يقع ذلك في القرطاس وغيره، وبعضها لا يسمح لها باحده من الإطلاقين كما يأتي عن ابن غازى، وذلك باعتبار تقلبات الأحوال عمارة وخرابا ولما سبق من أن مكناسة سميت باسم مختلطها وسكانها ولا قائل بأن مدينة وليلى بنهاها مكناسة ولا سكنها بل سيأتي أن مكناسة يعنى القبيلة هي التي خربت أولا مدينة وليلى.

فإن قلت قول ابن غازى من قطر مكناسة وضواحيها جبل يقال له زرهون وباشفته على اثني عشر ميلا من مكناسة بموضع يقال له نازجا، أثر بناء عتيم ضخم يسمى قصر فروع وذكر أن وليلى كان ملك الروم، وكان له هناك تلك المدينة إلخ، صريح في كون مكناسة قطرة من قوله من قطر إلخ، وفي كون زرهون ومن جملته وليلى منه لقوله ومن ضواحيها إلخ، فإن ضواحي البلاد جهاتها.

قلت: لا صراحة في ذلك ولا متسك فيه أصلا، أما قوله قطر مكناسة فلايند الإضافة فيه بياتية، وإنما هي على معنى في أي من القرط الذي فيه مكناسة بقرينة قوله: على اثني عشر ميلا من مكناسة، وأما قوله وضواحيها فإنه تصحيف والذى في نسخة عتيقة ونواحيها بالنون أي جمع ناحية وعلى فالأمر واضح، إذ النواحي يعنى الجهات، وهي ظرف متسع لا تعني فيه. وعلى فرض
لا تصحيف فيه وأن الواقع في النسخ كلها وضواحيها بالضداد نقول: إنه لا حجة فيه لأن الضواحي لها إطارات منها النواحي وحيث فالسخانين متوافقتان، ثم بعد كتابي هذا وقفت على نسخة (الروض الهمت) التي بخط مؤلفها فإذا فيها ما لفظه: من نظر مكاسة وضواحيها جبلا كبيرا إلخ فانزاح الإشكال من أصله وظهر أن النسخ صحتو نظر بقدر، وعليه فمعنى كون جبل زرهون من نظر مكاسة أنه تابع لها، ثم إن كلام ابن غازى في غير موضوع مبين للتغاير بين مكاسة وزرهون، من ذلك قوله: في قصر فرعون الذي هو من جملة جبل زرهون أنه على أثين عشر ميلا من مكاسة إلخ، فهو ظاهر في مغايرة ما هو من زرهون لمكاسة بل وصريح في مغايرة قصر فرعون الذي هو مدينة وليلي عنده لمكاسة.

ويعتبر ذلك أيضا قوله وهو، أي وليلي كانت حاضرة تلك البلاد انتهى إليه مبين للمراد من عبارته الأولى أعني قوله: وحاضرتها إذ ذاك مدينة إلخ، وأنه لم يرد بها بلاد مكاسة بالخصوص بل هي وما جاورها ويعضده قوله قبل ولم تكن مكاسة في الفنادق مدتمة وكانت حوائر إلخ. فإنه صريح في أن مسمى مكاسة مغاير للحاضرة البلاد مدينة وليلي ويعضده أيضا قوله قبل ذلك: إن مكاسة هي كما وصف ابن الخطيب إذ يقول:

أن أوثرت بالقرب من زرهون وبالفاك شهد حسنها وجمالها

فهو اعتراف منه ومن ابن الخطيب بأن زرهون ليس منها وإنما هو قريب منها وهو كذلك، ويعتبر أيضا قوله: قبل ولم يكن لهذه الحوائر قد لا مدينة مسورة إلخ، فهو كالصريح في أن ما كان قد يمدنا مصورة وهو حاضرة البلاد وليلي ليس من مكاسة إلى غير هذا من نصوصه ونصوص غيره الدالة على المراد، وأن زرهون وليلي أخرى من فرعون لا دخل لهما في مسمى مكاسة، وحيث فلا يشكل قوله أولا وثانيا أن مدينة وليلي هي حاضرة البلاد على ما تقرر - والعيان
يغنى فيه عن البيان - من أن مدينة وليلى هي من جبل زرهون لما تواصله مدينة لا من نفس بلاد مكتاسة، ولا يكون في ذلك أدئن متمسك على أن مكتاس القديمة هي مدينة وليلى كما قد توجه لما بيتان، ولكن ذلك ليس معروف، وقد تضافرت (1) نصوصهم على أن مولانا إديرس الأكبر لما قدم المغرب الأقزى نزل بمدينة وليلى ولم يقل أحد منهم نزل بمدينة مكتاس، ولا صرح أحد من متقدمين المؤرخين بنسبه مدينة وليلى إلى مكتاسة، وعليه فما وقع لبعض المعاصر من الأوربيين في مؤلف له وصف فيه مكتاس من قوله جعلت مكتاس قاعدة وقتيتة، ولولي إديرس في القرن التاسع قبل بناء فاس، هد.

لعل مستنده فيه فهم كلام ابن غازى على غير وجهه، وقد بان لك وجه الحق فيه، وهذا والله أعلم هو الذي أوقع صاحبنا التحرير النقاد آبا عبد الله محمد بوغناندو في الجزء بأن مدينة مكتاس القديمة هي المدينة الأثريّة التاريخية وهي مدينة وليلى في كلماته الذهبية.

وقول ابن غازى سميت باسم ملكها جزم بهذا هنا وتقصي عن بعد ذلك في قوله و倒在地 أن وليلى إلخ.

وقد رأينا مؤرخ الأوربيين اليوم ينكر وجود ملك مسمى، بذلك ويقولون: إنه اسم بربري يراد به في لسان البربر النبات المشمس بالدفع، هذا أصله عندهم، ثم أطلقون على المدينة وحلوله لكونه كان كثيراً بواديها وانظره يوم ما جزم به البكر في المسالك، من أن وليلى هي طنجة بالبربرية، نعم إن كان وليلى في لسان البربر يطلق على الأرمن النبات المذكور وطنجة فلا إشكال.

(1) في الطبع: (وقد تضافرت، وتضافرو عليه - بالضاد المعجمة - تعاونوا وضافر كل منهم الآخر.)
وقول ابن غازى بأرض خير كذا سمى هو محل قصر فرعون فيما نقلناه عنه
أولاً، وقد سماها فيما نقلناه عنه ثانياً بتازجا، والاسمان معا غير معروفين في
موضوع قصر فرعون المعروف بهذا الاسم الآن ولا قلبه فيما نعلم، والمعروف إطلاق
خير على هو الجهة العليا الشرقية المقابلة الداخل من باب الحجر أحد أبواب زاوية
زرهون التي بها ضريح البضعة النبوية الطيبة الطيبة الإمام إدريس بن عبد الله
الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبتي بن مولانا علي بن أبي طالب، ومولاتنا
فاطمة الزهراء بنت إمام المرسلين وحجة الله على العالمين نبينا محمد صلى الله
عليه وآله وأصحابه الكرام الطاهرين.

كما أن المعروف بتازجا، هو الجهة العليا غربا التي تلي بين الداخل من
الباب المذكور للزاوية المذكورة، وما نزل عن الباب المذكور خارجا عنها يقال له
تتم تازجا بهذا الاسم الإضافي يعرف حتى الآن، نعم يوجد في عرصة بعد وادي
وليلي هناك آثر قوس كان قائما هناك على هيئة عمل قصر فرعون فيظهر من ذلك
أن عمارة قصر فرعون كانت واسعة لهذا المحل وأن ابن غازى لذلك أشار بالاسم
الثاني، وأن اسم المحل حدث فيه بعد ابن غازى تصرف بما ذكرناه وأما الاسم
الأول فالله أعلم كيف وقع له فيه.

وقول ابن غازى في المنقول عنه أولا من ناحية جبل زرهون اه. مع قوله
في المنقول عنه ثانيا وبأسلوبه يعني جبل زرهون أسفل منه، وليس هي منه حقيقة،
وأظن أن أبا القاسم الزياتي في رحلته به اقتدي في قوله أن مدينة وليلي قرب
زهرهون وليس الأمر كذلك فالصواب قول ابن أبي زرع في أنسه، والجزناف في
جِئْنَاهُ الَّذِينَ خَذَلُوهُمْ، والخليفي في دره، أن مدينة وليلي قاعدة جبل زرهون ومثله ما تقله
في القرطاس عن البرنسى من أن وليلي التي دفن بها الموالي إدريس هي من زرهون
زايد غيره أنها بالطرف الغربي منه، اه.
قلت: والابتداء الطبيعي لجبل زرهون المتميز عن أرض بلاد مكناسة في طريق الذاهب منها للزاوية المذكورة هو أصل الملح المعروف هناك بعقبة الغربي - بفتح العين والرماء ويه ساكنة بعد الباب - فكل ما بعد ذلك فهو مته ومن جملته قصر فروع المعروف بهذا الاسم الآن، وهو في شمال شرقى مكناسة على ثمانية وعشرين كيلو مترا، وآما ابتداء جبل زرهون في طريق فاس فهو فيما قاله ليون الإفريقي في رحلته من أطوساياس، زاد غيره على أربعة عشر كيلو مترا من فاس.
قال ليون يعتقد جبل زرهون للمغرب على مسافة ثلاثين ميلا وعرضه عشرة أميل.

وقال غيره: يعتقد للمغرب على أربعين كيلو مترا. قال ليون: وهو بين مدينتين كبيرتين إحداهما شرقية وهي فاس والآخرة غربية وهي مكناس.

قلت: وليون هذا كان حيا سنة ثلاثين وتسعمائة من الهجرة النبوية واسمه حسن بن محمد الوزان وهو في الأصل غرناطي، وقرأ بفاس بعد أن سكنها، كان ركب البحر فأسره الطاليان وذهبوا به لسلطانهم، وهو الذي أسس تعليم العربة برودمة، وكان يحسن اللسان الطاليان والفينولي، ويعرف عند الأوربيين بجان ليون ورحلته هذه بالسلاج العجمي في ثلاثة أجزاء ضخم طبعها المؤرخ شفير الفرنسي في باريز عام ألف وثمانمئة وخمسة وتسعين مسيحية، وعلق بهوامشها فوائد وتبنيهاات من كلام مرمول في تاريخ إفريقيا له ويكلام غيره.
ثم ما قدمها عن ابن غازى في مدينة وليلي وقصر فروع صريح في اتحادهما، ومثل ذلك له في تكميل التقيد، وقد سبته إلى الجزم بذلك البكرى في.

---
(1) وصف إفريقيا، ص294.
(2) وصف إفريقيا، ص295.
كتاب الاعتبار والرشاشي - يضم الراو - في اقتباس الانوار، ومثل ذلك للحلي في القدر النفيس وابن زكى في شرح همزيتة وغيرهم.

وقد عين ابن غازى مسمى ذلك باعتبار الموقع بأنه أسفل جبل زرهون، وباختصار المسافة بأنه على أثنا عشر ميلا وهي أربعة فراسخ من مكناس، كما عين ذلك أيضاً بنزول مولانا إدريس به على شيخ أوربة حين ورد من الحجار، ولا تعلم له مخالفا في كون نزول مولانا إدريس كان بمدينة وليلي، وإنما الخلاف في اتخاذ مسماه ومسمي قصر فرعون، ففي رحلة ليون (1) الإفريقي أن وليلي مدينة بنها الرومان قديما على رأس الجبل حين تمكئهم بغزارة وداروا بها سوراً مثيراً بحجاره كبيرة منحوتة (2)، وجعلوا لها أبوابا عاليا واسعة، وطول سورها نحو ستة أميال، ثم خربت وأصلحها مولاي إدريس حين ملك بها وبعد موتة ذفن بها، ولم يبق بها إلا أثنا أو ثلاثة من الديار يسكنها المكلفون بخدمة ضريح مولاي إدريس (3).

قال: وبها عينان تسمى بهما غارساتها، اه (4) فعلق على كلام ليون هذا طابع رحلته المتقدم الذكر ناقلا عن تاريخ إفريقيا ورموان أن وليلي تسمى توليت يعني بالبربرية، وأن بانيها الرومان على رأس الجبل، وأنها محاطة بسور من الحجار المنحوت (5) طوله ثمانية كيلو مترا وان الكساندين كانوا خروبا وأن مولاي إدريس أصلحها وجعلها عاصمة، ثم خربها يوسف بن تاشين من المرابطين وحيث تفرق.

---

(1) وصف إفريقيا، ص 295 - 296.
(2) في المطبوع: «سورا وحجاره كبيرة منجوحة»، والثبوت رواية ليون الذي ينقل عنه المصنف.
(3) وصف إفريقيا، ص 296.
(4) وصف إفريقيا، ص 296.
(5) منجوحة - سبق هذا التعبير من قبل. والنجف في الأصل: نحت الحبش، والمراد هنا الحجاره المنحوتة.
أهلاً في الجبل وطالت عمارتها ولم يبق بها إلا نحو خمسة عشرة داراً يسكنها
الفقهاء القائمون بخدمة الضريح الإدريسي المقصود من زوارهم فيهما
عينان من الماء جارية.

زاد شفير أن مدينة وليلى تسمى في وقته زاوية مولى إدريس، أهـ.

وهو التصريح منه يطلب بعض ما وصفنا به لتولى ومرمول كونها في رأس
جبل فإنها أخرى الزاوية الإدريسية كذلك بالنسبة لما نزل عنها واعتبار حومتها تازجا
وخير منها لا مطلقاً، وكالميين الجاريين إن قلنا إن المراد بهم متبوعان وسقايتان
وإن لم يكن أصلهما داخل البلد فتكون المراد بهم عين قريب وعين فكرة - بفتح
الفاء وسكون الكاف بعدها راء مفتوحة ثم هاء ساكنة - فإن ماهمًا هو الجاري
داخلها، وأن جرئان الثاني قاهر على ناحية مخصصة بخلاف الأول فإن معظم
انتفاع السكان به كونها لم تكن متميزة وقائدة ولا آهلة بالسكان وإنما كان سكنها
خدمة الضريح، وهذا والله أعلم هو وجه اشتهارها باسم الزاوية، إذ لم تكن
تستحق في القديم عنواناً سواء، ولعل كثيراً سكانها ووقوع مثمنها، إذا تنافس
الناس فيها بعد أن شيد سيدنا الجد المولى إسحاق بن أبي وقاص الإدريسي فيها
وتنافس الملوك حفظه للذبابة عليه في ذلك حسبما سيمر بك مفصلاً، حتى صار
من أعظم القصور والمشاهد، وإنماظ ذلك احترام الملوك للسكان روعاً لحرمهم
الجار، إلى أن صارت إحدى مدن المغرب كما هي عليه الآن، ومن ثم والله أعلم
لم يذكروا مؤرخو الأزمنة السالفة في مدن المغرب كابن الخطيب في مقدمات
البلدان وكانت معيار الاختيار، في ذكر المعاهد والديار، وفي ريحانة الكتاب،
وفتحة المتناب، التي نقل ابن غزاة منها آخر روضة والمغرب في نفح الطيب وكذا
الزيات في رحلته فهناك تعرس لمدن المغرب ولم يذكر الزاوية فيها بهذا العنوان وإنما
ذكر مدينة وليلي هذا مع تأخر زمنه.
ويكون عمارتها نشت تدريجياً لاجل الاحترام المذكور صرح في الأزهر العاطرة وكسا صرح مويت الفرنسى الذي كان أسيراً عند مولى رشيد ومولى إسماعيل في كتابه فتوحات مولى رشيد ومولى إسماعيل بأن زرهون لم تكن فيه مدينة في ذلك الوقت ولم تكن به إلا المداشر، وكذا صرح بذلك ليون في رحلته، وكل ذلك يعوض أن ابن غازى لم يقصد بما قدمته عنه الزاوية الإدريسية، وإما قصد بمدينة وليلى خصوص المعروف اليوم بقصر فرعون، وهو الذي شهدت فيه الدولة الختامية فصول السكانكتشفين لأثره القديم كل يوم، وحيثما يتحقق أن مسمى وليلى في كلام ابن غازى خاص بالمعرف اليوم بقصر فرعون، ولا يشمل الزاوية البترية، وإنما أجمل ذكرها مع ذكره لجلب زرهون وسكونه لكونها غير موجودة على الهيئة التي تستحق الذكر في تاريخه، وإن كذلك مسمى وليلى في كلام ليون ومرومل فإنه على ما ذيته به شفير، خاص بمسمى الزاوية الآن، ولا تتعلق له بالسمى بقصر فرعون البترية.

فقد قلت حيث كان الأمر هكذا فمن لازمه أن خالفني ما جرت عليه طائفة ابن غازى يفرقون بين وليلى وقصر فرعون وحيثما فما مسمى قصر فرعون عندهم هل هو المعروف بهذا العوان الآن أو غيره؟ قلت قال ليون: قصر فرعون مدينة صغيرة قديمة بناها الرومان على رأس جبل قريب من وليلى بنحو ثمانية أمثال، قال وأهل جبل زرهون يقولون باني قصر فرعون موسى ولم تظهر له حجة ذلك ولم يوجد في التاريخ تقدم ملك لفرعون ولا للمصريين على الملحق قال: وتشير حروف لتينة ممنوحة في بعض أحكامها تدل على أن الرومان هم الذين بنوه قال: ويوجد بالمدينة نهران متناقنان كل واحد يتأتي من ناحية وأودية المدينة وربما كلها مغطاة بإشجار الزيتون، وبقرب المدينة غابة أكثر فيها الأسد والنمر (1).

فعلي عليه شفير نقا عن مرومل: يوجد من ناحية من رأس الجبل مدينة صغيرة على بعد اثني عشر كيلو متراً من وليلى وأهلها ينسبونها لفرعون مصر، ولا يوجد في التاريخ أن فرعون والمصريين مكروا إفريقيا، ومشاهير المؤرخين إما يسمونها قصر زرهون وتقرأ إلى الآن كتابة قوطية في بعض سورها تدل على أنها

(1) وصف إفريقيا، ص 296 - 297.
بناها القوط ويرقبها نهران صغيران خروجهما من رأس الجبل، والسهول والريئ كلها مغطاة بأي بالأشجار، وقد خربت هذه المدينة وقت تخريب تيوليت أي مدينة وليلي، ولم تعمر لكون الأهالي يحيون السكنى بالبادية دون المدن، ويرقبها سوق على ربوة يعمر يوم الأربعاء يقصدها المكانيون والفاسيوان ومن بات بها احترس من كثرة الأسد.

ثم نقل شفير عن جغرافية موريتانية الطنجوية لتبين أن أثر قصر فرعون هو أثر بولبيس يعني نواحي وليلي يبدل على ذلك كتابات في حجر قال: وهذا الأثر يوجد في ربوة مستديرة مستطيلة من جبل زرهون وهذه الربوة تمنعها شعبتان عميقتان نحو الشرق والغرب، ويرقبها وادي فرعون نحو الجنوب ويستخرج من هذا الأثر أحجار للبناء منها ما بنيت به باب منصور العلج يسكنه الذي فيه سوارى من الرخام بصنعة عجيبة.

وقول لبون قريرب من وليلي إلخ مع قول مرمول على بعد اثني عشر كيلو مترا من وليلي إلخ كلاهما صريح في مغامرة قصر فرعون الذي قدما بيانه لوليلي التي تقدم أنها هي الزاوية عندهما، وكذا قول شفير عن مرمول خربت هذه المدينة وقت تخريب تيوليت إلخ صريح في ذلك أيضا ثم وصف لبون ومنزول لها بأنها على رأس جبل يجوز تنزيله على المعروف الآن بقصر فرعون باعتبار ما سلف عنه من الجبل، فإن من نظر لبسيط قصر فرعون صار في عينيه كأنه على رأس الجبل الذي احتضنه، وكذا النهران المختلفان فإنهما قد لا ينفيان ذلك التنزيل ويحملان على وادي وليلي والوادي المعروف بوادي الميت، فإنهما بالنظر لقصر فرعون كل واحد يأتي من جهة له ومن رأس جبل في الظاهر، وإن كانا في الواقع متحدين فإنهما من أصول الأول وإليه صبرورته ودوراته، وكذا ينزلن على ذلك استخراج أحجار البناء منه فإنه لا زال مشاهدا، وكذا لا ينافي ذلك وصف الربي.
والسهول بأنها كلها مغطاة بالزيتون فإن بعض ذلك بقربه لا زال كما وصف، والباقي لعله كان ثم سقط.

ولكن المنافي لذلك ما نقله شايف عن تيس من وصف بأنه على ربوة مستديرة مستطيلة تمتعها شعبان عبيطان، فإن هذه الصفات تقرب من المسمى بقصبة النصراني الكاتنة بباحة من الجبل المذكور المكتشفة بين مدشر الهروش ويأتى سيدة حسين وسيدى أقطس - يسكن القاف وفتح الضاد مشعة وسكون الناء- بل هذه برس الجبل أشبه حتى إن الحال بها يشرف على بسيط سانس ومدينة فاس من شدة علو موقعها، وكذا وصف قربه من الغابة فإنها بها أشبه، وكذا قربه من السوق المذكورة وهي المسماة بالسوق القديم الواقعة في سفح بل وأعلى باب الرملة فإنه بالقرب من قصبة النصراني أسد وكذا تخطية البيب والسهول بالاشعجار فإنه بها أمس وكذا الوصف بالصغير فإنه لائق بها إذ دور سوها المحيط بها يبلغ ستمائة متر واثنين وعشرين مترًا تختص كل جهة من طولها مائتين متر وعشرين مترًا وكل جهة من عرضها ب시설 باقي العدد المذكور داخل جدرانها متر واحد وخمسون ستيمترًا.

ول لا زال غالب جدرانها قائمة إلى الآن بخلاف المعروف اليوم بقصر فرعون فإن دور سوها يقدر بخمس وعشرين مائة متر فهو يزيد على سور قصبة النصراني بثلاثة أضعافه وشيء.

فائدة: ما أظهره الاكتشاف الحالي داخل محيط سور قصر فرعون هذا أثر سقاية منحوتة في الحجر وقد أثرت فيه كثرة الآوان التي كان يقاسي بها منها أثرا بين الوضوح، وهذا ما يدل على طول العمارة هناك وكثرة السكان، ويوجد هنالك أيضا قوس عظيم من الحجر المنحوت يسمى قوس النصر لا زال قائمًا إلى الآن والأمير الذي أقيم له هذا القوس هو كراكلة، وبانيه ماركيس أصله فينيقي، وكان على قوس النصر هذا عبارة تعبرها سنة من الخليل مصورة من النحاس ببيئة كبر.
الخيل الطبيعى، ويستفاد من الكتابة المرموقا في الحجر هنالك أن ذلك القوس
نصبه لتذكير واقعة تاريخية.

وطول شارع قصر فرعون هذا أربعمئة وخمسة وأربعون مترا، ويقدر سكانه
وقت عمرانه باثني عشر ألف نسمة، وبعد قصر فرعون من الزاوية الآن خمسة
كيلو مترا تقريبا نه عليه رئيس الآثار القديمة بالرباط شاتلان القائم على ذلك
الاكتشاف في مقالة الاكتشافية التي أطلاها لجامعة الجزائرية بالدار البيضاء.

ولنرجع لما كنا فيه نقفل: وكذا القرب من وادي وليلي فإن ذلك يصح أيضا
لأن القرب نسبي، وبخارج جدارها الغربي عينان صغيرتان يظهر أن أصلهما عن
كانت داخلها وردت بالهدم فتفرق بذلك ماها خارجا على منبعين، نعم قصبة
النصراني ليس سورها من الحجر المنجر بل هو كنفب البناءات المغربية المعهودة
ولا هي بالصفة التي يستخرج منها حجر البناء، بل وصولها لا يتأتي الآن
للراکب، وإنما يتأتي للراجل لوجود الشعبيين المائعين.

فالحاصل أن الصفات التي وصف بها ليون ومن وافقه مسمى قصر فرعون
منها ما لا يقبل إلا مسمى قصر فرعون المعهود الآن، ومنها ما لا يقبل إلا قصبة
النصراني المذكورة، ومنها ما هو محتمل، ثم إن كان مرادهم بقصبة النصراني
وحكمنا حينئذ بأن الصفات المنافية لها إنما هي توسع باعتبار ما في تلك الجهة أو
غلط يتوجه البحث معهم حينئذ بأنهم جعلوا المقصود من مسمى قصر فرعون غير
المعروف به عند الخاص والعامة بهذا العنوان في زمنهم وقبله ويعده إلى الآن،
وذلك غير لائق.

وإن كان مرادهم بقصر فرعون مسمى المعهود وحكمنا بأن ما لا يقبله من
الصفات الواقعة في كلامهم جارية على ما قدمناه اتجه بحث آخر، وهو أن تفرقهم
بين وليلي وقصر فرعون وجعل مسمى الآول هو الزاوية لا دليل عليه.
لا باعتبار الآثار القديمة لفقدها بالكلية في الزاوية، وهو موافقون لغيرهم في أن وليمة مدينة أثرية قديمة فلم تجز خلافاتهم لغيرهم بعد إجماعهم معهم على هذا غير دليل.
ولا باعتبار نصوص من تقدمهم من المؤرخين، ولا يقال إنهم تمسكوا في ذلك بكون الضرير الإداري بالزاوية وذلك دليل كونها هي وليمة. من جهة أن ملكه وموته كانا بولليا بلا خلاف، وما وقع للسهلية من أنه مات بإفريقية يرجع لذلك عند التحقيقات. لنا نقول إن من تقدمهم ومن تأخر عنهم من التأخرين كالبرنس، وأبن أبي زرع والجزنائي، والخلف، وأبن القاضي وغيرهم قد نصوا على أنه وإن كانت وليمة عاصمة ملكه وبها توفي لم يدفن داخلها، وإنما دفن خارجه بصحرا رابطتها.
وبعضهم يقول رباطها وبعضهم يبدل الصحراء بالصحن فيقول بصحن رابطة باب وليمة.
وقد حكي في الأزهار العاطرة تبعا لغيره اتفاق المؤرخين على مضمون ما تقدم ويتضاف هذه الرابطة لوليمة يجب عن قول ابن خلدون عن إدريس بوللي.
فيكون معناه يحمل مضاف إليها والرابطة كما في تاج العروس عبارة عن العلقة والوصلة واسم لجماعة الخيل الرابطة على بلد.
والرابط كما في القاموس يطلق على معان منها واحد الرابطات البنية، ومنها ملازمة ثغر العدو، ومنها المحافظة على أوقات الصلاة ومنها حديث فذلك الرابط.
الحاصل من هذا أنه دفن خارجه بصحرا أي بصحن المحل المتعلق بها إما لعبادة يقيمها أهله بها، وإما ملازمة الحرس من غارة العدو عليها.
فالرابط والرابطة إما حصى أهل العسنة على وليلي، وهو الأظهر، وإما متعبد أهلها كصوايع الرهبان التي تكون دائما خارج مدنهم، وأيضاً ما كان فهي من أثارات وليلي، ومن جملة بناء أهلها الذي لاتعلق خاص بها، فضحبت إضافتها إليها.

وعليه فإن كان مراد من جمل الزاوية هي مدينة وليلي هذا المعنى الذي شرحناه فلا بحث معه إلا من جهة تخصيصه لويلي بالمحل التبعي منها وإهماله للمحل الأولي الأصلي منها، واللائق العكس، ويمكن أن يجاب عن ذلك بجواب لطيف ظريف وهو أن الإهمال الذكرى تابع للإهمال الحسي، فحيث انعكس الحال وصار التبعي عامراً والأصلي خراباً استحق التبعي بعمرته واسترسلها حكم الأولية والأصلية، واستحق الأصلي بخيره وانقطاع عمارته حكم التبعية والفرعية، والمنظر إليه غالباً هو المتبوع لا التابع، إلا أن قول لين ولم يبق بها إلا اثنا أو ثلاثة من الضياء الخ. وقول مرمول: ولم يبق بها إلا نحو خمس عشرة داراً إلا يقبله لا المقالين المذكورين مقتضيات لكون العمارة كانت بها كثيرة وتلك بقيتها للتخريب الذي شرحه مرمول، مع أن ذلك إما كان في وليلي الأصلية، ولم يكن في رابطة صحرائها التي هي وليلي التبعية، وإلا لم تكن صحراء وقت الدفن الإدريسي بها مع أنها كانت صحراء، ولذلك عنون عنها بها ولم تحدث فيها العمارة تدريجاً إلا بعد الدفن كما تقصد، نعم إن كان المحل المسى رابطة أو رباطاً عبارة عن حصن كما اختبرنا سابقاً وأن هذا الحصن كان مشتملاً على دور عديدة وقد شملهما التخريب السابق، وبقية دوره هي التي استننها من تقدم ذكره صبح الجواب المذكور ولم يكن في قول من ذكر ولم يبق إلا غم ما ينافيه.

هذا والآخرون عدة نظراً لما تقسيمه من شواهد الحال وчерائات الآثار، أن قصة النصراني، إما كانت من توابع مدينة وليلي التي هي قصر فرعون المعروف، فمن أطلق عليها قصر فرعون أو وليلي بهذا الاعتبار صح إطلاقه إلا فلأ.
فنظر هذه المباحث المتعلقة بمدينة وليلة التي اعترف ابن غازى بها، كانت قاعدة البلاد وحاضرتها، أنها من نفس جبل زرهون بل هي قاعدته، وأنها ليست هي مكانتها القديمة، كيف وهي رومانية! ومكانتها القديمة ببريرية، وأنها هي التي تعرف الآن بقصر فروع، وإن الزاوية الإدريسية ليست هي مدينة وليلة الأصلية، وإنما كان موقعها تابعا لها ومن إضافاتها ومتعلقاتها، فهي من وليلة تبعا لا أصالة، وأنها لم تكن عمارنة كما هي عليه الآن، وإنما تتابعت عمارتها بعد أن شيد المولى إسماعيل الضريح الإدريسي بها، ولذلك لم يتعرض لها ابن الخطيب في كتبه ولا ابن غازى، ولا من وافقهما طبق ما أشرتنا إليه سابقاً، وأن اسم الزاوية هو الذي كانت تستحقه قبل العمارة فاستمر عليها بعدها، وأن قصبة النصراني ليست هي قصر فروع الأصلي، وإنها هي من إضافاته فيصبح إطلاقه عليها تبعا لا استقلالاً، ولو لم يكن من خلال ذلك إلا تعين كل بأسمه الخاص قديماً وحديثاً لكفى وأن ما خالف ذلك كله إما توسع أو غفلت والله أعلم.

ملاحظات:

الأولى: من الغريب ما نقله في الأزهر المعاطرة عن بعض الطلبة من أن مدينة وليلة هي عين القصر لا قصر فروع قائلين: لأنهم قد خلًا قبل البعثة على ما قبل هذ، وعين القصر هذه هي الكائنات بالدفعة اليسرى لواء وليلة المار أسفل باب الخبز أحد أبواب الزاوية سميت عين القصر لقربها من قصر على مثال بناء قصر فروع كان قدماً هناك ثم سقط ورقي منه قوس، وإليه تتسبب عرضة هناك، فيقال عرصة القوس أيضاً كما سبقت الإشارة لذلك ولم يوجد هناك أثر لغير هذا القصر وحيث إذا لم يصح أن يكون ذلك المحل هو مدينة وليلة إلا على سبيل الإضافة والتبهير نظير ما قدمناه، على أن ذلك الطالب بنى دعوإ على السفرة بين وليلة وقصر فروع وقد سبق تحرر اتحادهما ورد ما خالفه، وأما تعلقة ذلك الطالب
بالقبل الذي حكاه وهو أن وليى خربت قبل البعثة فهو تعلق بما هو أو هن من بيت العنكبوت لما سبق أن وليى خربتها قبيلة مکانسة أولا ولم جاء مولاي إدريس نزل على شيخ أوربي بها ثم لم بايعوه أصلحها وصيرها عاصمة ملكه، ثم لما بنيت مدينة فاس وصارت هي العاصمة تتأقسن عمارة وليى إلى أن خربها يوسف ابن تاشفين وحييند بطلت عمارتها وتفرق أهله في الجبل، وقد سبق أن موت ابن تاشفين كانت فاتح القرن الخامس.

ولا يقال إن هذا التقدم لا حجة فيه لما تقدم مما يشير لاضطراب كلام قائله، لكونه جميع بين ما لا يصح تزليه إلا على الزاوية وبين ما لا يصح تزليه إلا على وليى ولكونه جعلهما شيئا واحدا وهما شباين متغايران في الواقع، لأننا نقول قد نحن فيما سبق على الجمع بين ذلك بأن موقع الزاوية هو من وليى بحسب التبع والمتعلق والإضافه، فلا اضطراب إذن، وإنما على العارف أن ينزل كل شيء في محله، ولكن نزل مولى إدريس على أوربة بوليل التي هي قصر فرعون هو كالمتفق عليه عند أهل المعرفة، وأما ما يذكر من أن عين القصر لم تكن قبل مولى إدريس وإنما نبعت بركته خربته في محلها، فهو إن صح لا يعين أن محلها هو نفس مدينة وليى الأصلية كما لا يخفي.

الثانية: زعم بعض المؤرخين المعاصرين ألا وهو صديقنا الناقد أبو عبد الله محمد بوجندر في كتابه المذكور أن الذي خرب مدينة وليى هو عبد المؤمن الوحيد، وذلك لا يصح ففي الأصل أعتى الروض الهطون أن أمر الموحدين زمن عبد المؤمن لم يزل يتقؤ وسكان الجبال ينزلون إلىهم من صيامها مذعنين، حتى إن من نظر مکانسة وضواحها جبلا كبيرا مانعا حينئا يقال له زروعون، وفيه من الحلقة أمة كثيرة لا تخضع عدة، أرسلوا بيعتهم مع جماعة منهم إلى عبد المؤمن ابن علي وهو بين الصخريتين من أحوال تلمسان، وجرؤا الموحدين على دخول
المغرب وأعانوه على محاصرة مدينة مكنا، فكانوا أدا مبغيين لأهل تلك البلاد وكانوا سبب سمهم أحرار من الغارم كتب لهم بذلك صوروا كانت بأيديهم ولم يتعرض لمؤامهم كما فعل بالأملاك التي أخذت عنوا. ه من خطه وهو صريح في أن أصل زرهون بابوا عبد المؤمن قبل دخوله لمغرينا، وفي أنهم كانوا محترمين عنه، وفي أنه ما تعرض لمؤامهم ولا ألالاكهم بعد دخوله، وكيف يجتمع مع هذا تخريب لقاعدة بلادهم مدينة وليلي! وأي موجب بعد ما تقدم يدعو له ذلك!

الثالثة: حيث كان أهل وليلي تفرقوا في جبل زرهون بسبب تخريب يوسف ابن تاشفين لقاعدة بلادهم مدينة وليلي على ما سبق في نقل شفيرا عن مرمول، ومن الواضح أنه ما فعل ذلك بها إلا لتمتعهم بها واستصصائهم عليها فيها، فهم حينئذ قد دأوا وبال معاداة الملوك ونالتهم خسارتها العظيمة بالفعل، والمؤمن لا يبلغ من جحر مترين، والعاقل من اعتبار الحوادث التي مرت عليه، وأوصلها العلم اليقين إليها، والسعيد من وعظ بغيره، حينئذ فبدارهم بالطاعة لمن ظهرت عليه، وقويت شوكته، وبابعه أكثر الإيالة المغربية ولا سيما مع تظاهرها بالعدالة وانتداب له ونكرم من قبل وتخصصهم بها من إعادة التشديد عليهم والهلاك والمجاجة هو من حسن تدبيرهم وسداد نظرهم، ولا ملام عليهم في ذلك، ولا سيما حيث كان ذلك وقت تقلص الدولة المباركة وامتعال قواتها وصيورة الرعية في حكم الإهالام من جهةها، وفي أيدى الهلاك من جهة الدولة القائمة عليها ففي «شرح القصيد» للشيخ السنوسي من شروط الإمام. قدرته على تنفيذ الأحكام هد.

وقد نقل ابن يونس وغيره أن مالكا سلّم إذا باد الناس رجلا، ثم قام آخر فدعهم الناس لبيعته فباعه بعضهم، فقال: إن كانت بيعة الأول على الخوف فالبيعة للثاني إذا كان عدلا هد.
وفي "شرح المقصاد" من صار إماما بالقهر والغلبة ينزل بأن يقهره آخر
ويغلبه.
وفي البتقي السبب المتفق عليه أي في خلع الإمام كلما يختل معه مقصود الإمامهما.
قال رأس المعارف في حواشيه فدخل فيه العجز عن القيام بالصالح وينبغي اعتباره من حيث كونه نسبة وإضافة بحيث يوجد أقدر منه فولي ه.
وفي "المواقف" وشرحها وللمسة خلع الإمام وعزله بسبيح يوجب مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلاف أحوال المسلمين وانتقاد أمور الدين كما كان لهم نصبه لانتظامها وإعلانها ه.
وأما إعانتهم للموحدين في محاسرة مكانة ذلك من لأزم الطاعة، ومن الواجب في حق من أبى أن يدخل فيما دخلت فيه الجماعة، وقد نقل ابن عرفة وغير واحد من متاحر فقهاء المالكية فقها مسلما عن الصقلي وهو ابن يونس أن شيخه القاضي أبو الحسن صوب قول سحنون إن كان الإمام غير عدل وخرج عليه عدل وجب الخروج معه ليظهر دين الله ه.
كما نقلوا أيضا عن عز الدين كذلك أنه إن كان فقس الإمام القائم أخف من فقس الإمام المقوم عليه كون القائم عليه فسقه بانتهاك حرمة الأتباع والقائم بأخذ المال غير حق، فإنه يجوز التقال مع القائم لإقامة ولايته وإدامة نصرته دفعا لما بين مفسدين المفسدين ودراء لما هو أشد من معصية القائم.
قال ابن عرفة: ونحوه خروج فقهاء الشيوخ مع أبي يزيد الخارج على الثالث من بني عبيد وهو إسماعيل نكفره وفسق أبي يزيد والكفر أشد.
وقال شيخنا في اختصار الرهبان على "شرح المقصاد" ما نصه ابن عبد السلام تجوز إعانا الآخف على الأئل للملتيمك للأموال أو الأتباع علي المتهك للدماء ه.
ورزنه جواز إعانة الأخف مفسدة متميزة علي الأشاد، ثم قال: ويجوز
الدفع عن الأخف ضررا ومفسدة والقتل معه لدفع ما هو أشد مما.
وعليه يقول خليل فللمعدل أي ولي بالاضافة.
ولا خفاء أن حال عبد المؤمن مع المقوم عليه من بقية المراقبين لا يخرج عن
الحال التي تكلم عليها سحنون والاغراء التي تكلم عليها عز الدين وحسب
المكانين للزرهونين لأجل مبادرتهم لبيعة عبد المؤمن وإعانتهم له في حصار
مكانس خارج عن القوانين الشرعية والسياسية، وإنما هو أمر قادح لهم إليه طبيعة
النفس على عادتها في مخالفتهما إلا من عصمهم الله وقليل ما هم.
ويكفي الليبنا هنا أن يذكر أن المغرب كله إذا سعد بقيام مولانا إدريس على
بني العباس فيه، وأن أهل وليلي الذين تفرقوا في جبل زرهون هم أهل اليد
البيضاء في تلك الساعة بيداهم دون غيرهم لمبايعته، ويكون سعادة بقائل
المغرب مكانة وغيرهم في ذلك إذا كانت على يدهم وحسب التبعية لهم ومن
نتائج نصرتهم له وإشارة سوءتهم على كل من انقضى عن طاعته، ولم يحكم
معاهدته، نفسهم إلى ميادين هذه الخيرات عتيقا، وقدميا أواها منه إلى الركن
العظيم، فالانصاب مقابلتهم على ذلك بالشكران، والله در أبي العباس الخليل إذ
قال شاكرا لهم على ذلك ومرتبا بمديحهم في ذره النفي:
إن مدحت المجدين أوراه
ابن طه المصطفى ما أطيبه
مدح من أبد إدريس الرضا
ورضا مولى الموالي استوجبوا
إذ اجتابوه بما قد طلبوا
كل فرد منهم قد أوجبه
وامشمال الأمر منهم فيهم
واحمد بن الحميد المرتضى

71
قالوا بين يدي جملة
ليس منهم من فتى عند الورغي
لاقت خوف موت حجبه
الورغي مات الفتي
لقد كان
لم يقدرون
لم يقدرون أنصار إدريس الرضا
فأحمد أنصار إدريس الرضا
لقد كان إذا مات الفتى
ليس منهم ماجد إلا غدا
عمدو بحسام ضرره
حمدهم قول الله استوجه
مع إدريس الكرام أوربه
جنة الفردوس ذات المرتبه
ربنا ارحمهم وأدخل جمعهم
اهام.
وليت شعري أي فضيلة حصلها الكتانيون وقتئذ من هاتيك الحروب والتدرد
بالخلاف سوى الدمار والهلاك للآلاف المستكثرة من النفوس وتخريب البلاد والديار
وهتاك الحريم وإضاءة الأموال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
الرابعة: سبق أن أهل مصر وهم القبض قوم فرعون لم يحفظ في التاريخ
تقدم ملك منهم ولا سلطنة على هذه الديار المصرية، وأن الكتابة الموجودة في
احجار قصر فرعون الدالة على بانيه وملمته قديما هي لاتينية وقوطية نسبة للقلو
بالواد بعد القاف المضمومة، وهم قبيل قبل إنهم من الإفرون كم في تاريخ ابن
خلدون وغيره.
وعليه فما وقع في إفكر النفي، وشرح النفي، لا زكرى والأزهار
العاطرة من أن قصر فرعون يذكر أنه من بينان القبض أي بالباء الموحدة الساكنة بعد
القاف المكسورة لا تعويل عليه ولا حجة في اشتهار ذلك القصر بالإضافة إلى
فرعون، لأن الظاهرة حمل ذلك على الشهيد، البليغ أي أن ذلك البناء القائم من
تلك الأحجار العظيمة المحكمة النصريه القتภาษ القسمى ل للخلود في العادة هو كناء
فرعون المدعو للربوية القتגישה للخلود.
الخامسة: جزمنا أولاً بأن بين مكناسة وقصر فرعون ثمانية وعشرين كيلومتراً، ويذلل جزم أيضاً بعض من أهل في وصف مكناس من الأوربيين المعاصرة اعتماداً على ما تخترى الآن بطريقة في المسافة المذكورة بعد تحميل نهجها وترشيحها، وعندنا فما نقلنا بعد ذلك عن ابن غازى من أن بينهمااثنين عشر ميلاً يحمل على ما قدمناه في المسافة التي بين فاس ومكناسة وفاس ونافر. والسادسة: قول ابن غازى السابق وكان ثم سوق غبار إلغى يعني في المحل الذي به آثار البناء العتيق الضخم المذكور، وقد نسخ هذا السوق لا بعبارت الزمان ولا بعبارت المكان، وإنما يعمال السوق منذ أدركنا داخل الزاوية يوم السبت وعشيته يوم الجمعة، نعم بعد انساب الخصاصة كان بعض الحكام أشار بإبراز سوق الباي في ظاهر البلد فحول أولاً بإشرائه خارج باب عين الرجال منها، ثم نقل لوسعة عين خير خارج باب عين فكرتها منها وعلى ذلك استمر الحال إلى الآن.

السابعة: بالسودان مدينة تسمى وليلي وأخرى تسمى أوليلي نه عليهما الزياني في رحلته، وقد قيل إن وليلي زرهون تسمى بطينة أيضاً حكاية ابن غازى في تكميل الشفائق، وكذا كانت تسمى توليت وبوليبل، وقد يقال بوليبس كما تقدم، كما أن مكناسة كانت تسمى صلدة بالنصاد ورسلدا بالسين، ولهذا المؤرخ لهذه الأسماه يفهم المراد من عبارات المؤرخين.

الثامنة: علم بما سبق أن قبيلة أوربة هم أهل وليلي في الزمن الإدريسي، وإن أهل وليلي هم الذين تفرقوا بجبيل زرهون لما خربت قاعدة جبلهم وحاضرة البلاد وليلي، فبخير من ذلك أن أهل زرهون هم قبيلة أوربة ولا زال الأوربيون به وخصوصاً بالزاوية منه، وقد حفظت رسومهم القديمة ولهذه نسبة لهم، ومنهم أولاد ابن الخياط وأولاد بو بحبي وبيد بعضهم ولهذا جماعة قديمة باحترامهم وتسوية بعض الأملاك لهم رعايا لسبقتهم وهم متمسكون بها إلى الآن.
وعليه فما وقع في "الروض" هنا بعد ما قدمناه عنه من قوله وذكر أن أصل أهله يعني جبل رهون روم هل لا يلتفت إليه وكأنه لذلك أشار بحكايته له بلغف وذكر الحاكم بعدم توثيه.

وقول "الروض" كانت البلاد ديار كفر مجوس ونصارية إلخ، قلت: أما المجوس فهم في الأصل معرب منج كوش - بضم الكاف - ومنعاه قصيرة الذن عرف به رجل صغير الأذن كان في قديم الزمان اخترع دين المجوسية ودعاه إليه قتوغ عليه، ثم بعد زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام نشأ رجل آخر اسمه زرادشت الفارسي فجر هذا الدين المجوسى وأظهره وراد فيه، وعلى يده دخلت الفرس فيه لثلاثين سنة خلت من هكذا ملكهم يستثاب، فنمسجوا حيثذ عن آخرهم بعد أن كانوا في التور الأول على دين سيدنا نوح عليه السلام، ثم صاروا في الطور الثاني لدين الصابئة واستمروا عليه نحو ألف سنة، ثم بعد ذلك صاروا في طورهم الثالث للمجوسية بدعوة زرادشت الذي يعتقدون فيه أنه نبي مرسلاً، وإعانة ملكهم يستثاب كما بنيا، ومدار دين المجوسية على تعظيم النار وسائر الأنوار والقول بتركيب العالم من النور والظلمة واعتقاد القدماء الخمسة، وهي عندهم: الباءئ تعالى، وإبليس لعنة الله، والهيلولى، والزمان، والمكان وغير ذلك من تفاصيل المجوسية كما بنيه صاعد الأندلسى في طبقات الأمام، وقد تولي بسط تفاصيل هذا وبيان فرق أهل الإمام شهر ستاني في "الملل واللح" وغيره، فمن تعلق له غرض بها فلينظرها هناك، ومن نحل أهل المجوسية تفضيل الفرس على العرب وعلى سائر الأمم كذا في "صحيح الأعشى" للقلقشندى المولود سنة ست وخمسين وسبعائة التوفي يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانية.

قلت: وفضيل المجوس للفرس على غيرهم هو تفضيل أهل مملتهم على الفير اتباعاً لحية الجاهلية لا غير، ولعلهم بعد دخول الفرس في الإسلام لا
يقولون في تفضيلهم كفعل اليهود في تفضيلهم لعبد الله بن سلام قبل علمهم بإسلامه وتقيصهم له بعده والقضية في الصحيح، وأما حديث لو كان الإمام بالثرا لأدركه رجال من فارس يعني الفرس كما يأتي عن زروق فهو خاص في خاص ثم هو بيان لفضلهم لا لفضيلهم.

والنصارى جميع نصران كالنادمي جميع ندمان، ونصران صفة مشبهة كعطشان وسكران إلا أنه غير مستعمل، والمستعمل هو نصارى زيادة إليه التي للمبالغة، هذا إذا عبر به المفرد الواحد، وإذا أريد التعبير عن الأفراد المتعددة يقال نصارى، سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح على السلام، أو لأنهم كانوا معه في قرية اسمها نصران أو ناصرة فسموا باسمها، أو من اسمها وعلى هذا فلياء باء نسبة لا زائدة للمبالغة، ثم هي نسبة للملمة والدين المسيحي فكل أخذ به فهو نصارى من أي فريق كان وفي أي بلد كان.

وكذا النسبة في المجوس فإنها دينية فكل آخذ بدين المجوس فهو مجوسي أيا كان، ولا كذلك الروم والفرنجي وأشباهها، فإن النسبة في ذلك طينية وبلدية لا دينية.

وقربة ناصرة هي بطرية على ثلاثة عشر ميلا منها، وفي معجم ياقوت وكان فيها مولد عيسى عليه السلام، ومنها اشتاق اسم النصارى، وكان أهلها عبروا مريم فيزعمون أنه لا يولد بها بكر إلى هذه الغاية، وأن لهم شجرة أُثرج (1) على هيئة النساء والأخيرة ثديان وما يشبه البدين والرجلين وموضع الفرج مفتوح، وأن أمر هذه القرية في النساء والأنجح مستفيض عندهن لا يدفعه دافع وأهل بيت المقدس يأبون ذلك ويزعمون أن المسيح إذا وُلد في بيت لحم، وإنما انتقلت به أمه إلى هذه

(1) الأثرج: شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والكمر، ينمو كليمون الكبار، وهو ذمي اللون، زكي الرائحة، حامض الماء. وهو كبير بأرض العرب، وتبقي ثمرته عليه جميع السنة.
القرية، قال ياقوت: فلما نص الإنجيل فإن فيه أن عيسى ولد في بيت لحم، وخاف عليه يوسف من هارودس ملك المجوس فأرى في منامه أن احمله إلى مصر، فقام بمصر إلى أن مات هارودس فقدم به القدس، فأرى في المنام أن انطلق به إلى الخليل، فاتباه فسكن مدينة تدعى ناصرة(1).

كذا في تاج العروس.

قلت: بما في نص الإنجيل من أن عيسى عليه السلام ولد بيت لحم به جاءت رواية شداد بن أوس رضي الله عنه في حديث الإسراء والحديث خرجه الطبراني والبزار، وابن أبي حاتم وابن مردوية، والبيهقي وصححه خلفاً لإنكار ابن تيمية له وإن كان تابعاً في إنكاره لابن حبان وابن الجوزي في موضوعاته، وقد وافق على ذلك الذهبي في الميزان.

لكن كلام هؤلاء إنا هو في إنكارهم من رواية أبي هريرة ومع ذلك فقد قال الحافظ ابن حجر في "النسان الميزان" إن الموضوع في تلك الرواية شيء خاص وهو قوله ثم أنى بئ إلى الصخرة فقال يا محمد، من هاهنا عرج بك إلى السماء وأما باقي الحديث فقد أنى من طرق أخرى منها الصلاة في بيت لحم وردت في حديث شداد بن أوس والله أعلم ثم هذا الذي نقله في تاج العروس عن ياقوت عن الإنجيل هو في إنجيل متي إلا أن الذي نقله عنه الشيخ عبد الله الآشمي أحد أحباء النصارى الذين أسلموا وحسن إسلامهم، وساقه بواسطةه الزياتي في رحلته هو أن الخائف على عيسى هي أمه مرريم، وأنها هي التي أمرها ملك في المنام بالخروج به لصر قال وهذا الذي وقع في إنجيل متي لم يقع في بقية الأناجيل الأربعة. انظر تمامه فقد استدل بذلك مع غيره على أن متي ساق ذلك في إنجيله تبعاً لبعض الكذابين لغير.

(1) الخبير بطوله لدى ياقوت - 251.
فصل: قال في الروض قبل: ولم تكن مكناسة في القديمة مدينة وكانت حوارث (1) كثيرة متفرقة (2) وهي تاورا وبنو عطوش، وبنو برنوس، وبنو شاوش، وبنو موسى، وهذه كلها على الضفة الغربية من وادي فلل المذكور، إلا تاورا فإنها بصفته الغربية والشرقية، وغراساتها كلها منتشرة متصلة بعضها بعضًا فلا تفصل بينها، قال: وفلل يعرف الآن بأبي عمات، وفيه يقول الشيخ شيخنا الأستاذ أبو عبد الله ابن جابر في نزهة الناظر:

فلن ترى في سائر العمائر

مثل محاسن أبي اليعمات

يرج النهر المذكور من قبالة من الجوف قريبًا من سورها أصله والله أعلم من جبل فاراز. هـ من خطه ملفق.

قلت: تاورا بفتح الواو والراء حسبما ضبط ذلك ابن غازى بخطه، ويعني بكونها أي مكانة ليست بمدينة أنه لم تكون مجتمعة الديار ولا عامة النافع ولا منضمرة الشمال بسور حافظ كما قدماه.

إلى وادي أبي العمائر المذكور ينسب باب أبي العمائر من أبواب هذه المدينة، وإما نسب إليه لقربته منه وعبور الداخل إليه والخارج منه من تلك الناحية عليه، والباب المذكور هو أحد أبواب المدينة وهو واقع في شمال غربي مستقبل حميرة من باب ضريح الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي دعى ببنون أحد رجال العلماء والمعارف المرجع إليه بالعاصمة قديما المتوفر صنداً أربع وخمسين وثمانية.

ومركز الباب المذكور الطبيعي هو في مقابلة باب دار البارود المعدة لتتمفیق

ملحة، وهي إحدى آثار فخامة العاصمة قديما وهناك دار بارود أخرى كانت معدة

(1) حوارث: جمع لحاث، وهو المكان المطمن الوسط المرتفع الحروف، ومن ذلك سموا البستان بالحاث.

(2) في المطبوع: مفرق، والثبت من الروض الذي ينقل عنه المصنف.

(3) الروض الهنون - ص 45، 53.

77
لصنعه وهي التي توقعها بالملح بين الباب المحدث عنه وبين الباب الأخرى هناك للمدينة المسماة بباب المرس لوقوع المرس الإسماعيلي الهائل خارجها، وموقع هذا الباب الثاني بالناحية الشرقية ومنه الآن يقع النزول لعيون أبي العمار وكتا الدارين من فخامة العاصمة، وقد صارت الدار الثانية التي ينزل من بابها للعيون المذكورة محلا الآن للاشغال العمومية الدولية كما أضيفت الأولى في العصر الحاضر للجنان العمومي المسمى موقعه في القديم بالحبل المعد فيما سلف مريضا لبق الأهالي المتجرين في بيع اللبن الذي هو من أهم حاجيات تموين العاصمة.

ومن ضروريات مستشفياتها اختيار الأقدميون من أهاليها مكان الحبل المذكور لاستقرار برهم لما فيه من الجمع بين منقعة القرب والحصين بسور العاصمة وبابها ودفع معرفة عفوناتهم باتصال بالباب وانفصال عن غالب المنازل، وحيث جعلت الدولة الحامية المرض المذكور بستان عموميا وتفرقت جميع بره بسب سياح ذلك داخل العاصمة، صارت الانتقادات الطبية توجه إلى أرباب ذلك البقر كل حين لاتصال معرفة عفوناتهم بالأهالي، وقد كان استقرار البقر بالحبل حاجزا عن ذلك الاتصال، وفاضيا على مضاره بالبعد والانفصال.

باب أبي العمار المذكور قد هدته الدولة الحامية عند حلولها بالعاصمة المكناسية ولم تبق له عينا ولا أمر، والقصد من ذلك إزالة الحاجز بين العاصمة القديمة والمدينة الجديدة الآتي ذكرها حتى لا تسد باب الأولى في وجه الثانية، ويتيسر سير العبوات والسيارات بين المدينة بدون أدنى حرج ولإمكانية المواصلة بينهما في آن الأوان.

ومن هذا الباب يخرج قاصد غابة الزيتون المعروفة بحمرية المحدث بها تخطيط المدينة الجديدة ويخرجه على بين الذهاب لفاس أو للمدينة الجديدة عيون متدفقة بالزلال العذب الفرات، كانت الدولة الحامية حضتها بالبناء وصائنتها عما
كان معششاً بها من القذرات، وحجرتها على خاصة الأهالي وعامتهم، وانتقلت لشربها ومن حصلت له رغبة من وجهاء الأهالي في الورد من موردها المعين طلب الترخيص من لدن الحكومة الأجنبية، فتنافس رؤساء الأهالي وأعيانهم في التحصيل على الترخيص في السقي منها، وذلك بعد أن لم تتكن لديهم تلك العيون شيئاً مذكرما في ماضي العصور بل كانت تعافها النفوس وتشتهر من الشرب منها القلوب، لأنها كانت محل غسل أوساخ الصوف والثياب الخفية وأيال الدواب والمواشي وأروائها، ولكن النفس ميالة ومجدولة على حب الجديد. ومحاكاة الطالع السعيد، وحريصة على الانصال بما منه منعت، كما أنها حريصة على الانفصال عما إليه ألتبت. هذا والمحكنون ذوو المعزة من قدماء الأهالي كانوا يحققون أن ماء تلك العيون هو وإن كان حسبنا فهو أخطر رابعة عما رشح له بالنسبة لغيره، ثم لما طال استياء الفرنسيين بمكنسة أنتج البحث المدق من عرفائهم أن أحسن ماء يوجد بالبلد خفة وصفاء وعداوية هو ماء عين تاكم بالكاف المعقود- الكائنة شرقى المدينة على مسافة تنيف على أربع مئات متر تقريباً. فقيلت صرف حامية مكناسة وجهتها عن ماء عيون أبي العمار، وأباحت ورده لم يرده من وارد وصدر، فهضفت رغبة الأهالي في السقي من ذلك الماء بعد الخرق الضئيد، ورجع لها بعض ما كان بها قبل من المستقراط كغير الأثواب الوصش وأدخلت الدولة الحامية ماء عين تاكمًا للمدينة الجديدة وقرصته عليها واستغنت به عما سواه، ثم بعد كتب هذا أدخل ماء عين تاجما للمدينة الألمانية أيضاً مكتاكة وأتخذت له سقافات عمومية بأرقيها وأيجب إدخاله للدور لم تعلق له بالرغم بالشراء من الإدارة البلدية، وقد كان ماء هذه العين في سالف الدهور مسقاً للمسجد الأعظم بالعاصمة في ساقية وسط حائط حوار الوادي في ناحية ضريح أبي زكريا الصبان المعروف الآن بسيري بوز كرقي، إلى أن يجري في
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة.
تلك العيون، وذلك أقوى دليل وأصدق برناح على أن أصلها منه، وهذا المحل لا يعرف اليوم بني فزار ولا الجبل المذكور بالنسبة إليهم، أما في غبار الأزمان وقد كان يطلق فزار على تلك الجبال كلها حتى جبل آرو الشهير المعروف، والمحل الذي يعرف اليوم بفزار عند تلك القبائل البربرية بينه وبين الجبل الذي يخرج منه الماء المذكور مهبه فيح ثنيف على سبعين كيلو متراً.
ومعنى مزعوَتِل بلسان البربر منفر البقر سمي بذلك لوجود ضريح به إذا مر البقر أمامه نفر وشرد على ما أخبرني به غير واحد من الثقات سكان ذلك المحل، ومن أصول منيع بوفكران العظيمة عن معروف ويعد خمسين كيلو مترا يبلغ منبعه في اليوم أربعين ألف متراً مكعباً على ما حققه بعض الفنّهين.
فصل: قال في «الروض»: إلا تآورة، فإنها بضفتيهما الشرقية والغربية وغراساتها كلها متظمة متصل ببعضها ببعض لا فاصل بينها، وتأورا أقرب الحوارات من المدينة من جهة باب البرازعين ومن حواراتها أيضا بنو زياد وتقع غرباً من الحوارات المذكورة ليست على الواجب المذكور، لكن لها جدول من نوع ساقية طويلة المسافة صعب الجري.
قال: وفي بني زياد أيضاً عيون يسكنون منها بعض أملاكمهم، ويسكون بعضها بالساقية المخروطة من وادي فلفل المذكور، وبعضها بعل وكأنه يعلو بها في غاية الطيب بموضع هنالك يقال له المروثي إليه ينسب العنب المروثي هنالك، قال الاستاذ أبو عبد الله بن جابر في «نزهة الناظر» بعد ما ذكر أصناف العنب التي يبكناسة:
لكنني أقول دون سواه ما فاق الأعجاب سوى المروثي وهو عنب أبيض شديد الحلاوة ولا سيما الاثنين منه، ويدكر أنه من قوته لا يستحلح خمراً إلا عند اعتلال الزمان، ومن غلواهم فيه أنهم يقولون إنه يستصبح (١) الروض الهنون - ص ٥٣ وما بعدها.

٨١
بخمهر، وهتال كُرية كان يقال لها قرية الأندلس كانت (١) من عمل بني زياد
سكنها على قديم الزمان قوم أندلوسيون وتناسلوا بها وأقاموا دهراً لم ينفِّذ الأندلسوَن
ولا أشكُلُهم إلا من كان منهم كثير الامتناع باهل البلد (٢) فإنَّهُ تغير لسانه وكانت
اتهم بالكرية المذكورة كرمك بعل في أرض رملة حمراء كذا كِلٌ، وهذه القرية والله
تعالى أعلم هي المسماة في هذه الأشعار تلاجذوت، وبها جرى المثل السائر: "دار
الكراءمة يا تلاجذوت" ومنها كان الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف التلاجدوتي
المدعو بسيدي علي بن يشّو، وهو من شيوخ شيختنا الفقيه الحافظ سيدي أبي عبد
الله محمد القرى، والخطب البليغ المصفع سيدى أبي العباس أحمد بن سعيد
الخباي الغفجسي وكلاهم اليوم بروطانة البربر المفرطة في العجمة من خفه.

قلت: أما الساقية الصعبة المجري فلم يبق لها أثر لهذا العهد، وأما قرية
الأندلس المسماة تلاجذوت فلم يبق لها أيضاً أثر ولا خير، وكون مسمي تلاجذوت
هو قرية الأندلس يخالفه ما في كتاب الاستيعار، بعجاب الأنصار، المؤلف سنة
سبعين وثمانين زخممسماة، فإن فيه أن من مدن ملكة الأربعة تلاجذوت (٣)
وتفسير المحلة، قال: وهو محدد النساء، وهو مشرف على بحث وبيقع معلومة
بضاعة (٤) كثير الشمار، وأكثرها الزيتون فصبيت به، وهذه المدينة عليها سور كبر
وأبراج عظيمة، وهي مدينة حَرَّجة، هذـ.

وهذا الذي وصفه بها لا ينطبق إلا على تأكيرات المدينة الآن، فعليه لها
اسمان كل منهما فسر بالمحلة فالله أعلم.

وأما الشيخ أبو الحسن التلاجدوتي والقرى والخباي فستأتي تراجهم في
محلها بحول الله فترقب.

---

(١) في المطبوع: "كانها"، والثبت من الروض الذي ينقل عنه المصنف.
(٢) في المطبوع: "البلد"، والثبت من الروض الذي ينقل عنه المصنف.
(٣) في الاستيعار الذي ينقل عنه المصنف "تأكيات" وقد أشار المصنف فيما بعد إلى الاسم
الوارد في الاستيعار. وقال: فعليه لها اسمان كل منهما فسر بالمحلة.
(٤) في الاستيعار: "عملاء بفيضات"، وفي نسخة أخرى منه بالهامش "فيضات".

٨٢
فصل: قال في "الروض"، وكتبت حارة تاورا التي هي أقرب الحوايت إلى المدينة الآن يشقها وادي فلفل ديارها على ضفتيه شرقا وغربا، والمراسيم بها وسائر الحوايت متصلة بالديار، ويتراوا أرحاء كثيرة كان أكثرها يحتوي على أربعة أحبار، وكان من جمالها بيت واحد للزرابيّة يحتوي على خمسة أحبار، وكان فيها حمامان إثنا، أحدهما منسوب للزرابيّة والثاني للمختص يعرف بحمام أبي الحوار أن رأى عين كبيرة تسب كذاك لأبي الحوار، ما عذب معين صاف تُسَقى به طائفة كبيرة من أملاك تاورا، ومن أملاك من تحتها، وكانت حارة تاورا تقسم أقساما: قسم يقال له بني عيسى ديارهم بالضفة الغربية من الوادي يذكر أنهم أصل بني زغبوش، لكن لا تعلم صحة ذلك، غير أنهم كانوا يجدون في بعض العقود القديمة نسبتهم إلى عيسى بلفظ فلان بن فلان العيسوي، ويدللان بذلك على أن بني زغبوش من بني عيسى، والله تعالى أعلم (1).

وقسم بالضفة المذكورة قبله من بني عيسى يقال له بني يونس وسمي أيضا: هذا القسم تاورا الفوقية، وهذه القسم كان المسجد الجامع، وبين هذين القسمين موضوع عال جدا يعرف بالجهنمية. وقسم بالضفة المذكورة يقال له: فاس الصغيرة، فإنها سُميت بذلك لإفراز الماء خلفها كمدينة فاس، والضفة الشرقية من الوادي قسم يقال له الجنة الصغير، وقسم يسمى بني أبي نواس، وقسم يسمى حارة بني زغبوش، وحارة الزرابيّة، وثم كانت ديار بني محمد بن حماد وغيرهم، وكان بني زياد حمام وبني مرور حمام يعمران، وكان بني موسى حمام تعطى قبلهما والله تعالى أعلم. من خط(2).

قلت: أما الهارة فكل محلة دنت منازلها كما في "القاموس" (3) وهو معنى قول "المصبح" الحارة المحلة تتصل منازلها، والجمع حارات.

وأما حوايت المعربر في "الروض" فهو جميع لحاثر وهو كما في شرح "القاموس" عن أبي حنيفة المكان الطمنين الوسط المرتفع الحروف، ومن ذلك سموا البستان (4) بالحاثر. هـ.

(1) الروض الهوتون - ص 57.
(2) الروض الهوتون - ص 58.
(3) القاموس (ح ي ر).
(4) القاموس (ح ي ر) وانظر لذلك أيضا: المعجم الوسيط.

83
وهو منطقي تمام الانطباق على موقع تاورا الطبيعي، فإنها مطمئنة الوسط المترتفعة الجوانب من جهاتها الأربع كالخليج، يسب لوسطها مسيل ماء الأمطار ضرورة كانت ذات بساتين متعددة تتصل كل دار بيسان كحالة دور سكان الأروى الإسماعيلي ونواحيه في عصرنا الحاضر.

وحة تاورا المذكورة وما عطف عليها هي الكائنة شرقاً عن بين الذاهب لزهرنون الخارج من باب البراهعين والحوائر الأخرى عن يساره غربا.

وأما الخارج من باب تريم الصغيرة أحد أبواب المدينة اليوم وقيدنا بالصغيرة احترازاً عن تريمي الكبيرة القصبة الشهيرة الكثيرة السكان الكائنة داخل باب البراهعين المحدث فيها اليوم الباب الذي أعد لدخول البقر عند إيايه من المسار فتبقى الحوائر التاوية وما عطف عليها عن يساره.

وجميع تلك الحوائر لا يعرف اليوم إلا بتاورا، إلا حارة بني موسى فإنها لازالت معروفة باسمها القديم والطريق المارة لزهرنون فصلة بين حوائر تاورا وحوائر بني موسى، وغراسات تلك الحوائر والبساتين الزيتون والفناح وأنواع الإجاز (1) والسفرجل (2) والرومان والخوخ وأنواع كثيرة من التين لا تكاد توجد في غيرها والمشمش والبرقوق والنجع والتوت الشهي، والليم (3).

وقد عفت تلك الحوائر ودروست الأطلال والرسوم، ولم يبق لهذا العهد بالمدينة لسنل سكان تلك الحوائر أثر غبي حموش المعروفين في الزمن الحاضر بالحمشة، فإنه لا زال البعض موجوداً أعرف واحداً منهم يتعاطي خطة العدالة،

(1) الإجاز: شجر من الفصيلة الوردية، ثمره حلو لذيذ، يطلق في سورية وفلسطين وسيناء على الكرمى وشجرها، وكان يطلق في مصر على البرقوق وشجره.

(2) السفرجل: شجر مثير من الفصيلة الوردية.

(3) الليم: الليمون.
لا يغزو المدعوين اليوم بالزاغية فإن بقية نسلهم موجود بالمدينة اليوم على
قلة وما لغيرهما من بقية تلك الشعب والقبائل من بقية فالبقاء لله وحده وكل
شيء هالك إلا وجهه، وسنأتي بعد إن شاء الله تعالى على بيان وقت تزويج هذه
الحوارى ورجعية العمارة إليها ثم انقطاعها عنها بالكليه.

ومن الحوارات والبساتين الشهيرة في هذه الأعمر بضعفنا تاورا: البستان
المعروف بعرصة النصراني ولم أدر ما وجه هذه الإضافة وابن شملاك وابن العلام
والقادرية وخواش والنجار والحارة وبوخيار ولا زال جل ما ذكر يبقى من وادي
أبي العمارية، وبعضها يبقى من عيون أبي الخير المارة الذكر، ولا زال ماؤها الذهب
المعين يتدفق، وهي إحدى المواضيع التي أعدت لغسل الصوف والفتيط بعد متع
ذلك وأزالت من عيون أبي العمار السالفه الذكر، كما يبقى أيضا بعض الحوارات
المشار لها بباء عيني الغولة وعرصة النصراني وليس بالكثير ماؤهما ولا يوجد بناورا
اليوم من العيون غير ما ذكر.

ومن أشهر حوارات بني موسى في العصر الحاضر: جنان العريفة وموالي زيان
والظهر، وبهذة البساتين عيون منهرة بالذهب الزلال مبنية عليها الصهاريخ المهمة
تستفي منها غراماتها كما تسبى كثيرا من الساقية المرؤوعة ببشارجة - ففتح القاف
وسكن الشين المعجمة وفتح الميم المشعبة ونشيد الراية مفتوحة بعدها هاء ومام
هذه الساقية يخرج من ماء أودية المدينة المضاف ويسبى أيضا بعض تلك الأجنة بباء
عينون حريل - ففتح الحاء المهملة وسكنو الراية - التابعة أملف قصة تولال خارج
باب سيدي سعيد أحد أبواب المدينة كما يسير بك بحول الله.

تنبيه: قد سبق ابن غازى إلى وصف هذه الحوارات الإدريسي في قرية
المشتاق، فقال: مكناسة مدنان عدة وهي في طريق سلا ومدينة مكناسة هي المسماة
تاقروت1) وهي الآن بقية على حالها لم يدركها كبير تغيير، وهي مدينة حسنة مرتفعة على الأرض يجري فيها شرقيها نهر صغير له أرحاء وتتصل بها عمارات وجنبات وزروع، وآرضها طيبة ولها مكاسب وأموال طائلة، ومكاسة سميت باسم مكناس البربري لما نزلها مبنية عند حوالتهم المغرب، وأقطع(2) لكل ابن من بني بقعة يعمرها ولده، وكل هذه المواضع التي أحلهم بها تقارب وتتجاوز أمكنتها، وبلاد مكناسة منها التي تعرف ببني زياد وهي مدينة عامة لها أسواق عامرة وحميات وديار حسنة والمياه تخترق أرقتها، ولم يكن في أيام الملك بعد تاقروت أعمر قطرا من بني زياد، وبنيهما نحو من ربع ميل، ومنها إلى بني تاورا وتاقروت نحو ذلك وكانت مدينة تاورا3) متحضرة جامعية غامرة وأسواقها كثيرة والصناعات بها ثروة، والنعم والفواكه لا تقتضي بها حاجة - أي لكنهاتها ورجعتها - والماء يأتيها من جنوبها نهر كبير فبتسم في أعلاها ويرب ما انقسم هناك من المساء فيخترق جميع أرقتها وشوارعها وأكثر دورها4).

وبين تاورا وبني زياد مدينة صغرى تانجراة إحداها القصر وهي مدينة صغيرة في الطريق من تاقروت إلى السوق القديمة على رميتي سهم، وهذه المدينة بناها أمير من أمراء المثمن وجعل لها سورا حصينا وبني بها قصرا حصينا ولم تكون بها أسواق كثيرة، ولا طائل تجارتها، وإنما كان ذلك الأمير يسكنها مع جلة بني عمه والمدينة الأخرى في شرقي هذه تعرف ببني عطوش، وهي ديار متصلة وعمارات في بستاناتهم هناك، ولهم أشجار وغلال وزيتون كثير وشجرتين وأعناب وفواكه جمة وكل ذلك بها رخيص5).

---

1) في المطبوع: تاقروت، والثبت في نزهة المشتاق 1/244، التي ينقل عنها المصنف.
2) في المطبوع: على، والثبت رواية نزهة المشتاق.
3) في المطبوع: أواقرات، والثبت رواية نزهة المشتاق.
4) في نزهة المشتاق: تاورا.
5) نزهة المشتاق 1/244-245.
6) نزهة المشتاق 1/245.
وأسفل هذه المنازل على مجرى الماء الذي يأتي من بني عطوش قبيلة بني برونس من مكناسة، وهي في منزل وديار ومزارع وكروم ومزارعات وزعون كثير وفواكه تباع بالثمن البسيط، وفي شمال قصر أبي موسى سوق يقصد إليها في كل يوم خمس يجتمع إليه جميع قبائل بني مكناسة وتسمى السوق القديمة، ومن قبائل بني مكناسة المجاورة لهذه البلاد بنو سعيد وبنو موسى ويسكنها من غير قبائل مكناسة، بنو سيل، ومغيلة، وبنو مصمود، وبنو علی، وورياغل، ودمرو، وأوریة(1)، وبغاوة(2).

فقوله مدادين عدة قد سمي منها بعد تآقرت بني زياد وتاورا والقصر أي المعنون عنه سابقا بالحصن وبني عطوش، وقد بني تقارب بعضها من بعض بأن بين واحدة والأخرى نحو ربع ميل، وبعد أن وصف بني زياد وتاورا بذلك بين أن مدينتي الحصن ونيع عطوش واقعتان بينهما، فيكون تباعد هذين المدينتين فيما بينهما وفيهما بين ما هما واقعتان بينه أقل من ذلك بكثير، وأتت تراث قد وصف العام والغالمر من هذه البلد ولم يعد منها مدينة وكيل، مع كونها لو كانت من مكناسة عشنة لكاتن أولى بالتوصيف من جميع ما ذكر لم تقدم من قدمها، وأنها مدينة أزليه، وأنها حاضرة البلاد، فدل ذلك على أنه لا يراها منها ولا من موقعها من بقعة مكناسة.

وقوله وهي في طريق سلا، يعني لللقاء لها من فاس وأحوازه، وقد صرح في كلامه الذي اختصرنا ذكره بأن بين فاس ومكناسة أربعين ميلا، وكل ذلك منه

(1) في زهوة المشتاق: دمر ووارية. وأوریة: قبيلة شهيرة من البير الفرنس، كانت في القديم تشمل على بطن ومزارع كثيرة، مثل: جاية، ونفاسة، ورحاوة، ورقبة وديرسة. وقد عظمت تلك البطن فيما بعد حتى صارت في عدد القبائل. كانت مواطن هذه القبيلة عند دخول الإسلام إلى المغرب جبل زرعون وما جاوره، وكان أوريا يدعى سكرد بن زوي، ولي عليهم مدة 72 سنة، وأدرك الفتاح الإسلاطى، وما مات سنة 71 سنة زعامة البير في هذه القبيلة حتى دخل إدريس الأول المغرب، فتأنزل له إسحاق بن محمد الأرفي عن الإمارة وقام بعصرته، وبعد ذلك انجبت وهرة في عداد القبائل البيرية وانتشر اسمها، ونسب أهلها إلى الجبل الذي يسكنون به (رهرى) الزراعي ولم يمحل اسمها إلا بطن تائه وتانم في قبيلة البير (وربة) ولكن يبقى ما يذكر بها كأولاد الوري، وحومة الوري بفسا.
(2) زهوة المشتاق 245/1. 87
تعيين موقع مكاسة باليه والمسافة، حتى يعلم أن ما بعد عن طريق سلا وعن المسافة المذكورة ليس من مكاسة، وقد تضمن وصفه لبعد ما بين مدنها الإشارة لقدر مساحتها أيضا حتى لا يقع في وهم أحد اشتباه شمول موقعها بموقع غيرها مما خرج عنها.

وقوله: ومدينة مكاسة يعني أعظم مدنا عمارة وحضارة كما يوخذ من قوله ولم يكن في أيام الملم بـ تأقيرت ... إلى آخره، أو مراده المدينة الساقعة المرعوبة بذلك في وقته.

وقوله: الآن، يشير به لتاريخ تأليفه لكتابه المنقول منه، وذلك أواست القرن السادس من الهجرة كما بينه ابن خلدون في مقدمته وغيره.

وقوله اسمت باسم مكاسة البربري لما نزلها مع بنيه(1) . إلخ، صريح في أن جد القبيلة نفسه نزل بها، فيستفاد من ذلك وجه كبونها تمسى تارة مكاسة، وتارة مكاسة، وهو أن الأول ملحوظ فيه اسم أكبر الحالين فيها، وهو جد القبيلة، والثاني ملحوظ فيه اسم القبيلة.

وقوله ولم يكن في أيام الملم(2) . إلخ، الذي ينصرف إليه هذا الوصف عند الإطلاق هو يوسف بن ياشفين فرد تلك الدولة الكامل أعظم أمراء المرابطين، وإذا قيل له الملم لكونه كان يستعمل اللثام في وجهه على عادة قومه، وعلى ذلك جرى أمراء بنيه وقومه من بعده، وأيامه كانت في النصف الأخير من القرن الخامس كما علم من تاريخ وفاته الذي قدمته، وجيبث يكون هذا مقتضيا لكون تأقرت كانت موجودة زمن يوسف بن ياشفين، وذلك موافق لما قدمه عن ياقوت الحموي من أن يوسف هو المخطط لمكناس الخادمة أي تأقرت، ولكن قدمنا تصريح ابن غاري من أن مكاسة باني تأقرت إذا أخطت بعد ظهور الموحدين، وذلك إذا كان بعد موت يوسف بسنين، عليه فيما حمل الملم في عبارته على من أخطت تأقرت في أيامه من أمراء بنيه.

(1) نزهة المشتاق 1444/1.
(2) نزهة المشتاق 1444/1.

88
وقوله: أعمر قطرا من بني زياد، قد قدم أن بني زياد مدينة محصورة، وذلك يدل على أن مراده بقطرها موقعها ومساحتها لا غير.

وقوله: في الطريق من تاقررت إلى السوق القديمة على رمتي سهم(1). إلخ، يعني أن مدينة القصر التي هي حصن عامل مكاسة واقعة في طريق السوق القديم، وبينهما وبين تاقررت الق德尔 المذكور وهو رميثاً سهم بالثنية.

وقد تخلص من كلامه هذا وما ذكره قبله أن موقع هذا الحصن يعتبر بين كل من تاورا ومن زياد ومن تاقررت والسوق القديم.

وقوله وفي شمال قصر أبي موسى إلى قوله السوق القديمة كذا هو في نسختي اثنين من نزهة المشتاق قصر بالصاد المهمة وأبي موسى بلفظ الكنية ولا أحقق الآن المراد بهما، وقد تقدم البحث عن موقع السوق القديمة فارجع إليه.

وقوله ومن قبائل بني مكاسة المجاور لهذه البلاد(2) إلى قوله وأرية(3). إلخ صريح في أن هؤلاء خارجون عن موقع مكاسة وإن جاورها، وفي أن من جملتهم أوربة الذين هم أهل زاهد كما تقدم، والله أعلم وأحكم.

فصل قال في الروض: وكانت هذه المواضع كلاها في غاية من الخصب وكثرة المياه والأشجار، وكان أهلها أمين مطمنين في عيش رحمة ونعمت تامة منذ ظل أمراء المسلمين بتنشأن بلاد المغرب وأحمد(4) الله تعالى بسيوفهم نار الفتنة البربرية فانقطعت مطاعم رموع النفاق من بير المغرب(5). من خظه.

قلت: قال بعضهم يشير والله أعلم إلى فتنة جور مغروة في دولتهم عند اشغالهم بنهب أموال الرعية والفاسق وتعزيز الأعراض وما لا يحل سماعه.

1) نزهة المشتاق: 245/1. 
2) نزهة المشتاق: 245/1. 
3) في نزهة المشتاق: 버와ية. 
4) في الروض الهنون: 307/1. 
5) الروض الهنون - ص 58.
البربر: اختلف فيهم اختلافاً كثيراً فقالون إنهم من ولد فارق بن بوص بن حام، والبربر يزعمون أنهم من ولد إفريقش بن صبيخي الحميري، وزنايتهم تزعم أنهم من حم، وألما عند أهل التحقيق أنهم من ولد كنان، وأنه لما قتل ملكهم جالوت الفلسطيني وطرقت بنو كنان قصدت منهم طائفة بلاد المغرب، وسكنوا تلك البلاد وهم البربر.

وقبائل البربر كثيرة جداً، منهم كتامة ولبلاهم بالجبال من المغرب الأوسط، وكانوا هم الذين أقاموا دولة الفاطميين مع أبي عبد الله الشيغي، ومنهم صنهاجة ومن صنهاجة ملوك إفريقية بنو بلخين بن زيري، ومن قبائل البربر زيناتة وكان منهم ملوك فاس وتلمسان وسجلماسة ولهم الفروسية والشجاعة المشهورة، ومن البربر المصادمة وسكناهما في جبال درن، وهم الذين قاموا بنصر المهدي بن تومرت، وبهم ملك عبد المؤمن وبنوه بلاد المغرب وانفرد من المصادمة قبيلة هنتة - بون فتاه ثم تاء بعد الألف فئة السكت - ومثل منهم إفريقية والمغرب الأوسط أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، ثم خطب لولده أبي عبد الله محمد بن يحيى بالخلافة واستمر الحال على ذلك إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة، ومن قبائل البربر المشهورة برغواطة ومنازلهم في تامسنا على البحر المحيط، وقيل إن برغواطة منسوبون إلى برغاطي وهو صالح بن طريف اليهودي نسب إلى الموضع الذي نشأ به وهو برغاطة موضع يبحش شريش من بلاد الأندلس، فعبرت العرب هذا الاسم، وقالا برغواط، وقد كانت هذه الفرقة على غير الإسلام وفيهم من نبأ كذبوا وزواروا وقد قطع الله دابرهم فلم تبق لهم من باقي.

والتبربر مثل العرب في سكين الصحاري ولهم لسان غير العرب قال ابن سعيد: ولغاتهم ترجع إلى أصول متحدة وتختلف فروعها حتى لا تفهم إلا بترجمان كما في تاريخ أبي الفداء مع زيادة من غيره.

90
وردن بالتحرير جبل عظيم من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى، وهو المعروف في كتب المسالك والجغرافيا بالأطلس، يعرف في كل محل باسم يُعرف في بلاد المصامدة بالكلاوي وهو المطل على مراكش ويعرف بداخلية بلاد البربر بجيل العيشي.

قال ابن سعيد: وهو جبل شاهق مشهور لا يزال عليه التلوج أولا عند البحر المحيط الغربي في المغرب، وآخره في جهة الشرق على ثلاثة مراحل من إسكندرية من الديار المصرية وسمي طرفه الشرق المذكور رأس أوتان فكون امتداده نحو خمسين درجة.

قال ابن خلدون ويسكن هذا الجبل من البربر أمم لا يحصينهم إلا خالقهم ثم قال: إن جبل دَرَن هذا من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الأقصى وهي في جوفه ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش وأغام واتادا، وعلى البحر المحيط منها بلاد آسيئ ومدينة سلا، وفي الجوف عن بلاد مراكش بلاد فاس ومكاسة وتارا وقصر كتامة وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها، وعلى ساحل البحر المحيط بلدان أميلا والعرائش، وقد سميت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تمسان. وسأتي عن ابن سعيد وغيره ما يخالف ما قاله ابن خلدون هؤلاء في تفسير المغرب الأقصى، وفي القاموس وشرحه والبربر جبل من الناس لا تكاد قبائله تتحصر.

قال أبو عبد الله الحميري المتنوئ سنة تستعينة في الروض المطاف في أخبار الأقطار: إنهم والحبشة من ولد حام وقيل إنهم من بقية نسل يوشع بن نون من العمالقة الحميرية، وهم رهط السعديع وأنه سمع لفظهم فقال ما أكثر بيرتكم وقيل غير ذلك الجميع البرابرة زادوا الهاء فيه إما للعجمة وإما للنسب وهو الصحيح.
قال الجوهري: وإن شئت حذفتها، وهم أي أكثر قبائلهم بالمغرب في الجبال
من سرس وغيرها متفرقة في أطرافها وهي زناثة وهوارها، وصنهاجة، ونزفة،
وكامنة، ولواته، ومديونه، وشباته، وكانوا كلهم فلسطين مع جالوت فلما قُتل
تفرقوا كذا في الدرر الكامنة للمحافظ ابن حجر.

وقال البلاذري: حدثني بكر بن الهيثم، قال: سألت عبد الله بن صالح عن
البرير فقال: هم يزعمون أنهم من ولد قيس بن عيلان وما جعل الله لقيس من
ولده اسمه بر.

وقال أبو المنذر: هم من ولد فاران بن عميق بن يلبع بن عابر بن شلخ بن
لوز بن سام بن نوح، والأكثر الأشهر أنهم من بقية قوم جالوت وكانت منازلهم
فلسطين، فلما قتل جالوت تفرقوا إلى المغرب، أو هم بطنان من حمير صنهاجة
وكتامة صاروا إلى البرير أيام فتح والدهم إفرقيش الملك بن قيس بن صييفي بن سبأ
الأصغر، كانوا معه لما قدم المغرب وبيني إفريقية، فلما رجع إلى بلاده تخلفوا عنه
عملًا له على تلك البلاد فتفقوا إلى الآن وتسائلوا، انتهى.

وما أذكره عبد الله بن صالح في نسب البرير هو الذي اقتصر عليه ابن أبي
زرع في أنيسة فيخصوص زناثة ومنهم بنو مرين، وبين في رفع نسبهم لقيس أن
جالوت من حملة أجدادهم، وعلى ذلك اقتصر أيضا ابن الخطيب في الحلول
الموشية لكن قال ابن خلدون: إدخال جالوت في نسب البرير خطأ وحق أن
جالوت من بنى فلسطين أحد شعوب حام وهم إخوة القطب والبرير والحبشة والنوبة
كما ذكرنا في نسب أبناء حام، وقد دثرت أمة فلسطين وكنعان وشعوبهم فيما
العهد ولم يبق إلا البرير، واختص اسم فلسطين بالوطن الذي كان لهم.

والتحقيق الذي لا ينبغي التحويل على غيره أن البرير من ولد كنان انظر
أوائل الجزء السابع من تاريخه فقط بسط فيه رد ما يخالف ذلك معتبرا على ما

92
حرره إماما الفن حافظا الأندلس أبو محمد ابن حزم وأبو عمر ابن عبد البر قاتلاً
فهم ولد كنعان بن حام بن نوح واسم أبيهم مازغ، أنهى.

وقد جزم الحافظ ابن حجر في الفتح بأن بني مرين من البربر.

وما يستلمح إيراده هنا في مناسية ذكر هذا الاسم أعني اسم أبيهم ما ساقه
في الاستقصاء من كتاب الجمان إذ قال: لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله
عنده واستفتحت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاص، قدم عليه ستة نفر من
البربر محلفين الرووس واللحي، فقال لهم عمرو ما أنت وما الذي جاء بكم؟
قالوا: نحن في الإسلام فناحنا له لأن جدوتنا قد أوصونا بذلك، فوجههم عمرو
إلى عمر رضي الله عنهما وكتب إليه بخبرهم، فلما قدموا عليه وهم لا يعرفون
لسان العرب كلهم الترجمان على لسان عمر، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن
بنو مازغ، فقال عمر جلسته: هل سمعتم قط بهولاء؟ فقال شيخ من قريش: يا
أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذريه بر بن قيس بن عيلان، خرج مخاضباً لأبيه
وإخواته فقالوا بربر أي أخذ البرية، فقال لهم عمر رضي الله عنه: ما علامكما في
بلادكم؟ قالوا: نكرم الخيل ونهين النساء، فقال لهم عمر: ألكم مدان؟ قالوا: لا،
قال: ألكم أعلام تهتدون بها؟ قالوا: لا، قال عمر: والله لقد كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فنظرت إلى قلعة الجيش وبيكت فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم: يا عمر لا تطزع فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدادون ولا
حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطريق، ثم قال عمر: فألح لله
الذي من علي برؤيته ثم أكرهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجووش
القادمة عليه، وكتب إلى عمرو بن العاص آن يحملهم على مقدمة المسلمين و كانوا
من أفخاذ شتي (1)، أنهى.

قلت: وهذه الحكاية غريبة جدًا فهي في عهدة صاحب الجمان، في أخبار
الزمان، وهو العلامة المؤرخ الأجل المشهور بالشطي.  

(1) الاستقصاء 130/1
وقد استفيد مما تقدم أن أكثر سكان المغرب من قبائل البربر، وعلى فلا ريب أنهم من ينسحب عليه ذيل القوم الذين وجدتهم ذو القرنين عند مغرب الشمس الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى في محكم ذكره لكل ما يعملون به من الخير وضعده كما قال جل فقرته: «فآتيك سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدتها تغرب في غياب حمئة ووجد عنها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعيد وإما أن تأخذ فيه حسنًا» (سورة الكهف آية 85، 86).

قال الشيخ زروق في القواعد: لكل بلد ما يغلب عليها من الحق والباطل، فإذا أردت أن تعرف صالح بلد أي أن تقف على الحقيقة فيما ينسب إليه من الخير والذين فانظر لباطل أهلها، أي الذي غلب على أهلها من الأوصاف المذمومة شرعاً هل هو بريء منه أو لا؟ فإن كان بريئاً منه فهو ذلك، أي فهو صالح كما يقال عنه، وإلا فإن كان غير سالم من تلك الأوصاف الرذيلة القبيحة في عين الشرع فلا عبرة به، أي لأن مشاركته لهم في باطلهم هي عنوان مساعدته لهؤلاء في ضلالهم، فلن يتميز حينئذ عليهم بصلاح حال ولا يزكي من الأفعال، فمن ين يكون صاحباً فيهم، وبحسب هذا فاعتر في أهل المغرب الأقصى من الأوصاف المحمودة شرعاً السخاء وحسن الخلق، أي لأن الباطل الغالب على أهله هو الشجاع والباطل الخلق، فإن وجدته أي فيمن ينسب لصلاح منهم فاعلم أنه كما يقولون، وإلا فدع أي لكونه من جملة أهل ذلك الباطل الذين تطلب أنت ضدهم، وفي أهل الأندلس كذلك، وفي أهل المشرق الغيرة لله وسلامة الصدر، لأن الباطل الذي غلب عليهم هو الأضطهاد والاحتفاد وعدم الغيرة الدينية إلى غير ذلك، وقد أشار رسول الله ﷺ لهذا المصلحة أي ما غلب على أهل البلاد من خير أو شر فذكر أوصاف البلاد وعوارضها كقوله في المشرق: الفتنة هنا، وكذا نجد، وفي الفرس: لو كان الإيمان عند النزهة لتناوله رجال من فارس، وفي أهل اليمن: إنهم ذرو أئمة. وفي أهل المدينة: إنهم خير الناس مع ما وصفهم الله به من قوله: يحبون من هاجر إليهم.
وقال عليه الصلاة والسلام: السكينة والوقار في أهل الغنم، والفخر والخيلاء
في أهل الخيل، والغلظة والجفاء في الفدادين، نبأ أذناب الإبل والبقر.

وقال عمر رضي الله عنه في إفريقية: بلاد مكر وخديعة.

وقال مولانا جلته قدرته لذي القرنين في أهل المغرب الأقصى: (إنا أن تُذَبَّبً
وإنا أن تتخذ فيهم حسناً) فنذل على استحقاقهم لكل ما يعملون به من خير أو شر
وأنهم لذلك أهل والله أعلم، انتهى. من القواعد بزيادة شرح وإيضاح.

ولا ريب أن البربر من أهل الغنم والخيل، وأنهم من تباب أذناب الإبل والبقر
كما هو مشاهد، وعليه فقد توفرت فيهم دواعي الخير والشر كما علم مما تقدم.

ثم إن أشار إليه الشيخ زرقون من حمل الآية على التخدير عليه اقتصر أكثر
المفسرين. ومنهم من حمل (إما) فيها على التنويع والتقسيم، ثم الذاهبون إلى
الأول اختلفوا في تصويره - وفي طريق تخريره - ففي أبي السعود إما أن تذبَّب
بالقتل من أول الأمر وإما أن تتخذ فيهم حسناً بالدعوة إلى الإسلام والإرشاد إلى
الشرائع. ثم قال خبر بين القتل والأسر والجواب من باب أسلوب الحكيم، لأن
الظهار التخدير بينهما وهم كقبر، ثم قال: ويتجزى بأن تكون (إما)، (وإما) للتنويع
دون التخدير أي وليكن شأناً إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لم يبقى على حالتهم
والأولين ل养成، انتهى.

وفي الخارج إما أن تعذب بقتل من لم يدخل في الإسلام، وإما أن تتخذ فيهم حسناً، يعني تصفح وتصفح، وقيل: تأسرهم فتعلموه الهداي خبره الله بين
الأمرين، انتهى.

وفي النسفي خبر بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم، وإما أن
تنذل فيهم حسناً بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا والتعذيب القتل، واتخذ
الحسنى الأسر، انتهى.
وفي النيسابوري: خيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يتخذ فيهم حسنة وهو تركهم أحياء فاختار الدعوة والاجتهاد، اتهى.
وفي روح البيان أنت مخبر في أمرهم بالدعاء إلى الإسلام، إما تعذيبك بالقتل أن أبا وإما إحسانك بالعفو والأسر، وسماها إحسانا في مقابلة القتل ويجور أن يكون إما وإما للتنوير إلى آخر ما سبق عن أبي السعود، اتهى.
وفي الياضاوي فخربه الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم إلى الإيام كما حكي بقوله قلت يا ذا القرنين إما أن تعذب - أي بالقتل على كفرهم، وإما أن تتخذ فيهم حسنة - بالإرشاد وتعليم الشرائع.
وقيل خربه الله بين القتل والأسر وسماها إحسانًا في مقابلة القتل ويؤيد الأول قوله: (إما من ظلم) إلى (نكر) أي فاختار الدعوة وقال أما من دعوه فظلم نفسه بالأسرار. ثم قال: ويجور أن تكون (إما)، (ومهما) للتقييم دون التخدير، اتهى.
وفي البحر، قوله: إما أن تعذب بالقتل على الكفر، وإما أن تتخذ فيهم حسنة بالحمل على الإيام والهدى إذا أكن كفرنا فتعذب وإما أن يؤمنوا فتحسن فعبر في التخدير بالسبب.
قال الطبري: إيجاد الخسأ هو أسرهم مع كفرهم، يعني أنه خربه مع كفرهم بين قتلهم وبين أسرهم وتفصيل ذي القرنين أما من ظلم... إلخ يدفع هذا القول، اتهى.
وفي ابن جبرير يقول: إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله، ويدعون ولذلك مم تدعوه إليه من طاعة ربي، وإما أن تتخذ فيهم حسنة، يقول: وإما أن تأسرهم فتعلهم الهدى ونصورهم الرشد، اتهي.
وفي الفخر: خير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب لهم إن أقاموا على كفرهم، وبين من واففع عنهم، وهذا التخدير على معنى الاجتهاد في أصل الأمرين، كما خير عليه السلام بين المن على المشركين وبين قتلهم.
وقال الآخرون هذا التعذيب هو القتل وأما اتخاذ الحسن فيهم فهو تركهم

أحياء.

قلت: والتخليص في الآية في أهل المغرب الأقصى على أحد القولين بين التعذيب والإحسان اللذين شرحتهما التفسير سابقاً هو بالنظر لحالهم الكفري وقتئذ
أما من صار منهم بعد مسلماً فليس إلا الإحسان في حقه باحترام نفسه وماله كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث الصحيح، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم
وموالاتهم إلا بحقها الحديث.

وأما ما يتبدأ من قول روزق سابقاً، فذل على استحاقتهم لكل ما يعاملون
به من خير أو شر وإنهم كذلك، إنه من كونهم يستحقون ذلك حتى في زمنه
الذي هم فيه على الإسلام ففيهم أن يكون محله ما يستحقونه بالذنب التي
يرتكبونها وقتئذ رلا فالإسلام عاصم للدم والمال قطعاً كما رأيت نص صاحب
الشرع عليه فلا تغتر بالظواهر المطروحة بتعظيمها وعدوم الوقوف معها، على أن الآية
إذا هي خبر عما قيل لدى القرنين في قوم معيينين فلا مساس لها بما فهمه الشيخ
وزوقة.

وقد أشار في «صح الأعشى» تبعاً لابن سعيد إلى ما أومأ إليه الشيخ روزق
من كون أهل المغرب الأقصى بعد كون الإسلام وصفهم فيهم أوصاف خيرة
تقتضي الإنسان وأوصاف شرية تقتضي عدهم بقوله: قد تقدم أن جموع هذه
المملكة في الإقليم الثالث أي في بعضه، قال ابن سعيد: الإقليم الثالث هو
صاحب سفك الدم والحلد والقتل والغل وما يتبغ ذلك قال وللمغرب الأقصى من
ذلك الخط الأوفر سبباً في جهة السوء وجبال درن، فإن قتل الإنسان عندهم
على كلمة وهم بالقتل يفاخرون، ثم قال: إن الغالب على أهل المغرب الأقصى
كثرة التنافس المفرط والحماقة وقلة التغاضي والتهور والمفتنة، أما البخل فإما هو

97
في أراذلهم بخلاف الأغيناء، فإن في كثير منهم السماحة المفرطة والفاخرة بإطعام الطعام والاعتناء، بالفاضل والمفضل (1).

قلت: وما وسم به أهل جبال درن هو الشائع عنهم لحد الآن، وخصوصًا عن جبارة رؤسائهم، وأما التهور والفانتازة فقد كان ذلك ديدنا شائعًا في نواحي المغرب الأقصى وخصوصًا عند أهالي البدو من بربر إلى أن أخذ بعد الإسلام للدخول تحت قوله تعالى: "إِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذُوْاْ مَعَ إِنْسَانٍ حَسْنًا"، ولكنهم قد اتسفوا مع ذلك بسمات حسنة التي منها السماحة المقدمة في كلام ابن سعيد وإن خالفيه ما تقدم عن رؤف، ويمكن الجمع بينهما بحمل كلام كل واحد منهم على جهة من المغرب الأقصى مخصوصة، وإن أطلق كل واحد منهم في العبارة، ولكن الجمع يتعين عند الإمكاني ومنها غير ذلك من الفضائل والفوائد التي امتاز بها المغرب على غيره وحفظها التاريخ، ويمثل ذلك تأهلاً بعد إسلامهم أيضًا للدخول تحت قوله تعالى: "إِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذُوْاْ مَعَ إِنْسَانٍ حَسْنًا"، فإن قلت مفتي التخدير استواء الطرفين مع أن المسلم إذا أتى أحد الأمور الداصلة تحت قول الحديث السابق إلا بحقها من كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل مصيره، فقد ارتئن في موجب حاد، وقد تقرر أن الحدود لا يسوغ شرعًا التنازل فيها، فأين التخدير حيتذا؟ قلت: التخدير الحقيقي الموافق لظاهرة الآية هو فيما عدا ما يوجب حدًا من حقوق الإسلام، وأما التخدير فيما يوجب حدًا فهو بالنظر إلى قتل النفس حقيقيًا أيضًا، لأن الوالي له العفو فهو مخير، وأما حد الكفر، فإنما يتعين إن لم يتب، وأما إن تاب وراجع الإسلام فلا وهذا أيضًا تخدير بالنظر إلى مرتكب ذلك بين الرجوع عما صدر منه فيخلي سبيله وبين الاستمرار عليه فيقام عليه الحد فهو تخدير في الجملة.

(1) صحيح الأعشى 178/5.

98
وقدما الزاني بعد إحصان، فإنه إن ثبت عليه ذلك بإقرار، له الرجوع عنه،
فهو في التفسير على وقتة الذي قبله يليه، وإن لم يكن تخاساً بالنسبة للحاكم
الذي هو مقتضى الآية، ثم إنك إذا أعطيت النظر فيما سبق حقه تجد سائر الأقطار
الإسلامية أهلها بهذا الصد فيهم الخير والشر والفاصل والمفصول، وإنما تمايزت
الأقطار والجهات بكون الخير أو الشر الذي في جهة غير ما يكثر منها في جهة
أخرى، وهذا هو الذي سبق مشروحاً في كلام زروق.

وبهذا البيان يلوح لك أن آية تخيير ذي القرنين في أهل المغرب حالة كفرهم
هي من أعظم مناقب المغرب وأهله، بحيث كانوا بوصف قاض عليهم بالتعذيب لا
غير، ومع ذلك نصت الآية على أن العدول عنه لانتخاذ الحسن فيهم هو أمر لا
تاباه قوابهم، ولا تقصر عن استحاقته عواملهم، فالشر الحالي وقتئذ وبعدئذ فيهم
عارض، والخير هو العرق الأصلي النابض، وكذلك كان ويكون فإنه لا يدلون
دلالة ثقة عارف ماهر على خير إلا وقصده، ولا يحملون حمل مجد راسخ على
صلاح حال إلا وتشبثوا به والفوه.

ولهذا جاء في بعض روایات حدث الطائفة التي لا تزال ظاهرة على الحق
أنها بالمغرب، وعصرت ذلك رواية لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى
تقوم الساع، واللفظ محمول على حقيقته حتى تدبر قرينة على أن المراد خلافه أو
يؤدي ظاهره إلى محايل، فعند ذلك يتعمى صرفه عن الظاهرة، على أن الحديث
شامل لأهل المغرب حتى على صرفه عن ظاهره في بعض تأويلاته.

هذا ولكون ياقوت الحموي شرقيًا ضدا للمغرب وأهله أساط في معجمه
حيث تكلم على البربر الذين هم معظم سكانه فأورد آثاراً في ذمهم لا توجد في
الأصول المعول عليها، ولا تكاد تصبح عند ذوي الانتظار السليمة لمضادتها للأصول
المقطع بها، ولم يكثر بما ورد في إثمن من كذب على النبي ﷺ، وكثر سواد ذلك

99
كلمات أضافها ابن حوقل التاجر تنبؤ عن سفره القائل والناقل، من حيث إن لكل ساقطة لا قطة ونطق الأراذل العوراء
من يعن بالمجدد لم ينطق بما سمه ولم يحد عن سبيل المجد والكرم والعين مكذب لتلك التقولات، ومنزه للملمورين بها عن سفسفائها، والناادر إن وجد لا حكم له، إذ لا يحسب الخلق السيئ على الأمة إلا إذا كان فائحا عند أفرادها مالوقعا عند جميعهم، يفعله فاعله منهم من غير أن يحذر نكره أو يخشى لومة لائم، لا يخالفه أحد منهم إلا مستترا، ويخاف المذمة إن ظهر بالمخالفة أمام الجمهور.
إذا كان الخلق السيئ يتصف به فرد أو جماعة يستترون به أو يعلونوه مع اشتماز الجموري منهم، كانت المذمة قاصرة على الفاعلين لا تدعوهم إلى الأمة بأسرها، وحينئذ يكون من الخطأ الفاحش ما ألقسه باقتر على بجانب الأمم البربرية ونبيتها على ذلك هنا لتلا يغتر به الجهل ومن في قلبه مرض ومن يقهريه أفراح من الفاشح ومن في بطون التواريخ حسبما مر بك فيما أسلفناه من التنبيه على ذلك في المقدمة فلا تغفل.
وقد وقع لصاحب الأندلسي وهو من أهل القرن الخامس في كتاب "طبقات الأمم" (1) أن البربر خصهم الله بالجهل والطغيان ومراذه جهل العلم الفلسفي الذي هو موضوع وسحله وأي البربر لم يستبتوا شيئا منه بعقوتهم قديما ولا يعرفهم بالمعرفة فيه.
واقول: العلم الفلسفي لم ينفرد البربر بالخلع عنه بل قد شاركهم في الخلو عنه قديما أمم كثيرة، منهم العرب الذين هم أشرف الأمم حسبما تظاهرت على

_____________________________________________________
(1) طبقات الأمم - ص18.
ذلك الأدلة، وخلو العرب من العلم الفلسفي هو بشاعة صاعد نفسه، إذ قال (1):
فهذا ما كان العرب من المعرفة، وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه، ولا
هيا طاعتهم للعناية به... إلخ.

وحيثذا فالفلسفة إن كانت شرقًا فالمصيرية إذا عمت هانت وإن لم تكن كذلك
وهو دليل خلو شرف الأمم عنها فقد طورهم الله منها، ولذلك لما فتح الصحابة
رضاون الله عليهم-بلاد فارس زمن ثاني الخلفاء الراشدين الفاروق رضى الله عنه
وجدوا الكثير من كتب الفلسفة بها، وكتب إلى أمير الجيش سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه يستشيره فيما يفعل بها؟ أجابة بقوله: أطروحوا في ماء يمدوها فإن
يكن فيها خير فقد أغتنى الله بأهدى منه، وإن يكن شرو كفانا الله إياها، انتهى.
فامتلؤا ما أشار به من إعدامها بغرق أو حرق نقله ابن خلدون وغيره.

وأما تفرقة صاعد بين العرب والبربر بأن العرب كانت عارية بفون لغتها
فهي مرودة بأن كل أمة ذات لغة كذلك، وشفوف لغة العرب تابع لشفوف أهلها
وتؤكد بورود الكتاب والسنة موافقين لها، فإن ذاك إما فزوع صاعد لإظهار تلك التفرقة
بين العرب وغيرها من الأمم الخالية عن الفلسفة قدديماً ليدفع الشناعة اللازمة بأن ما
ذم به البربر واقع في العرب أيضًا، فكأنه يقول العرب وإن خلت عن ذلك فلها
علم في الجملة وليس ذلك بدافع لها عنه، لأنه إما يمدد بما شرو بنفسه عنده وهو
الفلسفة لا بما شرو غيره، ولان البربر لما علموا من الشرع شفوف فنون لغة
العرب سارع علماؤهم إليها حتى حصلوا على ما أدركته العرب منها، وقبل الشرع
لم يتقرر شفوف لغة على أخرى، وكل الأمم كانت على علم من فنون لغتها، فلا
وجه حيث تلتلك التفرقة على أن وإن تستمر تلك التفرقة أولاً فقد وقع في الشناعة
التي فر منها ثانياً بقوله فلم يمنحهم الله... إلخ، فصار ما بذلك للفريقين
وكفاه بذلك قبحًا.

(1) طبقات الأمم - ص 31.
وأيضًا شرف الفلسفة إنما هو في الدنيا لا غير، وقد ذم الله تعالى علما هذه صفته بقوله: يعلمون ظاهرا عن الحياة الدنيا وهم عن الآخرة... إلخ. وكل شرف لا نتيجة له في المال. فهو في الحقية وجمال. وعلى أن أبن خلدون قد عقد في الفصل السادس من مقدمته ترجيحتين ثبتين بين كلامًا بطلان علمي الفلسفة والتنجيم، كما أومأ إلى المفسد التي دخلت على أهل الدين من الفلسفة، وحيث فالتشفيق الحقيقي، إنما هو من شره علما في الحال والمال، ولعلماء البرير من ذلك الحظ الوافر والحمد لله.

وناهيك مهم في القرن الثالث وأوائل الرابع بابي جعفر أحمد بن نصر بن زياد الريبري أحد العلماء الراسخين، ومن بني مه في حفظ المذهب المالكي يضرب المثل، وابن القوطي من أئمة العربية وهو من أهل القرن الرابع، وبابي الحسن الجزيري من أئمة علم الوثائق وهو من أهل القرن السادس، وابن هشام الدين القرافي من أئمة العقول والمتنقل وهو من أهل القرن السابع، وبابي محمد عبد الله بن أبي بكر الصديق يفتح الصاد من أئمة الحساب والفرائض وهو أيضاً من أهل القرن السابع، وبابي محمد صالح النافسي، وأبي محمد النافسي وهو من أئمة الفقه المضروب بهما، المثل في حفظه وإتقانه علما وعمله، وهنا أيضًا من أهل القرن السابع، ومثلهما في ذلك وفي الفراعين الحافظ السبانيّي الأردنيّ نسبة إلى أوربة - يفتح الهمزة والراء المهملة والباء الموحدة - بطن من البرانس كذا في سبائك الذهب. وهو من أهل القرن الثامن، وبابي الإمام أبي زيد وأبي موسى التلميذان من أئمة العقول والمتنقل، وهما من أهل النصف الأول من القرن الثامن، والإمامان العارفين سيد إبراهيم التازي، وسيد إبراهيم المحمدي، وهما من حار طرفان من القرن التاسع إلى غير هؤلاء من حفظ التاريخ شرفهم العلمي.

وقد حقق كونهم من البرير أهل الخبرة بالأقسام، العارفون بالقواعد في هذا
الباب، وأما من تأخر منهم واشتهرت معارفه في الآفاق كأبي علي اليوسي، وأبي هام بن عثمان بن أبي حربة، فهم كثيرون والحمد لله وقد عقد البكري في المسائل والعمال، وترجمة آتي فيها بناء من تدقيق البربر في السياسة وحسن التلفظ في استخراج الحقوق من غمصة والوصول إلى تحصيل المصالم بعد دره المفسد.

وبذلك كله يتبين لك أن القول الفصل في هذا البساط هو ما نبه عليه صاحب الاقتضاء، إذ قال: البربر من أعظم الأجيال وأعزها ولهم الفخر الذي لا يجهل، والذكر الذي لا يهم. وقد تعددت فيهم الملوك العظام. وكان لهم القدم الراسخ في الإسلام. واليد البيضاء في إبراء كلمة الله، ومنهم أئمة وعلماء وأولباء وشعراء وأهل المزاي والفضائل (1) انتهى.

وبعد أن كتبنا ما تقدم ووجدنا الباقعة أبا زيد ابن خلدون سبيق إلى تحرير ذلك فقال: قد ذكرنا من أمر البربر وأخباره ما يشهد بأنه عزيز على الأعوان، وأنهم قوم مرهوب جانهم، كثير جمعهم، مظاهرهم لامع العالم وأجياله من العرب والفرس واليونان والروم، وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلل الحميد وما جبلوا عليه من الخلق الكريم ومزقة الشرف والرفعة بين الأمم ومراة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار، وحماية النزيل، ورعي الوسائل، والوفاء بالقول والوعيد، والصبر على المكار، والثبات في الشدائد، وحسن الملكة والإفضاء عن الغير، والتجافي عن الانتقام، ورحمة المسكن، وبر الكبير، وتوقير أهل العلم، وحمل الكل وركب المعدوم، وقرى الضيف، والإعانة على النوائب، وعلو الحمة، وإبادة الظلم ومشقة الدول، ومقاومة الخطوب، وغلبة الملك، بيع النفس من الله في نصر دينه فلهم في ذلك أثار نقلها الخليفة، والسفل، وحسب ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها، أن قادتهم إلى

(1) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى 1/120.
مراعي العز وأرتب(1) بهم على شنايا الملك، حتى علّت على الأيدي أيديهم، ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم، وأما إقناعهم لرسوم الشريعة، وأخذهم بأخلاق اللة ونصرهم لدين الله، فقد نقل عنهم منه ما كان ملاكا لمعهم ومقدادا إلى سلطانهم، وقد كان للبرزين من ملوكهم كيوفس بن تاشفين، وعبد المؤمن ويعقوب المريني من الاهتمام بالعلم والجهاد وتثبيت المدارس، واختطاط الزوايا وسد الخسول وبذل النفوذ في ذات الله، وإنفاق الأموال في سبيل الخير، ومجالسة أهل العلم، وترعية مكانتهم، والوقوف عند حد إشاراتهم، والتعرض لشكو المتدفسين، وإنصاف الرايا من العامل والضرب على يد أهل الجوز ما شهد لهم بها آثارها الباقية بعدهم، وآما وقوع الخوارق فيهم، وظهور الكعائم في النوع الإنساني من أشخاصهم، فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوذ القدسية، والعلوم الوهبية، ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة كعبيد بن واسول جد بني مردار ملوك سجلماح، أدرك التابعين وأخذ عن عكومة، وكأبي زيد ملوك ابن كيديا(2) الفضري الخارجية على الشيعة سنة تثبتث عشراثة، وثلاثمائة، وكمتذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة المتوفي عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة، وكأبي محمد بن أبي زيد ابن إلآ عالم المغرب، وكبير علماء أنساب البرير سابق سليمان وغيرهم من علماء الفنون(3) هذا ملخص الغرض من كلام ابن خلدون وماهيك به في هذا الباب.

تبيين: ما سبب من روحك عن سيدنا عمر في إفريقية لا يعرف ما أورده غير واحد كالكيكيز في المسالك والصالح، وابن الدباغ في معالم الإيمان، من الأحاديث في فضل إفريقية، لأن تلك الأحاديث لم تصح.

(1) في تاريخ ابن خلدون الذي ينقل عنه الصنف (آروقت).
(2) في المطبوع: كيدياء، والثابت عن ابن خلدون.
(3) الخبر بطولاه لدى ابن خلدون في تاريخه 736/106 - 106.
قال ابن ناجي في ذيل "معالم الإيان" بعد ايرادها سمعت شيخنا أبا القاسم البرزلي يقول عن شيخه رضي الله عنه "ابن عبد الله ابن عزة يغلب على الظن أنها موضوعة.

فصل: وحيث أنتينا بشرح ما يتعلق بنهم سمعت بلدتنا هذه مكحسة

فلنرجع لつまり ذلك بذكر من اضاف إليهم في حلولها وقت تخطيطها فنقول:

قال في الروضة: ووزيرته يذكر أن أصل أهلها روم (1)، انتهى. قلت: ووزيرته - بفتح الواو وسكون الراء وكسر الزاي وسكون الياء وفتح الفين المعجمة بعدها هاء تأنيث.

والروم بالضم ويقال لهم بنو الأصغر جيل معروف يجمع فرقة شتى، وافترقوا في نسبهم، فقيل: هم من ولد الروم بن عيص بن اسحاق عليه السلام سموا باسم جدهم، وقيل: سموا روما، لأنهم كانوا سبعة رآموها ففتح دمشق ففتحوها وقتلوا أهلها، وكان مكانها سكرا - بفتحات - للعازر بن مروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام والعسكرة الفهلة ثم جعلوا يتقدون حتى انتهوا إلى أنطاكية، ثم جاءت بنو العيص فأجلوهم عما افتحوا وسكنوه حتى انتهوا إلى القسطنطينية ففسموا الروم بما رآموها من فتح هذه الكور، وقيل في وجه تسميتهم غير هذا.

وقد حكي المسوسي في "موجه" أقول ترجع كلها إلى أنهم من ذريته عيص، لكن قال ابن خلدون قد أنكر ذلك المحققون، والصحيح نسبهم إلى يافث.

وقد خطأ ابن حزم قول من نسبهم ليتصوрак: وإنما وقع هذا الغلط لأن موضوع بني عيص الذي يقال له يسعون يسمى الروم فقلنا أن الروم من ذلك الموضوع وليس كذلك، لأن الروم إذا نسبوا إلى رومي (2) فاني رومية (3)، انتهى.

1) الروض البوت - ص 54.
2) في المطبع: "رماش" والمثبت لدى ابن حزم الذي يقل عنه المصنف.
3) جمهرة أنساب العرب - ص 511.

105
قال ابن خلدون: ثم المحققون ينسبون الروم جميعًا إلى يونان الإغريقين منهم واللطيينيون يونان معدود في التوراة من ولد يافث لصلبه، انتهاء. واقترض في روح البيان على أن الروم الأول من ولد يافث والأخير من ولد عيسى بن إسحاق... إلخ. قلت: وهذا الذي اقتصر عليه قد نسبه السهيلي قبله لغير واحد فقال في روضته: وليس كل الروم من ولد بني الأصغر فإن الروم الأولى فيما زعموا هم من ولد يونان بن يافث بن نوح والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحبتها، انتهى. فإن صح هذا القول الفصل أمكن الجمع به بين ما نقله ابن خلدون وما نقله غيره ولم يحج إلى تخصيص ما نقله غير ابن خلدون على كثيرهم.

قال ابن خلدون وأما الإفريج فنسبهم هروشيوش (1) مؤرخ الروم إلى غزروما ابن عومر بن يافث. وقال ابن سعد فيما نقل عن البهقي وغيره: أن يونان هو ابن علجان بن يافث ولذلك يقال لهم العلوج، ويشاركون في هذا النسب سائر أهل الشمال من غير الترك، فالإغريقيون من ولد إغريق بن يونان، والروم من ولد رومي بن يونان، واللطيينيون من ولد لطين بن يونان، فالشعوب الثلاثة من ولد (2) يونان.

قال: وأعظم من أخذ بدين النصرانية الإفريج، وقاعدة بلاهم فرثة و يقولون فرثة بالسين، وملكهم الفرنسيس وهو لواء فرثة أعظم ملوك الفرنجة ومن الفرنجة البندقة والجلالة، انتهى كلام ابن خلدون ملخصًا. وحاصل ما نقله عن ابن سعید أن اليونان يجمع الروم بفرقهم والإفريج يفرقهم لان الإفريج من جملة أهل الشمال.

وقد حكي المسعودي في مروجه الانفتاق على أن الإفريج من ولد يافث بن (٢) تاريخ ابن خلدون ٢/١٨٤.

١٠٦
نوح إلا أنه لم يعين الواسطة التي يدلون بها إليه وقد سبق بيان واسطتهم في نقل ابن خلدون عن مؤرخ الروم وعن ابن سعيد، وذلك مصرف بأن الروم غير الفرنسج الذين من جملتهم الفرنسج.

لكن يشكل على ذلك ظاهر قول الحافظ ابن حجر في فتح البارية: أنبائي غير واحد عن القاضي نور الدين ابن الصائغ الدمقي، قال حديثي سيف الدين فليج المنصوري، قال أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك المغرب بهدية فارسية ملك المغرب إلى ملك الإفرنج في شفاعة قبلها وعرض علي الإقامة عنده فامتنعت، وقال لي لاحتفنك بحلفة سنية، فأخرج لي صندوقًا مصنعاً بذهب فأخرج منه مقلمة ذهب فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير فقال: هذا كتاب نيكم إلى جدي قيصر مما زلتا نتوارثه... إلخ.

ونحوه في عمدة القاضي للعيني من غير ذكر سنده فانظر قوله ملك الإفرنج مع قوله هذا كتاب نيكم إلى جدي... إلخ، فإنه ظاهر في كون هذا الملك من جنس رعيته الفرنج وخصوصاً الفرنسج منهم لما تقدم عن ابن خلدون من أن فرنسا أعظم ملوك الإفرنج، انتهى.

فتكون الإفرنجة وخصوصاً فرنسا منهم من الروم، إذ لا خلاف أن قيصر الذي قال فيه ملك فرنجة في هذه القضية - إنه جده - من عظماء الروم.

وعلى هذا فما وقع في كتاب سيدنا الجد الأكبر الموالي إسماعيل لسلطان فرنسا في حيته وهو لويس الرابع عشر من قوله: أنت من سلالة عظمى الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا... إلخ. وكذا ما وقع له في كتابه لسلطان إنكلترا حيث غاضبه قومه وفر إلى سلطان الفرنسيس من قوله له فيه كما خطاب أي النبي قيصر ملك الروم جد هذا الملك الذي بات إليه، أنت مقيم لديه... إلخ.

كلاهما صحيح.
وفي ذلك كله حجة لما كلف قرره بعض محققي مشابيخنا في درسه على البخاري من أن هرقل الذي كتب له هو جد للدولة الحامية، انتهى.

والحاصل أن الاعتماد على هذا أولى من الاعتماد على ما نقله ابن خلدون في نسب الإفرنج عن مؤرخ الروم، وبعض ذلك ما جزم به الشيخ فريد وجري في دائرة معارفه، من أن فرسنا أصلها من اللاتينين، انتهى. واللاتينيون هم اللاتينيون وقد سبقو أنهم من الروم، وبعضهم أيضًا قول ابن أبي زرع في أنيسه أن ملك الفرنسيس الروم نزل على تونس ليلة خمس وعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وستمئة فال: وكانت الروم في أربعين ألف فارس ومائة ألف رام ومائة ألف راجل، انتهى.

فانت تراه جعل ملك الفرنسيس روميا وجعل جنده وقوقمه روما، وإن كان ابن خلدون أشار للجابر عن مثل هذا بقوله وما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح إفريقية فمن باب التغلب، لأن العرب بومته لم يكونوا يعرفون الفرنسيس وما قاتلوا في الشام إلا الروم فظلوا وأنهم هم الغالبون على أمم النصرانية، فإن هرقل هو ملك النصرانية كلهما فغلبوا اسم الروم على جميع النصرانية وتقلته الأخبار عن العرب كما هي، فسج جبر المقتول عند الفتح من الفرنسيس وليس من الروم، وكذا الإمة الذين كانوا بإفريقية غاليين على البربر ونارلين بدهن وحصونها. إنما كانوا من الإفرنجية، انتهى.

ولا يتأذى جوابه هذا فيما ذكره ابن أبي زرع لأنه ليس نقلا عن العرب وقد قبل في الاستقصاء ما اعتمدته ابن خلدون فالله أعلم.

قال في الروض: قيل موضوعة شرقاً من نهر فلول وفيهما مسافة، وفي ولوجية حارتان قربتان منها: بنو مروان وبنو غفجوم، وبنو مروان أقرب إليها، وماها من وادي ويسلن من أودية مكناسة وبها عيون(1)، انتهى. من خطه.

(1) الروض الجاهلي - ص 54.

ومن حوارات وريغة الشهيرة في الوقت الحاضر السلاوي وبو عشرين ولا يوجد بها في هذا الزمن من الامام غير العين المعروفة بين الكبير ومعين غراسات حواراتها تتقي من وادي ويسن المار الذكر، ويسن هذا هو على طريق المار من العاصمة المكانية لفاس على سبعة كيلو مترات من العاصمة وفاء هذا الوادي لا يدخل منه للمدينة شيء.

قال في "الروض" وكانت وريغة مخصصة بالانام يسكن أهلها الخيمات بالجنات فلا يلحق أحدهم خوف ولا يتوقعه إلا من جهة الأسد خاصة(1)، اه. من خطه.

قلت: ولم يبق لهذا العهد أثر للأسد بها ولو بنواحيها القريبة، نعم يوجد بقنبلة حروان المجاور للمدينة بالملح المعروف بأشـكـاس - ففتح الهمزة والشين وتشديد الميم المشبعة وسكون السين المهملة - كما يوجد أيضًا بالملح المسما لديهم بُوعشوش - بضم الإباء الوحدة وسكون الواو والعين المهملة وضم الشين المعجمة مشبعة وسكون الشين المعجمة أيضًا - في الغابة ثم على بضع آلاف من الأمطار من المدينة، وسياقي نص بعض مؤرخي الأوربايين ويين على كثره وجوده قرب قصر فرعون أيضًا، وحيثئ فلا السكان لم يزعم منهم عدم وجوده، ويجزم بأنه لم يلق له اليوم ولا قبله بكثير أثر بهذه الديار المغربية ولا بنواحيها، ويعمل ذلك بضعف

(1) الروض: الهنون - ص 55.
حرارة القطر في هذه الأعصار الأخيرة على ما كانت عليه في الأعصار الغابرة، وبأنه
لَو بقي له أثر لوجد جلده وتدول بين مجاوري ساحة استقراره وغير ذلك من
العلل الراهبة.

هذا والأسد ويقال له الليث والضرغم في أسام كثيرة هو من أعظم
الحيوانات المفترسة يصطاد عادة بالليل وهو في إفريقيا أكثر وأكبر جسمًا منه في آسيا
ولا يوجد في أمريكا ولا في الجهة التي تخل فيها الأسلحة النارية.
وكان حدوث هذه الأسلحة بهذه النواحي هو الذي أبعد منها للمحل الذي
ذكرنا.

قال في "حياة الحيوان": قالوا ولاسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى
الماء ما ليس لغيره من السباع، ومن شرف نفسه أنه لا يأكل من فريسة غيره فإذا
شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها وإذا جاع ساءت أخلاقه، وإذا امتلأ من الطعام
ارتاح ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب، وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

وأترا حبها من غير بغض
ف رفعت يدي ونفسي تشتهيه
(1) إذا كان الكلاب ولحن فيه

وتجيب الأسود ورود ماء
انتهى.

وقد تعقب الفاضل الشيخ محمد فريد وجدي كلام صاحب حياة الحيوان بما
لفظه: نقول يستبعد العقل امتاع الأسد عن ماء ولغ فيه كلب، لأولاً لأن الأسد
والكلب لا يجتمعان على ماء واحد حتى يرى أحدهما الآخر، وليس للأسد من
خصائصه تطلعه على الغريب فتدهله على أن كلباً ولغ في هذا الماء أو ذلك، ويظهر لنا
أن السبب في هذا القول هو ذلك الشعر، فإن الشاعر لما ذكر ترفع نفسه شبه نفسه
ومعشره بالأسود ونظائرهم بالكلاب، وقرر أن الأسود لا ترد ماء ورد فيه الكلاب,
(1) حياة الحيوان الكبرى للدميرى ٢/١
فجاء الباحث عن طباع الحيوانات فنقل ذلك نقلاً وجعله من صفات الأسود الحقيقية وهو خيال، انتهى.

وأقول إن ذلك الانتقاد، الذي لا سنده عند ذلك الفاضل المتدقق سوى ما تخيله من الاستبعاد. لا مسالك له في سبيل السداد. أما أولاً: فإن المتقدم لم يرد على الميل للنفي من غير جزم والناقل لذلك قد أثبته جاراماً به فله بذلك مزيد علم، فكان إثباته مقدماً لا محالة على ميل المتقدم للنفي.

وأما ثانياً فقوله: وليس للأسد من خصيصة... إلخ هو أيضًا نفي يجرد التوهم والتخيل، فإن الأسد ذكر أهل هذا الفن له خصائص جمة، منها أنه لا يتعرض للمرأة الحائض مع أن الحيض هو أمر باطني في المرأة، وعدم تعرضه للمتصفة به لا يكون إلا بخصوصة توجب للأسد إدراك ذلك كتميز المنصفة به برائحة أو نحوها. وإذا جوزنا هذا بالنسبة للأسد في حق الحائض لزم أن نحوز ذلك في حقه أيضًا في غيرها كالماء الذي ولع كلف، على أن مثل هذا موجود حتى في الكلب الذي هو الغالبة في الحساسة، فقد جاء فيه أنه لا يلقي في دم مسلم كما في الشفنا. ومن البديهي أن تفرقة الكلب بين دم المسلم وغيره لا بد لها من خصيصة تؤدي الكلب إليها، وإذا جاز اتصاف الكلب بِمثل هذه الخصيصة فإن يجوز في أعظم السباب الآخرين.

وأما ثالثاً: فإن من جملة ما وجه به أهل العلم عدم دخول ملائكة الرحمة لبيت فيه كله قبح رائحته، انتهى.

ولا منع أن توجد بقية هذه الرائحة الشديدة القبح في الماء الذي ورد

ولله فيه، وكنى فيها ديلًا للأسد الذي يعاظه على كونه ورد ذلك الماء قبله حتى يتجنيه.
وأما رابعًا: فقد قال في "حياة الحيوان"(1) في الكلب من افتقاء الآخر وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات، انتهى.

أي ولذلك ترى كلب الصيد لا يزال يتسم ويقتفي الآخر حتى يخرج الصيد دلالة عليه بأنفاسه ويناخروه كما في "عجائب المخلوقات"(2).

ولا شك أن الأسد هو أعظم الكلاب كما دلت عليه قصة دعائه على عتبة بن أبي لهب بقوله: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فكانت الإجابة بتسليم أسد على المدعو عليه فاقتصر رأسه.

وأما خامسًا: فقول المنتقد في ظاهر لنا أن السبب في هذا السقول هو ذلك الشعر... إلخ، يردود ما قدمناه عنهم في الخائض وعهد ولوغ الكلب في دم مسلم، فإنما ما رأيناه ذكروا شعرا في ذلك يدعى استنادهم إليه، مع أن الخاصية المطلقة على ذلك الغيب ثابتة فيما كما شرحناه، وإذا ثبت للأسد والكلب فيما ذكر فلا المنع من ثبوت مثلهما لهما أو لأحدهما في غير ذلك، وبهذا كله يتبن لك أن استبعد ذلك الفاضل المنتقد ممنوع، وأن دعوى أن مثبت ما استبعده، إنما استند لذلك الشعر مدعوعة، على أننا لو فرضنا أن المستند هو ذلك الشعر لا غير لم يجز تكذيب الشاعر فيه ولا صرف كلامه فيه عن ظاهره إلا ببرهان، لا يبرهان التخمين العاري عن الجهة والبيان، ولما ساغ ذلك لكان كلام الفاضل المنتقد بذلك أولى والله تعالى أعلم.

وتسمى البربر الأسد إرم- بكسر الهمزة وفتح الزاي وسكون الميم - ومن طبعه أنه لا يؤدي الإنسان في حال تمام ميزة وإدراكه غالبًا، والغالب على الإنسان فقد الشعر وقام الذهول عند رؤية الأسد.

(1) حياة الحيوان للدميري 279/279.

(2) عجائب المخلوقات - ص 336.
وكمما يوجد السبع بالمحلين المذكورين بجروان، يوجد النمر والفهد بهما أيضاً وكلاهما ضرير من السباع. الأول يشبه الأسد غير أنه أصغر منه وأثقل أخلاقاً وأشجع قلباً منطقت جلده بنقش سود يقال له بلسان البربر أغلياس - بفتح الهمزة والغين المعجمة وتسكن اللام بعدها مثناً تحتية - وهو لا يعدو على الإنسان غالباً، وإنما يفتك بالمواشي ولا يتخذ محلا للأسنان غير رؤوس الشجر.

والثاني ضيق الخلق شديد الغضب طويل النوم يضرب بكتلة نومه المثل فيقال أئمن من فهد، ويصمي بالبربرية ووغل - براوين أولاً، وما فتحها وثانيهما ساكنة بعدها غين معجمة مفتوحة - ولا يؤدي من الإنسان إلا من هجم عليه بحمله، ويعدو بكترة على ما سواه، ويوجد الكل بكثرته بقليلي زيان وبيني مجديل النازلين وراء قبيلة جروان.

فصل: قال في "الروض" قول: ولم يكن لهذه الحوائط قدما مدينة مسورة وكان وأيها يسكي قصرادرك القدماء خرابا يعرف بقصر ترعين، ولعل جمهوره معقودة، وهو على ربوة من الأرض شرقاً من بني زياد، وغرباً من وادي فلطل وجوهاً من المدينة الآن. فلما ظهر أمر الموحدين أحدث المرابطون على الودى المذكور غرباً منه حصناً سموه تاجرత بالجيم المعقودة وكذلك بقي اسمه، وتفسير هذا النغمة المحلة أو المجتمع بلسان البربر هكذا قيل (1)، انتهى. من حظه.

قلت: أما ترعين - فتية مضمومة بلسان بعدة راء مضمومة زواي ساكنة فجيم مكشوره فياء ساكنة فتون - وكان هذا القصر هو الخصن الذي عنا صاحب معجم البلدان فيما قدمناه عنه من قوله بينهما حصن، انتهى. كما تقدم.

والأبيات الظهراء ما وصفه ابن غازي هنا كما فيما سابق على أن ما حكاه ابن غازي هنا من أن مكناسة القديمة وهي التي عبر عنها بالحوائط لم تكن فيها مدينة مسورة، دليل على أن مدينة وليقي ليست داخلة عنده في مسمى مكناسة.

(1) الروض الهنون - ص 59.  

113
القديمة وقد مر ببط ذلك، وأما تاجرات - فتباء مفتوحة بعدها ألف نقيم فراء
فألن فراء فتاء ساكنة - وما وصف به قصر تززين ينطبق تمام الانتطباع على
ناحية برج العريقة الشهير الكائن بحارة بني موسى قرب الجنان المنسب للعرفة
المشار لها أيضًا بال محل.
فطلب أن القصر كان هنالك فخرب وأحدث بعد البرج المذكور زمن سيدنا
الجذ الأولي إسماعيل قدس تس، وإن كان عدم تعيين ابن غازي لقصر تززين
بكونه من ورقة أو بجوارته لها وعدله إلى التجوهر بغيرها كما تراه بعد ما
قلناه كما بعدهه أيضًا ما يأتي قريبًا في سوق الغبار من كونها إزاى قصر تززين
اللل، والله أعلم.
وتفسير تاجرات بالملحة في لسان البرير به جزم ابن خلدون في تاجرات
التي حوز تلمسان فعمل ابن غازي إليه آثار بقليل، وكذلك جزم بذلك الزبياني في
رحلته وهو من علماء البرير، وإن كنت قد سألت غير واحد من البرير عن تفسير
تاجرات بالمملكة ف nghèo وجزم بعدم وجوده في لسانهم، وأنهم وإنما يقولون المحلة
وبعضهم يقول تمثلت بزيادة مثناة فوضية قبل اليم.
كما أنني بحثت عن لفظ أسلوب الآتي قريبًا وإطلاقه على مفرد الأخرى
المتخذة من الدوم فجزم بعدم وجود هذا اللفظ عنهم.
ثم قال في "الرضوان": وهذا الحصن هو المدينة الموجودة لهذا العهد، فلما
أخذوا في بنائها اجتهدوا فيه وأعجلهم الأمر حتى احتاجوا على ما يحبك إلى
إقامة شقة من سوره بالإصرارة المتزينة من الدوم لادخار الأطعمة، ويسمي واحدها
블سان البرير أسلوب، وملتوها ترابًا، وقاتلوا دونها حتى أكملوا البناء بعد ذلك(1).
وفي القطر الغربي من أراضي سورها برج مبني بالحجر والجبار بناء محكما
يسمى برج ليلة، سموه بذلك، لأنه بني من ليلته فيما زعموا، ونقل الوالي بدر بن

(1) الراضي النتون - ص 59 - 60.

144
وجوّطرًا بالجيم المعقودة إلى المدينة المذكورة وجوه الناس واغنياءهم ولم يترك من الأقوات شيئا إلا نقل إلى إلها، وترك جمهور الناس في مواضعهم.

فأول غارة شنها الموحّدون على تلك الأرض سوق الغبار يوم أحد، وذلك أن لما وضعت هذه الموضوعات على الصفة المذكورة من التفرق كانت لهم سوق غبار إزاره قصر تزريح المتقدم الذكر، وهو الذي يسعى بالسوار القديم - بالرراء - أو بالسوق القديم - بالقاف- كما يجري على ألسنة الناس اليوم.

ومسجد الخصين الذي ذكر وصومنته لم يزالا قائمين لهذا العهد، وكان أهل القصر وأهل الحوامر يجتمعون إلى تلك السوق كل يوم أحد، ويبنُوا هم يوم أحد قد اجتمعوا وكملوا بالسوق المذكورة وهي بآسر مرتاحة إذا أشرفوا على خيل مقبلة إليهم في ذي المرابطين اللهم والعفادات القرمزية واللاحياي التاسفين والسيف المحلاة والعمائم ذات السボードات، فلا رأي القارئ هذا الذي، قالوا: تقوية السلطان جاءنا وسارعوا للقائها فرحين بهم وهبطوا عن آخرهم، فلما خرجوا عن منع القصر والسوق حسر الغربان اللهم، ونادوا أباه يا المهدى! وكان ذلك شعراهم وأجلاء السيوف عليهم، ولم ينح منهم فيما ذكروا أحد وكانوا آلافا - رحمهم الله.

وأما زال الناس لهذا العهد يتحدثون أن المقابر التي عند باب مسجد السوق القديم هي مقابر شهداء، فعلهمهم هم والله تعالى أعلم.

وكان الموحدون حينذاك يسمون الناس المحسنين ويقاتلونهم قتال كفر وكان الناس يشونهم الخوارج ، ولم تزل الغارات تسنى عليهم فيقتل الرجال وتبسي النساء والذرية وتسحب الأموال، والتفريق يتوالى والكابيد تذبل والخيل تدار حتى ضاق ذرع الناس بكثرة الوقائع عليهم.

ومن الأخبار التي كانت مشهورة عند أهل الوطن أنه كان بأحواله تاورا شجرة

(1) الروض الهبون - ص 31.
(2) الروض الهبون - ص 31.
(3) الخوارج: أي المخالين للهادي.
(4) الروض الهبون - ص 31.
كبيرة من النشام الأسود المسمى بالتغصانق بالشام الصاديين زاين، وربما يكتب البغداديون التغصانق - بقاف وсадين - فبينما الناس قد ابتسموا لتدبير أشغالهم ومعايضتهم إذ فاجئهم الخيل وأحاطتهم بهم فلما أبوا إلى تلك النشمة وظنوا أن النجاة فيها، فتعلق بها منهم خلق كثير، وضمن المحدود الخطب لتلك الشجرة وأضربوا النيران حولها، فسقط كل من كان فيها واحتموا عن آخرهم، واحترقت النشمة بقيت منها بقية مدة من الزمان، وكانت عند أهل الأوطان من جملة مواعظ تلك الفتنة(1)، انتهى. من خطه.

قلت: وما يرجع للخبر الأخير ما رأيته في كتاب "أخبار المهدي ابن تومرت" لعصرية مؤرخ دولته أبي بكر الصنناري المدعو البيدق صحفه 15: أنه لما خرج المعصمون من فاس نزل ببغيلة عند يوسف بن محمد وعبد الرحمن بن جعفر ثم منها نحو مكانة، فلما أشرفوا على الكدية البيضاء نظر إلى الكدية فإذا بها مملوءة رجالا ونساء تحت شجرة لوز، قال فدخل المعصمون فيه ميمنة ويسرة وبدناهم يبيتا وشملنا، ثم سار إلى السوق القديم ونزلنا به بمسجد أبي تيمير عند الحسن بن عشرة، انتهى. فلینظر مع ما لا أبى غارٍ.

أما المحدودون فهم دولة بني عبد المؤمن من كومة القائمين بملكة المغرب بعد دولة المرابطين، سماهم بذلك أول قائم بدعوتهم، وهو المهدي بن تومرت لزعمه أن كل من لا يجري على مقتضى العقيدة التي جمعها هو بلسان البربر المبنية على اعتماد طريق الخلف من تأويل المشانبة ومنافرة طريق السلف من إقرار نصوص المشانبة كما جاءت، فهو كافر محسب، وأنا الوحيد منحصر في أصحابه الذين تعلموا عقيدته، وبهذا السبب أباح لأصحابه قتل من عداول قتل كفر، وسُوُّج لهم سباياهم وغنائمهم وسهل على نفسه وعلى أصحابه بذلك سفك دم المسلمين من غير توقف، وارتكب بذلك داهية أعمى.

(1) الروض الهبون - ص 11-22.

116
وقد كان المرابطون الذين اغتصبهم هو وأتباعه ملكهم على طريق السلف في اعتقادهم، وكانوا من مرناء الدين والمكان المكين، ومن دون العدل ما أكسبهم مزيد التمكن، إلا أنهم كانوا على سجاية بدأوا لم تفارقهم.

ومن رشقاتها أن الإمام أبا حامد الغزالي لما صنف في أيامه كتابه "إحياء علوم الدين" ووصلت نسخة إلى الأندلس إلى المغرب الأقصى فرأها علماؤه على طرف جديد لم يعرف، أنتجت مهارة أبي حامد في العلوم التي من جملتها علوم الفلسفة، أنكرها وثبتوا إياها في قلوب أمرائهم المرابطين حتى اتفقوا معهم على التقاط نسخة وجمعها وإحرائها، ونفذ الأمر بذلك بقرطبة من الأندلس، فوصل خبر ذلك إلى الإمام أبا حامد وكان ابن تومرت وقتلت يتعلم عنده في مدرسته ببغداد فهبط فرفع أبو حامد يده إلى السماء ودعا بتمزيق ملك المرابطين كما مزقوه، فعمل ابن تومرت أن دعوة أبي حامد في ذلك دعوة مظلمة، لا ترد فقال له: يا إمام، إدع الله أن يجعل ذلك على يدي، سأل ذلك منه مرتين فأجابه الغزالي في الثانية بقوله: اخرج يا شيطان فسيجعل الله ذلك على يدك فخرج قاصداً لذلك في زي ناسك متنصف ينشر العلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلى أن تم له بذلك الناموس الأصر مع ما سبق في علم الله الأول من قضاء ابن تومرت أول أمراء الموحدين على دولة المرابطين، مع ما وصفنا من مرناء الدينهم وزيد عدلهم، وكان أبهم كانت أيام خصب وفتح بقطع شاقة ملكهم، ومن تزوير الموحدين في سفك دماء المسلمين بدون توقف هذه الوجعة التي حكاها ابن غازي التي أوقعها على غدر وغفلة بعمر السوق القديم من أهل مكناسة الزيتون، فإن قال قائل إن ما جزتم به من حضور ابن تومرت حين دعاء الغزالي على المرابطين بتمزيق الملك يخلوه توقف صاحب الاستقصاً في ذلك حيث عبر بقوله يقول إنه كان حاضراً... إلخ، قالنا: إن صاحب الاستقصاً حيث عدم في الجزم المناط. تحرى
في النقل واحترام، وذلك شأن الفضلاء أهل الصدق والأمانة في هذا البساط، لاسيما وهو إذا كتب ما حنشه ابن خلدون بقوله: ولقي أبا حامد فيما زعموا إنا، وأما الانتقاد على الجازم بالتوتر كذا فعل السائل فهو محض غلط إذ المهج المعروف والمنهج المعروف المألوف، هو أن من حفظ حجة على من لم يحفظ لا العكس.


قال: فتغيير وجه الشيخ أبي حامد ومد يده إلى الدعاء والطلبة يؤمنون، فقال: اللهم مازم ملكهم كما مزاهم، وأذهب دولتهم كما حزقوها، فقام محمد بن تومرت السويسي اللقب بعد المهدى عند قيامه على المرابطين فقال له: أيا الإمام ادع الله أن يجعل ذلك علي يدي فتغافل عنه أبو حامد فلما كان بعد جمعة إذا شيخ آخر مثل شكل الأول فقال له أبو حامد فأخبره بكل الخبر المقدم فتغيير وجهه ودها مثل دعاءه الأول فقال المهدي علي يدي فقال: اخرج يا شيطان سيعجل الله ذلك على يدك فقبل دعاءه وخرج ابن تومرت من هناك إلى المغرب برسم تحرير الفتن، وقد علم أن دعوة ذلك الشيخ لا ترد فكان من أمره ما كان، انهى.
وفي كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب". ما مضمته: وحكي أنه
ذكر للغزالي ما فعل بكتبه، وابن تومرت حاضر ذلك المجلس فقال الغزالي حين
بلغه ذلك: ليذهبين عن قليل ملكه - يعني فاعل ذلك بكتبه - ولْيفتنا ولده وما
احسب المتولي لذلك إلا حاضرا مجلسنا! وكان ابن تومرت يحدث نفسه إذ ذلك
بالقيام فقوي طمعه، وكر راجعا من بغداد إلى ما قادر له(1)، انتهى.

وكان تاريخ هذا الإحرام سنة سبع وخمسينات ده.

وفي هذه الصورة جلبه عنه الشيخ الرهونى في الشهادات من حواشي
الزرقاني له مسلمًا، وإن كانت النسخة المقلة عنها من المعيار وقع فيها إسقاط
بعض ما هو ثابت في نقل الرهوني الذي اعتمدناه، وكذا نقل هذه القصة على
الوجه المذكور ابن الخطيب في "الحقل المرشية" إلا أنه أسقط منها قبول الغزالي:
خرج يا شيطان.... إلخ.

وقد كانت بيعة المهدي بخصوص جبل عن منتصف رمضان عام خمسة عشر
وخمسينات، ومن ذلك الحين ظهر أمره وصارت رحوف أتباعه تهاجم كل من
انقضت عن بيعته، ومنهم أهل مكاسة كما نه عليه ابن غازى فيما تقدم، نعم بناء
حسن تجاروا محل المدينة الآن كان سنة خمس وأربعين وخمسينات كما جزم به
ابن أبي زرع، وفيه كان تخريب مكتاسة القديمة، وفيه فتح الموجودين مكاسة بعد
حصارهم إياها سبع سنين فازرد، كذا عند أبي زرع لكن الذي صرح ابن غازى أن
المدة أربع سنين وأشهر، وذلك في إمارة عبد المؤمن بن علي.

قلت: هذا كلامهم في هذا المحل ولي فيه إشكال، وهو أن حصار سبع
سنين أو أربع إن كان علي مكتاسة القديمة التي أفصح ابن غازى بأنها كانت حوائر
غير مدنية ولا مسورة. فحصار ما كان بهذه الصفة من عدم التحصين لا يستدعي

(1) المعجب في تلخيص أخبار المغرب - ص245 - 246.
تطويل المنازلة إلى هذه السنين، لا سيما والحراير في محل ليس بمنبع، إذ لا تحول دون منزله عقبة كثيرة ولا جبل عال شديد، كيف وقد قتل منازلوهم منهم في أول غارة شنوها عليهم آلافا متعددة في ساعة واحدة كما سابق عن ابن غازي، رد على ذلك ما ذكره واصفه هذا الحصار من أن الموحدين خنقوا علي مكانة في حصارهم إياها خنادق متعددة، ولا خفاء أن عيش أهل مكانة علي كثرتهم طويل تلك المدة مع هذا الحصار الموصوف بعد أن ذلك الطول يهلك الزرع، والظهر، والضرع، وسائر ضروريات العيش.

ومن المعلوم أن الثروة التي تحمل صاحبها من الهلاك مع الطول إنما توجد في كل زمان عند بعض الأفراد لا عند عموم الناس ولا عند جمهورهم، ثم لو فرضنا أن أولئك الأفراد شركوا العموم في منافع ثروتهم، فإن ذلك مع انقطاع الماده يشل على قريب بالجميع إلى الانفلاس، فأن يتأتي والحالة هذه الخلاص لمقاومة ذلك الطول: وإن كان الحصار على المدينة الجديدة المخصصة وهي تاجرته كما يصرح بذلك كلام ابن غازي الآتي، فقد سبق عن ابن أبي زرع أنها فتحت في العام الذي بنت فيه، فأين كانت حينئذ مدة حصار سنة كاملة فضلاً عما زاد عليها؟ ثم كلام ابن غازي في هذا المحل خال عن الترتيب، بعيد عن التحريض والتهديد، فإنه ذكر أول بناء تاجرته وأن القتال وقع قبل إكتمال سورها، وهذا يقتضي أنها بنت كلا أو بعضها وقت الحصار، ثم ذكر قضية السوق القديم بعدها وهي دالة علي أن أهل مكانة وقتسوا ولم يكونوا على أية قتال ولا استعداد لحرب، وهذا لا يأتي إلا قبل الحصار، وهو خلاف ما ذكر عليه ما سبق من كلامه وكذا هذا التنافر واقع بين ما ذكره في قضية النشمة وما قدمه في بناء تاجرته ولو قدم حكاية السوق القديمة والنشمة على حكاية تاجرته لسلم من هذا التنافع كلامه فتام ذلك كله.
وأما برج ليلة الذي ذكره ابن غازي فقد اندثر ولم يبق له الآن رسم ولا طل، وقد قيد بعضهم علي كلام ابن غازي هنا ما صرته هدم هذا البرج سنة خمس وتسعين أو أربع وتسعين وزيد موضعه في المدينة حين هدم جميع سورها وزيد بما وراء غربا في المدينة، وبقي موضع هذا البرج إلى سنة إحدى وعشرين، وبني في موضع الوزير أبو زكريا يحيي المعروف بالمرثيّي سقياً نفيّة ومسجدًا فوق صاباط علي مرم بين الباب الجديد وباب البراذعيين وصومعة، وأوقف عليه أحباساً كثيرة كما هي عادته تقبل الله منه.

وسميت هذه الزيادة التي وراء السور جناح الأمان، وكان يعرف هذا السور عند من أدركنا ببرج الأنفاس، انتهى.

قلت: أفادني بعض أجلاء فضلاء العصر من له معرفة بخطوط الأئمة أن خط ذلك التقبيح والنسخة المقيد علي هواوظها هو خط الفقيه الصالح الرحال أبي علي الحسن صديق الشيخ السيد صالح الشرقاوي العمري وناسخه، وعليه فلا ريب أن هذئ البرج المذكور كان في دولة سيدنا الجد المولى إسماعيل لأنه هو الذي هدم سور المدينة، وراد ما وراء غربا في المدينة فيكون المراد بستة خمس في عبارة التقبيح المذكور سنة خمس وتسعين بعد الألف.

والمسجد الذي بناه زكريا لا زال إلى الآن قائم العين والاسم فوق السباط المذكور وعرف بمسجد سيدي يحيى، وقد كان فيما سلف أشرف على الانثار، وفي هذه الأزمة الحاضرة جدد كما جددت سقايتها بعد ما تناولتها أيدي الانثار أزمة طوالاً، بعد أن كان تعرّف وصول الماء إليها، إلا أنها ليست الآن علي ما وصفت به من النفاسة، ومن هذا السباط إلى ناحية الباب الجديد يسمى الآن سوق زعبل - بفتح الزاي الموجمة وسكون العين المهللة - بعدها باء موحدة فوار ساكنة فلام - وسبيقة مصغر:سوق، ومن هذا المحل إلى مسجد باب البراذعيين.
كله يسمى بجناح الأمان وجناح الأمان هو الذي على يسار المار من باب الجديد إلى مسجد البرفاعيين.

وأما ما على اليمين فإنما أكسب تلك التسمية بالمجاورة، وأما الصومعة التي ذكر فلم يبق لها لهذا العهد اسم ولا وسم، وأما يذ كتبت نافذة الدال وسكون الراء فهو لفظ بربري، معناه بالعربية: يعيش، ووجوهه لفظ بربري أيضا معناه بالعربية الشجاع، والمعنى يعيش ابن الشجاع.

وأما سوق الغبار الذي وصفه فلا يعرف له اليوم اسم ولا وسم، نعم ما وصفه ابن غازي به يكاد ينطبق على المحل المعروف بذراع اللوز الكائن خارج باب البرفاعيين أحد أبواب العاصمة rencontية الآن شمال المحور هناك ببرج العريقة ينتجه للغروب، وهو مشروط على حارة تاورا شمالا وعلى حارة بني موسى غربا، ويفترق عليه المحل المعروف بباب جمال، يفتح الجيم، وتشهد اليم - أشجار من اللوز والزيتون، وقرب برج العريقة المذكور أثر بناء قديم يعرف الآن بالفندق.

وأما قبور الشهداء المشار إليها فهي التي على يمين المار من باب المذكور لضريح الولي الشهير مولانا عبد الله بن حمد، وعلى يسار الموجه منها لباب تزحي أحد أبواب العاصمة أيضا الباطن في الطريق المعروف بقصبة الأوعاد تضيف قصبة، والمقابر المذكورة تحيط بها أطلال سور قديم وليس تفر صومعة، أما المسجد فلا زال أثره قائم الأطلال متناسق بالأزبال والقذرات، موقعه على يمين الخارج من باب البرفاعيين، قريبة من قبور الشهداء، وكان به أثر سقاية وفنوات، وربما لا زالت تحت الأزبال إلى الآن، ويطلق الآن اسم السوق القديم على محل بزرعون موقعه بالوضع المعروف بباب الرملية بين الزاوية الإدارية ومداشر موساوية وحمراوة، والأمغاصيين، إلا أن ما وصف به ابن غازي السوق القديم لا يتعلق على هذا المحل.
فصل: قال في «الروض»: وكانت في المدينة بدواء ثم تمدنت واحتسبت حضارة، وزيد بعد [عام] السماحة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة، وجلب إليها الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء، عجيبة القدر بوضع يقال له تاجماً، وأجري الماء إلى الباب [الشرقي] الجوفي من أبواب الجامع وسمي باب الحفاة، وكان متصلًا بالباب الذي يسمى لهذا المعهد باب الزرائعين، ونيت قريبًا من هذا الجامع دار للوضوء حفيلة على مثال دار الوضوء بفاس، وهذا كله في أيام الموحدين (1).

وقال إن الإمام أبا زكريا الوطاسي لما دخلها في القرن التاسع جدد بعض رسمها الدارسة وأنشأ بجامعها المجلس المسمى بالمسدي لكون القراء يعتمدون فيه القرآن العزيز في كل أسبوع، وأمر بتحويل باب الحفاة إلى قرب دار الوضوء الكبرى التي تقدم ذكرها، ورأى أن ذلك أسبب من الباب الجويفي الذي كان قبل ذلك للحفاة كما تقدم، فلم تعر الصناع في الباب الموالي لدار الوضوء المذكورة لينبأه بمجرى للماء وجدوا ذلك هنالك مثبتًا بناء مستقناً، ولم يكن عند أحد به علم، ولا بقي من سفيدي المدينة من عنده من ذلك خبر، فقضى الناس العجب من فطنة الأمير المذكور رحمه الله تعالى (2).

قال: ويقال بلغت عمرتها إلى أن كان بها أربع مساجد قال الأستاذ ابن جابر: وحول كل مسجد سقاية فالله أعلم من خله.

قلت: أما أبو زكريا الوطاسي فإن تعبير ابن غازى عنه بالإمام مشعر بأنه كان سلطانًا ولم يحفظ التاريخ ذلك فيما علمينا، وأبو زكريا يحبي بن زبان الوطاسي المرنيني الفاسي كان في القرن التاسع كما قال، ولكنه إذا كان وزيراً لعبد الحق المرنيني وكان عادلاً، توفي قبلًا مدرا ستة وثمانية وخمسين، وثمانية، أورد ذكره تقي الدين ابن فهد في حظ الاحاظي بدليل طبقة الحفاظ (3).

(1) الرؤوس اللهون - ص 74 وما بين حاصرتين منه.
(2) الرؤوس اللهون - ص 95.
(3) حظ الاحاظ - ص 343.2

123
وذلك ولي الوزارة لمن ذكر ولده أبو زكريا يحيى بن يحيى المذكر، ولكن
هذا لم يكن له من أفعال الخير ما يذكر، بل كانت وزارة شرا على الأم وعلي
عائلته بالخصوص حتى إن وزارته لم تدم إلا سبعين يومًا وأعقبها ذبحه وذبح
جمهور عائلته، وذلك سنة ثلاث وستين وثمانين.

وهناك أبو زكريا وطاسي ثالث، وهو أبو زكريا يحيى بن أبي عبد الله
الطاسي المدعو البرتقالي، وهو آخر السلطان أحمد الوطاسي إلا أنه إذا كان أميرا
من قبل أخيه على القصر، توفي فيه أسر السعدهيين سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة
فهو متأخر عن التاريخ الذي ذكره ابن غازي.

وفي هذا الكلام السابق تبينه على ما كان للمتقدمين من الاعتناء بالمشروعات،
فانظر إلى الحد الذي بلغه اعتناء أهل الدين بحال تعدهم وكلما يضاف إليها ما
يتوقف عليه التعد، وناهيك بما قد بلغ من الاعتناء بحماية أعين تاجها المتقدمة الذكر
من وقوع التحريض على إصلاح مجامعه حتى لا يقع منع من وصوله للمسجد
الأعظم فمن ذلك دار بحومة القرسطون، إحدى حمائل العاصمة، حسبها على
ذلك امرأة مكتسبة بتاريخ أوائل جمادي الأول عام خمسة وعشرين ومائتين ولف،
وذلك في دولة السلطان مولانا إسماعيل، أما نفس الدين فقد رأيت التصريح بأن
إجراء مائها للمسجد المذكر كان في دولة الموحدين.

وكلام صاحب الروض في باب الخفافجاولا وثانيا صريح في أنه هو الذي
أجري إليه الماء أيام الموحدين بعد استماتته، وهو الواقع جوفي المسجد، ولا شك
أن هذا الباب الجوفي هو المعروف بذلك الاسم الآن، وهو المقابل لعينة المحراب
المقابلة لمحرابه على ما في ذلك المحراب من تمام الانحراف عن القبلة.
وعليه فالتحويل الذي فعله الوطاسي لم يستمر، بل رجع بعد ذلك اسم
باب الخفافجا إلى مسمايوم أيام الموحدين، واستمر على ذلك إلى الآن وإن خلا عن

124
المناسبة المعهودة في مثله من أبواب حفاة المسجد، وهي إعطاء ذلك الاسم للباب القريب من باب ديار وضوئها.

وكان موجب ذلك سهولة وصول الماء من صحن المسجد إلى الباب الجوفي لقربه منه وإتصال الصحن به، بخلاف الباب القديم فإن وصول الماء منه إلى ملزم بطرف من محجر المسجد والمرور المذكور ملزم لتعاهده بالإصلاح عند موجه، والتعاهد المذكور من لازمه تعذر التبعيد في ذلك الطرف من المسجد في أزمنته المتكررة عادة، وإن شئت قلت دائما نظرا لإدمان وجود بل أقدام الحفاة فيما حاذي الباب المذكور للمسجد الموجب لتفعين حصر المحل بذلك واتقاء التعبيد له، وقد تقرر أن دره المفسد مقدم على جلب المصالح، وبه إنتهت لك وجه تكرر النسخ في القديم واستمرار العمل على نسخه، مع وجود مناسبة وجه التسمية فيه دون الناسخ، على أن هذه المناسبة وإن فقدت في النااسخ فقد خلفتها في مناسبة أخرى وهي موافقتها للمعهود في غالب أبواب حفاة المساجد الكبير من كونها جوفية، كباب الحفاة في القرويين والأندلس بفاس، فإنها نافذة في الصحن وبهذا كله اتضاح الحال، وانزاحت كل شبهة عن المجال.

وقول ابن غازي وكان متصلا... إله، اسم كان فيه لا يرجع لهذا الباب الذي أجري إليه الإماة أيام الموحدين، وإنما يرجع للمسمى باب الحفاة قبل ذلك، وهو القيدم الذي وجدت آثار كونه باب الحفاة حين أمر الوطاسي بالتحويل إليه كما بينه بعد، أي كان باب الحفاة قبل ذلك متصلا... إله. فاهتدي إليه الوطاسي وجود وجه التسمية فيه بعد ذهاب العلم بكونه كان هناك عن جميع أهل البلد من طول العهد بالتحويل.

ووهذا تسجيل من ابن غازي على أهل بلدته بأن إهمال التاريخ بليلة قديمة فيهم وفيه إحياء إلى إقامة العذر لنفسه حيث اقتضوا على ذلك النزول في روضه هذا.
وهو البحر علما، فيكون تقصير غيره معفوا بالأحرى كما أومانا لشيء من ذلك في ديبابة هذا الكتاب.

وبما تقدم بأن لك التمثال كلم ابن غازي ومناسبة أوائله لأولئك ومتبقيه للواقع الخارجي في كون باب الزراعتين المعروفة بذلك في عهده وكذلك في عهدها. هذا، كان متصلا بباب الخفاة القديم الذي اهتف إليه الوطاسي.

وزيدة الخبر أن باب خفاة هذا المسجد الجامع كان أولا هو المقابل لباب دار الوضوء وهو المتصل بباب الزراعتين، ثم صار في أيام الموحدين هو الباب الجوفي الذي يدعي بذلك الآن، ثم رده الوطاسي إلى مسماه القديم، ثم رجع بعده في زمن غير معروف لدينا إلى الباب الجوفي، واستمر العمل على ذلك إلى الآن.

والماء الجاري لهذا الباب هو من الصهريج الصغير الواقع في صحن المسجد بقرب من الخصة هاتك، ويعبر هذا الصهريج اليوم عند العامة بالكسيك بالتصغير، وماء هذا الصهريج يمر وسط المسجد في ساقية مزدوجة غير مقوية إلى أن يصل إلى باب الخفاة، والنهج الذي به هذا الباب يعرف في ماضي الأعصر بالشاوين، وفي حاضرها بقبة العطارين.

وأما مسمى باب الزراعتين فهو الباب الصغير المتصل بباب الخفاة القديم الشرقي المعلق هو أي الباب المذكور لدخول المؤذنين ليلا للمسجد ولا أذكر الآن وجه إضافته للزراعتين.

وباب الكنيف المشار له قد حول منذ عصر خوال وصار في محله، وكان للبيع والاستتباع وأحدث له بباب بتتغف الأصلي القديم، ولا زال قووس ذلك الباب ظاهرا للعين في أعلى الدكان المذكور محدثا، كما أنه لا زال أثر قنوات باب الخفاة القديم ومحل أساسي فرض مائة الملؤي المضاف الكبير المار بالشارع

126
العمومي إلى الآن، وقد كان باب الزراعتين الماء الجاري كمابهوره المتصل به، ويربى عن يمين داخله أمام درب الفرساطن - بفتح اللفائف والراء وسكن السين المهمة وضم الطاقة ببعدها وأو ساكنة فنون - تنير كبير أي مسلب يملئ من الماء الجاري في البابين المذكورين، وفي أعلى التنور ثقب نافذ لراح mànلك المسجد الأعظم يتناول منه الماء القيم بوظائف التوقيف والمؤذنون بحبل ودلو صوت لحراقة المسجد وأخذًا بالأحواط فيما عشي أن يحدث لهم من الحدث الذي لا يبيح دخول المسجد، ولا زالت تلك الآثار المقدسة إلى حد الآن.

ومن ذكره هذا المستودع الموجودة به إلى الحين الحالي الأسطرلاب (1) البديع الشكل المتنقذ الصنع مرقوم فيه بخط كوفي ما صورته: الحمد لله حبس هذا الأسطرلاب الباشا محمد بن الأشقر على منار الجامع الأعظم من محرومة مكناسة، انتهى.

وفي القلم الشرقي: هذا حبس خديم المقام العالي الملؤي الإسماعيلي الباشا محمد الأشقر على منار الجامع الأعظم من محرومة مكناسة بتاريخ شقيق، انتهى.

وفي دائرته صنعه محمد بن أحمد البطوطي لطف الله به في سنة شقيق.

انتهى.

قالت: والتاريخ المشترى له بحروف لفظة شقيق (بشير معجمة فقاف فناء.

ومنة تحت نحاء مملة) هو عام ثمانية عشر وثمانية وألف.

وجملة أبواب المسجد المذكور الآن أحد عشر بابا الثلاثة السالفات الذكر وباب الحجر سمي بذلك لأحجار ثلاث مسروقات كانت مغروسة بين بابي المسجد والمدرسة المعروفة الآن بالفيليالية وفيما سلف بمدرسة القاضي ومدرسة الشهود، يمر على تلك الأحجار المتوضئ بالمدرسة المذكورة إذا رام الدخول.

(1) الأسطرلاب: جهار استعمله المتقدمون في تعين ارتفاعات الأجرام السماوية. ومعرفة الوقت والجهات الأصلية.
للمسجد وكان لهذه الأحجار قيمًا على تنظيفها كل حين، وله على ذلك جرية شهرية من الحبس المعين لذلك.

ولم تزل تلك الأحجار قائمة والقيم على تنظيفها بالمرصاد طبق ما وصف إلى أن رصفت الدولة الخاصة ذلك النهج كله بالحجر المنجور في الحين الحالي فأزيلت تلك الأحجار وانتقعت الجريمة وأبطل العمل.

وباب الخضر وهو لا يفتح إلا يوم الجمعة ولا إدي ما وجه هذه التسمية ولا العلة في كونه لا يفتح إلا في يوم المذكور.

وباب تربيعية الذهب سمي بذلك لكونه في مقابلة تربيعية القيسارية المعدة الأزمة المائية لبيع الحلي والجواهر الشمينة النفيسة، وكانت محكمة القاضي متصلة بهذا الباب في تلك الأعصار، وهي الآن دكان يبيع بها أنواع المنتج، وهذه الأبواب الخمسة كلها في شرق المسجد بالنهج المتسمى في الماضي بسماط الشهود وفي الخاضر بزاقق سباي السبع - بسكون الباب.

وباب الخضرين ويجابه متصلا به بوب صغير يدخل منه النساء لصلاة الجمعة والمؤذنون ليلا مثل باب الزراعين، وهذه البابان كما المقابلان لباب مدرسة الخضرين، وكان بين باب الخضرين هذا وباب المدرسة قباليه حضارات بالأرض على نحو ما كان في باب مدرسة الشهود وباب المسجد قباليه، وباب سماط الشهود الآن، ويقابل هذا الباب المكتب الذي كان محكمة القضاة فيما سلف، ولم يزل مجدداً لذلك إلى زمان تولية شيخ بعض شيوخنا العلامة المتضلع النقاد حامل لواء العقول والمقول في زمانه مسدي أحمد بن سودة المري خطه القضاء بالعاصمة، وهذا المكتب لا زال إلى الآن قائم العين وسط سماط العدو المذكور، وقد كان هذا السماط فيما سلف وثيق مجددًا لبيع الخضر، ثم رفع سماطًا لباعة الحرير يعرف بالحرارين، ثم رفع سماطًا للعدول ولا زال كذلك إلى الحين الحالي.
وباب الكتب وإنما اكتسب هذه الإضافة لقرية من المكتبة العلمية، وهو الذي جعل بداخله شيخ الشيخ القاضي ابن سودة المذكور المحكمة الشرعية بعد أن أهمل الكتب المعد لذلك لدى من تقدمه، ثم اقتنى أثره في اتخاذها لذلك نوبه ومن توالي بعده.

ولم تزل معدة لذلك إلى أن عينت الدولة الحامية المحكمة الشرعية أولا بدار اللب الشهيرة المعقبة على مؤذني الليل بالمسجد دون مؤذني النهار وقفت على رسم تشبيها ولفظه: الحمد لله حضر لذي شهديه الناجر الأروة الخير الذين الأرضي الأكبر السيد الحاج مسعود ابن المرحوم بفضل الله تعالى السيد الحاج محمد اللب الأندلسي، وأشهدهما على نفسه أنه متي حديث به حادث الموت الذي لا بد منه ولا محبود لكل مخلوق حي عنه، فجميع داره الكائنة قبلة المسجد الأعظم من الحضرة العلياء بالله مكتاها المفتوح بها للمر الكبير الطالع للحجام الجديد المجاورة له ولزينة المطراري ولدار حزور التي هي الآن على ملك ولد عمه الأرضي المجدد المرتضى الخير الذين السيد الحاج محمد بن إبراهيم اللب النسب تكون حبسا على جميع بنات صلبه، مع زوجه مستفتها الحاجج عافية، من تأيت منهن واحتاجت للسكنى تسكن برأسها فقط من غير زوج ولا أولاد، فإن انقرض عن آخره رجعت الدار المذكورة حبسا على أولاد السيد الحاج محمد بن إبراهيم اللب المذكور ذكرا وإناثاا، للأنشي شطر ما للذكر في منفعة السكنى وتسكن برأسها من غير أولاد ولا رجع، ثم أولاد الذكور منهم ذكرا منهن وإناثاا، ثم عقب الذكور على نحو ما ذكر ووصف طبقة بعد طبقة ما تنازلوا واستدعت فروعهم، ولا يسكن الأبناء مع الآباء ولا من هو أحق بترف من الأعلى إلا من استحق السكنى لحاجة وفاقة، فيسكن مع من قبله إن حملتهم الدار، وإلا بأن كشرها فيخرج الغني للفقر، ولو كان سابقا عنه، ولا يسكن من الإناث إلا من تأيت واحتاجت للسكنى تسكن برأسها فقط كما ذكر، وجمع من ذكر من المحسون عليهم أولا وآخرا يسكن الدار

129
 بنفسه، ولا يكفي لأحد وإن اتسع واحتاج لم يسكن معه فيسكن من احتاج
للسكنى من الطبقة التي بعدها أو التي بعدها، ولا يكفي أحد لأحد فإن اقتضوا
عن آخرهم وبقاء الله وردها رجعت الدار حبسا على مؤذني الليل بنوار المسجد
الذكور يشاركون في ذلك على حد السواء، ولا يدخل معهم مؤذنو العشائرين في
ذلك حبسا مؤبدا ورفقا مخلدا، إلى أن يبرت الله الأرض ومن عليها وهو خير
الوارثين، ومن بلد أو غير فالله حسبه وسئله وولي الانتقام منه، وسليم الذين
ظلموا أي منقلب ينقلبون، إشهادا صحيحا طوعيا قصد به وجه الله العظيم والدار
الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عمل ولا يخيب لرائه وقصوده أملًا,
شهد عليه بذلك عارفا قدره وهو بحال كماله وعرفه وفي أوائل جمادي الثانية عام
خمسة وثلاثين ومائة وآلف، انتهى.
عينت المحكمة الشرعية الدولة الحالية ثانيا من دور الحبس كان يسكنها في
غاء الأعمار مزار المؤذنين المكلف بالتوقف والآلته بالمسجد الأعظم، وآخر من
سكنها من أولئك المكلفين السيد الجيلاني الرحالي وإن لم يعط وسم مزار وبها
توفي، كما سكنها قبله قاضي مكانس أبو محمد العباسي بن كيران مدة، وكان
بابها داخل باب الجنائز الخارجي أحد أبواب المسجد المذكور المقابل - هو أي باب
- لمسجد الحجاج على يسار الداخلي منه للمسجد، تتفتح دفة الباب على بابها رحم
الله آبائنا المتوفين، ما أشد اعتنائنا واحترامهم لأمول الذين، اختاروا لسكنى الوقت
الذي عليه المدار في معرفة أوقات الصلاوات التي هي من الدين بمنزلة الرأس من
الجسد هذه الدار التي كادت أن تكون من نفس المسجد تيسيرا على وفقه به وجمعا
له بين مصلحتي المحافظة على القيم بحق الرب المعبود وحق الأهل.
ولا عينت هذه الدار محكمة أغلقت بابها الأصلي المشتر وأحدث لها باب
بالشوارع العمومي المار وسط سماط العدو بين باب الكتب المذكور في جملة
أ أبواب المسجد وباب الجنائز.

١٣٠
وهذه الأبواب الخمسة كلها في الجهة الغربية من المسجد الجامع وفي هذا المسجد العظيم المقدار ثمانية ثلاثة من الصف (1) مكتوب بال دائرة الأولى من كبرها: أعز بالله من السراء والشقاء وأعطى الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربك واخشو... إلخ السورة، وفي دائرة الثانية بدأ الاستعذة والبسمة والصلاة عليه يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا... إلخ السورة، وفي دائرة النافذة صنعت هذه الثرى بمدينة فاس حرسها الله جامع مكناسة شرفه الله بذكره، وكان الفرار من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة عام أربعة وستمائة.

وفي مئة وثلاثة وأربعون قوس، ومن الأساطين مائة أسطوانة (2) وأربعة وثلاثة أسطوانة وهذا العدد غير شامل للأساطين المقصات بالجدار.

فائدة: أول من أحدث الأساطين للظلالة وهي مجانب مسقفة تظل الناس وتكتنهم من الشمس والملاء الملك بن مروان وذيل عام ثمانيين، انتهى.

وفي المسجد من الصفوف المصطفة المسارفة الأكثافة، البالغة في محاصل الأوصاف، تسعة الصف الأول منها عديم النظر في اتساع العرض، إذ عرضه ستة أمتار وأربعة وثمانون سنتيمتراً (3)، وهذا القدر لمن أو ما يحاكيه في عرض صفوف غيره من المساجد، نعم عرض الصف الأول من جامع المنصور بمراكش يزيد عليه بواحي وأربعين سنتيمتراً إذ عرضه سبعاً أمتار وخمسة وعشرون سنتيمتراً، وطوله خمسة وسبعون متر، أما عرض صفوف جامع يعني يدمشق الشام يفوق الجميع.

إذ عرض كل بلاط من البلاطات الثلاث نحو النسخة أمتار.

وطول مسجدنا المكاني من جدار المحراب إلى العزبة تسعة وثلاثون متراً وعشرون سنتيمتراً، وعرضه من الجدار الشرقي إلى الجدار الغربي أربعة وأربعين متراً

(1) الصف: النحاس الأصفر.
(2) الأسطوانة: العمد والسارية.
(3) أي سنتيمتر.
وخمسة وتسعون ستينما، وطول صحنها واحد وعشرون مترًا وأربعة عشر ستينما، وعرضه سبعة عشر مترًا وواحدا وأربعون ستينما، وعرض الجناح الأيمن خمسة عشر مترًا وأثمان وعشرون ستينما، وعرض الجناح الآيسر أحد عشر مترًا وأربعة عشر ستينما، وعرض كل ربع من أرباع مساره خمسة أمتار وخمسون ستينما، وسعة كل جدار منها متر واحد وسبعون ستينما، وعدد درجها مائة درجة، وثلاث عشرة درجة علو كل درجة عشرون ستينما.

قال في الروض: وكانت الصاعقة نزلت أيامهم يعني - بنى مرين - على صومعة جامعها أي مكناسة الأعظم والناس في صلاة العصر فقتلتها نحو سبعة رجال وهدت بعض أركان الصومعة ودخلت في تخوم الأرض بباب بإزار الصومعة يعرف اليوم بباب الزراعتين، فاتندا لبناها الشيخ الإسلام الفقيه أبو عمران موسى بن معلى المعروف بالعبدروسي، واستنجد أن يسار منهم فجمعوا من المال ما أصالحو به ما اتلم من الصومعة المذكورة فيما حدثني به والدي والشيخ المعلم أبو زيدي عبد الرحمن النحاس موقت الجامع المذكور ومزار (1) مؤذنيهما، انتهى من خظه (2).

قلت: الصاعقة نار تسقط من السماء لها رعد شديد. قال في روح البيان:
ولا دخان لها وتشواد في السحاب، وهي أقوى نيران هذا العالم فقد تغوص في البحر، وترفرق الحيثان داخله، وعن ابن عباس رفعه: إن الملك الذي يسوق السحاب إذ أشتد غضبه طارت من فيه نار وهي الصاعقة. وعند الحكماء أنها أثر اصطكاك كهربايتين إحداهما صاعدة والأخرى نازلة.

وغند النسيابوري في تفسير قوله تعالى (مثلكم كمثل الذي استوقف نارا). إن القوى الفلكية إذا وقعت على العناصر بإذن الله فحركتها وخلالها حصل من اختلاطها موجودات شتي من سحاب وعطارد وظل وثلج وبرد.

(1) مزارع: هذه النسخة اتفتت بها بلاد المغرب، وصاحبها بمثابة صاحب الحسبة في قبته.
(2) الروض العيون - ص 93.
وريح ورعد وصواعق، وبعد أن بين كيفية تولد ذلك قال: فهذا القدر من الحقائق
في هذا المقام لا ضير في معرفتها، بعد أن يعتقد أنهما إسهابهما إلى مدير كل
سبيحاته، إنهما. وله بهذا على رده ما شرحه الحكمة الفلسفية في هذه الحقائق
إلى الأصل الأصيل الدين من أنه لا فاعل إلا الله سبيحاته، وأن ذلك لا ينافي
إجراءات الموجودات على ما تقتضيه الحكمة من قرن الأمور بأسبابها العادية.
وقد أشار مثل ذلك الرازي أيضا عند قوله تعالى: هو الذي يريكم البرق
خوفا وطمعا... إن، فإن أنكر ذلك عليه أبو حيان قائلا: هذا الرجل غرضه
جريان ما تتحله الفلسفة على مناهج الشرعية وذلك لا يكون أبدا، إنه.
وبهثه هذا مع الرازي غير وحيد، لأنه لم يقصد تنزيل كلام الحكامة من
حيث كونه رأيا لهم على مناهج الشرع، وهم لا يرون ذلك، ولا يقولون بالفاعل
المختار وينسبون الأفعال للطبيعة، بل قصدته ربط المسابات بأسبابةها، وأما ما قمته
عن النيسابوري فهو بيان لكيفية ربط هذه المسابات بأسبابةها العادية التي اقتضتها
الحكمة الإلهية وأثنت قبل شيء صنعا من غير تصريح على نسبة ذلك لرأي
الحكامة، بل مع改正 بناه، وهو كونه فعلا ومن أثار قدرته وبديع حكمته.
وحتى فبحث أبي حيان مع الرازي لا يعد على النيسابوري وعلى ذلك والله
أعلم حمل الشيخ زكريا والحافظ السيوطي صنعي البيضاوي في تخريجه أي التنزيل
في هذه الحقائق على مثل الكيفية التي شرحها النيسابوري، ولذلك أرى كلامه في
حواسيبهما على تفسيره، ويه يجاب عن تعبير الإبريز بقوله: على ناصر الدين
البيضاوي دكر في تفسير قوله تعالى: وينزل من السماء من جبال فيها برود بطريقة
الفلسفة، والعجب من سكت الحافظ السيوطي في الحاشية على ذلك وكذا الشيخ
الإسلام زكريا في حاشيته عليه، إنه. فليتأمل.
قيل والصاعقة تسقط عادة على أرفع شيء وخوصوصا البارز كجبال دون
الأرض السهلة والخارة، وقد يؤدي ذلك نزولها هنا على خصوص الصومعة المنقولة
133
لكن قال في الأبرز: القول بأن الصاعقة لا تنزل في الأرض السهيلة المستوية الحارة غير صحيح، فإننا شاهدناها تنزل في سلجماسة وهي أرض مستوية سهلة حارة صحراء، ولا أحصى كم شاهدناها تنزل فيها.

وقد ذكر السيد في شرح المواقف أن صبيا كان في صحرا فاصاب رجليه صاعقة فسقط ساقاه ولم يخرج منه دم، وقد ذكر المسروق نزولها في الصحرا عند قوله تعالى: ويرسل الصاعقة فيصيب بها من يشاء، انتهى. وتجمعة أبي عمران العبدوسى تأتي بعد.

وطول محراب مسجد هذه الصومعة متران اثنان وثمانون سنتيمترا وعرضه متر واحد وسبعون سنتيمترا.

وفي الجهة الغربية منه المكتبة العلمية الجامعية لمحاسن الكتب القديمة لولا اختلاس جُلّ نفائسه وما اليد العادمة في ذخائرها الثمينة وإضاءة باقيها من ولاة الأبحاس بعدم التعاهد والإصلاح أولا وتعطيل منفعتها بغلق أبوابها عن القراء ثانيا، حتى آل الأمر بسبب ذلك إلى أن صار الكثير مما بقي من كتبها التي يعز أن توجد في غيرها إلى حد لا ينفع به أصلا لتمزقه وتلاشيه ووضعه في محل الكتاكيس والآزبال، وذلك من المقاسات التي لا تباح.

ومن العظام التي أوقعت في الجناح، مع كون جانب الحبس غنيا، وبتجرديد ذلك ورد إلى حال شبابه مليا، وهلا أيقظ ولاة الأبحاس فعل الدولة الحامية فيما شيدته من المكتبة العلمية العديدة المثال بالمدرسة العليا باعاصمة الرباط وجلبت إليها نفائس الكتب المغربية وغيرها، ونصبته بها القيم من الهمزة الحارمين المتلفين للقراء في كل حين بأوجه ضاحكة، مع تسهيل منولة مقصود القارئ منها وإعطائه على نيل بغيته، مع أنك إذا نظرت في مصروف الأبحاس تجد الكثير منها يخرج في مقابلة لا شيء، إنما هي أسماء لا حقيقة لسمياتها، كما تجد العدد الوافر منها

134
يخرج فيما لا أهمية له في نظر المحبس ولا في نظر الشرع، رد على ذلك وقوع التعيير في كل حين في غير المرمى ببعض أولي الأمر من المساجد ورغبهم، فإذا تهمد جانب أو مفعة من منافعه أو ربع ينتفع به فيه ما هو بعيد عن النفقات من ذكر ترك نسياً منسياً، حتى تعمل في مجموعه عوامل الخراب ولا يبقي له رسم ولا طل والأمر لله من قبل ومن بعد، اللهم يا مولانا وفق ولاة أمننا لما فيه حياة شعبنا، وصلاح ديننا وسددهم وأعنهم على ذلك.

وأما مجلس الأسبوع الذي ذكر ابن غازي أن الوطاسي أحدثه، فهو الذي في أعلى سابط الأسبوع المحمول على الجهة العليا من الجدار الشرقي للمسجد الجامع المذكور، وعلى الجدار القابل لذلك من جدارات مدرسة القاضي المشار لها، وباب هذا المجلس هو في الصف الأول من المسجد، وقد بين ابن غازي وجه تسميته بذلك فيما مرت عنه، لكن ذلك الوجه لم يستمر بل خلفه وجه آخر وهو قراءة سبع القرآن به في المصحف الذي جيه جدنا من قبل الأم فخر الدولة العلوية بعد جدها مولانا إسماعيل سيدي محمد بن عبد الله، فمن منبثبه - قدس الله روحه - تهييه لمصحف عتيق بخط بارع، تراجمه وسوره وأجزاءه بالقلم الكوفي الذي لا يوجد له مثيل، سفره من الواح الساج البديع المرصع بالصفائح المروعة بالذهب اللطيفة الشكل، قرأت عقد تهييه بأول ورقة من ذلك المصحف بتاريخ الثامن عشر من رجب يوم سبعة وسبعين ومائتين وألف، على خزائن الجامع المذكور.

وفي هذا المصحف كانت تكون قراءة السبع الواحد من القرآن في المجلس المذكور كل يوم، وافتتاح أولها يوم السبت، وختم أخريها عند جلوس الخطيب على المنبر يوم الجمعة، وتسليمة هذه السباع على النهج المبين في قول القائل:

إن تشا فات 목 على ما قد وقف
وذلك في العقود لا النساء
والشعراء وسوارة اليقطين
وشافها وحلمه بالتمييز

135
معنى هذه الآيات إن أردت أيها القارئ المتعبد بالتلاوة موافقة السنة وعمل سلف الأمة في تبعك وتلاوتك، فقد وقفنا ليس بالواجب عليك في يوم افتتاحك على سورة العقود، وفي ثانيه على سورة يونس، وفي ثالثه على سورة الإسراء وفي رابعه على سورة الشعراء، وفي خامسه على سورة البقرة، وفي السادس على سورة قاف، وفي سابعه يكون الختم ويدل لهذا ما في النوع الخامس والثلاثين من الإقنان من أن قراءة القرآن في سبع هي أوسط الأمور وأحسنها، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم، وله أخرج الشيخ عبد الله بن عمرو، قال: قال لي رسول الله ﷺ: "اقرأ القرآن في شهر، قلت: إنني أجد قوة. قال: اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك.

وأما أخرجه أبو عبيد وغيره من طريق واسع من حِبَّان، عن سبب بن أبي مصعباً وليس له غيره أنه قال: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: (في خمسة عشر قلة) إنني أجد أقوي من ذلك، قال: اقرأه في جمعة.

وقول ابن أبي زيد في الرسالة ومن قرأ القرآن في سبع فذلك حسن، انتهى.

قال الشيخ زروق: يعني أن الختم في كل أسبوع حسن، وعلي ذلك كان السلف فسهم من يجعلها بين الليل والنهار، ومنهم من يجعل هتامة بالليل وختامة بالنهاية في ختمون الليلة ليلة الجمعة، والنهاية يوم الاثنين، ويكون ذلك أول الليل وأول النهار يستغرق له الملاكية في بقية يومه، وقد اختفت طرقهم في التجزئة وachsenها في اليوم الأول ثلاث سور، وفي الثاني خمسة، وفي الثالث سبع، وفي الرابع تسع، وفي الخامس إحدى عشرة، وفي السادس ثلاث عشرة، وفي السابع يختتم بقيته إلى أن قال: ومنهم من يجزئ بالاحتمال والآتي ونحو ذلك، وكله واسع وفعل السلف أحسن.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء: "قبل إن أحزاب القرآن سبعة، (1) يفتح المهملة ثم موحدة ثقتية، قيده ابن حجر في التقرير - ص 950. 136
الحزب الأول ثلاث سور، والحزب الثاني خمس سور، والحزب الثالث سبع سور،
والحزب الرابع سبع سور، والخمس رابعة عشرة سورة، والسادس ثلاث عشرة
سورة، والسابع المفصل من فائف هكذا حزب الصحابة، وكانوا يقرؤونه كذلك؟

قال العراقي في حديث تجزيء القرآن سبعة أحزاب رواه أبو داود وابن ماجه
من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه قال أوس فسألت أصحاب رسول الله
كيف تجزيئ القرآن؟ فقالوا ثلاثاً وخمساً وسبعاً وتسعاً وثامناً وثامناً
عشرة وحزب المفصل.

وفي رواية للطبراني فسألنا أصحاب رسول الله  كيف كان رسول الله
بحزب القرآن؟ فقالوا كان يجزئه ثلاثاً فذكره مرفوعاً وإسناده حسن، انتهى،

وقال أبو حامد أيضًا ينغي أن يكون الخطم ما بين الشهر إلى الجمعة فيكون
إذا أبطأ خطم القرآن في الشهر مرة، وإذا عجل لم ينقص من الجمعة.

وقد يزل العمل مستمراً على قراءة ذلك المصحف بالمجلس المذكور ويختلف
في كل أسبوع كما تقدم إلى زمن نظارة ابن عمرو على الأحباس بمكناسة، وقد
كان ناظراً عليها في دولة الأمير العطاء الأمر مولانا الحسن قعدس الله روحه في
فراديس الجنان، وابن عمرو هذا، هو الحاج محمد بن عمرو الصنهاجي أصله
المكسي نشأ وداراً ووفاة، كان من رؤساء مكناسة وذوي الوجاهة بها والصوب
الذائع والثروة ذات البال بالنسبة لاهل جلدته، تقلب في عدة وظائف مخزنية منها
ولاية رياضة الأمانة على الآمال المخزنية، ومنها الولاية على البناءة السلطانية
الحسنية، ومنها الولاية على غير الرشداء من أولاد أفراد عائلة الملكية لما
كان له عند الجيلالة السلطانية من المكانة، والحمل على الصدق والأمانة، ومنها
ولاية النظر على عموم الأوقاف المكسينية والزروانية وما عدا الزاوية الإدريسية فقد

137
كان لها ناظر مستقل، اتفق في نظرائه أن مات القيم بالأشياء المذكور في المجلس المذكور وحين رام من له النظر في الأمور الشرعية بمكناس وقت إقامة خلاف لقيم المذكور وأمر الناظر أن يجري له من الأحباب ما كان لف يقبل زعم أن القيم السابق لم يكن له راتب معين في الحس، وإنما كان متطوعًا، فكان في جوابه هذا وامتناعه من دفع الإعانة إبطال ذلك الشروع الحسن، في ذلك المجلس المستحسن.

نعم ذلك المجلس هو وإن هجر عن الشروع المتقدم فقد تلته بقية السعادة بأن جعل الآن مكتبة علمية على ما سبق فيها، ونسبت المدرسة المتقدمة الذكر للقاضي لكون القاضي أبي على الحسن بن جلية (1) الونشريسي كان يدرس بها، وأضافت للشهود لأنها كانت باعالة سماطهم وهو محل باعة الخضير الآن يعرف بهج الخضارين كما تقدمت الإشارة لذلك.

ومؤسس هذه المدرسة هو أبو يوسف المريني (2) كما سميrä بقريباً، وأضيف السباق للأشياء لارتفاع المجال الاسبوع الساكن الذكر عليه.

وبالمدينة اليوم من المساجد ما بين صين وساقط ومتشابه للسقوط نحو ثمانية وسبعين والباقي من العدد السابق عن ابن غازي، منه ما صار دوراً، وبساتين وقصوراً، ومنه ما انثر ولن يبق له خير ولا أثر.

والمعد للخطبة منها اليوم اثنان عشر مسجداً ودونك عددها: 1 المسجد الأعظم المعروف بجامع الكبير، 2 المسجد العتيق وهو المعروف بجامع التجارين، 3 جامع الزيتونة، 4 جامع باب البراغيين، 5 مسجد سيدي عبد القادر العلمي، 6 مسجد سيدي سعيد، 7 مسجد القصبة السلطانية، 8 مسجد قصبة هدراش ويدفع بجامع لألف خضرة، 9 مسجد الأزهر الموسوم بجامع الأروي، 10 مسجد قصبة برية، 11 مسجد السيد الحاج القردة الولى الشهير، 12 مسجد بقصبة نولل.

(1) في الطليعة: للحسن بن عطية وصاره لدى الونشريسي في وفاته في موسوعة أعلام المغرب 2/192. وانظر لذلك أيضًا: الوضوض الهنون - ص 88.
(2) الوضوض الهنون - ص 88.

١٣٨
ويبها من الصوامع التي ينادي بها للصلاة ثمانية وعشرون: 1 صومعة العتق وهو جامع التجارين، و2 صومعة المسجد الأعظم، و3 صومعة جامع الزيتون، و4 صومعة جامع باب البراقيين، و5 صومعة سيدى أحمد بن خضراء، و6 صومعة سيدى عبد القادر العلمي، و7 صومعة جامع الصباغين، و8 صومعة جامع النوبة، و9 صومعة جامع بركة، و10 صومعة جامع ابن عزو، و11 صومعة جامع الزرقا، و12 صومعة جامع السابط، و13 صومعة سيدى البابوري، و14 صومعة جامع القصبة المعروف بلأل عودة، و15 صومعة الضريح الإسماعيلي، و16 صومعة باب مراح، و17 و18 صومنتان اثنتان بدار المخزن السعيدة، و19 صومعة جامع قصبة هدراش المعروف بلآل خضراء، و20 صومعة جامع الأروي، و21 صومعة سيدى سعيد، و22 صومعة جامع الدار البيضاء بأجندال، و23 صومعة سيدى الحاج القدوة، و24 صومعة بريدة، و25 صومعة جامع سعدون، و26 صومعة سيدى الورزيغي، و27 مئار جامع تولال، و28 مئار جامع جراوة بالجبابة.

ويها من السقايات نحو السبعين والباقي أمرى في خبر كان والبقاء لله وحده.

فصل: قال في «الروح»: وكان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاث حمامات البالى والجديد والصغير، وهي باقية لهذا العهد، وكان أحدث فيها أبو زكريا يحب بن غنوصاليه المهاجر المعروف بابن أخت الفنش في العشيرة الثانية من القرن السابع حماما كبيرا حفيا محكما فجاء في غاية الإتقان، وكان أبو زكريا هذا فنشيأ، هاجر إلى سلطان الموحدين واستوطن مكثة مظهرة لدين الإسلام، وكان يسكن بها في دار كبيرة بشرقي الجامع الأعظم مقابلا لأحد أبوابه تمبس لعلى بن أبي بكر أحد حفاظ الموحدين، [كان] قد ولى العمل بها، وكان أبو زكريا

139
هذا قائد فرسان يتصرف في رد عصر البربر الرحالين، وكان في زى الموحدين فاعلا للخير محبا في أهله، وله في إحداث هذا الحمام مناقب اشتهرت عنه من إرضاه أصحاب الدباد الثنى المثابر، وآثاره باقية لهذا العهد عند سوق الغزل منها، وفيه يقول الاستاذ أبو عبد الله بن جابر في رجزه المسمى بشرة الناظر:

"إذا الحمام كان الفنشك، ذاك الذي إذ كان كان العيش إلى أن قال وقد كان الشيخ أحمد اللحياني الورتاجي أيام قيامه بمكنسة. احدث بها حماما حول داره وثرر بعده، ثم عمر لهذا العهد ينسب إليه فيقال له حمام المرين، وهو الآن رابع حماماتها، انتهى. من خطه (1).

قلت قولة عتى قائل: قى - بضم الفين المفعمة وسكون النون وفتح الصاد مشبعة بعدها لام ساكنة فباء مفتوحة فهاء سكت - هكذا ضبطه بخطه.

وسلطان الموحدين الذي كان في العشرة الثانية من القرن السابع هو المتصدر بالله بن الناصر بن يعقوب المتصدر، وما الحمام البالي فإنه لا زال قائم العين إلى الحين الحالي، إلا أنه لا يعرف اليوم بهذا الوصف، وهو المعروف بـحمام مولاي عبد الله بن أحمد، ويدل لذلك تصريح بعض المقدمات الحببية الموثقة بـصحة خبرها بذلك ودونك نصها: ومنها أي من العبارات الحببية الكوшла المتصلة بـحمام البالي المعروف بـحمام مولاي عبد الله بن أحمد، انتهى.

وأما الحمام الجديد فإنه لا زال قائم العين معروف الاسم إلى الآن.

وأما الحمام الصغير فإنه لم أقف على تعيين مسماه الآن، إلا أن الغالب على الظن أنه حمام الثومة، إذ هو أصغر حمام يوجد في البلاد مع ظهور قدمه.

وأما حمام أبى زكرياء الفنشك فقد قال بعض من تأخر زمانه في طرة قيدها

(1) الروض البهن - ص 75 وما بين حاصرتين منه.
على كلام "الروض" هنا ما لفظه: أدركنا هذا الحمام وقد اتخذ معصرة للزيتون، وبقي كذلك سنين متطاولة والآن جعل محلة لعمل البارود بسوية باب البراذعين في قبلي ضريحي الولي إبراهيم عبد الله الدراوي وسيدي أحمد بن خضراء نفع الله المسلمين بركاتهمما، وما زال الحمام على قبتين محكمتا البناء على أعمدة من الحجر المنحوت، إنه.

قلت: هذه الأوصاف تنطبق تمام الانطباع على المعصرة القائمة العين الآن المجاورة للفرن الكائن بالسوية المذكورة المعروفة اليوم بسوية جبالة، ولا زالت إحدى القبتين شاحصة إلى الآن بالمعصرة المذكورة ولم يبق أثر لتلك الأعمدة الحجرية، نعم يوجد ثم بناء بالحجر المنحوت لا يعد أن يكون هو حجر تلك الأعمدة، كما أن الذي تعطي القرائن أن ذلك الفرن المتوسط بها هو عين القبة الثانية هدمت وبنى الفرن في محلها والله أعلم.

وأمام حمام المرني فهر الحمام المعروف اليوم بحمام السووية ويستفاد ما يدل لذلك من بعض التقائيد الحسية الموتوق بها أيضا، إذ فيها تجوب درب السيد.

هنو بحمام المرني والحمام المجاور لذلك الدرب هو حمام السويقة.

وأما سوق الغزل بالمحل الذي أشار له ابن غازى فلا يعرف الآن، والذي أدركنا موضعه بمقررة ديناء أحمد الدراوي التي كان يخرج إليها من الباب الذي كان بوسط العشابين خارج باب برية، وقد حول حين حلت الفتى وكثر الهرج أواخر الدولة العريزية إلى زاوية من روايا بطحاء الهديد وأغلقت باب المقررة المذكورة خوف هجوم الراعي على العاصمة منها، وكان غلق هذا الباب فتح واحد وعشرين وثلاثمائة ألف، ولا زال سوق الغزل يعمر بالهديد إلى الآن كل صباح.

هذا وعدد حمامات المدينة اليوم أحد عشر ودونك أسماءها: 1 حمام سيدي...
ملك، 2 حمام النوبة، 3 حمام تربعين، 4 حمام السويقة، 5 حمام مولى عبد الله بن أحمد، 6 حمام باب البراقعين، 7 حمام مولى إسماعيل، 8 حمام لال خضراء، 9 حمام جامع الزينونة، 10 حمام الجديد، 11 حمام الخرة ويعرف بحمام سيدى عمرو بن عواد، ويمكن أن تكون الخرة التي أضيف إليها هذا الحمام هي أم أين بنت على البطوئي (1) أم السلطان يعقوب بن عبد الحق المرني لأنه كثيرا ما تذكر في الكتب التاريخية بالخيرة والله أعلم.

والذي يعني أنه هو المضيف اليوم لبوعودة الولي المتبرك به هو ما في "ممع الأسماع" ولفظه: أبو حفص عمرو بن عواد دفن حومة حمام الخرة من مكاسة، وأماد الدار التي كان يسكنها الفنشي فوصف ابن غزاز لها يقضي بأنها في موقع مدرسة الشهود المتقدمة الذكر، أو سوق الجزيرة بالقصارية.

وعدد دور المدينة الآن ثمانية آلاف دار وخمسمائة وخمس عشرة دارا.

وعدد دكاكينها أربعة آلاف تقريبا.

وعدد حوماتها تسعون وعشرون وهي حومة حمام الجديد، ورقاع القلمون، وأروى مزيج، وجامع الزينونة، وقطر وردة، وفرن النواة، وسيدي أحمد بن خضراء، وعقبة الزقازيق، والتونة، وزيني الكبيرة، وزيني الصغرى، وجناح الأمان، وزينية الأنوار، وجامع التجارين، وظهر السجن، والصابعين، وبريدة، وقصبة هدراش، وباب مراح، وسيدى عمرو الحصيني، وسيدي النجار، والedere، والسيتية، والدار الكبرى، والأروى، والجبابة، وبيني محمد، والدار البيضاء، واللماح.

وأما بالناظر إلى التقسيم فمكناس كغيره من مدن الإيالة ينقسم كما في البستان، في تخطيط البلدان، ثلاثة أقسام: القصبة المولوية، والمدينة الأصلية، والملاح، والسوور محيط بالجميع.

(1) بضم الطاء مشددة، فواو وهمزة قبل ياء النسب، قيده صاحب نشر المتشاكر في موسوعة أعلام المغرب 3/ 1285.

142
وعدد أرجاء الماء بها اليوم اثنان وأربعون، وعدد الأفراد اثنا عشر وثلاثون،
عدد الطرقات المعدة لنسج الصوف ثمانية وعشرون، وعدد الإصبات تسع
أربعون، وعدد معامل الزليج والأواني الخزفية وما شاكلها تسعة عشر.
عدد سكانها من الأهالي ثمانية وعشرين ألف نسمة ومائتان وسبعين على ما
اتجه الإحصاء الأخير، والذي يظهر من تساهل المكلفين بهذا الإحصاء وعدم
ضبطهم أن عدد السكان يزيد على ذلك بما ينфи على العشر، وأما عدد سكانها
من الإسرائيليين فخمسة آلاف وسبعمائة وثلاثة وستون، وأما سكانها من الفرنسيين
المدنيين فتلف وتسعمئة، وأما سكانها من الأجانب غير الفرنسيين فسبعمائة وتسع
وخمسون، فجميع السكان على هذا ستة وثلاثون ألفا وستمئة وتسعة وعشرون،
وقد أشارنا إلى أنه لا معول من رام التحقيق على هذا الإحصاء فقد أغفل أهل
عائلات كثيرة من الأهالي والأجانب.
فصل: قال ابن غازي: وذكر ابن خلدون أن السلطان أبو يوسف المرني لما
فرغ من بناء البلد الجديد المسمى فاس الجديد، أمر ببناء قصبة مكناسة، انتهى من
خطة (1). زاد غيره وجامعها، انتهى. أي أمر ببناء جامع القصبة معها، وزاد ابن
خلدون فشرع في بنائها من سنة، انتهى. يعني سنة أربع وسبعين وستمئة كما بينه
هو وابن أبي زرع وغيرهما.
والشروع في بناء فاس الجديد اتفق كلفتهم على أنه كان في شوال من
السنة المذكورة زاد في وروضة النسيم، وغيرها أن ركوب ابن يوسف من القصبة
القديمة فاس وخروجه لتأسيس فاس الجديد وحفر، أسسه كان ضحي يوم الأحد
ثالث شوال عامة، وزاد ابن أبي زرع أن أمره بناء قصبة مكناسة كان في شوال
المذكور.
قلت: فعلى هذا كان الشروع في فاس الجديد والفراغ منه في ظرف
نحو العشرين يوما لا غير، وهو في غاية البعد، والذي عند ابن خلدون أن كمال
(1) الروع البتون - ص 87 - 88.
بناء المدينة المذكورة وسكنى الأمير المذكور بها كان سنة أربع وسبعين وستمائة، إنتهى.

فلم يصرح باليوم والشهر اللذين كان فيهما ذلك، فجأ أن يوافق ما صرح به ابن أبي زرع، وجاز أن يخالفه وهو الظاهر، وغير ذلك ما في الخلل الموشح لابن الخطيب، وهذا لفظ ما في النسخ المطبوعة الآن منها، وفيها أى في سنة أربع وسبعين وستمائة ابتدى بناء البلد الجديد بخارج مدينة فاس وهو المدينة البيضاء وتم في ذى الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة، إنتهى.

والظاهر صحة ما قاله ابن الخطيب، فإن العادة في بناء الكثير وكبيرة مدينة أن لا يتم إلا في أعوام، وسليم بك أن مدة بناء سيدنا الجد المولى إسماعيل للقصر الكبير مذكورة مكتوبة ثمانية سنين مع ما كان عليه من ضخامة الملك وشدة الخرس على البناء، مما لا يسوأ فيه بل ولا يدنى فيه فاس الجديد، وسليم بك في كلام الزيناني وغيره شاهد ذلك، وفي كلامه زيادة على ما لا يبديه باني فاس الجديد، وفيه مخالفته أيضاً لابن أبي زرع في وقت الشروع في قضية مكتاسة، فصريح كلام ابن أبي زرع أنه كان في شوال، ومقتضى ما لابن الخطيب أنه في ذى الحجة وهو الظاهر والله أعلم.

ثم هذه القصة قضية مكتاسة المحدث عنها لم يتزال أحد من المؤرخين فيما رأينى للتصريح بما يحقق تعميدها وتفاصيلها، غير أن الشواهد والقرائن التي تعتليها نصوصهم ترشد إلى أن موقعها كان فيما بين متى جامع القصة المعروف بهذا الاسم قديماً، وحديثاً وجباله لآلف عودة أيضاً، وبين السور الواقع بإذن الله الذي هو آخر القصة الإسماعيلية المحيطة بالقصور الملكية المعدة لسكنى العائلة الآن.

وأما تحقيق حدود القصة المربية في هذه المساحة التي أرشدت إليها قرائن

144
نصوصهم وكذلك الجزم بقاء شيء من عينها بعد الإضافات الكثيرة والتجديدات الهائلة التي أنشأتها الهيئة الإسماعيلية هناك، فهو ما لا سبيل إليه في هذه الأزمنة الحاضرة، وحسب الواقع هنا قول هذا الخبر التاريخي من غير تطلب لطابق له خارجا، وسنأتي بحول الله من تفاصيل تأسيسات الجد مولانا إسماعيل وهائل تخطيطاته في قصته ما يزهق عنك اليدين، ويدفع عنك فيما سطرناه المين.

نعم جامع القصبة المذكور سيأتي لنا ترشيح أنه هو جامعها المريني الأمور ببناته معها، وإن كنا لا نحبذ أن البيان الموجود فيه الآن هو الأصلي وسنتبة على ما عينه النص فيه أن من الأعمال الإسماعيلية أو غيرها والله أعلم.

وأبو يوسف بن مسعود القصبة المذكور، هو أمير المسلمين يعقوب بن الأمير أبي محمد عبد الحق الزناتي المريني وهو سادس سلاطين الدولة المرينية، فقه القائم بأمر الله والنصور بالله، مولدتا سنة سبع وتسعين، وهو بن سبعمائة، وتبغت سنة خمس وثمانين، وتوفي سنة خمس وثمانين، وفعمه خمس وسبعون سنة وسدة ملكه تسعه وعشرون سنة وستة أشهر واثنان وعشرون يوما، كذا في "روضات السرين".

وما ذكره في هذه ملكه يقتضى أن مبايعته كانت قبل فتح عام ستة وخمسين سنة أشهر، وهو مخالف لما تقدم عنه من أنها سنة ست وخمسين فاعرها.

صفته: أبيض اللون، شم القد، معتدل الجسم، حسن الوجه والصورة، واسع الملك، أشبه كان لحيه قطعة ثلث من بيضها ونورها وإشراقها، وكان شجاعا حازما، من فضائله أنه لم تهزم له راية ولم ي취عدا قطر إلا قهره، ولا جيشا إلا هزمه، ولا بلد إلا فتحها.

استرجع سلا من يد الإسبان في أواخر عشر يوما من احتلالهم بها وذلك سنة سبعمائة وثمانين وخمسين، وانتصر على عليهم الانتصارات الباهتة وغنم غنائم طائلة، وقد نقل بعد وفاته فدفن في روضة شالة من رباط الفتح.

140
تنبيه: قال ابن أبي زرع: ومن تابعه ومن سعادتها يعني فاشا الجديد وسعادة طالعها أنها لا يموت فيها خليفة ولم يخرج منها لواء إلا نصر، ولا جيش إلا ظفر، انتهى.

وكما قَالَ لواء خرج منها فكسر. وجميع فزى ودم. والعين أكبر شاهد وحسب ما وقع أواخر الدولة العزيزة في فتنة أبي خمارة التي قضت على ما كان من بقية المرق بالغرب، ويسمر بك بحول الله وقوته تفصيل ذلك، نعم إن قصر تلك القالة على ما سلف كما هو مقتضى ظاهر لفظها فلا بحث إلا من جهة أن القالة تقتضى أن عدم وقوع ذلك في سلاطينه لأجل خصوصية هناك، مع أن ذلك إذا كان اتفاقياً وإلا لدام، والله أعلم.

ثم قال في الروض: وبنى السلطان أبو يوسف أيضاً مكتانة مدرسة الشهود التي بأعلى سماعهم هنالك، ويقال لها مدرسة القاضي، لأنها كان يدرس بها القاضي أبو علي الحسن بن عطية القدسسي وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى، ثم نوَّه بها أبو الحسن المريني المسى بأبي الحسنات الكثير الآثار بالمغرب الاقصى والأوسط والأندلس، فبنى فيها مرافق كثيرة كزاوية الفورجية، وزاوية باب المشاورين وغير ذلك من السقايات والقناطر في طرقاتها ونحوها، ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة، وكان قائم للنظر على بنايتها قاضية على المدينة المذكورة أبا محمد عبد الله بن أبي_PHONE NUMBER.)

فحدثني والدي - رحمه الله - أنه كان يسمع من أدرك من الشيوخ أن السلطان أبا الحسن رحمه الله تعالى ما أخبر بتمام بنائها جاء إليها ليتراها، فقعد على كرسى من كراسي الوضع حول صهريجها، وجئ بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها، فغرقها في الصهريج قبل أن يطلع بما فيها وأنشد:

ليس لما قرت به العين ثم

(1) الروض البهلواني - ص ۸۸.
(2) الروض البهلواني - ص ۹۰.

١۴٦
ولما ولي بعده ولده أبو عمان نوه بهما أيضا وتفقد أحوالهما، وكان من جملة ذلك أن أمر بالاقتصاد على عشرة من الشهد بالله وعزل الباقي علة كثرة، انتهى من خطبه 1.

قلت: أما مدرسة الفاضي فقد قدمنا بعض ما يتعلق بها وهي المعروفة اليوم بالمدرسة الفيلالية، وكأنها تسبب لن كان يسكنها من طالبي العلم أهل تائفالات، وقد نبهنا فيما سبق على أن سماط العدل حول عنها للدكاكين المنسدة للجهة التي عن يمين المصلى بالمسجد الأعظم.

وأما أبو الحسن المريني فهو السلطان أبو الحسن على بن السلطان عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني لقبه المصصور بالله، مولده في صفر سنة سبع وثمانين وستمائة، ويوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبعينات، وتوفي بجبل هنتانة ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة أثنتين وخمسين وسبعينات، ودفن بقبرة السعديين الشهيرة براشك يوم الأربعاء التالي ليومن وفاته المذكور، ونقل إلى تربة أسلافه بشالة في اليوم السادس عشر من جمادي الأولى من العام المذكور حسبما هو منقوش في رخامة على القبر الذي نقل منه بالروضة المذكورة قد وقفت على ذلك بنفسه، ورأيته بعين رأسي.

قال في "روضة النسرين": فحمدت ملكه عشرونه سنة وثلاثة أشهر ويومن أثنتان وعمره ستون سنة، انتهى.

وأما ذكره في مدة عمره مخالف لما ذكره في تاريخ ودته ووفاته، فإن مقتضاها أن عمره خمس وخمسون سنة ونحو شهرين أثنتين لا غير.

صفته: طويل القامة، عظيم الهيكل، معتدل اللحية، حسن الوجه، سالكا سبيل العدل والتقوى، محبا للصالحين، حب إليه الطيب.

1) الروض الاهتون - ص 91.
تبنيه: قال في "روضة النسرين" وجميع ما ولد له ما بين ذكور وإناث وسقط وغيره ألف وثمانمائة واثنان وستون، أخبرني بذلك شيخه الشيخ المعمر علاء بن آسمحمد الهسكوري. 

وأبو الحسن هذا هو فخر الدولة المرينية وواسطة عقدها، ومشيد منار مجدها.

يعرف عند العامة بالسلطان الأكمل لسمرة لونه، عهد له الملك والده.

قال ابن خلدون: وما هلك السلطان أبو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجال الدولة لولي عهده الأمير أبي الحسن وعقدوا له على أنفسهم وآتى طاعتهم وبيعتهم. قال: وتولى أخذ البيعة له يومنه على الناس الموارع عبر بن قاسم رئيس الوزارة والملصقين، انتهى.


وكان غرق الأساطيل على ساحل الأندلس، وهو الذي استرد جبل الفتح من يد الإسبان وهو جبل طارق بعد أن أتفق عليه الأموال وصرف إليه الجنود والخشود وناراه جيشه مع وله وخواصه وضيقوا به إلى أن استرجعوا ليد المسلمين، وذلك سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وبعد استرجاعه اهتم ببنائه وتحصينه وأتفق عليه أحمال مال في بنائه وحضنه وسوريه وأبراجه وجامعه ودوره ومحاربه، وكان

(1) نفح الطب 214/ 215 - 216.

148
بعدما تراجع ودوارته تتناقص إلى أن لبي داعي مولاه.

وأما زاوية الفورة - بتشديد الجيم كما رأيته في خط ابن غازى - فقد عفي منذ أمتنع طوال اسمه، وإن بقي إلى الحين الحالي رسمه في الجملة وموقع مسماه بالمحل المعروف اليوم بقبة الزيدان، ويتقال لها عقبة الزياد، كان فيما سلف تداول على جانب منها بعض أولى الأمر وصيره من جملة روض له وذلك الروض هو المعد الآن محكمة للمساحة المدنية على الحكم الاهلية والشتون البلدية والكوميسارية، وصار طرف آخر من تلك المدرسة معدًا لربط الدواب والفاضل عن ذلك جعل معاملة لطبخ الحمص، وعهدى بمحرابها فيما مر قائم الدين، أما الآن فلا أدرى. وهذه الأمكنة كلها بيد الأجانب اليوم.

ولا عجب في صدور هذا وما ضاربه من قوم لا يفهمهم تعظيم حرمات الله ولا يرعون عن السعي في تخريبها واتخاذ ما أثك حماة الدين من الأعمال الشريفة البرهنة على شمهم. وعلى همهم. أولئك الذين عاشوا وشغلههم الشاغل إقامة معامل الدين، والمحافظة على كيان عزه المتنين.

ومن خرب قلبه من التقوى، ونشأ في عمامة وتغذى بلبان الجهاد العريق والاستباد التام واتخذ إليه هواه فترك بيوت المجد بلاع. وأدار من بلاهاء كتوس السم الناقع، وظن الخياله أمانة، وسفاهة الرأي عبادة ودبانة، أثني يستغرب منه صدور ما ذكر من إهانة حرمات الله والتطال عليها! هذا وسلمانيتنا الجلة الأمجد لم تاخذهم سنة في زمن من الأمتنع عن تنبيه رعاههم وولاية أمرهم، وإعطائهم.
الأوامر كل آونة بالتحفظ على الشعائر الإسلامية والأخذ بالحزم في صيانتها، وكف كل يد عادية رامت التوصل إليها لأغراضها الشخصية.

فمن ذلك ما أصدره أمير المؤمنين السلطان سيدى محمد بن عبده الرحمن بن هشام لبعض ولاة أمره. ودونك نص ما كتبه لعامله الطالب محمد بركاش:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ولفظ ما بداخل الطابع الشريف محمد بن عبد الله وليه خدينيا الأرضي الطالب محمد بركاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد تساهل الناس خصوصا الأغنياء وأهل الوجاهة في أمر الاحباس حتى صاروا يتوصلون لما أرادوه منها بأي وجه أمكنهم وجعلون ذلك في صورة المعاوضة، وصار النظر والقضاء يعتبرونهم فلا يرون إليها حاجه، حتى انتقل بذلك كثير من الاحباس في لولااننا الولد المقدس بالله ذلك فأمر الولاة خصوصا القضاة الذين لهم دخل في هذا الأمر بعدم معاوضتهما رأسا، وتقرر هذا الأمر مراكة وفاس فلا يوجد أحد بعضاً بشيناً منها، وحتى إن تعينت المصلحة فيها فلا بد من رفع أمرها لسيدته ينظر فيها بما اقتضاء نظرة وليا ولانا الله سبحانه وتعالى هذا الأمر اقتينا أثره في ذلك وسدنا الأبواب في وجه طلابها، على أن هذه المعاوضة إذا قال من قال بها من العلماء على شروط وأيان هي تلك الشروط وما تقرر في هذه المدن أردنا أن يتقرر في ذلك الثغر السعيد، وها نحن أمرنا القاضي هناك وأذكرونا عليه في عدم الموافقة على المعاوضة رأسا، كما أمرنا وصيغنا الفقيه محمد بن عبد الكريم الجبروز بأن لا يساعد أحدا عليها بوجه وأعلمناك لتكون على بصيرة وقد توعدنا القاضي والعامل على ذلك والسلام، في الربع من صفر عام تسعة وسبعين ومائتين وألف.

وأما زاوية باب المشاورين فهي التي بدرت سيدى غريب بمقربة من ضريح سيدى سلامة على يسار الداخل للدراب المذكور من نهج الحماميين، غير أن هذا
الأسم لا يعطي لها الآن ولا يعرفها به أحد، وهي اليوم على حاله يرثى لها
عشت بـها الأوساخ والأزبال والقذرات وياضت وفرخت، إذ كانت مدت لها فيما
селف اليد العادية كسبتها الفردية فصبرتها إصطبلا لربط الدواب أونية ومريضا
للبقر أخرى من غير رادي ولا زاجر. ولا استحماء من الملك القاهر، مبيد الأكاسرة
وكل جبار عنيد.

وأما المدرسة الجديدة فهي المعروفة اليوم بالبوعونانية نسبة لأبي عنان، ولا
أعرف وجهها لهذه السنة والخال أنها إنما أنشأها والده أبو الحسن وهي مراد ابن
غازي هنا لوجه:

أحدهما: قوله ومن أجل ذلك... إلخ فإنه مشعر بفخامة بناتها وعلو شأنها،
وهذه الصفة لا توجد على الكمال في غيرها من مدارس مكناس، لا سيما مع ما
سبق عنه من أن باني مدرسة القاضي هو أبو يوسف، فلم يبق الاحتمال حتى إذ
في مدرسة الخضريين، وهذا الاحتمال بدفه كونها على غير الصفة المذكورة بها.
ثانيهما: تصريحه بأنه بناها على يد قضائيه ابن أبي الغمر وقد وافق ذلك
النصيص عليه في سادات أبيات القلعة الشعرية المنحوتة في جبص مكبرابها كما
يأتي.

ثالثهما: أن التاريخ المعين لبنائها في البيت السابع من القلعة الآنية الذي كان
ملكًا فيه هو أبو الحسن المذكور فهو الأمر بتأسيسها والحاضر عند كمالها وتمام
تخطيطها والصيانة في ذلك كله يغني عن البيان، فإنه يوجد إلى الحين الخالي
منقوشًا على يمين وشمال محراب قبئها ما صورته.

نزه جفونا منك في مدرسة
نزيارة كل سنو ونذبة
لقد تبدلت في فنون وشبيها
كبويمة غب انسكاب ديمة
ككل الحسن بعد وتمت
أكمالها البانى على إتقانها

101
على العالى الندى الخليفية
بأمر مولانا المطاع أمره
وأظهر الحق بكل وجهة
من شرف العلم وأعلى قدره
ابن أبي الخمر الحميد السيرة
على يد قاضيه في مكناسة
من بعد سابع عشرة للهجرة
عام ثلاثين وستة خلت
مكناسة الغرب أم نصرة
نصر الرحمن من زان بها
فوقع الذل أقام حسنها
ونفع الذي أقام حسنها
وتلى الآن لها برفعه
ما رفعته بيته في أرضه
وكان مجيء السلطان أبو الحسن رؤية هذه المدرسة عند انتهاء بنائها من فاس، وقد بقي على ابن غازى التنصيص على ثلاثة المدارس بمكناس الموجودة فيه إلى الآن، وهي مدرسة الخضارين المروفة بمدرسة مولاي عبد الله بن حمد، وهي المقابلة لسماط الدعول الآن مع ظهور قدمها، وسنذكر ما تجده فيها من المدارس بعد.
ولنلقي ما تقدم بما شيدته الدولة الحالية العلوية شيد الله منارة في هذه البلدان فنقول: قد بني بمكناسة الملك المطاع، الذي ملأ جلالته القلب مهابة ورعى من سائر الأصقاع، تاج مفرق الدولة العلوية العالية ومؤسس فخرها ومؤهل مجدها، سيدنا الجد الأكبر المولى إسهاميل بر الله ثراء وفسح له في عدنه مساجد ومدارس ومعالم دينية، ووسع أكرانها ومهدها ومنذها واتسقها، واحكم صنعها، وحصنها بالأسوار الشاهقة والمراقب الضخمة الشامخة، والصقائق والأبراج العديدة ذات البال وأدارها بقصبات عديدة، منها ما هو متصل بسوس البلد، ومنها ما هو منفصل عنه كما سبم بك مفصلاً حول الله.
فمن تأسيساته بها قصوره الفاخرة الجميلة المتناسقة المزية بدائعها بالبيعة وضخامة آثارها بما بناه الأولون على اختلاف عناصرهم، وتبان أدبهم وتباعد
أرتمتهم المضروب بهياكلها المدهشة الأمثال بين عظام الدولة سلفا وخلفا الخالدة.
الذكر في بطول توارث الأم سالفة.
فمن تلك القصور التي ما زالت ولا تزال صفحتها التاريخ المغربي موساة
بذكر جمالها وكمالها قصر المحتشة والمدرسة اللدن بهما اليوم القصور السلطانية.
وهيما سكنى حرم العائلة الملكية الكرمى في العصر الحاضر وقبله بكثير.
ومنها داره الكبرى ذات القصور العديدة والمصالع المنيعة المربعة، والخصن
المدهشة الحصينة، والأوضاع العجيبة المتناسقة، والأسوار الضخمة الشامخة الرائعة.
في أعين عشاق الآثار المتجلين من سواح أقطار المعمور، المستعذبة في أدوار أولى
الالباب الرحالى المتمنين المتأنين، تفيذ ذوى الأبصار عربة وذكرى تقصر النعوت.
دون وصفها، وتحت البيوت في جوفها.
قال أبو عبد الله أنسوس في جيشه العربى (1): لو شاهد المصور الذهبي
سورى، واحدًا من أسوار السلطان مولانا إسماعيل لعلم أن ما أتى فيه عمره من
ذلك المنزل المسمى بالبديع، إنما هو في التمثيل كدار إيليس التي تباع في عاشوراء
يلعب بها البنات. ولا تحتاج المشاهدة إلى إقامة البنات، انتهى.
تبلغ سعة جل جدرانها مترًا ونصف، ويبلغ ارتفاع سمك غالبها خمسة عشر
مترًا.
فمن القصور المربعة في هذه الدار، الجامعة أصناف المحاسن والفخار، (قصر
السنينية) الفسيح الفائق ذو المنظر البهيج الذي تجمس فيه الانشراح، ورفعت على
طلائعه الميمون علائم الأفرج، وجر ذيل العجب على الزوراء، وازدرى بالزهراء
والزهراء، وأحمي قباب الشام، والخليفة والاهرام، يقف طلبه على مائة متر
وعرضه على خمسين، كان له أيام شبابه مباح فسيح محيط بجوانبه الأربعة

(1) العرمى: الجيش الكبير.

153
محمول السقف على أعمدة الرخام الناصع الياض، على رأس كل عمود كرسي من المرمر البديع المنخرط بالنقش العالي المبرهن على كمال براعة الصانع واقتداره على إبراز كل غريب فتان، تستوقف لطفاته الأناضور، ويثير عجب إتقانه النظار، اصطفت تحت ظل ذلك المباح الفضيل أبواب قبة متقابلة بسائر جوانبها الأربعة، تنخلها دور وقصورها فيها ما تشهيه الأنفس وتذل الآعين، تجمعت فيها الأبهة والبهاء، وحير وضعها الهندسي أهل النهار، ورضع فسمح تلك الأرض، طوله والعرض، بالزليج المختلف الألوان، وصهاريج صافي الرخام وجوابيه الباهض جمالها وترتيب نظامها القاذفة عن أثابيها الماء المعين، الذي يغمر من صفاته الزظ، واللجه، والبسط جدرانه حلل الجيوب الوعرة بأبرع وشي وأغلاله وأعلاه، ومنطقت من الزليج ذي الألوان المختلفة المذه بمقنط تطريزه المرضعة عن الرضيع، حو من كل أصفر فاقع وأحمر قاني وأبيض ناصع وأسود حاكل وأخضر وارق ما تنشر برآء الصدور، وتطلع به لواعج المصدر، لا يقصر ارتفاع تلك المنطقة عن قامة، في غاية الاستمايقة.

بشملا هذا القصر مئار يسير الناظرين متجل في حلة سنديسة خضراء، متوج بتاج موعّة بخالص الإبريز (1) تلخّص على نواحي القصر منه لواحق السراء.

ووجه تسمية هذا القصر بالسيدة وجود قب بها لها مزيد أبها وبهاء، ومن جملته كونها مسقفة بالعمل المعروف عند أهل حرفة النجارة بالسنين فأعطيت التسمية للقصر كله من باب تسمية الكل باسم الجزء الأعظم، وما عدا ذلك وهو جل القب الإسماعيلية في سائر قصوره مقبو بالجيار والآخر مزمخوف بالجيوب البديع النقش.

وفي هذا القصر صار محل سكنى مؤلف هذا الكتاب وفي روضه فيه قال صديقه الحليم الفقيه المؤرخ أبو عبد الله سيدى محمد بوجندي مساجا للدبيب (1) الإبريز: الذهب الخالص.

154
الشهير نابغة لبنان الشيخ رشيد مصوص وقت اتفاق اجتماعهما بذلك الروض وذلك
ثاني عشر جمادي الأولى عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

أبو جندر:
قد بئى إلى اللذات قبل فواتها
هذى الرياس الذهرا زيات فواتها
مصعب:
أحيى لنا الأرواح بعد مماتها
نشتاقها بعد الفراق لأنها
أبو جندر:
طاب الغبوب بها على شمس الأصبر
ل وظيرها الشادى على دوحتاتها
مصعب:
قد زينت مكتاسامة بجمالها
كالخال زين للدمى وجنانها
أبو جندر:
فكانها هي جنّة الفردوس في
ـها ما يروق العين من ذاتها
مصعب:
إن قام يعيس قلب مكروب اسم
أهدهت لعباس قلبه بسمماتها
أبو جندر:
أحياء ما حيات نسماتها
وإذا تنم طيبها ميت الهوى
مصعب:
حسناتها ليست تعد وحسينا
أن السروب يكون من حسناتها
أبو جنداز:
والحسن والإحسان بعض صفاتها
مصوع:
في البشر والإشراق من زهراتها
أبو جنداز:
أو أنه الحاكى جميل صفاتها
وتجار هل حاكم جميل صفاتها
مصوع:
ما كان أطيب من هذا نفحاتها
أبو جنداز:
 مثل المدام الصرف في كاساتها
وطوئ عواطف قلبه وذا لنا
مصوع:
لأزال بدر علاء في سمواتها
وقال أيضاً أبو عبد الله بوجنداز مساجلا لصفى وظنا حليف الفضل والأدب
الفقيه مهدي محمد بن اليمني الناصري حين اجتماعهما الذي فيه أيضاً قال
مفتتحاً:
ب: لله من مجلس رقت حواشيته
صرى: تغشي قلوب الأولي حلو أسباحته
ب: وكيف لا وأرني الروض أرجمه
صرى: أما أرى الروح في أرجائه رقصت
رهوا وعجباً ببادى الفضل فاشبه

١٥٦
ب: ذاك العلي الذي العلياء تخدمه
بدر الخلا في علاء لا يمشيه
ولا أليل مناه فيه واشيه
وطاب في مجلس رقت حواشيه
ومنها أغنى القصور الإسماعيلية (قصر النصر) الذي كان أسسه زم خلافته
في دولة أخيه السلطان الأفخم مولاي الرشيد، ذلك القصر المشهور المعروف
اليوم بدار لال باني المحدث الباب بحومة الدرية، بقرية من مسجد القصبة الملوكية
الذي تقوم به الصلاة يوم الجمعة، ويكون احتفال الجلالة الولوية لصلاتها عند
حلول ركابها الشريف بالعاصمة المكشية حتى الآن.
ومنها قصر مولاي زيدان، ومنها قصر الشعاع ولا يقصر قصر من هذه
القصور عن فضائلنا في القصر السابق قصر السينية في الآبهة والزخرفة، وإن
اختفت أوضاعها في الاستطالة والتشريع، ولا يخلو واحد منها عن صروح
شامخات يشرف منها على ضواحي مناظر مكناس الطبيعية المختلفة الشكل ما بين
منخفض ومرتفع وأرجائه الأزقة، كما أنه لا يخلو واحد منها من مسجد للتعبد
أو مساجد.
فمنها المسجد الأنيق الحافل ذو الصفوف التسعة، والأساطين الرخامية والقبة
ذات الخصبة العظيمة التي لا زالت قائمة إلى الزمان الحاضر، ومنها يدخل اليوم
للاضريح الإسماعيلي، طول هذه القبة كعرض يبلغ طول هذا المسجد سبعا
وثمانين مترا وعرضه تسعة أمتار وعشرين مترا، ويعرف هذا المسجد في العقود
الخمسية بمسجد الرحمة، والشاهد أنه إذا كان معدا للصلوات الخمس، فإن ثبت أنه
كان للجماعة احتمال حتى أن يكون هو المراد بمسجد القصبة في قول أبي القاسم
الزياني: ولما ضاق مسجد القصبة أسس الجامع الأخضر أكبر منه، أنهى.

107
الخامة الشمسية الموجودة الآن بجامع القصبة
صحن مسجد القصبة الإسماعيلية
ويكون الجامع الأخضر هو جامع لآل عودة، فيكون كل منهما من تأسيساته
ولكن الأظهر كما سئنيه بعد خلاف ذلك، ومع الأسف فقد خرب هذا المسجد
وخرب سقوفة ومزقت أنابيب بهجه كل ممزق، وفرقت أعمدته الرخامية أيدي سبا
والمسيء غير خمسة منها أربعة لا زالت قائمة بمحالها مثلما كان عليه ذلك
المسيج من الضخامة، ومنها واحدة ملقة على الأرض، والمسجد صار بعضه ممرا
يدخل منه للضريح المذكور وللضريح المجاورة في طريق الخراجة التي كان يخرج
منها المولى إسماعيل قيد حياته لأداء الخمس في المسجد المذكور والبعض الآخر
مقبرة وله الأمر من قبل ومن بعد.

وجامع لآل عودة ينتمي من صفوه خمسة، وجناحين وصحن فسيح ينف
طوله عن خمس وعشرين مترا وعرضه عند ستة عشر، به قبّان إحداهما في الجهة
الشمالية طولها أحد عشر مترا وعرضها ستة أمتار وستمّات، والآخرون في الجهة
الجنوبية طولها سبعة أمتار وستمّات وعرضها ينف على ستة أمتار، وبوسطه
خصة من المرمر واسعة الأكتاف يتغص منها العذب الفرات ومدرسة بسطوانة على
يدين الداخليان ذات بيوت تسعة، وغرفة يصعد إليها بدرج ستة عشر، وبإضاءة هذه
المدرسة المئار المبلأ الذكر في قصر الستيينة يصعد إليه بجارة وإحدى عشرة درجة،
وبهذا المئار مستودع مدّد لآلات التوقيت ولاستقرار القيم بالعمل بها في غاية
اللطف تكتفي منافع ومرافق.

ومن جملة آلات التوقيت العديدة المثال التي لا يوجد لها نظير رخامة شمسية
في غاية الإنقاذ وقد كانت هذه الرخامة الشمسية آية في تحقيق الوقت، فيحكم أن
ذلك استمر فيها إلى أن وقعت بين القيم بها وبين القيم يمثل ذلك بمستودع المسجد
الأعظم داخل المدينة وهو المبناي الشهير السيد الجيلاني الرحالي منافسة في ذلك،
حملت الثاني على أن أغرى من عوج شاحص الرخامة المحدث عنها فوق الخلل

١٦٠
فيها بذلك وهذا الخلل الأعوجاجي وإن تلافاه القيم بالنظر في ذلك حينه، وهو الفقيه سيدى الحسن المتونى لكنه مات بعد ذلك فأدرك الرحالي بعد ذلك مئته في تعطيلها ولا زالت معطالة إلى الآن ملقة في زوايا الإعمال غير مكتريت بها، وقد كانت هذه الرخامة من صنع من كان في قبضة الأسر من النصارى العالمين بذلك الفن، وبدل لذلك تاريخها المسيحى المرقوم فيها بالقلم الروماىى وهو عام ثمانية وتسعين وستمائة وألف.

وقد جاور بعض الفرنسيين أن تكون هذه الرخامة مهدة لمؤلانا الجد من سلطان فرنسا العاصر له لو رض الأرباع عشر، وعوض ذلك بما كان بين السلطانين من الموصلة، وما كان لسلطان فرنسا المذكور من الاعتقاء بالآلات الشمسية على اختلاف أنواعها حتى كان يدعى بالسلطان الشمسى، فاجتبر بأن هذا الامتثال يبده خلوها من نقش اسمى المهدي والمهدى له مع أهمية ذلك في الموضوع لما فيه من تخلية الفخيرة للجناحين، وبأنها لو كان الأمر فيها كذلك لكانت على جانب من الزخارف عظيم، وما ظل تلك بهدية من أمير عظيم في قومه لأمير طائر الصبر في المشار والعهاب فاستحسن ذلك منى.

ووراء المدرسة المشار لها غربا صحن فسيح طوله مئتين وثلاثون وعشرين مستقيم، وعرضه سبع وعشرون ونفيف، وفي غربه مبناه ذو أقواس خمس وأساطين أربع بناؤها باللمين واللبان، خر سقته في هذه الأزمة الأخيرة طول هذا المباح ثمانية عشر متر ونفيف وفي الجانب الشرقي منه سقاية ماء.

ولهذا المسجد بابان باب القصر السنناء المار الفذر - وليس هو الباب الذي تدخل منه الجلالة السلطانية اليوم للمسجد، بل سد ذلك الباب وأدخل في بيت من بيوت إحدى الدور ولا زال إلى الآن ظاهر الأثر، وإن تنوسي المرور منه وانقطع السبيل الموصل إليه واندثر - وباب نافذ إلى المدينة يدخل منه عامة المصلين من جيش وحشم وانتشار.

121
باب مقصورة مسجد القصبة

162
قلت: كذا وصف الباب الثاني من هذا المسجد غير واحد، وقولهم: وباب إلى المدينة إما أن يعني به بعد الانفصال من باب القصبة الموالي لجهته وهو باب منصور العلوج، لأن الجامع المذكور داخله، وإما أن يبقى على ظاهره ويحمل ذلك على أن السور الذي به باب منصور لم يكن وقتئذ، وإذا أن يقال إن مراد الزيباني ومن تبعه بالمسجد الأخضر المتقل إله من مسجد القصبة المعروف بهذا الاسم اليوم الذي كلامنا فيه، هو جامع الأئزة الكائن عن يسار الخارج من القصبة على باب منصور العلوج، والاحتمال الأول بعد خروجه عن الظاهر، والثاني أبعد منه لكون الواصلين لباب المسجد الذي الكلام فيه كلهم تأخير أزمنتهم عن تلك البناءات كلها، مع تحريهم بأن المولى إسماعيل أفرد قضبه على المدينة وجعل براح الهدى بينهما والثالث موافق لحقيقة وصف البابين، لأن أحدهما وهو الكبير العمومي مفاض للمدينة، والثاني وهو باب ديوانية الكتب المقابلة الآن لدار أولاد عم الجيلالة السلطانية العلامة المرحوم مولانا الباشا مفاضة للقصبة بلا شبهة، فلم يبق حينذ إلا كون جامع الأئزة لا يعرف بالأخضر الذي عبر به الزيباني ومن تبعه، وهذا أمر قريب لأن أسماء الأماكن وما تعرف به تتبدل وتتقلل مع طول الزمان بما يعرض لها كما مر بكثير من ذلك في هذا التقييد.

وأما كون جامع الأئزة من الإنشاءات الإسماعيلية فيستبيح لك أمره بعد

وتأتي بذلك هذا البحث إن شاء الله.

وقد قرأت في نظم زليج أعلى باب مسجد القصبة القائم الآن ما صورته:

الحمد لله حق حمدته، وصلاة وسلام على سيدينا محمد نيبه وعده، أمر بعمل هذا الباب المبارك مولانا إسماعيل أمير المؤمنين أبيه الله ونصره، وكان الفراع من إنشائه أوائل جماعة الثاني سنة تسعين وألف، وفي المسجد الأخضر قال بعض شعراء عصره من قطعة ما لفظه:

١٦٣
وإن ذكرت مصر بجامع أبو هريرة في القبة الخضرة بدور كواقل
وقد رأت على يد المقصورة الملوكية في نقش الخشب بالخط الكوفي الرائع
من جامع القصبة المذكور ما لفظه: "أيها اللّهُ قلّنّا أَرْكَعْنا وَأَسْجَدْنا وَأَعْبَدْنَا رَبَّنَا
وَأَفْلَحُوا الْخَيْرُ لَكُمْ تَفْلِحُونَ (٤٧) [الحج: آية ٧٧] صدق الله العظيم.
صنع هذا عام ثمانية وثمانين وألف بالقلم الغباري، وقد كان أصلح هذا
الخشب فسقط الصفر الموالي للألف إما جهل مباشر الإصلاح أو غلطه، فوقع
الكثير من الناس في الهم وآن ذلك اللوح صنع عام مائة وثمانية وثمانين، وذلك
لا يصح بالحال، قال بعضهم: وكل هذا لا يدل على أن أصل جامع لال عودة من
الإنشاءات الإسماعيلية، أما المكتوب على الباب فلكنه لا ذكر لبقيته الجامع فيه،
وأما المكتوب على المقصورة فكذلك إما لكونه كان أنشأها به قبل ضيقه به فأقرت
هناك بعد التحول عنه، وإما لكونها نقلت إليه بعد تخريب جامع الأئمة.
وفي هذا المسجد تقام حفلة صلاة الجمعة لدى الملوك أحفاد مولانا إسماعيل
إلى الزمان الحاضر والغايّة داخلة كما تقدم، وقد لعبت أيدي الاستشاطي والتخيّرب
أدوارًا كثيرة بهذا المسجد رغماً على ملازمة ملوكنا الجلة لصلاة الجمعة فيه وقت ما
حل ركابهم الشريف بالعاصمة المكّانة، ولولا أن الله تعالى تداركه بذلك حتى
رمم أكثره لاصبح كغيره في خبر كان.
ومن قصور الدار الكبرى أيضاً قصر الكشاشين، وهو عبارة عن فسيح
مستطيّل ذي أساسين مسطّحة مبنية بالجبير واللبن والحجر عليها أقواس مرتفعة فاقع
لونها تسر الناظرين، بعضها قبالة الداخل، وبعضها عن اليمين والشمال كلها مقبولة
السقف، كان هذا القصر معداً للطيخ وششونه وخشون لوازمه وسكنى القيّمات
ب مباشر ذلك من وخش الرقيق وحشم الحاشية الملوكية تتخلّل هذه القصور وتكتسبها
مناهج مستطيّلة مقبولة السقف ذات أبهة ومهابة، في سقوفها كوات ينفذ منها

١٦٤
منبر جامع القصبة الإسماعيلية
الضوء لتلك الشوارع التي ساد السكون فيها، من تلك الشوارع ما خر سقف،
ومنها ما هو قائم السقف حتى الآن رغم عن التخريب الذي استأصل شأفة تلك
المباني، وغير ماء يهتجها الذي كان غير آس، فمع الأسف خلطت تلك المباني
حلل الزينة وتوحشت بعد الآنس تلك الصرخ، وأخى الدهر بجديدها، وتولى
متسلك النحس على سعيدها، فانتشر عقد نظامها وترفت أنفاسها في أقطار المغرب
وبنيت منها المساجد والمدارس والرابطات والدور حسبما أفصح بذلك أبو القاسم
الزبياني في روضته وحفظته لنا تقايد أسلافنا الكرام، وثقلتنا عمن تلقاه منهم
وكشفت حلل تلك الجدرات التي طالت جرته على المطاولة ذيول الإعجاب وبدت
عيون كوتها الجديدة التي جفت جفونها المنام، لما دهاها حال اطمئنانها من الاغتيال
وحق نص بقي برمق بعد أن أخذ على حين غفلة أن يتبه، وباشر النجوم في
الشهر يشبه، وقد حفر هتل دموع تلك العيون في حدود تلك الجدرات أخذدا
أسفر عن كونه كان وعاء لقنات مجارى ماء الأمطار المنسدة من أعلى السطوح
إلى أسفل الوادي الساري في تخوم الأرض.

وقد أحاط هذه الدار العظيمة المقدار التي هي في الحقيقة مدينة بالأسوار
الضخمة الشاهقة والأبراج والسفن حتى صارت كأنها مركز حربي هائل. ولأ
فَّتَكَّرَ (1) إذا قلنا: كانت مركزا حربيا من أعظم مراكز العالم الحربي، وقد أدركنا
بقية أعمدة الرخام وكراسيه التي كانت محمولة عليها مباحات القصور الملكية
متراكما بعضها فوق بعض، منها ما هو ظاهر، ومنها ما غطاه الثرى يعثر عليه
بالحفر، وقد كان الكثير من ذلك ملقى بباب قصر المحشنة، ولم يزل كذلك إلى أن
دخلت الدولة الحالية فنقلت بعضه لدور كبراء موظفيها، والبعض الآخر للجناح
العمومي الذي أحدثته بالحل المعروف بالخربول - يفتح الحاء - وقد تلقينا من آبائنا

(1) قَدْنَا فَّتَكَّرَ: ضعف رأسه من الهَم، وكذَبَ، وأتى بالباطل.
أنهم تلقوا من آبائهم أن جميع تلك الأعمدة مع كراسيها كان ملقي بقصر الستينة وخبرها من القصور المذكورة، ومنها تقله السلطان المولى الحسن بباب قصر المنحلة المشارك له أوائل دولته، وكم اتخذت من ذلك الرخام من جوابي وصهاريج وزليج واللواح لعتبات الأبواب وغيرها ورتج وغير ذلك، وفرقت في بقاع المغرب وكثيرا ما كان يقع العثور على الأعمدة والكراسي الرخامية تحت الثرى عند حفر أساس أو غيره في ردم تلك المباحات التي لا زالت الآثار الدالة عليها شائعة إلى الآن، كما أنه لا زال يعثر على زليج الأرض وقنوات مجري المياه للصهاريج والجوابي سائر فروع القصور السلطانية عند ما تدعو الحاجة لنقل تراب أو حفر أساس ونحوه.

كانت مدة الامتثال في بناء قصور هذه الدار أعيني دار الخلافة الموسمة باسم الدار الكبرى حتى الآن ثماني أعباء، إذ كان الشروق في ابتداء تأسسها على ما قاله الزباني وغيره بعد وفاة السلطان المولى الرشيد وجلوس السلطان المولى إسماعيل على منصة الملك، قال اليرفي في "التنزهاء" وكانت مبايعته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الأربعاء سادس عشر من ذي الحجة متم عام اثنين وثمانين وألف، ووافق ذلك الثالث عشر إبريل، انتهى وقريب منه في "روضة التعريف".

قلت: والذي في "الدر المنتخب" أن مبايعته فاسد كانت في الثانية من روال يوم الأربعاء الخامس عشر من الشهر المذكور وأن ذلك وافق الثالث إبريل، انتهى.

وكون البيعة كانت في الخامس عشر من الشهر المذكور هو الذي في "نشر المثنى"(1) أيضا.

واقتصر في "السلوة" على حكاية الخلاف المذكور في ذلك وأما الزياني في "البستان" وأبو محمد عبد السلام بن الحياط القادي في جزءه فقالا: إن وصول (1) نشر المثنى - موسوعة أعلام المغرب 1999/5.

167
خبر موت الموتى لرشيد بفاس كان في الخامس عشر من الشهر المذكور وفيه كانت البيعة، انتهى. وفيه تسامح.

وقال صاحب السر الظاهر: إن وفاة الرشيد كانت الثاني عيد الأضحى وأن البيعة الموتى إسماعيل كانت في اليوم الخامس من وفاته، انتهى.

وهو محتمل لدخول يوم الوفاة في الأيام الخمسة المذكورة، فيكون قافلاً إن البيعة في الخامس عشر ولزيادة الخمسة عليه، فيكون ماراً على أنها في السادس عشر ولعل التحقق ما جرى عليه صاحب النشر ومن واقعه، وكان انتهاء العمل فيها ستة عشر وألف وشهد لذلك ما هو متج به بابها من الكتابة المتضمنة.

تاريخ تمام العمل فيها ودونك نصه:

دار الخلافة لاح نور قباهها
يمى الملك الفخر يوم عباهها
فكاما الأنهار في جانتهما
نقل الأئمة جده أوصي بها
مولاى إسماعيل من جروحه (1)
يا راصدا لطول من سعدها
فظام شملها في عضادة بابها

ومن تأسيسه גרدد الهائل الكائن تحت أرض فسيح قبة الخياطين ذو الأساطين المحكمة البناء والأقواس الضخمة الشاهقة، ثم فوهة الركبان، ونهر الدواب عليه الصخور العظيمة، وتسير السيارات البحارة المشحونة بالأنفال ذات البال آنها الليل وأطراف النهار، بل جعلت فوقه جناث ذات أشجار وبقول وصارت تسقى بالماء كل أولة فلم يؤثر عليه شيء مما ذكر، يعرف هذا البناء اليوم بحسب قارئة، ويقال: إنه كان من جملة السجون المعده للأساري وغيرهم من أصحاب الجرائم العظيمة يبيتون به ليلًا ويخرجون نهارًا للخدمة.

(1) جروحه الشيء: أصله.
قال أبو القاسم الزياتي: وكان في سجونه من أسرائي الكفار خمسة وعشرون ألف أسير ونفي، وكانوا يخدمون في قصوره منهم: الرخامون، والنقاشون، والمحاربون، والخادمون، والباترون، والزواقون، والمهندسون، والمنجمون، والأطباء ولم تسمح نفسه بقيادة أسير بمثل قط - أي إذا كان يفدي بعضهم من أسر من المسلمين - وكان في سجونه من أهل الجرائم العظيمة كالسارق والقاطع والقاتل نحو الثلاثين ألفاً كلها تقبل بالخدمة مع أسرائي الكفار ويبينون بالسجن والدهاليز تحت الأرض.
قال: وامر الشيخ الحسن اليوسي مع المعتصم ابنه عام حجمها وهو عام واحد ومائة وألف بأن يبعث النصارى أسرى العرائش لحضرتهم فبعثوهما وكانوا ألفاً وثمانية فكان يخدمون في بناء قصوره - أي الخارجة عن قصور الدار الكبرى لانتهائها قبل التاريخ المذكور كما تقدم - من جملة غيرهم من الأسرى والمساجين ومن الليل بيبيون بالدهليز، انتهى.
قلت: استعمال المساجين بالخدمة نهاراً وجعلهم بالسجن ليلاً هو السن الذي تفعله الدولة الحامية مع المساجين من الأهالي، وكانها اتخذت ذلك من فعل المولى إسماعيل ولا يعرف اليوم الباب الذي كان يدخل منه لهذا السرداب والدخول إليه في الوقت الحاضر، إذا يقع من ثقب في سطحه حدو الجدار المحيط ببراح قبة الخياطين المذكورة من جهة الغربية.
ومنها الصريح الشاهق المبني فوق سابع الباب المعروف الآن بباب الرايس ذو الأقواس العشرة، خمسة على بين المار فيه، وملحقها عن شماله المحمولة على الأعمدة الحجرية العظيمة التي لا زالت موجودة قائمة لهذا العهد، أربعة عن اليمين ومثلها عن الشمال.
ومنها الصدر الحائل الذي كان فوق القصر المعروف اليوم بأروي الجزارة
الواقعة بعدها الضريح الإسماعيلي أمام مكتب الاستعلامات الآن، والهري العظيم
الموجود في الوقت الحاضر داخل عرصة البحرية الشهيرة، كان هذا الهري في
زمن السلطان الوالي الحسن مُعاَداً لخنزير الحطب والصرحان مما أصبحا في خبر
كأنه، وإيما سمي القصر بأروي الجزارة لأنه كان معداً لزنوت الجزارين الملازمين
لحضرة السلطانية في الظ문 والإقامة وربط دوابهم به بعد تخربيهما فيما خرب
ووزال زيته، وقد جدد بعضه الموالي للعقبة المذكورة بعد حلول الدولة الحامية بين
أظهرنا.
ومنها القصر المعروف اليوم بين القبب الكائن باب ابن القاري الداخلي
المجاور لجنان البحراوية والاترجية من الجنة السلطانية.
ومنها القصر المعروف بدار لال صفيه الذي به اليومسكنى أبناء عم الجلالة
السلطانية العلامة النقاد مولانا العباس بن عبد الرحمن بن هشام المقابل بابه الحالي
باب منصور العلج.
ومنها الهريان العظيمان الموجودان بإزاى صهريج السواني أحدهما يحتوي
على ثلاثمائة وخمس وأربعين أسطوانة طولها مائة ونف وثمانون مترا وعرضه لا
يقل عن ثمان وستين متراً، كان هذا الهري على جانب من الضخامة عظيم
يشخص للعيان بساطة ملك مشتهي وسقيرته على الإبقاء بكل عجيب، كان سطحه
بمثابة برج عظيم يوضع عليه من الآلات الحربية كل مدهش غريب الشكل، متناه
في العظم بالنسبة لزمانه الغابر.
وقد لعبت أيدي البلي بجديده، وخرست سقوفه التي كانت تضاهي شواخ
الجبال، ومع الأسف فلا رأيت عووام الحراب عاملة فيه إلى الوقت الحاضر
وهو اليوم وكر للبوم والهواج وإنواع الحشرات، وهذا الهري هو الذي قال فيه
171
أبو القاسم الزياني: وجعل بها هريباً خزناً الزرع مقبولاً للقنانيت يسع زرع أهل المغرب كله في.

وقد كان جعل لسطحه طريقة تستوي مع الأرض في بعض الجهات يقال إنها كانت مصعداً للجمال الحامل للقمح فتهب بأعمالها فوق السطح حتى يوضع حول الكورة المفتوحة فيه لصب القمح لذاك الهري منها فيستغنى بذلك عن فح باب الهري اللاصق بالأرض إلا عند حصول موجبة، ولو لم يكن من آثار عظم ثروته ملكه قدس الله روحه إلا هذا الهري وما أعد له وما ذكر من صفات الحزن فيه لكفى، فكيف وسائر تصرفاته الهائلة إما هي بعض آثار ثروته البعيدة عن الوصف.

والهري الآخر بإزاء سابقه متصل به لا زال صين السقف حتى اليوم رغمما عما نبت عليه من الأشجار حتى صار كأنه غاية من عدم المباشر ومن يهمه يتعاهد إصلاحه، بهذا الهري عدة آبار في غاية العميق ذات مياه عذبة طافية وجعل لكل بشر دولاً عظيمًا ينزل منه الماء ويصبه في المجاري المعدة له إلى أن يصب بالصهريج صهريج السواني المذكور، يبلغ طول هذا الهري سبعاً وسبعين متراً وكسره، وهو الذي قال فيه أبو القاسم الزياني: وجعل بجواره يعني جوار الهري المتقدم السواني (1) للماء في غاية العميق مقبولاً عليها، وفي أعلاها سقاة مستديرة لوضع المدافع والهباريز ترمي لكل ناحية، اهـ.

قلت: وقد تهمت تلك السقالة ولم بيق لها في الوقت الحاضر أثر، وجعل بقربة من هذين الهرين صهريجاً كالبحرية يجمع فيه الماء الجاري في تلك المجاري تسقي من فيضه رياض وبساتين ينف طول هذا الصهريج على ثلاثمائة متراً، وعرضه على ماء وأربعين، ولم يكن مقصد المحمود في حفر تلك الآبار واختراق

(1) السائبة: استقى أو أخرجت الماء من البحر ونحوها. والسائبة الأرض: سقّتها.
ذلك الصهريج يرمي لتلك الغاية فقط، بل لغرض أشرف وأعمق وأهم لا يعلقه إلا المهرة السياسيون العالمون.

وتلك الغاية هي بقاء سكان المدينة في اطمئنان وأمان في حالي السلم والحرب مع عتاة البربر، إذ المياه الداخلة للمدينة إما تأتي من بحيرة القبائل البربرية، وقد حفظ التاريخ ما كان لهم من التمدد وإبادة الامتنال للأواصر المخزنة وعدم تلقيها بالسمع والطاعة والنظر إلى عددهم، وللأخص سكان الحواضر بعين الصغار والاختبار، وأقل ما يتوصلون به لأذاهم صرف مواد المياه عنهم والماء ضروري في حياة عموم الإنسان بل كل شيء حي، ولذلك يرى كل كيس متأمل لا تعزب عن علبه مقاومة العقلاء ذوي الأراء السديدة والأفكار المصيبة، أن مطمئن نظر هذا السلطان العظيم الشأن فيما يوطن الأمن ويجلب الراحة لرعيته عموماً ولن باعاصمة ملكه من السكان خصوصاً، ولذلك تراء بالغ في تحصين هذه القلعة فأحاطها بأسوار عديدة لا يخلو سور منها عن سقائف وأبراج مشحونة بالعدة والعدد، وادخور بها من الأقواف والذخائر والقوة الحربية ما تؤمن معه كل غائة وتكسر به شوكة كل عاد بالغ ومارق عن الطاعة ولزوم الجماعة، ولم يزل يبالغ في التحصين حتى صير عاصمة ملكه حاضرة في بادية وباحية في حاضرة بحيث يمكن لاهلها الاستغناء عن كل ما يجلب إليها من الخارج من زرع وضرع، فهم من المزارع داخل سورها ما هو فوق الكفيلة لأنواع الحرائين ورعي الماشية والجدران الحصينة وراء الكل ومحيطة بالجميع، والأبراج ذات الأدراج والسقطات المدهشة الحصينة مغلقة في وجه البغاة ذوي الشقاق.

ولم يكن ذلك خوف منه ولا جين فيه كما توهمه الجهلة الحاسدون ومن في قلبه مرض من الملحدين والفاشرين، إذ قد نص التاريخ لنا ما كان مجيباً عليه من الشجاعة والإقدام وقوة الجأش، فقد قال مؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزيني: وبالشجاعة أدرك السلطان إسماعيل ما أدرك، وبلغ ما بلغ رحمه الله.
وكيف تتوهم جبهه وخوفه ذو بصيرة والبرير الذين احتاجت العاصمة إلى كل هذا التحصين من أجلهم، لم يستقر لمحصنها أبي النصر مولانا إسماعيل قرار حتى نهض إليهم وأوقع بهم الإفراطات التي تحدث التاريخ بها حتى استأصل قوتهم وسلبهم السلام والكرعاء وصبرهم عملة ليست المال ولاهل العاصمة يعيشون في مهنة ذلك لا غير، حتى كانت المرأة تخرج والثمني من وجدته إلى وادي نون ولا يوجد من سائلهما من أين إلى أين، ولم يبق بالمغرب سارق ولا قاطع ومن ظهر عليه شيء وهرب يخون في كل قبيلة مر بها وفي كل قرية، وكلما بات مجهول الحلال بحلة أو قرية يشفق بها إلى تسبيين براءته، وإن تركوه فإنهم يؤخذون به ويدون ما سرقه واخترقه من الجرم كالقفتل وغيره كما قاله النبوي وغيره، أم كيف يرمي إلى ذلك فكر ذي لب وهو يرى ويسمع ما حفظه التاريخ من أحوال عواصم الدول الكبير من المبالغة في التحصين، حتى إن الأستانة عاصمة تركيا قد أحاط بها بنوها الأولون من الروم قبل حلول تركيا بها جددان ثلاثة عشرية متوايلة في كل جهاتها الثلاثة.

وأما الرابعة فالبحر متصل بها وحتى إن عاصمة مدينة دهلي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالشرق، سورها المحيط بها لا يوجد له نظير.

قال ابن بطوطة وغيره: عرضه أحد عشر ذراعا ويسعى في داخل السور الفرسان والرجل من أول المدينة إلى آخرها قال: وأسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالآجر وأبراجه كثيرة متقاربة، قال وهي من بناء الكبار وحتى إن تدع - يفتح يناء وسلوك الدال وضم اليم - إحدى مدن الشام الشهيرة التي بلغت من التوقيع وشدة التحصين ما نسبته إلى البناة السليماني بعيدرة الجن والشياطين.

وفي توصيف بنائها قال في «معجم البلدان»: هي من عجائب الأبنية، موضوعة على العمود الرخامي، زعم قوم أنها ما بنته الجن لسيدنا سليمان عليه السلام، ونعم الشاهد على ذلك قول النابة الديني: 174
إلا سليمان إذ قال الإله له بينون تدمر بالصفا والعمود
(1) الجن (2) إن الهز من أمورهم
وأهله تزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود عليه السلام
بأكثر مما بيننا وبين سليمان ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيبا جهلوا بانه أضافوه إلى
سليمان وإلى الجن (4) اه. وأصله للجااح.
وفي كتاب مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام ما نصه، قالوا: ولكنكم إذا
رأتم بنياتا عجيبة وجهلتم موضع الحيلة فيه أضفتموه إلى الجن ولم تعانوه بالفكر.
وقال العرجي:
"سدن مسامعها لفرع مراحل من نسج جن مثله لا ينسج
اه."
وهكذا السور المحيط بأنطاكية فقد تحدث التاريخ بعده عرضا وعمقا (5).
وتقتصر السببر في متسع هذه المهامه وأما ذكرنا تنبه للمصنف من ستة
أوهامه.
على أن مباهة العظام من ملوك الجاهلية والإسلام بالبناءات الهائلة أمر
معروف، ومحيط ملوك غير مخوف، ففي "فتح الطلب" ولا خفاء أنه أي البناء
بدل على عظم قدر بانيه، ولذلك قال أمير المؤمنين ناصر الدين الرواتي باني
الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء:
(1) تحرف في المطبوع إلى: "وجيش" وصوابه لدى ياقوت.
(2) تحرف في المطبوع إلى: "الجني" وهو غير صحيح عروضيا، وصوابه لدى ياقوت،
والبيتان من بحر البسيط.
(3) معجم البلدان 17/2.
(4) معجم البلدان 17/2.
(5) انظر في ذلك ياقوت، مادة (انطاكية).
175
هِمَمُ الملوك إذا أرادوا ذكرها
من بعدهم فبَالسْنُ البَنْيان
(1) أضخَّى يدخل على عظيم الشان

إن البناة إذا تعصُّم قَدَرَة
ومن إنشآءات مولانا إسماعيل في قلعة القصر المسمى لهذا العهد بدار البار
وهو المعون على باب باب مسعود بن العربي، وهو متصل بقصر المحنسة
والمرستة، ومجاور لباب مراوح مقر الممالكة الملوكية وموقع هذا القصر شرقي
صهريج السواقي، ومن جهة الجنوب النهج العمومي هناك أضيف القصر للبار لأن
السلطان الأكمل مولانا الحسن كان جعله مقرًا للبار الحلوين الذي يقام من
حليبه في سائر الظروف السنوية تموين الحليب لداره العلياء، وكذا جعله مقرًا
للقيميين بحليبه تحت إشراف أمين حتى يصل محله بالدار المولوية ليد المكلف
بتقييمه على أفراد العائلة الملوكية ثمة، والزائد على التقييم من الزبد المستخرج
منه على ما اقتضته أنظاره السوية وأوامر العلياء، يجمع ويحمل لجنبه العلي كل
سنة حينما كان من أيامه السعيدة.

والعادة في كل بقرة انقطع حليبها نقلها للعرازو السلطانية ويؤتي بالحليب
بدلًا، وبذلك كان الحليب لا ينقطع من الدار السعيدة في سائر فصول السنة،
وعلى ذلك استمر العمل إلى آخر الدولة العزيزة، ثم انقطع وفني السكان القيمون
وخبز القصر وصار براحا تزروع فيه البقلو والخضروات، والعادة المحكمة إلى
الوقت الحاضر هي دخول سلطانان الوقت عند الإياب من حفلة صلاة الأعياد من
باب مسعود المذكور للدار العلياء تيمنًا بالسعادة التي في اسم من نسب إليه وقد كان
يغير الأسماء القبيحة ويحب الفأل الحسن.

ومن فاخر تآسائه فيما قلعته الإصطبل بل القصر الذي أعده لربط خيله
ذلك القصر الباهي الباهر، الذي لم يزل أثر بنائه التاريخي دينا للأوائل على

(1) نحن الطبيب/1 521
الأواخر، ذلك القصر هو المعرف اليوم باسم الأروى ذلك القصر هو الذي أشار إليه أبو القاسم الزياني بقوله: وجعل لها إصطبلا لربط خيله وبغاله، طوله فرس مسقف بديعة البرشلة على سواري وأقواس هائلة كل فرس مربوتو آثى عشر ألف فرس وبين الفرس والفروس عشرون شبرا، يقال إنه كان مربتو آثى عشر ألف فرس مع كل فرس سائر ونصراني من الأساري خدمته، وفي هذا الإصطلب ساقية للماء مقبولة الظاهر، أمام كل فرس محل مفتوح كالعده للشربه، وفي وسط هذا الإصطلب قبب متعددة لوضع سروج الخيل على أشكال مختلفة إه.
وفي هذا الإصطلب هوري عظيم على طول الأروى خنزير الشعر المعد للعلف يسع شعير المغرين، وهذا الهركار لا زال قائما حتى الآن، إلا أنه قد خرو بعض سقفه، وهذا السقف بعضه الآن مساو لأرض الأروى والبعض الآخر بارز عنها وبه أبواب، ومن الغريب أن الزياني ومن تعبه لم يتعشروا لذكره مع كونه من حائل المباني الإسماعيلية التي لا زالت قائمة العين كما ذكرنا. قال أبو القاسم الزياني: ويجاور هذا الإصطلب بستان على قدر طوله في من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب عجيب طوله فرسخ وعرضه ميلان إه.
قلت: صار هذا البستان قبل اليوم دورا للجيوش السلطانية، وغالب دوره لا تخلو عن غرامات ويعرف اليوم باسم الزيتون، صار هذا الاسم علما له بالغبة.
ومن المباني الهائلة بهذا الإصطلب أيضا هيكل الهراري المائة آن فيه وهو هيكل عظيم هائل اشتمل على أهرية منها هري سبع قيب. وقد دخلنا هري سبع قيب هذا فوجدناه انصب من بناه مدهش يمثل عظمة بانيه وكمال اقتصاره، وبه ست قيب محصنة بالقبة الوسطى العظيمة التي هي سابعة القيب، يقال: إن هذا الهراري كان معدا لوضع السلاح العربي فيه حتى يحتاج إليه، وقد كان السلطان العظيم الشاشان الأول حسن عين هذا الهراري خنزير البارود ثم بعد مدة طرأ عليه ما
أوجب نقل البارود منه، وذلك الطائر هو حدوث بلبل بابره لم يعهد فيه قبل نقل منه ووضعه بأخرى آخر حذوه، ولم يزل مصونا به إلى أن حلت الدولة الحامية وألقته في صهريج السواني التقتله أفواه قوات مجارى مياهه أيام امتثاله.

وبترف هذا الهيكل باب يصعب منه في مطلع بدون درج على هيئته مطلع منار حسان برياط الفتح وجامع الكتبين براشكن إلى الصرح العظيم المحمول على هذا الهيكل الفاخر المساوي له طولا وعرضه وارتفاعه، وهذا الصرح هو المعروف اليوم باسم المنصور، اشتمل على عشرون قبة في كل جهة قب خمس، الخاصة في كل ربع هي الوسطى وهي أكبر قب ذلك الربع مع كونها مربعة ومساوية لمقابلوها، وقبل قبة شباك يشرف الناظر منه إما على العاصمة تماما ويسطحها، وإما على ما حوله يناف طول ذلك الصرح والهيكلي المحمول هو عليه على مائة متر، وعرضهما سبعون وفي هذا الصرح يقول الكاتب أبو فحص الخراط:

بناني الله في نحر الأعادي
وصلت على القصور بكل نادي
وبراميل قد أسنى عمادي
وعمري بآلات الجهاد
فحال العز من راب العباب
وأعقابه إلى يوم التنادي

قلت: قوله بناني - هو بالباء في أوله من البناء ضد الهمد ولا يصح أن يكون بالفاء من الفاء معنى العدم، لأنه إذا يتعبد بالهمز وهو في البيت مغتعد بنفسه ولأن الإياتان به في طالعة مديح بناء ذلك القصر مما يشاع منه لأنه دعاء.

178
إعداده، وهو كالماتي للمقصود. هذا وليس يقصر ارتفاع هذه الهياكل وصرحها عن أربعين مترا وذلك أيام بهجته وشوابه.

ومن المفاخر الإسماعيلية المعصرة الفاخرة البناء الواقعة في الجانب الشرقي من أروي مزيل التي صارت اليوم معملا للصناعة الحديدية، يقال إن زيتون حمرية كان يطفح بهذه المصرة.

وقد وصف هذه القصبة الإسماعيلية بعض من كان مستخدما في بنائها من أساري الأوربايين وهو مويت الفرنسي في كتابه اللذين وضعهما في وصف الملكتين الرشيدية والإسماعيلية وفوتوحاتها وقضيتهم أسرتها فيما فشل: إنها في الجنوب الشرقي للمدينة، وان ابتداء بنائها عام أربعة وسبعين وستمائة والف مسيحي، وطولها أكثر من عرضها، كما أن عرضها من الجانب الجنوبي الغربي أقل من عرضها من الجانب الجنوبي الشرقي.

ولها ثلاثة أبواب أعظمها الذي بالجانب الجنوبي الشرقي ويسمى باب الخلاء أي المفضي خارج المدينة، على جانبيه برجان عظيمان عاليةان مربعان على كل واحد منهما ثلاث شرافات على هيئة نور السويسان بسجها الأسوار عام سبعية وسبعين وستمائة ولف مسيحي. وهذا الباب يقابل المقبرة.

والباب الثاني يسمى باب الحجر لبناءه بالحجر المنحوت وهو المقابل لروى مزين.

والفثالث يسمى باب المدينة وهو المقابل لها ثم هذه القصبة لها ثلاثة أسوار من جهة الشمال الشرقي عرض أولاها ستة أشباه، وعلى طرفه برجان مربعان ذوا شرافات، وعرض السور الثاني ثلاثون شبرا، وبين هذين السورين فسيح مربع يسمى روي مزين والثلاثون شبرا التي في عرض الحائط الثاني لم تستمر في عرض...
الحائط كله، بل أسقط البناؤون منها حتى صار البارز منه عشرة أشجار بنى على طرفيه جداران صغيران عرضهما ثلاثة أشجار وعلوهما قامة وبينهما داخل الجدار المذكور يطفو على القصة العبيد الساكون بالأبراج من غير أن ينظر إليهم أحد لا من داخل القصة ولا من خارجها.

وأما السور الثالث وهو سور قصر الحريم وهو أعلى من الأولين ويهب كوات وفرج وعلى يطوف عبيد الدار المخصصون وليس على القصة من الجهة الأخرى إلا سور واحد عرضه عشرة أشجار، وله أبراج مبنية شاهقة مربعة من جملتها معقلان:

أحدهما في جانب القصة الشرقي، والآخر في جانبيها الغربي.

وفي الجانب الجنوبي من هذه القصة قصة صغيرة بنيت ستة ثمانين وستمائة وألف مساحة تسمى الأرادة، عرض أسوارها ستة أشجار، وله أبراج مربعة بشرافاتها تفصل بين القصتين مقبرة، قال: وللقصبة الإسماعيلية منظر رائق من بعيد. قال: وتمتد بها مدينة مكاسس من الجهة الشمالية الغربية. قال: وفي عام واحد وثمانين وستمائة وألف اشتهر مولاي إسماعيل الجنان المجاورة للبنان الذي أنشأه على هيئة أكادل بمراش، وكان قصد أنه يجعل دائرته ثلاثة كيلو مترات، وقد أتم عمله في شهر واحد استخدم فيه في إبان المطر الغزير الأيار والعيد والقواد والشراف وغيرهم كما خدم في نفسه وكذا خدم بنفسه في بناء قصوره.

قلت: أما باب الخلاء المذكور فهو المعروف اليوم بباب الرايس، وإذا كان يسمى باب الخلاء زمن خدمه هذا الأمير بالبنايات الإسماعيلية، وإلا فقد صار باب المعمورة، وفي وسط القصة ومن هنا يفهم أنه لم يصف القصة بتماما لأنها زادت بعده كثيرا، والباب المفتوح للخلاء من تلك الجهة هو باب الناعورة البراني والمقرة التي أشار إليها أثناء عبور الروح، ومقابلها له ليست حقيقية، بل هي مقابلة في الجملة لأن الخارج من باب الرايس

١٨٠
تكون المقبرة عن يساره، وقد حال الجدار المار فيه ماء شرب المدينة المقابل لباب
القصر الملكي المسمى بالمدرسة بين المقبرة والباب المذكور.
وأما باب الحجر فإنه لا زال يعرف بهذه الإضافة إلى الآن، وهو الذي يدخل
عليه حوامة سيدي النجjar، ويبقى فوقه حوامة الدرية وكلاهما الأسمر فيه يدخل على
أن باب أبي العمار الواقع خارج هذا الباب لم يكن في زمنه وكذا باب المرس وإما
حدثا بعده، وهو قد كان المولى إسماعيل من عليه بالفلك من الأسمر في جملة
سبعين أسيرا عام واحد وثمانين وستمائة وألف مسيحي.
وأما باب المدينة الذي ذكره فهو المعروض باب منصور العلجل، وكلاهما
الأسمر نص في كون أصل هذا الباب للمولى إسماعيل فولده مولاي عبد الله إما
لمه كما يأتي ذلك بحول الله.
وأما القصبة الصغيرة التي قال الأسمر إنها في الجانب الجنوبي الشرقي فهي
قصبة هدرش، ونسبته إياه للاودية لعل ذلك كان لسكنية الأودية بها أول الأمر،
والمقبرة الفاصلة بين القصبتين هي مقبرة الحصيني المتقدمة، وأما قوله: روي مزار،
فهو عنده آخره راء، الشائع في السنة العامة آخره نون، والذي يكتب الموتعون
المتوفين حوله آخره لام، ويذكر أن مزيل المضاف إليه كان قيمة على أروى
خصوصية هناك، وهو من ألقاق السدة الملكية، وبالأسفر فقد أصبحت مشيدات
هاتيك القصور بالقاع، ولم تلف لتتلافي أشغالها من راقع، استعمرتها أنواع
العصافير والحشرات ودرست معاكم تلك الزينة الثمينة، وخرجت تلك القبب بل
انفحت آثارها وجعل عاليها سافلها وإلى الله عاقبة الأمور.
ولما وقفت على تلك الرسوم الدارسة، المستوحشة بعد أن كانت مؤنسة,
وطال تجدري في سبها وماله، تذكرت ما اشتهى ابن عربي الحماتي في كتاب
"المسامرات" لما دخل الزاهرة فوجدها بلاعف إذ قال:

181
ديار بأكناف الملعب ترتع
ينوح عليها البدير من كل جانب
فتصمت أحيانًا وخينة ترجع
له شجن في القلب وهو مروع
فقال على ماذا تنوه وتشتكى
وخيل لي أنها تتشددي قول من قال:
الله آخر مدني فشاخصر
حتى رأيت من الزمان عجائبًا
وليس بعيدن من طريق الاعتبار أن تكون الحكمة في سرعة تخرير تلك
القصور وغيرها مما يأتي من البناءات الإسماعيلية على عظمها وثخانتها
القاضيات بالنظر للفعالة بتأديتها في الجملة جعل ذلك في مقابلة هدم قصر البديع
الذي كان أسسه براكة السلطان أبو العباس أحمد المتصور السعدي الملقب
الذهبي، لفيضان الذهب في زمانه حتى قبل كانت ببابة أربع عشرة مائة مطرقة
تضرب الدينار دون ما هو معد لغير ذلك من صور الأقراط والحلواء وشبه ذلك
المبتدأ تأسيسه في شوال عام ستة وثمانين وتسعمائة، واتصل العمل فيه إلى عام
أثنين وألف ولم يتخلل ذلك فتره، وفي عام تسعة عشر ومائة وألف، أمر مولانا
إسماعيل بهديه فهدمت ماعله، وبددت مراسمه، وغرت محاسنه وفرق جميع
حسن وعاد حصيداً كان لم يغيم بالأس.
قال في "نزلة الحادي"، تأملت لفظ البديل فوجدت عدد نفقات حروفه بحساب
الجمل مائة وسبعة عشر، وهذا القدر هو الذي بقي فيه البديل قائمًا عامًا فإنه فرغ
منه عام أثنين وألف، وشرع في هدمه عام تسعة عشر ومائة وألف، فتم🎈ه بعد
تمام بنائه مائة وسبعة عشر سنة على عدد اسمه وذلك من غريب الاتفاق اهد
وكون الجزء من جنس العمل أمر معهود في التصاريح الإلهية في كثير من

182
الجزئيات، وليس هذا بمزاحاً لما أشار البعض إليه في حكمة هدم البديع من كون ألقاذه صارت بعد هدمه كالراجعة لأصولها، إذ ما من نقطة مzierبة إلا وصار إليها في الأغلب بعض ألقاذه، كما أن القوة المخزنية كانت آزمت وقت بناء البديع سائر النفق المغري حمل ما قدرت عليه مما لديها من مقومات بناء قصر البديع المذكور ويصاله إلى محل بنائه.

قال في «النزة» حتى إنه وجدت بطاقة فيها إن فلانا دفع صاعًا من جيار حمله من تنبكت وظف عليه في غمار الناس اه. فكان تفريق أجزائه بعد الهدم وفق ما جمعت عليه حين البناء وذلك أيضا جزء من جنس العمل جزاء وفافاً والحكم والنكت لا تتزاحم على أن ما ذكره هو حكمة لهدم البديع، وهذا الذي أشرنا إليه هو حكمة لهدم ما شيدنا الجد هادم البديع برذ الله ثراه.

وفي كل شيء له آية
فليعتبر بذلك البصير، وليقرأ فيما يأتي وما يذره الآخذ بالنصوص النوازح
الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، ولعله أنه كما يدين يدان.

ومن تأسيساته الفائقة العجبة التي لم تنسج على متواجاتها نامس مدينة الرياض العتيبري، جوار قصبه السعيدة لا زال موقعها إلى الآن بدخول الغابة يعرف لدى الجمهور بالرياض، خارج باب زين العابدين، أخذ أبواب المدينة اليوم، كان عينه لأخواله الأودية عام ألف وثمانين وثمانين كما في "الروضة السلمانية" وآمرهم بناء دورهم بها.

وفيها كانت دور العمال والكتاب وذوي الحسقات من أعيان الدولة، قال أبو القاسم الزيني: وكانت مدينة الرياض زينة مكناسة وبهجتها، وبها آثار أهل دولة مولانا إسماعيل كل من كان له وظيف بخدمته بني داره بها وتنافس العمال والقواد...
في بناء القصور والدور، فقد كان بدار على بن يش أربعة وعشرون حلقة يجمعها باب واحد، وكانت دار عبد الله الروسي وأولاده أعظم منها كانت حومة وأمثالها من القواد، وبنى كل عامل مسجدًا في حومته وبوسطها المسجد الأعظم الإسماعيلي ومدرسته وحمامه وفندقه وأسواقه الموقفة عليه وكانت تتفق فيها البضائع التي لا تتفق بغيرها. 

أه. هذا وقد طارت الركيان وقص التاريخ لنا ما كان لدينا الجد الأكبر السلطان الموالي إسماعيل من الاهتمام بأمر هذه المدينة مدينة الرياض المذكورة، وما كان لدويها لديه من شغف الكثافة، وناهيك أنهما كانت كرسي الوزارة في دولته، بل كانت محط رحلات أولى الأمر من رعيته في عصمه، شيد فيها المسجد الأعظم الحافل الذي فاخرت به الأواخ الأواخ، وشهد بها الدور والقصر والأسواق، والحمامات، وغير ذلك من الرياح والعمق، ووقف الجميع على ذلك المسجد الفاخر.

وقد وقف في بعض التقاريد التي يكاد القطع يحصل بصحتها والعقود القديمة التي لا مطعن فيها على ما صورته: الحمد لله الذي لا يضيع أج من أحسن عملة، ولا يخيب من أخلص له النية أملاً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد آخراً وأولاً، وبعد فإن مولانا أمير المؤمنين، لموقع بتوافق المعين المتوفر في جميع أموره على رب العالمين، المنتخب من عترة النبي الظاهر لصلاح الدنيا والدين. عز الإسلام والمسلمين. تاج الملوك المجاهدين، الملك الهمام الذي اعتز الإسلام تحت لواءه، ورتع الأئم في ظل هديه الصالح واهتدائه، وأمس قواعد الملك الذي أناف على ثوابك الكواكب شامخ بناته، ذو المجد الأعلى، والفخر الأصيل. أبو الوالي مولانا إسماعيل، شكر الله أنظاره، وخلد مآثره وآثاره، وعمرو بالنصر العزيز منازله، ديداره، ابن مولانا الشريف، على القدر السبط، لما وصل 184
الله خلافته العليِّة ما عهد، ومنع ما خول وأعان على ما خلد، أعلى الله منار
عدلها، وشكر مكارم قولها وفعلها، جاهم في الله حق جهاده، حتى استخلص
من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصنهم بلاده، ووجد ما انثر من العمال، وشهد
ما تركه الأوائل للأنام من الأثر إلى غير ذلك من الأثر الحسن، الدالة على معايله
في كل زمان، اللهم كما نصرت به الدين، وأيده عليه أعدائكم الكافرين، وجعلته
رحمة للعباد، وعصيصة للبلاد، ونقاء لأهل الفساد، فأكرمه الله خلافته العزيزة
بطول البقاء، وألزم أوامره وصوراه أقوم الأضاء.

وحين بوأه الله المراتب العليِّة، والأفعال الزكية المرضية. صرف همه لتشيد
المساجد، وتشهير المعاهد، وخصوصاً مسجد المدينة العليا الجديدة العنبرية الذي
جعل له من الأوقاف داخل المدينة خارجها ما هو مرسوم بالورقات الثلاث قبل
هذه الموالات لها وقف شهيداه الواضعان لاسميهما عقب تاريخه مع ناظر المسجد
في حيشه، وهو المكرم عبد الوهاب ابن الناظر الكريم عبد العزيز حاجي على عين
جميع أوقاف المسجد المذكور عمره الله بدوام ذكره داخل المدينة المذكورة
خارجها، كل وقف منها على انفراده، وحازه معاينة، وجد الحوز، ولم تحقق
عند العلامة القاضي بحضرة مولانا العليِّ، وخطيب منبرها العالي المخصوص لديه
بترفع المزبة. المصرف إليه خطاب القضاة بإبائه الحسنِية، قاضي الجماعة،
ومصرف الأحكام المطاعة، سيدى محمد أبو مدين بن حسين السوسي ما عليه
الناظر المذكور من الحزم، والسمي في المصالح والعزم، أوصاه أن يعمل على ما
يقره عند الله من مرضاته، ويوفر يجزيل مشواته، وفي أوسط رجب الفرد عام
ثمانية ومائة وألف الحمد لله شهد وضع اسمه عقب تاريخه بعرفة المواعيد المديدة
بالقوائم السط بصحوله مع ما في القائمين أعلاه معرفة تامة كافية ويشهد مع ذلك
بأنها محضة على المسجد الأعظم، من المدينة العليِّة المخططة عن الإذن العلي بالله

١٨٥
من قبل مولانا المنتصر بالله الإمام العدل معظم المتواضع لذكر الله ورسله، فرع الدولة الخسنية وأمكن ركنها، حامي حمى خلافة الإسلام، مولانا إسماعيل بن مولانا المقدس مولانا الشريف الحسني أمده الله بعفوية تأييده ويعوته نصره ورشده آمين.

وهي المسمى بالرياض العنيفرية عمره الله بدوام ذكره وحرسها حسبا يجري مجزرا ولا يرد عن طريقها وسبيلها مؤيدا وواقعًا محذرا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن بدل أو غير قاله حسبه وسيلة وولي الانتقام منه، وسليم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فمن عرف ذلك كما ذكر قيد به شهاته في أواخر جمادي الثانية عام ثمانية وثمانية وألف، الحمد لله الذي جعل الخلافة شمسا من عنصر النبوءة فأضاءت على أديم البسيطة أنوارها، وارتفع إلى السها والفضاءات منازها، وتلقت بالإصباح ناهرها، ولاحت في سماء المجد بدورها وأقمارها، وهزت عطف الزمان انتشاء مناسبها الشريفة وأخبارها، وفاضت ليركتها على أكاك المعصوب خضمها الزاخر وتيارها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ظهرت نبوءته قبل ولادته، وبشرت الأحبار والرهبان بعومر رسلته، وخرجت له حجب الأفانق، وفرجت له السبع الطبقات، ففجأ على كاففة الأنبياء والمرسلين خصول السباق، صلى الله عليه وعلى آله والرضى من أصحابه صلاة كاملة ورضي تاما وسلم كثيرة أثرا، أما بعد: فإن الله تعالى قد اختار لصلح هذه المغارت، من سعد به البادي والحاضر والشاهد والغائب، الإمام المنتخب من عترة النبي الذين علوا مناصب ومناصب، ورقوا إلى أشرف المنازل والمراقب، الملك الهمام، حافظ بيئة الإسلام وكافل أمة النبي عليه السلام، صاحب الفتوحات المنسقة النظام، جمال الأناش، ناج الإمام عز الإسلام، الذي أسفر عن صبح النصر العزيز نصله، واشتمل على خواص الشرف الأصيل جنشه وفصله، وطابت فروعه.
لمَما استمد من ريحانتي الجنة أصله، ذا العزم الأسيسي، والسعي الأرضي، الملك
المصون أبا المآثر الحسن والمفاخر السلطان المجاهد في سبيل ربه وابتشاغة مرضاه،
مولانا إسماعيل بلغه الله من رضاء أقصى مسئله، وأعانه على جهاد عدو الله
وعدو رسوله، ابن مولانا الشريف بن مولانا على جدد الله عليهما ملابس
الرحمة. وجزاهما أفضل ما جرى الصالحين من ملوك هذه الأمة؛ لما وراه الله أمر
عبادة، ويسط اليد في أرضه وبلاده، ونصره على أعدائه، وأيده في أرضه بلائحة
سمانه، واستقر ملكه الشامخ البان بمدينة العز مكناسة البحراء، دار ملكه الجهد،
وكرسى دار الإمارة المظفرة العساكر والأجناد، عصمه لله ووقاها، وحفظ بها
كلمة الإسلام وأبقاها، فلما استقر بها ملكه الأشرف وانعقدت بالنصر العزيز رابعة
الفتوحات على قناة العدل الذي عليه مدار الأمور، وعشا إلى نور سراح الهواج
الخاصة والجمهور، ضاقت المدينة المولوية بجيشه المصون، أمر أبده الله أمره، وأبد
فخره، وأدام تأيهه ونصره، بناء المدينة الجديدة العثبرية المختصة بأمره السلطاني،
المؤيد بالتأييد الرباني، لا زال نافذا بعون الله مسر الآذب، وطاعا له في جميع
أقطار الغارب، فنبت صانع الله من طوارق الحدثان وحاضها من سوء ما يجري به
الملاون، وأمس بها مسجدا للخطبة عتيق، وبنى عن أمره العالي البناء الحسن
الوثيق، وصل الله عوائد صنعه الجميل لديها، وعمره بدوام الذكر والعبادة إلى أن
برت الله الأرض ومن عليها.

ولما كمل بناؤه وأعانه من له القوة والعون سبحانه على ذلك حمد الله
 تعالى، وأثنى عليه الذي وقعه وأعانه عليه، ورجأ كمل الله رجاه أن يدخل تحت
عموم حديث الصادق الصدق، صلوات الله عليه وهو قوله ﷺ: "من بني لله
مسجدًا بني الله له قصرًا في الجنة"، وقوله ﷺ: "من بني لله مسجداً يستغي به
وجه الله العظيم بني الله له مثله في الجنة"، وقوله ﷺ: "من بني لله مسجداً بني

١٨٧
الله له في الجنة أوعسع منه، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية. وصحاح الأخبار المصطفية.

وأمر أبى الله أمره عام ستة ومائة بعد ألف بجلب الماء له من عين البيضاء في قادوس مختص به، ويكون الموضع الذي يجري فيه القادوس حبسا عليه من العين المذكورة إلى المسجد الجامع الذي ذكر في جميع الأملاك السلطانية، وآلي فأذار المسجد الذي ذكر في حين وهو المكرم عبد الوهاب بن الباحر المنذر المكرم محمد بن عبد العزيز حجاج مع من له النظر العام والأمانة الكاملة في أمر البناة كلها، السلطانية على اختلاف أنواعها وأجتنبها، ناصح خدماته العالية حرس الله رفع أعينها، وسان من طوارق الخدثان على أبوابها، تاصح خدمته السلطانية، في السريرة والعليانية، وهو الطالب محمد بن الثقة الحائر خالد أهل كتاب الله الحب لآل بيت رسول الله عليه السلام وعلى آله محمد الكاتب شهير الأندلسية تجاراً، السفاسى داراً، ومنشأ وقراراً، بالوقوف التام على خدمة ذلك الماء على أن يصل إلى المسجد الجامع الذي ذكر، وصراً كليتلهما إليه، حتى بلغ على مقتضى غرضه السلطاني يجعل نصره الله ثلاثة أرباعه للمسجد الجامع المكرور، والريع الواحد الباقى منه للسقاية التي هنالك بإزار المسجد.

تقبل الله عمله، وبلغه في نصر الإسلام وصلاح الأنام أمه، ولما علم من قوله: "ما علمن من أنه عليه السلام قال: "من بنى الله مسجداً بنى الله له في الجنة أوعسع منه، أراد حصول تلك الفضيلة فأمر أبى الله بزيادة صفين ليوسع بهما، فزيد على نظير الإمام المبروك، في الإجلال قبلي المسجد الجامع الذي ذكر وصل الله سمعه، وأتاه من الثواب الجزيل قصدته، والحمد لله ولي التوفيق والتمسك، المتكفل له شكره بالزائد، ولن تؤكل عليه بالإعانة والتأييد.

وصلى الله عليه سيدنا محمد نبيه الذي اصطعاه من العبيد، وجعله السبب الأوصل في نجاة الناجي وسعادة السعيد، وعلى آله وصحبه صلاة لا تنقطع أبد الآبد ولا تبيب.
فحبس عليه من الأوقاف داخل المدينة وخارجها ما يذكر، ويعين ويفسر
بعد إن شاء الله، فالذي بداخلها أمينها الله وحماها جميع الدار المتصلة بغربي
المسجد المذكور، وجميع الدار ذات البيوت المتصلة بشرقي المسجد المذكور، وجميع
الطراز المسند للسقاية الكبرى المنشأة هناك قرب المسجد المذكور وهو الذي صار الآن
دارا، وجميع الحمام الجديد المقابل لقبلي المسجد المذكور بفرنها ومنافعه، وجميع
المنزل الذي بأعلى الحمام قبلي المسجد المذكور، وجميع النصف الواحد على الشياط
في كافة فندق ابن عور صاحب إفراح في شركته فالتقى به بالنصف الآخر على مقربة من
باب الرياح، المواجه لسيدى سعيد بن أبي بكر نفعنا الله به، وجميع للخواتين
الثلاثة التي بأسلفل باب الميضاة(1) مع البيوت المسندة إليه، وجميع الحانوتين
المتصلتين بالقائمة الداخل الرياض من بلد الأول باب ثلاثة، فحول أسفل دار
الباشا منصور الرامي، وجميع النسبة المتصلة بداخل الرياض أمام باب
النافذ لقرب الولي سيدى سعيد، مبدهن من الحانوت. الثانية لحانتة القائمة
المواجه لباب اللمذكور بصف واحد، وجميع الحانوت الصغرى التي برحة التين عن
يسار الصاعد غربا، بعد دخول من الباب المذكور، والذي بخارها جميع الأربعين
حانوتا عن يمين الصاعد لباب المشاورين، أحد أبواب مكاسة، وجميع موطن
الثاني عشر حانتا المتصلة بها من جهة روضة سيدى عبد الرحمن القرشي،
وجميع التسع حانتا المتصلة بها من أعلى التي تناها حاج، وكل الحانوتين
صف واحد في اع交通枢纽 ضعفة الزمن، عدها إحدى وسطان حانوتا بجميع ما
لذلك من المنافع والحرم وكافة الحقوق الداخلة والخارجة، ليصرف من فوائد الحجس
ما يفضل عما يحتاج إليه أصله من الوجوه الضروريات بما يبقى أصل الحبس معه
محورا فيما يحتاج إليه المسجد الجديد المذكور من إصلاح مبانيه ومياله وحصانه.
وزيت الاستصباح به وراتب القائمين بأموره وغير ذلك ما يحتاج إليه.

(1) الميضاة: الإدعا فيها ماء يُوضّه به، والمواضع يتوضّه فيه.

189
ومن إنشائه المحيسة جميع المكتب المسند إلى المسجد المذكور لتعليم أولاد المسلمين قراءة القرآن، وجميع السقاية التي هناك، صغير في بنائها مثال دون الخشب، وجميع المنجزة المصلة بالمسجد المذكور خدمة الخشب لإصلاح المسجد وأوقافه، وصير في جلب الماء من العين البيضاء إلى المسجد المذكور ما يذكر مفصلاً، من ذلك ثمانية وعشرون قنطارا من الزيت من م):( lưuص مولانا المظفر المنصور، وثمانية وعشرون ألفا من القادوس الثلثي مدفوع في جملته بيد الفخار ألفاً أوقية اثنان دراهم وأربع كروشات من الجير مدفوع فيها مائة مشقال، وأجرة المعلم القوادسي عن مدة خدمته عشرة أشهر ثلاثمائة أوقية دراهم، وأن المال المدفع على يد الناظر المذكور في الصفين اللذين أمر مولانا بزيادتها قبلي المسجد المذكور صرة من التبر بيعت بائة وثلاثين مثالا دراهم، وكل المال المصير في بنائهم وادي جلب الماء للمسجد المذكور وفي بناء السقاية والكتب هو من مال مولانا الخاص به.

وحيس نصر الله أعلامه ماء آخر يطوى له قادوسه وحده من الوادي إلى أن يصل للمسجد المذكور. اه.

ولمع هذا الاهتمام العظيم بتحصين هذا السعي لماكرون من هذا الإمام العظيم منشئ مدينة الرياض، حتى تدوم قائمة بنفسها في سائر الشموع والأغراض، لم يتفع حذر من قدر فلم تمتع المدينة بكل بناءاتها الدينية والدنيوية إلا خمساً وخمسين سنة قضتها كلها في ازدهار وازدهار، لا تحوم نحو ساحتها الأكدر، وطاع السعد على أرجائها مشرق، وخمسين اليمين والأمانى بأكناها محدث.

وفي هذه المدينة يقول الفقيه الكاتب أبو حفص عمر الخراق من قصيدة يخاطب بها كتاب الحضرة الإمامية.

١٩٠
كتاب الإمام لقد سعدتم
دُونتم من قصور أبي المعالي
وقد كانت مئاركم بعيدة
مباركة بلا ريب سعيدة
قال في «المدر المتخيب المستحسن» وقد أجازه السلطان على هذه القصيدة
بأربعمائة مثال نفذه له عند عامله الباشا على بن عبد الله الريفي فقبضها منه في
الحال. أه.
قلت: هذا وأبيك الكرم ونخوة الملك، فالأربعمائة مثلنا في ذلك الزمان
من الأمر ذي البال تقوم بما لا تقوم به اليوم أربعمائة ألف فرنك، ثم لم قضي الله
بخراجه وثور نظام عقد محاسنها، قيض لنقض محكم بناتها السلطان المولى عبد
الله فجل مؤسس قواعدها على تقوى من الله ورضوان، فأمر النصارى وغيرهم
بهذهما لأمر عرض له في الحال اعتراها بسببه شبه اختلال، وذلك الأمر هو ما ذكره
صاحب «المدر المتخيب» من إنه كان إذا جن الليل اجتمع من سكانها القدواد
والأعيان وتناولوا الأمور الواقعة في الآفاق والبلدان، وتناولوا فيما بينهم وإن
أرادوا أمراً عليه صمموه ويدبون الأمر حتى يكون ما عليه عولموا، فنصر مولاي
أحمد الذهبي أولاً كان في مدينة الرياس المذكورة، وفيها اتفقوا على عزله ونصر
مولاي عبد الملك في الرواية المشهورة، وفيها عزلوا مولاي عبد الملك وردوا
مولاي أحمد، وفيها اجتمع رأيهم على نصر مولاي عبد الله وكان مولاي عبد الله
إذا فعل فصلاً اجتمعوا وتحدثوا، فكان مولاي عبد الله لأجل ذلك لا يبلغ منهاء،
إلا أن أراد مولاي عبد الله أن يبرم أمراً اجتمعوا وقالوا هذا أمر لا نفعله بوجه ولا
بحال، فبلغ الخبر مولاي عبد الله فأعرض عن ذلك الأمر الذي أراد كأنه لم يبق له
بالة، وأرسل إلى العبيد الذين يمشرع الرملة ومن كان غائباً من جنوده وكساهم
وفرق عليهم الأموال، وزادهم في الراتب وقدمه لهم على الكمال.
ففي فجر يوم السابع والعشرين من شوال عام ثلاثة وأربعين ومائة ولفحصت تلك الجندوتي واعد الله الهلل وركب فرسه ووقف على تل مشرف عليها وأمر بالهلم من كل ناحية والناس نام فمن أسرع وحمل رزقه وقشه نجا، ومن لامعين له بقي قمه تحت الردم وارتجل الوديانق فاس الجديد مع إخوانه وتفرق غيرهم في المدينة، فما مضت عليها عشراً أيام إلا وصارت كدية من تراب يعش فيها البيت، ولم يبق بها إلا الأسوار والجدران قائمة كما قاله أبو القاسم الزياني وغيره، والبقاء لله وحده، وله سبحانه وتعالى الأمر من قبل ومن بعد.
وقد صارت موقعها من مزارع العاصمة المكاسية ومراعي مواشيها، ولا زالت إلى الوقت الحاضر بعض الأطلال قائمة بها، وقد كانت تلك المزارع فيما سلف معدة لنزل الجيوش السلطانية عند ما يحل ركبها الشريف بالعاصمة المذكورة، وأحدث بها الآن محال لسكني اليهود لضيقت حارتهم عليهم.
ومن تأسيساته حارة اليهود التي بها سكنائهم الآن، أسسها عام ثلاثة وتسعين والف فيما يتألى الضبع وعير وماء بإخراج أهل الدمة من المدينة وإسكانهم بالمحل المؤس لاجلهم فسكنوه، وانهيلت دورهم التي كانت وسط دور المسلمين بالمدينة، ثم سكنها أهل تافيلال الذين بقص بأس بام من السلطان.
ومن تأسيسات مولانا إسماعيل قصبة بنيت التي لا زالت قائمة العين والاسم إلى الحين الحالي الواقعة غربا من قصبة قصور الملل السعيدة، وقد وقفت في بعض العقود المترفق بها على بعض ما يتعلق بذلك ونص الغرض منها: كان الجانب العالى بالله مولانا أبو النصر يملك جميع أرض بنيت خارج الحضرة الهاشمية مهروسة مكاسية، وأعطى مولانا المنصور ثمنها وأمر ببناء حاويت خارج باب المساورين بالثمن المذكور، لكون الأرض المذكورة من أوقاف جامع الخضراء، وفضل من الثمن المذكور من بناء الحاويات ماتة مثقال، وكان المتوي ل ذلك عن أمر.
مولانا المنصور بالله تعالى القائد الأرضي. الأجل الأحظى، خديم المقام العالي
بالله أبا العباس أحمد بن الأجل الفقيه الأكمل المرحوم بكرم الله سيدى أبي يعزي
العزيزي، أشهد الآن أنه صبر لجانب الحبس في المائة منقال كذا في سنة اثنتي
عشرة ومائة وألف، اهده وتصبح...

ومن تأسيساته قصة جناح الأمان الشهيرة إلى الآن.

ومنها قصة قطع وردة التي لازالت قائمة على الحسن والاسم إلى الحسن الحالي،
وكان تأسيسه إياها عام واحد ومائة وألف.

ومنها قنطرة دردورة الشهيرة المعروفة قبل قنطرة ابن يشوع، أسسها عام واحد
ومائة وألف على ما في بعض التقاريد، وأنشأ بها القنطرة سماقة اهتمت بشأنها
اهتماماً زائداً حتى حبس عليها عدة أوقاف في ربع وعقار، كانت تعرف هذه
السماقة بسماقة الذهب، دونه بعض النصوص الشاهدة لما لم تنشئه من الاهتمام
والاعتناء بأمرها: الحمد لله شهد لدى شهيدته أمين الدار العالية بالله، وناظر سائر
الأبادرة الشريفة المعلم محمد بن محمد الكاتب الأندلسي أن مولانا المنصور بالله
تعالى مولانا أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، مولانا إسماعيل أباد
الله أوامرها، وخلد صفاته الكريمة ونورها، أمين، حبس جميع الحوش المستدير
بالمحيط، غير ربع واحد منه بلا حائط - الكائن بقصبة تزامي المجاور من أسفل
الحبوس حسب مسجد صواغة الذي يد الوقاد على وجه الجزاء على إصلاح الماء
المجري لسماقة الذهب التي أحدث بناءها مولانا الذكور بقنطرة دردورة خارج
مدينة مكناسة، وهذا العقد بتاريخ جمادى الأولى عام سبعة عشر ومائة وألف،
وما رأى المجاهد ورؤساء أعيان دولته العظيمة ما لمتبعهم الأمير الطائر الصيت من
الانتماء والاهتمام بهذه السماقة، تشارعوا لاقتراح أثر في التحيس عليها، فحبس
عليها نجله المظفر أبو الحسن مولانا على كوشة وحاتوين حسبما بعقد تحيس ما

192
ذكر المؤرخ بعام ثمانية وأربعين ومائة وألف، وحسب عليها خديم مقامه العالي القائد على بن يشô البازغي عقرا هما بعد وقفت عليه بتاريخ أواست جمادى الثانية عام سبعه وعشرين ومائة وألف، ومع الأسف فقد اندثرت هذه السفارة وعتت منها الآثار، ولم تنتج لها أحياسها العديدة أدني وقاية من يد الاضمحلال والاندثار.

ومنها مسجد باب البراذعيين الشهير، وكان تأسيسه له تحت نظر وزير على ابن يشô، وذلك عام واحد وعشرين ومائة وألف، وهذا التاريخ هو الذي رسم بخشوب باب مقصورة المثير بالجامع المذكور في أيات لعمل مثيره، ونص ذلك:

أنا منبهر للذكر والوعظ أنصب دواتي لامراض القلوب مجرب
واقف في صنعى الوزير المهذب
وموالى إسماعيل عز عن امره
على بن يشô راجيا فضل ربه
وان رمت تاريخي بحق سيحسب (1)

ومنها جامع الأندوار المعروف بهذا الأسم إلى الزمان الحاضر الذي بابه الأكبر عن يمين الداخل للقصبة الإسماعيلية من باب منصور العلج، فهى «زهر البستان». في نسب أحوال سيدنا زيدان بن مولانا إسماعيل، أنما شده مولانا إسماعيل مسجد الأندور الذي هو لاشتات المحاسن جامع، فمن سواري رخامية يقارب عدد لها المائتين، ومن صح بديع الشكل بهي المنظر رحب المنسع عديم النظير بالعديد من، بوسطه قبة ارتفعت عن أن تتليل بباحى، قائمة على أعمدة من الرخام مختلطة الأشكال، يرويها الأربع شبابيك مصنوعة من الخشب أمسكت chaque مذهبة أركانها، أرضها مفروشة بالرخام، وسماوتها وشيئ من خشب ملون

(1) في المطبوع: وإن رمت تاريخي (شافك) يحسب، وهو غير صحيح عروضي. ولعل المناصب ما أثبتاه، والأبيات من الطويل.

194
منقوش بأبهى من طوق الحمام، يدخل إليها من جهاتها الأربع وبداخلها خصة رخام لم ير الرأون مثلها في ضخامة الشكل وسعة الدائرة وإحكام صنعة ترصيص ما أ핸ق بها من الرخام، وديازة القبة بر أحدث به أربع خمس صغار وإلى جنب كل خصة حوض يتبنا منها، وديازة الصحن المذكور بالركن الذي التقى فيه الربع الشرقي بالربع القبلي منار يرقى فيه غير مدارج، بل بترصيص مستوى المعارج، مطبق الأعلى فلا يصب في المؤذن حر شمس ولا مطر، ولا ينال بصره من محارم المسلمين قطاف وطر.

ومن محاسن هذا الجامع أن انتقد إليه برعه القبلي من حيث اتصاله بالربع الشرقي خزانة الكتب مشتملة على قتيبة قائمة حلقتها على أربعة قوات من الرخام، وبها من الكتب العلمية ألف عديدة... إنها وصفها بما لا ينطبق إلا على جامع الأنوار المعروف بهذا الاسم الآن وذلك الانطباق وقت شبابه، وقبل انقلابه وإبابه، أما بعد ذلك فلا يبق من دلالات ذلك الانطباق إلا شهرته قديما وحديثا بجامع الأنوار مع ما أدركناه من بقايا دار الوضوء الموصوفة في الجهة الشرقية إلى أن استأصلتها الدولة الحامية، ومع بقايا خزانة الكتب الموصوفة في كلام زهر البستان، فإن بابها بالمحل المعين في كلام زهر البستان مع ما سمعته من والدى عن والده رحمهما الله أن تلك الباب هي باب خزانة الكتب الإسماعيلية التي فرق السلطان سيدى محمد بن عبد الله كتبها على مساجد المملكة، وإنما قلت لم يبق من دلالات الانطباق إلا ذلك، لأن جامع الأنوار قد مسخ، وتقلب في أطوار النحو والمسمى، حتى إذا ما أدركنا شيئا ما وصف من بهجة، ولا بعض ما يمثل خسن صورته، سوى الجدران المحيطة به وأطلال بعض ما عداها، أما ما عدا ذلك فلم تدرك منه رسما ولا طلا ولا هو نتهى عند هذا الحد، ولكنه زار على ذلك بأن أعد تارة لربط الدواب وأخرى لاستقرار من هم شر من الدواب، وهم
أخلاق أوهام المساكرين الذين كانوا يتأملون فيه كل الفواحش بكل معنى الكلمة،
وآونة يكون سجنا للمتمردين، وطوربا يجعل خزينا للشعر، إلى أن حازته الدولة
الخانية وصبرته مدرسة لقراءة لغتها وغيرها، ولا ينافي كونه من الإنشاءات
الإسلامية ما هو منقوش في زليج بأعلى بابه ولفظه: ما للخوئوق والسبيع
كمال... إلخ ما سمعه بك قريبا بحول الله لأنه أتأس في هذه الآيات لولا
عبد الله إنشاء حلة تلك الباب لا غير وتلك الحلة وذلك الكمال يحملان على
إنشائه بها خاصة تنمية وتوزيعا، أما أصل ذلك فهو لوالده المولى إسماعيل
لم قدمته عن زهر البستان من أن المولى إسماعيل هو المنشئ لذلك المسجد بكماله،
وقد وصفه بذلك قيد حياة ممشئه كما ينفي عنه ما ترجم المولى إسماعيل به في
الكتاب المذكور.

وقد قدمنا أن هذا المسجد هو الذي يقوى في نظرنا أنه المسجد الذي أسسه لما
ضاق به مسجد القصبة الذي لازال يعرف بهذا العنوان إلى الآن، وكذا قدمنا أن
دلي ذلك قول وصف المسجد الذي أسسه بعد ضيق الأول وجعل له بابين بابا إلى
المدينة... إلخ، فإن الباب الذي للمدينة بدون حاجز لم يوجد إلا في هذا، ويزاد
على ذلك أن ما وصف به "زهر البستان" جامع الأنوار مع قبيته أظهر في وصف
الأخضر الذي أطلقه على المؤسس بعد الضيق ووصفه من وصف مسجد القصبة
به، وكذلك ما في بيت ذلك الشاعر السابق وهو قوله ففي القبة الخضراء، البيت
القبة الموصوفة في جامع الأنوار أحقه وللخيل، ويتأكد ذلك يكون الزيايتي ومن
تبعه لم يفصلوا في البنايات الإسلامية بجامع الأنوار بهذا العنوان، مع أنه أحق
بالذكر من كل مسجد بناء، لأن ما وصف به زهر البستان بناء لم يوصف به شيء
من المساجد التي شيدها، فدل ذلك على أنه هو مراهم بقولهم أسس المسجد
الأخضر إلى قولهم وجعل له لاين بابا المدينة... إلخ.

ويحمل المسجد الذي وصفنا تهدمه داخل الباب الأول للضريح الإسماعيلي
على أنه كان معدا عند الملك إسماعيل للأعمال الخمس، ومسجد القصة المعروف بهذا الاسم لصلاة الجمعة، وقد يصل فيه الخمس أيضا عند ما يجده الوقت في قصر السينين المتصل به، أو لقضاء آخر، مقتنيات عظم المملكة وشامك أبيه.

والظاهر أن ذلك الاحتفال الهائل الذي خص به الملك إسماعيل جامع الأئواء، حتى إنه جعله أشدته على كثرتها كلها رخاما مع تلك الخصبة التي لم ير الرواهن مثلها عظما وحسنًا وغير ذلك، ولا سيما مع حصول الاستغنا عنه بعد العظمة الإسماعيلية لا بالنظر للمدينة ولا بالنظر للقصبة، فتكون خطبة مسجدها مع تخريبه هذا رجعت إلى محلها الأصلي والله أعلم. وكان تأسيسه لهذا المسجد العظيم المقدر عام عشرة ومائة وألف كما في (الدر المنجم).

ومن إنشائه أيضا مسجد الأئواء المعروف في العصر الحاضر بمسجد سوق السباقو، وبدل لذلك ما هو متقوش في لوح خشب ببعض جدراته ولفظه:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسلما وسلام الحمد لله الذي جعل أهل العلم منهما يعتقد بهم في كل وقت وبروة وإن ببروةهم كل مكان، والصلاة والسلام على سيدنا وولي محمد رسول الله، ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه ما تتابع الملواك، هذا وإن مولانا المؤيد بالله الهمامي محيي الله والدين، وساق سبيل الأمئة المهتدين، المجاهدين في سبيل رب العالمين، أمير المؤمنين، مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى أبده الله ونصره، لما أنه أيه أمر المسجد الذين أساهه الناظر الأسعد، المرفق الآرشد، أبو عبد الله السنيدي محمد بن محمد الكاتب القيسي الأندلسي أصل وأخباره، الفاسي نشأة وداراك، الحكم بمسجد الأئواء أمر نصره الله بإحضار علماء التوقيت العارفين بدلال القبلة وهم السيد محمد بن عبد الرحمن المريض والسيد العربي بن عبد السلام الفاسي السيد حسين الكامل، والسيد محمد بن سليمان العووني وحضروا بالمسجد المذكور واستعملوا البحث والنظر بطرق علماء الفن والأساطر والدائرة ومقياس الشمس، فأدامهم اجتهادهم إلى أن

197
المحراب هو سمت مكة شرفها الله تعالى على المشهور، وأن طول مكة سبعة وسبعون درجة، وعرضها اثنان وعشرون درجة، وطول مكاسة خمسة وعشرون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة ببطاقس خطي الطول والعرضين بالدائرة الهندسية، فيدعا به شهدتهم لسائرها وفي أوائل جمادى الثانية عام اثنين وعشرين ومائتي ألف الحمد لله لما ثبت بشهادة أهل العلم المذكورين الواجب تقليدهم للخاص والعامة فيما ذكر وجب المصير إليه واتباعه، وإذا قالت حذام فصدورها، وهذا سبيل الحق وطريقه ففي الحبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كل صنعة يرجع فيها إلى صاحبها أو كما قال (1) عليه الصلاة والسلام وكتب سعيد العمري الحمد لله أعلم بأعماله عبد الله تعالى عبد الوهاب العرائشى.

وأمس باب الحكيم القائم العين إلى الآن، وهو أحد أبواب مدينة الرياض السالفة الخبر، وذلك عام ثمان وتسعون وليف، ويدل لذلك ما هو منقوش في الزليج المتجو暴雨 أعلى الباب المذكور ودونك لفظه:

(1) في هامش الطبو: قال الحافظ ابن البتيري في تاريخه: قرأت على أبي القاسم سعيد بن محمد الهنداني عن محمد بن عبد الباقى الأنصاري، قال: كنت إلى أبي عبد الله محمد ابن سلامة القاضى، حديث أنس بن حسن بن نصر السباح، حدثني أبو النضر المفضل ابن على كابب الراضي، أنه حضر مجلس أبي الحسن بن الفرات وعنده القاضي أبو عمر محمد بن يوسف فسال عن شيء، قال القاضي أبو عمر: قال رسول الله ﷺ: استعينوا على كل صنعة بأهلها، وفي يرد قول أبي الحسن السخاوي في المقدص الحسنة، إن لم يرد بهذا اللئف في الحديث، وإن تبعه الشياهي في تميز الطب، والبيروي في أثني المطالب، وقرده شاهدا له ما أخرجه أحمد عن طلق بن علي، قال بنيت المسجد مع رسول الله ﷺ، فكان يقول: قربوا اليمامي من الطين فإنه من أحسنكم له مسناً. وفي رواية ابن حبان فقلت: يا رسول الله، أتقل كما ينقلون؟ قال: لا، ولكن أخذ لهم الطين فانتقل عن سعد قال: مرضت مرضاً فاتناه رسول الله ﷺ وأخذ ياً، قرده ديني عنده وخرج به، وقد رد على فؤاد، وقال له: إنك رجل مفتوح، فلت الحالت بن كللا من تقيم فإنه يطمغ. وهو يدل على جرائم الاستعانتة بأهل الذمة في العلم كما في الأصابة، وعلى كل حال: فكلا أمه قوم به عرفنا فاندف لكل مهم أهل بلواه.

انتهى مصحح.

وفي حواشي كنز العمال 3/10 أن طلق بن علي بن المنذر، هو أبو علي اليمامي، وقد على النبي ﷺ وعمل معا في بناء المسجد، وروى عنه.

198
أنا إلى الباب السعيد سموت فخراً
على ذاتي المنوة بالسعود
ورخ نشأت (وجود المشيد)
وأسس باب الجديدي على ما في بعض التقاريد الوثائق بصحبتها عام خمس
ومائة وألف.

وجد المسجد الأعظم عام سبعة ومائة وألف، وكان انتهاء العمل فيه عام
تسعة ومائة وألف، ويشهد لذلك ما هو منقوش في لوح خشب بباب المقصورة
التي يخرج منها الخطيب بالمسجد المذكور ولفظه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم;
بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكما
وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، صدق الله العظيم، وبلغ رسله المصطفى الكريم
على الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، أمر بتجديد هذا المسجد الأعظم
مولانا إسماعيل بن الشريف أيده الله عام سبعة ومائة وألف، وكان الفراع منه عام
تسعة ومائة وألف:

زيّنك الطالع السعيد
ومات من غيظك العين.
ما هو منقوش بأعلى السقاية من المسجد المذكور ولفظه: الحمد لله وحده
وصلى الله عليه من لا تبيه بعده.

وصل على محمد الشفيع
أذكى رهيب أيام الربيع
فأبصرت في الدنيا كشكلي
وللوراد أسقى سلسبيلاً
بجامعنا الكبير سموت فخراً
بأمر إمامنا المنصور شادوراً
وتاريخي أمعطاش هينها

199
وما هو منقوش بخشب عنزته البديعة الإتقان العجيبة الصنع اللطيفة المنظر
ودونك لفظ ما هو منقوش في الجهة الموالية للصحن:

ذي عروس من المحاسن تجلى
بالياقية وشحة واللالي
وبسراج الملوك بالغرب اسماء
عيل من دبه اكتساب المعالي
كان عن أمره المطاع وجودي
كن له حافظًا نعيم ونالي
وأما هو منقوش بها أيضًا ولفظه:

كذلك صلاة ربي والسلام
보고 لل我和 يفتحت الكلام
عرف المسك ما انسكب الغمام
على المختار مع آل وصحب
إذا يا رب عز الديين ونصر
أدم يا رب عز الديين ونصر
وأما هو منقوش ببئرة هذه العنزة من الجهة المذكورة أيضًا ولفظه:

أعود بالله من الشيطا الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وسلم، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر
والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا
يابس إلا في كتاب مبين، وبوسط هذه الدائرة ما لفظه:

ففصل على سر الوجود محمد
لك الحمد يا الله والأمر كله
إمام الوري طرا وقبيلة آدم
نبي أتى بالحسن في كل مسجد
فطوري لم يتلوه عند تهجد
ومعجزة القرآن أكبر آية
بيكما دار الإمام المؤيد
وجامعة أكرم ببئرة إلهنا
فكم حله من عالم متعبد
وسمى فنا مجد تراه بشهد
على أحمد الهادي وأشرف سيد
تاريخ إنشائي وإظهار بهجتي
وصل إلى العرش في كل خزصة

٢٠٠
ومنقوش ببداية هذه العتبة أيضاً من الجهة المقابلة لحراب المسجد الداخلي ما لفظه:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله صلى
سيدنا محمد ﷺ وسأراوا إلى مغفرة من زكيم ووجهة عرضه السمات والأرض أعدت للمتغفين
الذين ينفقون في السراء والضرر، والكاظمين الفضيحة والغافلين عن الناس والله يحب
المحسنين [١٢٣] [آل عمران] إلى غير هذا ما هو منقوش بالقلم الكوفي وغيره في
هذه العتبة المباركة.

وحدث مدرسة الشهود المتقدمة الذكر عام ثلاثين ومائة وألف، ودليل ذلك ما
هو منقوش بها على جدارها الشرقي قبالة الداخل وذلك في زég اخضر على
صورة محراب ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله صلى
سيدنا محمد ﷺ وعلى آل وصحبه
 وسلم تسليما

على أحمد المختار طول المدى ترا
أحلكي لزهر في السنا والعلا زهرا
أتذوق القراء حزت هذا فخرا
بسبته للمصطفى وعلا قدراء
بناشره السهيلة قد سهل الأمرا
بإتقانه الأوقاف يلمس الأجراء
ثلاثين شهر المولد أحبيب به شهرا

فقوله كمل بهجتي... إلخ، معناه بتجديد إصلاحها وتنميتها.

وقد غلط في فهله بعض المتأخرين واغتله به صاحب "الدر المستحق
المستحسن" فقال: قال بعض المتأخرين: وأما المدرسة التي عن يسار المقابل لحراب
المسجد الكبير المقابلة بابها لباب المسجد، فقد رآيت تاريخها في رحامة مقابلة

٢٠١
للخصوصة، وأن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل هو الذي يناها نصه نظماً: بحمد إلهي...

إلى الآيات المارة ولا شك في خطأ هذا النقل، إذ تقدم بناء هذه المدرسة، وهي المعروفة بمدرسة القاضي وبمدرسة الشهداء، وذلك في "قصر" ابن غازى أشهر من نار على علم، كما أنه أخطأ في نسبة التاريخ للخانكة، فإن الآيات التي بها التاريخ فإنها منقوشة هناك في زليج أخضر كما قدمنا، وكفي بالعيان برهانًا، وأشعه من هذا أن صاحب "الدر المختبوب" الذكور ما ذكر هذا الذي قدمنا عليه حتى قدم متصلاً به أن مدرسة القاضي والشهداء بانها هو أبو يوسف الريفي، ومعلوم خارجاً أنها هي التي عن يسار المقابل للمحراب الذكور، ثم أثره ذكر أن بانيها على اليسار الذكور هو الولى إسماعيل، وهذا أقوى دليل على أنه لا يتصر أن المدرسة المذكورة هي التي على اليسار الذكور، فلما ظهرت بين مدرسة الشهداء والقاضي وبين المدرسة الجديدة في كلام ابن غازى، وقد أن التى على اليسار هي غير مسمى مدرسة الشهداء فخلاط، وما حرر ولا ضبط.

(رجع) والولى إسماعيل هو الذي نصب المنبر المروني بالمسيج الأعظم الموجود بهذا المدخل يوم الجمعة ثانى عيد الأضحى عام ثمانية عشر ومائة وآلف على ما في بعض التقاليد التاريخية.

وجد مسجد سهيب الملح وهو المعروف اليوم باسم مسجد ابن عزيز على يد المسن الكرم السيد عبد الرحمن بن أحمد بن عزيز، كما وقفت على ذلك في بعض التقاليد، وكان تجديده له عام واحد وثمانين وألف.

(فائزة) قال القلقشيدي: أول من عمل المنبر في الإسلامصيدنا تيم الداري عمله للنبي، وكان قد رأى منابر الكنيسين بالشام. (1) اهـ.

قلت: ويلد له ما في أبي داود عن الحسن بن علي عن إبراهيم بن أبي داود عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله لم يبدن قال له تيم الداري: لا تتخذ لك منبراً تجمع أو تحمل عليه عظامك؟ قال: "بلى"، فاختي له منبرًا مرقانين. اهـ.

وما في طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة وغيره، قال كان النبي

(1) صحيح الأعشى 421.
يخطب يوم الجمعة إلى جذع، فقال: إن القيام يشتق على، فقال تميم الدارى: إلا أعمل لك منبرا كما رأيته بالشام؟ فشاع الناس المسلمون في ذلك، فرأوا أن يتخذ، فقال العباس بن عبد المطلب: إن لي غلاما يقال له كلاب أعمل الناس، فقال النبي ﷺ: مره أن يعمله، فعمله درجتين ومقعدا، ثم جاء به فوضعه في موضعه. (١) اهـ.

وقيم هذا هو أيضا أول من أسرج السراج في المسجد كما في «الإصابة» (٢).

من رواية الطبري.

(رجع) ومن تأسيسات الأمير المذكور بناء قنطرة السيد على بن منصور الشهير، الآتي الذكر بحول الله، وكان تأسيسه إياها عام أربعة وثمانية وألف.

ومنها القبة التي أمام المدرسة الجديدة الشهيرة اليوم بالبوعونية عام تسعئة وثمانية وألف.

وجد ضريح الولي المتبرك به سيدي يوسف الشريف أحد الصلاحاء الذين ضمتهم داره الكبيرى المتقدمة الوصف، وكان تجديدته له عام ألف وثمانية وعشرين ويدل أنه ما هو منقوش في رحمة بضريح الولي المذكور نشأ بديعا ودونك لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، كل من عليها فان وبيقى وجه ريك ذو الجلال والإكرام، هذا ضريح الولي الصالح أبر المحاسن سيدي يوسف الشريف الشهير بأبي قنادا نفعنا الله ببركاته آمين. أمر بتجديد هذا الضريح المبارك الملك الإمام الجليل أبو النصر مولانا إسماعيل أبى الله ونصره وأوائل المحرم فاتح سنة ١١٢٢ هـ.

هكذا بالقلم الفاسي، ويوجد هذا الضريح وراء دفة البيت للدار المذكورة دار الخلافة على يسار الداخل.

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٢١٥/١.

(٢) الإصابة ٣٢٨/١.
ومنها نصريولي الولى أحمد الشبلي رضي الله عنه وأرضاه،
وبدلاً لذلك ما هو منقوش بأعلى القوس الواقع يسار الذاهب من نهج القانيين
لضريح سيدي عبد الواحد الأشر المجاور هو أي القوس للساقية يسار الذاهب منه
لضريح الشبلي المذكور ولفظه:
يا ناظراً حرم الولي أحمد الشبلي وحسن جماله المتوقد
مولي إسمايل أسسه وهو تاج الملوك ونجل آل محمد محمد
ومثله أيضاً باللفظ ما بأعلى السقوس الذي يذهب منه للضريح المذكور الآتي
من سابط الزمراني.

وضريح سيدي عبد الله القسري الولي الشهير.
وأسس جامع الزيتونة عام تسعة وتسعين وألف كما صرح بذلك صاحب
الدر المختب المستحسن، ونصب منبرها في التاريخ المذكور وشاهده ما هو منقوش
عليه الآن ولفظه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،
وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آل وصحبه وسلم تسليماً: فيا
أنه القديس آمنا أتقوا الله وقولوا قولاً سيدنا [١٧] يصلى لكم أعمالكم ويفغر لكم ذنوبكم
ومن يعفع الله ورسله فقد فاز فوزاً عظيماً [[الأحزاب]] صنع هذا المبر المبارك عام
تسعة وتسعين وألف، وقد كان سرداً ملكه في هذا التاريخ على الأئمة مفداً
وانت ترى سائر الآثار الدينية وخصوصاً في عاصمتها التي قصرنا الكلام فيها إنما
كانت تبرز عن أوامره وهذا منها.

ومن تأسيسات مبانيه القصبات المعروفة المحيطة بعاصمتها المتصل منها بسور
البلد والمنفصل عنه.

فمن المتصل القصبات الثلاث المتقدمة وهي: برمكة، وجناح الأمان، وقرع
وردة ومنها القصة المعروفة بقصبة هدراش وقد سبق بيان موقعها وتاريخ بنائها،
ولا زالت قائمة آهله إلى الآن.

٢٠٤
ومنها القصبة المعروفة اليوم بقصبة سيدي سعيد، خارج باب وجه العروس المعروف اليوم بباب الملاح، أحد أبواب المدينة، ولا زالت قائمة آهله أيضا إلى الآن.

ومنها القصبة المعروفة بنصفي الكبير خارج باب البراذعين القديمة التي موقعها الآن عن يسار الداخل بباب البراذعين الجديد، وهو الذي يعنون عنه بهذا الاسم الآن، فالجدار الذاهب عن اليسار المذكور من باب الجديد المذكور إلى الباب القديم أمامه هو لقصبة تزيمي الكبرى المذكورة، والباب الذي عن يسار الداخل للباب القديم المذكور هو لها وبين البيبان البراح الذي يفاع فيه الحشب الآن كل يوم جمعة بعد الصلاة، ولا زالت هذه القصبة قائمة آهله أيضا إلى الآن ولتظم تزيمي - بكسر أوله وثانيه المعجم بعده ياء ساكنة وميم مكسورة بعدها ياء ساكنة - هو اسم لقبيلة من عم سجلماسة نقلت لسكى القصبة المذكورة.

ومن القصبات المنفصلة التي أسسها سيدينا الجد الملكي إسماعيل حوالي مكتاسة وعلى مقربة منها قصبة الكدارة بكاف معقودة وقصبة حرتان - بفتح الحاء المهلة وسكون الراء وفتح الطاء المشبعة ثم نون - وقصبة المولى المستضيء.

قصبة بوفركان.

قصبة المنز.

أما قصبة الكدارة فنسبتها لفرقة من فرق الجيوش الملكية أنزله بها مؤسسها على ضريحة صيب الرحمات وموقع هذه القصبة في الجهة الجنوبية من المدينة وهي الآن خراب بيد المكلف بالأملاك الحجازية يكثرها منه من شاء يكون عمارتها الأصلية بطل.

وأما قصبة حرتان فموقعها غربا من المدينة يسكنها فريق من قبيلة الخلط، وأصل الخلاف من العرب لا من البربر كان نقلهم السلطان سيدي محمد زمن خلافته عن والده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام في شهر قعدة الحرام عام سبعين ومائتين وألف على القول الصحيح من بلاد سفيان وبني مالك وأحواز.

205
العراقوش وعدهم إذ ذاك مائتان وثمانية عشر نفراً وأنزلهم بأرض مكَّس - يفتح
المين والكاف المشددة بعدهما سين مهملة - وزُكوتة - يفتح الزاي المعجمة وضم
الكاف الممدودة مشددة بعدها وأو ساكنة ثم طاء فهاء ساكنة - وأضافهم إلى الجيش
البخاري، ثم صار يلحق بهم إخوانهم من القبيلة المذكورة إلى أن صار عددهم ألفاً
وخمسمائة، ثم نقلهم إلى وادي الشجرة مع القبضة المذكورة ونقل من القبضة
والوادي المذكورين من كان بهما من أهل تادلاً وأنزلهم بأرض مكَّس، ولا زال بها
نسلهم إلى الزمان الحاضر.

وأما قصة مولاي المستضيء، فموقعها غرب المدينة قرب قصبة حرطان،
وليس بها اليوم إلا اليوم وأنواع الخشات، ولذلك تعرف بالخالية، قالوا: ووجه
إضافتها للمولى المستضيء أن السلطان المولى إسماعيل كان مخيمًا في بعض
أسفاره بالبلد الذي موقعها به، فجاء الطلاق لبعض حظائيهم ثم فولدت المولى
المستضيء، وأقام السلطان هناك مدة نفاسها، وفي ذلك الوقت أمر ببناء القصبة،
كذا تلفيته من غير واحد من ذوي السن العالية.

وأما قصة يوسف، فإضافتها للوادي الشهير الداخل للمدينة يسكنها اليوم
فريق من الأشراف العلوين، تقع في جهة الشمال من المدينة على مسافة ثمانية
عشر كيلو مترًا، ومجرة منها قصبة المنزه يسكنها مثل سابقتها فريق من العلوين.
ومنها أنه دُعا لقاء حمرية التي كانت تسمى قبل أبي حفص
بالمعاوية الشرعية مع مالكها حسبما وقفت عليه في نسخة مسجدة ثابتة نص ظهير
تقديم النائب في عقدتها بعد الافتتاح:

من عبد الله تعالى أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، المجاهد في
سربيه ناصر الدين مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسن، ونص الطبع:
اليمن والإقبال اليمن والإقبال اليمن والإقبال إسماعيل بن الشريف الحسن رعاه
الله، أيده الله تعالى بعزيز نصره وأمره، وظلم عساكره، وخلد في الصلاحات

۲٠٦
مآثره، وأسعد بمنه موارده ومصادره، أمين آمين، قدمنا بحول الله وقوته خديم جانبي العالِي، والتاج الذي أحرز من اشتراع النباهة والنجابية المقدم والثاني، القائد الأوجه، الأثير الأبن، الأحلام الأرضي، الحادث الأحظي، القائد علي بن يعقوب اليوسفي المكناسي دارا، وصل الله انجهاده وأحرس على المسالك الحميدة والمساعد الجميلة إصداره وإيراده، لحيازة الأرضي التي لنا بحوز حضرتنا العالية بالله مكناسة وبيان حدودها وتعيينها وإخراجها من بُعد من كانت وعلى عقد المعاوضة فيما يظهر له منها بغيرها التي هي على ملك أساس المتصلة بأراضينا المجاورة لحضرتنا المذكورة، وعلى الصلاح في ذلك والسداد تقديما أمضاء بعلائه وكساء رايق هلاله، لعلمنا بأنه أهل من إليه قدمنا، وأحق بما أسدنينا إليه وأولينا، والله يصلى توفيقه، ويجعل السداد والنجاح رفقة، بمنه والسماح وفي يوم الأحد رابع وعشرين المحرم الحرام فاتحت ستة ثلاث وتسعين وألف عرفا الله خيره ويركاته. إهد

ونصر المعاوضة: الحمد لله انعقدت المعاوضة ببركة الله تعالى بين الشريف الأوجه الأخير الأبن الأحظي النبي السيد محمد دعي بسيدي حمّ بن إدريس بن وجود الحسيني المنوني، وبين القائد الحاج علي بن يعقوب المذكور أعلاه النائب عمّا ذكر أعلاه بحكم ما ذكر أعلاه في جميع الأرض المعروفة بأبي حفص المشتملة على سقي وبنها، التي على ملك الشريف المذكور الكائنة خارج باب الفورة، أحد أبواب مدينة مكناس، يحدها سهوب الطبال والطريق المرور عليها لفسان، وتتصل بساقية خنفر وبطريق عين الشلوقي، وفي جميع الأرض التي للجنب على البل الكائنة ببراكة خارج باب البراغيين من المدينة المذكورة، يحدها الأرض المعروفة ويوسف النحال قبلة ومقطع الرياض غربا، ويحدها أرض سبيدت علي بن قاسم الشريف المنوني من الجهتين، والطريق الآثاه من قبر الطوال وتتصل بأرض عزوز التي على ملك الشريف المذكور أولا، وذلك بأن أخرج
الشريف المذكور نفس ملكيته عن أرض أبي حفص التي كانت له عوضا عن أرض
براكه التي صارت له بسبب المعاوضة المذكورة، كما أخرج القائد المذكور نفس
ملكية المنوبة عنه عن أرض براكه، التي صارت للشريف عوضا عن الأرض التي
صارت للجنب العالي المعروفة بأي حفص المشتملة على سقي وبيع، معاوضة
صحيحة تامة بائحة بائحة على سنة المسلمين في معاوضتهم، ومرجع دركهم، وتملك
كل واحد ما صار له عوضا عما صار عنه تملك تاما على السنة في ذلك، ومرجع
بالدرك بعد النظر والتقليد والرضي صحيحا كما يجب من ناب عن نفسه فعن
 نفسه ومن ناب عن غيره فشهدها عرفها قدره، شهد به عليها بحال كمال الإشاد
وعرفهما أواخر القعدة من عام سنة وتسعة وألف الحلق فيه والطريق الآثاء من قبور
الطوال صبح به شهد عليهما بما ذكر أواخر صفر اثني ومائة وألف، أحمد بن
محمد لطف الله به وعبد السلام بن محمد. اهم

غرسها (1) كلها بأشجار الزيتون حتى مت فيها مائة ألف شجرة من الزيتون
ثم حبسها على الحرمين الشريفين، ثم لما توالى على مكناس ما توالى بعده رحمه
الله من الهجر والمرج، وشبت نيران الفتنة بين أولاده، وتمكن عبد الاعبد على
البلد والعبد ومد الفساد والخراب في الأرض أطباه، كان مما امتدت إليه اليد
بالحرق والقطع هذه الغاية، حتى تلفت من شجرها كمية ذات بال، ومن تهمدت
البلاد، وانقدادت العداد لسيدى محمد بن عبد الله وانتسب الأمن وخضعت له
الرقب والانكسور رليمة أهل الزين والفساد، قام على ساق من رتق ما انتجه ذلك
الفتنة من الفتنة، فكان من جملة ما تلافاه بهمته الفعلاه إحياء ما انثر من تلك
الأشجار، بإعادة غرس ما قتل وحراق منها حتى رجعت لشبابها، ثم بعد ذلك
فصل التحبيس، فجعل النصف حبسا على الحرمين الشريفين تختص المدينة المنورة
على منروا أفضل الصلاة وأركي التسليه بالثلثين، ومكة المشتركة بالثلث.

(1) جواب قوله: لما تملك... إلخ، المقدم.

208
والنصف الآخر للمسجد الأعظم بمكاس يخرج منه كل سنة نحو الخمسمائة فرنك، يوجه منها خمسة وثلاثون فرنكًا ونصف الفرنك تقريبًا لجد العائلة المالكة مولانا علي الشريف دفني سجماسة، تصرف في مهامات الوضوء والصلاة الذين يقرهون الحب ودلائل الخيرات، والمؤذنين وقيم الوضوء وطعام ليلة المولد النبوي، ومنها ثلاثة عشر فرنكًا تقريباً توزع على الطلبة الموظفين لقراءة الحروب والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والمحسب الثاني وأعمامه بروضة أبي زكريا الصبان نفع الله به، وقد كان لهذا القدر التائه الآن إذ ذاك شأناً و랄، كما يخرج من النصف المذكور كل يوم رطل زيتاً لضريح سيدي أبي يعزا ورطل لضريح مولانا إدريس الأزهر باني فاس رضي الله عنهم جميعاً وعنا بهم آمين.

ومنها أي الآثار الإسماعيلية جر الماء من بوفران لزيتونة حمرية في ساقية وسط جدار ضخم أزالته بقاءها جهة باب القرمود وسدة الشريف الواقف لهذا العهد.

ومنها بناؤه الجدار المحيط بغآية حمرية، ولا زال بعضه قائماً إلى الآن.

ومنها جر ساقية لجناح العريفة طوطو بنى موسى في جدار عريق إلى أن يبر ماؤها فوق أقواس باب ثلاثة فحول التي هد منها توس في هذا التاريخ، والعرفة طوطو هذه هي: بنت بوضط السفائيات، كانت عريفة للمولى إسماعيل وخلفت أولادها منهم: القائد قاسم المجاهد، والخاج سليمان، وهندي المدعو بالنسم والتمومية، وقد كان المولى زين العابدين بن المولى إسماعيل تزوج بالنسم المذكورة ولدته الشاد بالله، وملكة وخلفت العرفة المذكورة أموالاً طائلة من العقار وغيره بمكاسبة وغيرها.

ومن تاسيسات المولى إسماعيل ومآثره الخالدة التالية الضريح الإدريسي الأفخر، والمشهد العلوي الأثمر، الواقع بزاوية جبل زروه التي قال غير واحد من أئمة الدين، حملة شريعة سيد الأولين والإخرين، بفضلهم على سائر الأقطار

209
المغربية، لضمها جسد هذه البضة الطربة، وكان تأسيسه لذلك المشهد الفاخر، الزهي الزاهري، سنة عشرين وثمانية والمائة.

وبدل لذلك ما هو منتقوش في الرخامة الأولى الشبيهة في الجدار المواجه للداخل من باب قبة الضريح الإدريسي زاد الله بهاء ونورا ودونك لفظه:

هذه روضة بها خير هاد
ملك طهر الإله به الفجر
وستقامت له الخشود وقد كا
فإذا ما نسبته فرسول اللد
وتادب فأتيت ما بين صوم
وتلطف فأتت ضيف إمام
في حماة علاج كل فؤاد
بل وأحيا به أقصى البلاد
فل في فضله من نفاد
في علاه بلغ كل مسار
شائبه السعي في صلاح العباد
خالص لكريمه الجواب
من سنين السرور والإسعاد

وهذا تاريخ بناء نفس الضريح، وأما باب حفته المقابل للباب المعروف هناك بباب المعرض، فكان تمامه في السنة التي بعد التاريخ المذكور اتصالا كما يدل له المنقوش في الزليج أعلاه باب الخفاة المذكور ولفظه:

210
وصل أهل الله من بابه

هذا مقام الحسنی الذي

اشتاء السلطان محتسبا

على يد الكاتب في (أيقش)

ناظر الأحباش في آلهه

ومرغ الخد في اعتباة

(1)

وشرى لم قد جاءه زائرا

اهـ.

على ما في البيت الثالث لما لا يجوز في الصناعة الشعرية وعلى ما في البيت الرابع من المبالغة الشعرية التي لا ينبغي الإغادر بها، إذ لا يجوز في الشريعة الإسلامية ترجم الحدود بالاعتباي كما كانت، وقد عده ابن حجر الهشی

بل وما هو أدنى منه من الكبر، هذا إن لم يقصد به العبادة إلا فهو كفر كما في غير ما ديوان.

وقد ذكر السيّد روز في (قواعده) أن الزيداء لا تجوز إذا كان هناك منكر من تقبل جدرات القبر وغيرها، فكيف بالترمیغ، والتاريخ المذكور هو النشام إليه

بلفظ أيقش، اهـ.

قلت: أنظر هذا مع ما وقع لصاحب البستان وغيره من أن البناء كان سنة

أثنين وثلاثين ومائة وألف، وتبين أن الحق ما نقلناه، والدليل القطع أبدا.

وما هو منقوش في خشب باب المدرسة المعدة لسكنى الطلبة المهاجرين

لقراءة العلم والقرآن الكريم المقابلة بباب الحفاة المذكور، ولفظه: النصر والتمكين، والفتح المبين، لولانا إسماعيل أمير المؤمنين، لكن هذه الخشبة يجوز أن تكون من

أنقاض الدار الإسماعيلية الكبرى التي جلبتها سید محمد بن عبد الله مثل

رخامتی خدى باب القبة كما يأتي.

وما هو منقوش في خشب مظل باب المسجد الإدريس المتصلى هو أي الباب

(1) بعض الآيات غير سليم وله المصف على ذلك عقب ذكرها.
الخامة ضريح أبي القناديل سيدي يوسف الشريف

٢١٢
بالجدار الشرقي من المدرسة المذكورة ولفظه: النصر والتمكين، والفتح المبين، لمولانا إسماعيل أمير المؤمنين، فإن قلت المسجد المذكور قديم ليس لمولانا إسماعيل فيه غير التجديد والتنقيص. قال الحليبي في الدر النفيس: أما المسجد الجامع الذي حذاء الروضة فسقدي ولله أعلم، أنه من عهد مولانا إدريس فيما يظهر ولم أقف على خبر أمره، ولكن فهمت ذلك بالعرف المالوف أن المسجد بني بقرب قبره المبارك كما يفعل بقبور الصالحين وقيل إنه محدث. اهـ.

قلت: يمكن أن البناة الحالي هو بناء للمولى إسماعيل أحدثه بعد زمن تأليف الحليبي وعليه فلا مخالفته قوله وقيل: إنه محدث يعني أحدثه غير المولى إسماعيل لأن الحليبي كان في زمنه وذكره تأليفه المذكور قبل بناء المولى إسماعيل لهذا الضريح، وكان فرغه من تأليف الدار النفيس يوم الأربعاء العشرين من ربيع الثاني سنة ثمانية وثمانين وalf.

ثم بعد كتبه هذا وقفت في الدار المتخب على ما لفظه: ثم بنى جامع الخطبة الكبير المتصل بمولانا إدريس بزرهون وهذا لا شك فيه ولا ترديد، ورتب روايتها، وجعل لها ما هو معلوم للمساجد العظيم، واشترى بذلك فضلا يبقى على التأبيد، بعم الأهل والآباء والوليد، إذ ذلك من الأعمال التي لا تنقطع بالنية، وتبلغ فاعلها في الدارين غاية الأمنية، ثم بنى المئار وشيده ورتب فيه المؤذنين وقت لهم الأوقات، وعلم القائم بذلك ما يحتاج إليه في مأثور الحالات، ونصب لهم ما يحتاجون إليه من الآلات، ثم بنى المدرسة المتصلة بما ذكر على الشكل الذي هو الآن معروف، ورتب فيها طبقة للقراءة على الأمر المالوف، ثم بنى دار الوضوء وحجل إليها الماء وأحسن في ذلك واتقنها، وبنى دورا ومكاتب ومواقع عديدة لنزل الزوار والضعفاء والأضياف واعملها، ثم بنى المساجد والمكتاب لتعليم الصبيان، ووقف على ذلك أوقافا عالية الأثمان، ويبين لن يقوم بكل وظيف ما له

213
من الأوقاف المخصصة به وما يشترك فيه أثنا، ثم بنى الحونانيت والفندق والحمام والسقايات، وأجرى الماء في سائر النواحي والجهات، وبنى قبة سيد راشد المتقدم ذكره، وبني حول ذلك بناءات ثم أدار البناء على الجمع ليطمن الزائر والمساك ولا يخشى العاهات، وبني قنطرة الوادي وقنترة أخرى بناحية قصر فروهن وسهل الطرق، وأمر ببناء الدور في المواضع المرتفعة، وذلك كله على يد خادمه البasha ابن الأشقر، وبعض كتابه ومن له الأمر.

واعتنى ذلك رغب الناس في سكني زرهون، وصار منازل الأشراف وأهل الفضل والدين، وإن كان قديما هو مأوى السائلين، وملجأ الراغبين، لكن كان غير مقصود للسكني، ويوجد مولانا إسماعيل صار يغبط السكني فيه الناس، وتقصده القبائل والرؤساء من سائر القبائل والأنجاس.

وحين تم بناؤه على الوجه الذي أراده السلطان، وزاره ورأى ذلك بالعيان، ورأى عمارته واغتباط الناس في البنية، سجد لله شكرًا، وحمد الله على عادته سرا وجمارًا. اهـ.

إذا تعرضا هنا ذكر هذا الضريح الأعظم في جملة تأسسات مولانا الجد مولانا إسماعيل بعاصمته المكناسة لأن متبوعنا الإمام ابن غازى تعرض لذكر صاحبه ولذكر عاصمة ملكه التي كانت حاضرة البلاد مدينة وليلى ولون المحل من جملة الأحوال المكناسية، وهذا هو ملحوظ ما تأتي به بعد إن شاء الله ما يتعلق بزرهون وأهله.

أوأما باقي بناءاته في غير مكنسة فقد أتينا على جملة صالحة منها في كتابنا المزعج اللطيف مفصلة وما أشرنا إليه من التأسسات المتقدمة من هذا الإمام في العاصمة المكناسية، فإنها هو فل من كثر، إذ لا نسبة لما أتهد منها واندثر أثره مع ما بقي منها مرا بك.
قال أبو القاسم الزبانى: ومن يوم مات الملوك والإسماعيل والملوك من بنيه وحفظته يخرون تلك القصور على قدر جهدهم وما أكملها نصفها مدة من نحو مائة سنة. اه. قلت: ولا زالت يد التخريب عاملة إلى الحين الحالي في تلك الحصون والأسوار الحالية.

ولضخامة الآثار الإسماعيلية وانتشارها في سائر الأقطار المغربية، توهم بعض الجاهلين أن ذلك فوق مقدور البشر وأنه من عمل الجان، وليس الأمر كما توهم أولئك الأغبياء، وإنما بناءات مولانا إسماعيل الهاتف أثر من آثار على همنه، ووارث ثروته، وعظيم دولته، ونفوذ كلمته، وكمال اقتداره، وحزمه وبصرته، في سائر أطرافه، ولذلك أزرت مبانه بما بناء الفراعنة والآكاسرة حتى قال بعض حذاق الشعراء:

لقد بنت الملوك بناء فخر
سقيل المصطفى الليث الهصور
وأبنية الإمام أبي الفداء
أتم ضخامة وأجل قدرا
واجمل منظراً أبهى قصور
لتتأمل المسافر في المور
وفي كل البلاد له حصنون
لو قيست مبانيه ما قد
بهجة حسنها ونا الأمير
لكان لها اعتزاز وافتخار
فدونك فاستمع قولى مصيبا
فإن مقالاتي ليست بزور
كمثل الشمس في صفه الظهور
على ملك تسامى عن نظير

215
وقال الوزير ابن إدريس:

قال للذين استظعوا من جهلهم
إيوان كسرى أو بنا الأهرام
لم بين ملك قد تقدم ما بني
موالي إسماعيل في الإسلام

وقال صديقنا المؤرخ النقاد أبو عبد الله محمد بوجندر الرباطي مساجلا
صديقنا الفقيه الأديب الكامل أبا عبد الله محمد بن اليمني الناصري وكان ابتداها
من الأول إذ قال:

ففأخرب بما شاهدت منها وكاثر
ما أتى إسماعيل اسمى المتأت
وتوزع جفونا في محاسن صنعها
مفخراً يسمى جميع المفاخر
بذاق إلا أنهما صنع ماهر
وواضع إلا أنهما كالزواهر
غدت عن مزايا ملكه خير سافر
علت بليلك كامل الفضل وإفر

وقول الوزير ابن إدريس لم بين ملك... إلخ، إشارة إلى تعبيد قول مؤرخ
الدولة العلوية أبي القاسم الزياتي إن مبانى المولى إسماعيل بقلعة مكناسة وقصوره
ومساجده ومقاربه وبساتينه تدلى عند مشاهدته العقول، وتعجز عنه قادر
الدول القديمة والحديثة، قال: ولا تلحق ضخامة مبانيه ما بني كسرب في المدائن،
ولا الفراعنة في مصر، ولا الروم برومة والقسطنطينية، ولا اليونان ب أنطاكية
والإسكندرية، ولا العماليق بالشام، ولا ما بناه بنو أمية ولا بنو العباس ولا
العميين ولا المرابطون ولا الموحدون، ولا بنو مرين، ولا السعدون، قال: ولهذ
لقد شاهدت الكثير من آثار الدول المذكورة فما رأيت أثرا أعظم من آثاره وأضخم من

٢١٦
بنيه، وأكثر من قصوره لأن من بنى من هذه الدول، إما يعني بـ "شبي" قصر وتسعقه، والمولى إسماعيل لم يقتصر على قصر ولا على عشرة ولا على عشرين، بل جعل مبانى الدول كلها في بطن قلعته بمكناسة كما يقال: كل الصيد في جوف الفرا. أه.

وقد تابع الزياتى على مقاله هذا من نسب على موالى كصاحبى "الجيش العرمو" و"الاستقصاء" وعليه جرى الوزير ابن إدريس كما رأيته.

وأما تعقب بعض فضلاء العصر وهو الشيخ محمد فريد وجدى ما في الاستقصاء بقوله نقول في هذا الكلام فعل عميم لا يصح أن يصدر من مؤرخ على أنه يدل في الجملة على ما كان له هذا السلطان من المباني العظيمة. أه! فغير سديد لأن الغلو مدفع بما بين الزياتى من اقتصار كل دولة على تشيد بناء عظيم خاص، والولى إسماعيل شيد في بناءه الضخمة الهائلة ما يوازي بناء كل دولة، وجمع ذلك في قلعته قصارات قلعته جامعه لا يقال ما شيدته الدول كلها، وهذا شيء أنفرد به دونهم فاستحق بذلك تقدير جملة مشيدته على ما شيداه كل فرد منهم، إذ لم يتفق لفرد من تلك الدول من كثير المباني الضخمة المماثلة لسائر مباني من عداؤها من الدول ما تفق للمولى إسماعيل، فأين الغلو في ذلك حينذا! وان أدعاء أن ذلك لا يصدر من مؤرخ! كيف وقعد صرح عن مؤرخين كما رأيت وأولهم الزياتى، ما أعلن بذلك حتى آخر مشاهدته لمبانى الفرس مايو في الدولة الإسماعيلية وفريق من عداؤها من الدول المتقدمة عليها في أقطار المعمور، وجدان الشيخ الفاضل المعارض ليس معه إلا تعقيم الاستبعاد، الحالي عما يدعمه من وجه الاستناد، وذلك هو مشأ الفساد، على أنه سيجعل في ترجمة المولى إسماعيل من مشيداته في الأقطار المغربية الخارجية من مكناسة ما يزيح عنك كل تشكيك وشبيهة.

217
هذا والذكر حداثا لشرح نقص ذلك الانتقاد، زيادة المتقد قوله لا يصدر عن
مؤرخ المعنونة بان الغلو المتقد به غير مقبول، خروجه عن مناهج العقول، أما لو
طرى بساق تلك الزيادة المفسدة واقتصر على مجرد التنبيه على الغلو لقبلنا،
وحملنا على الفرد المقبول عند سماحة اللفظ ولم يعبأين من خالفهم فآباه، وقلنا
حيثت مجلات الدرب التي لا غنى للمؤرخ عنها هي معدن ذلك وماواه.
(تنبيهه) علم مما سيق اهتمام المولى إسماعيل وغيره من تقدمه من ملوك
المغرب بتشييد المساجد العظيمة والمدارس البهية والمشاهد العالية وتقديره لها
من ذلك تجديدًا أرفع مما كان، لكن مع التجافي في الجملة عن الإسراف وعدم
التجاوز عن حدود الإمكان.
وعليه فما وقع في رحلة الزبيدي بعد بيان فتحخمة مسجد السلطان حسن بمصر
من قوله: رحمة الله أفضائل الملوك الذين درجوا، والذين من خلفهم على
مناهجهم نهجوا، لقد خلدوا من الآثار الدينية ما أوجب خلود الشنا عليهم ووصول
الدعاء ممهدهم إليهم، ولم يزل أهل المشرق إلى الآن لهم فضل اعتناء ببناء
المساجد والخانات، ويتالون في تعظيمها ويتناقسون في ذلك ويبدرون إلى إصلاح
ما وهي منها.
وأما مغرينا فلا تكاد ترى في مدنى مسجدًا عظيمًا قد أحدث بل مهدومًا قد
جدد، أو واهيًا قد أصلح، بل إن سقط شيء من أكبر مساجدهم فهؤلاءهم
فهي إن كان مهيئة بخام أن يعاد بخصوص آخر، وإن كان مجصصًا أن يعاد بطن،
بحيث تحت المسجد كان منه مرتقة فقير من كل لون رقة، وما أرى يسب ما لمغرينا من
الوهن إلا أمثال هذا من عدم تعظيم الله ولو في الأمور الظاهرة، فضلا عن
الباطنة، ولم يعتن بإقامة معالم الدين إلا أمير المؤمنين سيدنا محمد بن عبد الله
فصد شهد بمدنه مساجد ومدارس ورياضات، واقتفى آثاره في ذلك سلطاننا مولانا
سلامين في تشيد معالم الدين بكل مدينة. اهـ.
قلت: هذا مخالف للحقيقة، وبعد عن سوء الطريقة، أما تأثّق أهل المشرق
في بناء المساجد في ينكر، وأما مبالغتهم في تعظيمها فإن عني بنائه فهو ما تقدم وإن عن تعظيم الحرمات الشرعية فيها الذي نسب ضده لأهل المغرب فهو من مجازفات المعهودة منه رحمه الله، فإن المقر والمعهد عند الثقافين وأفضل الراحلين
عكفه، وقد قدمنا في الكلام على البربر وأهل المغرب كلام الشيخ زروق في قواعد "الناس" على أن الغيرة الدينية عززة في المشرق ولا توجد إلا في أهل الخصوصية من أهله.

وقد نبه أبو سالم العباسي في "رحلته" على ما يعبد ذلك من تهان
المشرقيين بحرم المساجد، وإذا لم تكن حرمات المساجد قائمةً وبأنواع التعبدات
التي بنيت لها آهلة، فأن ثمرة للمبالاة في تزويدها وتنميقها! هذا لو كان ذلك
التزويج ماذنا فيه شرعًا، فكيف وقد أ kaps الكثير من السلف، وكراهة هى مشهور
مذهب أهل المغرب وهو مذهب مالك.

وفي صحيح البخاري أن سيدنا عمر بن الخطاب أمر بناء المسجد وقال: أكنُ
الناس من المطر ويالك أن تخمر أو تصرف فتفلن الناس. وقال أنس: يلباسون بنا ثم
لا يعمرونها إلا قليلا، وقال ابن عباس: لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى
كنائسهم.

قال القسطلاني: فيه كراهية زخرفة المساجد لاشتغال قلب المصلى بذلك أو
لصرف المال في غير وجهه. أهـ.

وقال الخطيب ابن مرزوق في "شرح العمدة": وقعت المسألة بمجلس أمير
المؤمنين أبي الحسن المرينى في المسجد الجامع الذي أنشاه ظاهر تلمسان بضرب
سيدى أبي مدين، إذ روت قبلته وذهب، فأتي أبو زيد وأبو موسى ابن الإمام
ومن حضر من أئمة المغرب بزواله وأبيت لهم ذلك، قال: والحق منه ابتداء وأما

219
بعد عمله فلا أرى أن يزال، وقد أمر أمير المؤمنين بإزالته ما قرب من المصلى من ذلك، قال: وهذه المسألة ما عمت به البلوى، لا سيما في بلاد المشرق، انظر المعيار فانظر قوله: لما عمت به البلوى لا سيما في بلاد المشرق، فهو ضد ما جارف به الزياني من مدخ أهل المشرق به، ثم استناثوا خصوص سيدي محمد بن عبد الله وولاء سليمان يدل على أنه قد قدد المولى إسماعيل في الدخول في الدم الذي ذكره، وربما كان هو المقصود عنه، وانت ترى ما تقدم كثرة ما شيد من المعاهد الدينية في خصوص مكناس وفي ترجمته المنزوع اللطيف بعض ما شيد في غيره والله المرشد فضله.

هذا وقول ابن مرزوقي وأما بعد عمله فلا أرى أن يزال لا وجه له حيث إنه متنوع ابتداءه، والعمل هو شغل المصلى كما هو في كلام عمر، فالواجب هو زوال ذلك الشاغل والإبقاع عن ذلك المهى عنه فالتها وثأر مع ابنه الإمام لا يقال في رواية إضاعة المال بلا فائدة، لأننا نقول وفي بقائه ضياع المال مع مفسدة شغل المصلى ودواوين ارتكاب المهى عنه.

وإذ قد أتينا على ما بلغه علمنا وما شاهدناما أسسه المولى إسماعيل من عظيم المباين والغروس بعاصمته مكتبة الزهير الفنتطفف للتنبيه على ما أسسه فيها أيضا الملك من بنه وحلفته وعائلتهم الكريمة فقالوا:

من تأميسات السلطان الأصيل العريق المجد والفخر مولانا أحمد الملقب بالذهبية بمكناسة ضريح والده الإمام الجليل، أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، ذلك الضريح الذي أصبح في باب الإتقان آية، البالغ في التنميق والتنسيق الغاية، ذلك الضريح المحكم الصنع، العجيب الوضع، المنتظم من قبة لا تظهر لها في الأقطار المغربية بل ولا الشرقية فيما أعلم، يقال إنه اخترع بناته على الشكل والهيئة التي كان عليها أفراد والده صاحب الضريح المذكور الذي كان معدا لديه في حركاته.
باب قبة ضريح السلطان مولاي إسماعيل
دويرية الشريحة الإسماعيلي ومحرابها
لدى أسفاره وتجولاته في إياه لتوطيد الأمن، وكسر صولة المتمردين، وبخدي باب هذه القبة الزركية البهية ليوحنا، رحاماً بديعًا، منقوشًا بابع نقي وأعلاه، طول كل وحدة متراً وسبيع وستون سنتيمتر وعرضها خمس وتسعمون سنتيمتر منقوش في أعلى التي عن يمين الداخل ما لفظه:

باب ضريح الإمام الغرب ذا فبه

وبأعلى التي على اليسار ما لفظه:

فافسه له يا عظيم من منزله في الخلد وافتح إلى ظفر أبواب

ويراح أمام هذه القبة طوله عشرة أمتار وعرضه كذلك محلي بباحات أربع ممحلة على أثى عشر أسطوانة من بدمع المهر، وبوسطه خصبة ممريرة لطيفة الشكل، ولياً البراح أيضًا قبة في الجهة الجنوبية مقابل قبة الضريح تعرف باسم الخراجة يكون والمات الإبر النصر مولانا إسماعيل كان يخرج منها من دار العلية إلى المسجد الذي وصفناته الكائن الذي دخل الباب الأول للضريح الإسماعيلي، وهو الذي كان يؤدي فيه الصلوات الخمس كما أشرنا لتشريحه سابقاً، وحذو هذه الخراجة قوس صغير يماثل بيته الصالح بالجانب الغربي منها، وإدارته بها يقابلها في الجانب الشرقي محراب الصلاة وتحيط بجدران الضريح والبراح المرئي أمامها منطقة من الزيج المرصع أبدع ترصيع واتاقت، ينف ارتفاع تلك المنطقة على متر وبأعلى منطقة زليج قبة الضريح قصيدة رائعة منقوشة في زليج أسود بخط بديع رائع محلي بئرة القبة، شاهدة بأن مولانا أحمد المذكور هو الباني والمؤسس لذلك المشهد الخليل الفائق، يبد أنه ضاع أول تلك القصيدة وأخرى، ووقع اختلاف في أواسطها ودونك لفظه ما هو موجود منها الآن مع إصلاح يسير فعلى يمين الداخل.
فتح المدائين والخطأ بجندته
نشر العطا غفر الخطأ ستر الغطا
مد الأزمنة على الأزمنة بظله
قل للمفسدين لا تفخروا واعترف
مذا تقول لفضل آل محمد
وهم الكرام إذا حللت بجاههم
وهم الأزمنة أرضهم والجوار
متوسلين بجاههم للباري
وأننا طويت المجد تحت جدار
أثاره تنبث عن أبخار
وأطل في سمك السماء منار
والانتصار له علا مقدار
الذهبى أحمد نخبة الأخيار
غوث الأزمنة لكل هول عصر
وكماه في الفضل من هو عصر
أهل لها من سائر الأنظار
حزمها وعزها دائم الأمطار
فتخاف فتكته أسود الضاري
فكانه ما غاب عن بصار
وكذا ذو رو بالأحاسيب والأقدار

224
أبقاك مولانا لنصرة دينه
tغنشاك الطاف الإله ونصره
وسواك مفصول وقدرك فاضل
وعلاك فوق الكل في الأسطار
إلا و كنت أبا السنا المضمار
ما رام شارك في الغلا مسابق
فعلى ضريح آبيك رضوان الإله
وسقى مولانا شايب الرضا
تفششاه بالأعمال والأبحار
قد صار في كرم مع الأبار

وقول البيت الثاني: ستر الغطا معنا إما ستر السوء من قولهم فعل به ما
غطاه أي ساء كمال في المحكم، وإما ستر الكثير من قولهم ماء غاط أي كثير كما
في تاج العروس، أو ضمن ستر الغطا ئشداله إن لم يكن الأصل سدل فتضحف
على الكاتب وهذا الاحتمال أظهر وقع تصحيح أو لم يقع، وقول السبع وهم هم
من أمهم وأبوهم يقرأ من يكسر المسلم في قوله من أمهم ويكون قوله وأبوهم مبتدأ
خبره مذكور أي كذلك، وعلى يسار الداخل منها ما لفظه:

تاج الملوك إمامهم وشياؤهم
مولي إسماعيل خير ببوتها
قبط الجلالة معدن الإكبار
بالي العام والсидادة والندى
ورث المجادلة كابرا عن كابر
قد طالما عبد الإله بليله
جه الكسير وكم أسير قد فدى
وبناء الأسوا والاحجار
مستواها لمليك الجبار
بسجوده شكرا بلا استبارك

225
انتهى.

تبرج أعلى سطح هذه القبة بزينة حلة قرمود المزدري بالزبرجد في الاخضرار، تعلو تلك الحلة السندسية طاسات خمس من صفر ممولة بخالص الابيز المنظمة في قضيب من حديد سفلاها هي أكبرها والتي تليها دونها في الكبر وهكذا، وعلى رأس ذلك القضيب لوح حديد لطيف مغشى بورقة من خالص الذهب يعرف ذلك اللوح باسم الخلاة منقوش في إحدى جهتيها ما لفظه:

هذه رتب الكمال تباحت لواء الننى خيصر البرية.

وفي الجهة الأخرى ما لفظه:

فالتمس من شئاه أطيب نثر واغتنم طيبه بحسن الطوية.

كان يعتقد كثير من الناس أن ذلك اللوح كله من خالص الذهب ويجمعون أنه كان لبعض حظايا الجناب المملوك إسماعيلي لما لبي مولاي إسماعيل داعي مولاه وبنى ضريحه على الوصف المذكور أثرت بجعله ثم، ولم يزل ذلك الاعتقاد ساري في الناس حتى اعوج ذلك القضيب الخديوي الذي ركبته فيه تلك الطاسات الصفر وذلك اللوح المغشى بسبب هبوب عواصف الرياح توالت ثلاثة أيام أقلعت الأشجار، وكان ذلك في ثانى عشر جمادى الأولى عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وalf، فعند ذلك أنزل ذلك القضيب بقصد إصلاحه فكشف النجيب أن اللوح إذا هو من حديد مغشى بالذهب وقد أعيد تمويه ما يحتاج للتمويه من تلك الطاسات لكن جاء التمويه الجديد بالنسبة لل تقديم جيئة تشهيه، إذ الأول قد مرت عليه قرونا والثاني تراكم عليه وغيزير الأطمار وعواصف الرياح تحمل إليه من الغبار، ما يغطي بهجته ويستريح بريقه ولسعه عن الأصبار، ومع ذلك علم فلم يؤثر ذلك أدنى تأثير، ويجد باب الدويلة المذكورة باسم البراح السالفه الوصف زليج مكتوب في نفس تزديجه ما لفظه.
لسانها السلامه والسعادة
وعلى لائدانه هوان
وأما لفظه أيضا:
الأ إن دخلت القصر فانظر محاولى
وهل أبرقت عيناك مثل هذا الخد
علي من الرحمن عنز بلا حد
تبارك الله ما أرق شمائل
انتهى.

وقد اختصيت في هذه الأيام الأخيرة زليجتان بهما البيت الأول وهو
لسكانها . إلا، ويوجد خارج هذه الدويرة صحن فسح طوله أمتار ثلاثون ونصف
وعرضه أربعة عشر مترا به مباني: أحدهما في الجهة الشرقية والآخر قباليه
بجانب الغربي، ومزارة يصعد إليها بدرج خمس يشرف منها على قبة الضريح
الأقدس على تلك المزارة شباك من حديد مروم بالذهب، وذلك في الجانب
الشريقي، وفي الجانب الشمالي من هذا الصحن قبة بها قبور بعض حرم السلطان
المولى إسماعيل وبعض أهله وأحفاده تعرف هذه القبة بقبة الحاجات، وفي قبالتها
من الجهة الجنوبية ضريح العارف الكامل السيد عبد الرحمن المعروف بالمجذوب،
ووسط الصحن المشار أمام الضريح المجذوب بشر حفرته امرأة بمال من صدامها
بقرب عام ستة وخمسين وألف كما في «ابتدائ القلوب» وياتى في ترجمة
المجذوب بعض ما يتعلق بروضته المذكورة، وبعد الصحن المحدث عنه يوجد
صحن آخر طوله يقرب من العشرة أمتار، وعرضه كذلك، بجانبه الشرقي صفة
يقال إن بها مدفع الفرس الذي كان يركبه الشيخ المجذوب وحملت عليه جنحة محل
إيقاره المشار، ومن هذا الصحن يخرج لمسجد صلاة الخمس المحدث عنه آنفا الذي
بابه الأصلي القديم هو المعروف اليوم باسم باب مولاي إسماعيل، فإذا أراد
الإنسان زيارة ذلك الضريح الأニュو كلما وصل لصحن من الصحنون المارة الوصف
يصعد في درج، وهكذا إلى أن يصل قبة الضريح.

227
صحن البير بالضريح الإسماعيلي
ولا أجل هذا العلم وارتفاع بقعة الموقع تتراءى تلك القبة المتبرجة بحلتها الزبرجدية ورتفعها المنشئ بالذهب من مسافة ليست بالقرابة من سائر نواحي جهات البلد، لا يرى الرائي أعلى منها ولا أروق في النظر، يغشاها نور نبوي تقر به أعين المحنين، ويكون قدى في جفون المارقين والمحددين.

ومن تأسيسات السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل بهذه العاصمة الفاخرة تنميق باب جامع الأنوار الشهير الواقعي الأكنف الواقع بين باب زين العابدين أحد أبواب المدينة الآن، وباب منصور العلجل، وكان تأسيسه لذلك عام ستة وأربعين ومائة وثمان، وبدل لذلك ما هو منقوش في زليج بخط بارع على الباب المذكور ولفظه:

ما للخورنق والمنيع كمال
شمع الأنونف أله الأقية
أثر له والسعد في الإقبال
حظي به موصوللة الآمال
وقتى (مشاةة) كله نفسه ودها

وقد قدمنا أن أصل الجامع المذكور بكماله من أعظم منشآت والده الموالي إسماعيل وشرحنا القول في ذلك بما له وما عليه فارجع إليه.

ومن تأسيساته أيضًا تجديد باب القصبة الإسماعيلية المعروف باسم باب منصور العلجل على الطرز الذي هو عليه الآن على إصلاح للدولة الخامسة فيما كان تصدع منه إصلاحا لم يغير ما كانت عليه، وهذا الباب أبت الاقطار الخفية أنه تعزره بائنا وهو في حسن بين أطرابه، أنشأ تجديده عام أربعة وأربعين ومائة وألف وشاهد ذلك ما هو منقوش في زليج أسود بخط مشرقي بارع في أعلى ذلك الباب ولفظه: الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده:

٢٩٩
منظر باب منصور العلج أحد أبواب القصبة الإسماعيلية
وأضواء في ذلك الجمال سراجي
طلعت مطالع سعيدها ابراج
وقفت من أوج العشاق صهة
ولحلت من أوج المعالي صهة
وبأثاره بسراجه الوعاء
وجود من أحيانا موجود وجوده
وأدار بالفقه المتين رتاجي
من شاد بالنصر العزيز قواعدي
كهف الضعيف وغنية المنتج
بيت النبوة والجلالة والعلا
إسلام معقود اللوا والتأج
مولى عبد الله متي أضحى به الـ
ملك يطاع محبة ومغامبة
في كل سلاحه آثار تو
فانظر وقس ما غاب عنك بما ترى
هل ورخت مثلية (دمشق) أو وشت
أم خصصت الإسكندرية بالذي
أم في الملوك نظير مولانا الذي
فقاله يقيه لحمية خلقه
والله يرقي دينه يوجوه
هله يرقي دينه يوجوه
أناشده الحدباء فالله
بادي المعالم واضح المنهج
من مغنم وهدية وخصىج
وفنوان الخيرات يملى نحوه
وتحية الأولى السلام تخفه

أشار بحروف لفظة دمشق للتاريخ المشارك له. والآمال - بالفتح - جميع أمح
بالفتح أيضاً وهو الحر والعطش كما في القاموس (1)

(1) انظر القاموس (1 م ج).
ومن تأسيسات السلطان الأعظم، والملاذ الأفخم، سيدي محمد بن عبد الله، بقلعة مكثفة عاصمة ملك جده المولى إسماعيل المسجد الأهر، الرافل في حفل الآبة والفخار، ذلك المسجد الحافل الفاخر المعروف اليوم باسم جامع الأروي، وكان تأسيس له عام تسعة وثمانين ومائة وألف، وشهد ذلك ما هو منقوش في الجبرس على بُين المحراب وشمالة ودونك لفظه:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا محراب مبارك سعيد قد بناه بمسجدها سيدنا ولانا المنصور بالله المحرس بين رعاية الله المجاهد في سبيل رب العالمين، المتكول على الله القوي المتين، محمد بن عبد الله ابن إسماعيل في عام تسعة وثمانين ومائة وألف. اه.

يتظم هذا المسجد من صفوف أربعة ذات أقواس محمولة على أربعة وأربعين سارية مبنية بالجبار واللبن، وصحن فسيح لا يوجد له نظير في القطر المغربي فيما أعلمن، طول هذا المسجد ثمان وثمانون مترا ونصف، وعرضه ستون مترا، بوسط صحن الرحب جزءة من أصفى المرمر، وأعلاه من أكبر وأوعسع ما أنت راء جوانبها الأربع أعني ما تصل بها من الصحن مفروشة بزليج الرخام البديع، وباقي الصحن مفروش بالزليج الملول الفاتن الباهي.

ولهذا المسجد ثلاثة أبواب لعموم المسلمين أحدها في الجهة الغربية، ثانويها في الجانب الشمالي، وثالثها في الجانب الجنوبي ويوبق صغيرة بجانب الشمالية من الصف الأول يختص السلطان بالدخول منه لكي يقع في ورطة تخطى رقاب المصلين، ومع الأسف فقد أهل هذا المسجد إهمالًا ليس عليه من مزيد حتى عشش فيه عوام الخراب والتلاشي والدمار وفخم، رغم عن كونه تقام فيه الجمعية والجماعة، وكونه من المعالم الإسلامية السامية ذات البال، انذر زليج أرضه وثبت الكلا في صحته، وتكاثف، وثبت الكرم في خشب سقته الذي كان على جانب من الزينة والزخرفة عظيم، هذا فيما بطن منه، فما ظنك بما ظهر من سطحه إلى غير هذا مما لا أذكره.
وبخارج الباب الشمالي من هذا المسجد يوجد مدرسة تحتوي على بيوت ستة
وثلاثين عن اليمين والشمال بوسطها خصة لطيفة وبيئية، وبأخرى قبة بديدة الشكل
كانت على جانب من الزخرفة والنقش عظيم، ويهذى المدرسة منازل المسجد المحدث
يته، كما يوجد خارج الباب الجنوبي مرحاض حافل محتو على خمس وعشرين
ميضة، ووسط صحن صغير مسجى للماء مستطيل كان في غاية اللطف، وخارج هذا
المرحاض في جدار الشرقي صغير مستطيل طوله نحو المتر منحوت في حجرة
واحدة، ومع الأسف فقد أصبحت بهجة ذلك كله في خبر كان، ومدت الأيدي
العادية لاختلاف مائه.

وقد كان السلطان المملوكي الحسن في عزه إحياء هذا المعهد الإسلامي الذي
هو من آثار أسلافه الكرام وأرادوا أن يضيئوا شامته وشرع في ذلك بالفعل
ولكن حالت المنيا بينه وبين بلوغ مراده، ولو لولا تأليفه بدير بعض ذلك الصدع
لخسر سقوته ولاصبح أحدث مئة في خبر كان.

ومن تأسيسات الأمير سيدي محمد هذا قصره البهيج الموسوم باسم الدار
البيضاء محل المدرسة الحربية الآن المعدة لتعليم ضباط الخوارجية، أسس بهذا القصر
الشامخ مسجدا منتظما من صفوف أربعة وستملا، وجعل له مئارا ومضوضعا
وضع آلات التوت، وأسس بجانبه الشرقي مدرسة لطيفة وأحاد السور بالفسيح
الطويل العريض المعروف باسم أجدال، وأسس صدر هذا الفسيح قبة مربوطة
بديدة على جانب من الإتقان والتزريق مكنى، وجعل بإرشاتها حماية له باب ينفذ
إليها وتكنيها، وكلما يحتاج إليه من منافع ومرافق بحيث لا يحتاج القاطن فيها
إلى الخروج منها إلا تدعو إليه الحاجة اللازمة للإنسان أعد هذه القبة لمسحته،
والجلس لسماع مظام رعيته، وأعد البسيط المذكور أمامها رعي إنا الخيل
العتاق أطلقها تعود في مواجهة وتروج إذ كان له ولوغ تام بانتقاء الصفات الجياد,
وجلبها من كل صوب، وتبريتها والإنتاج منها.
وأسس بجوار هذا القصر جنائي أسوفيطة الكبير والصغير، وجنان باب الفزدير، وجنان ابن حليمة وعرفة السنترية، والعرفة الجديدة حذوها المروفة بالبحرية وحبس جنان ابن حليمة المذكور مع العروضين المشار لهما على المسجد الأعظم، ودونه نص عقد التحسب:

الحمد لله حبست مولانا الإمام، السلطان المؤيد الهجام، ناصر الدين، المجاهد

في سبيل رب العالمين، صدر الأفاضل المقدم، علم الأعلام، وابن سيد الأناش،

العلامة الشهير، الداركة النحرة، صاحب الفتحات الإلهية، والمواهب الرزانية،

الذي أشترك الوجود بكريم محيائى، أمير المؤمنين سيدى محمد ابن أمير المؤمنين

مولانا عبد الله ابن السلطان الجليل، العاجد الأئت، مولانا إسحاق، أدام الله عزه ونصره، وخلد في الصالحات ذكره، جميع جنان ابن حليمة وجمع عرف

عرفة السنترية وجماع العرفة الجديدة المجاورة لها والجميع داخل القصبة السعيدة

على المسجد الأعظم من مكانة تحييما مؤبداً، ووفقاً مخلداً إلى أن يبرر الله

 الأرض ومن عليها، وهو خير الواردين، ومن بدل أو غير قاله حبيب وولي

الانتقام منه، تقبل الله من مولانا عمله، وبلغه سؤله وأمله، وسبل للناصر الأحلى

السيد الحاج الطيب ابن السيد أبي القاسم السطاسي يد الحوز على ذلك يتصرف

فيه للحيس المذكور من بيع غله وعلاجه مهل رمضان عام أثنين ومائتين وألف.

وقد أفردت الكلام على ما استي هذا القصر الملوكى، وحاضره وعلى الأجنة

المحتفة بهما يهم القراء في رسالة مستقلة.

وأسس مسجد قصة هدراش السالفة الذكر، وعرف هذا المسجد اليوم

بجامع لال خضرا، وقد تقدم لنا أنه من المساجد التي تقام بها الجمعة، وتنظم هذا

المسجد من بلالين وجناحين وأسس به كنفا وحماها بقرب منه.

قلت: هكذا ذكر تأسيسه لهذا المسجد الزياني ومن تابعه، وانظره مع ما

234
قدمناه عن ذلك العقد القديم المؤثِّق به، من أن أرض بريمة كانت من أوقاف جامع الخضراء، ثم انتقلت للمولي إسماعيل . إلخ، وليس يعرف بمكناس جامع الخضراء غير هذا، فالظاهرة أن سيدي محمد بن عبد الله جدد بناءه لا أنه أنشأ تأسيسه والله أعلم.

وأسس ضريح الشيخ محمد بن عيسى الشهير بالشيخ الكامل المترك به حيا وميتا، دفين خارج الباب المعروف باسم باب السبيبة، أحد أبواب العاصمة المكتسبة يقال إنه بناء من أنقاض ما هدأ من الدار الكبرى دار الخلافة الإسماعيلية المرة الذكر، وكان تأسيسه له عمام ألف ومائة وتسعة وثمانين، يدل لذلك ما هو منقوش داخل مزيرة الضريح المذكور ولفظه:

أشاد أمير المؤمنين محمد يزيارة (نصر وفتح وفتك واسعد).
وجاء علي أبي ابي وعزيز طالع.

أشار للتاريخ المنشور بحروف نصر وفتح واسعد، وما يوجد أيضاً في نقش الجبه سوق المنطقة الزليلية المحيطة بجدار قبة الضريح ولفظه:

نزا جفونك في المشيد العاليم
ما زاهر أيام الربع ووشي صند
حوزت البدأ بجمع كل محاسن
أو ما ابن عيسى القطب هذا من له
بحبر تلامذ موجه بعناية
قصده خصوا بنيل مرامهم
في عاجل أو آجل ومآل
في حادث الدنيا له بظلال

235
قد سألت كل السموم جميع من غياب من في الأرض يهتف باسمه أنزل به كل المني تجده الذي من يستحق لا ينكر ما قد يرى أمر المؤلم المعروف هذا منهل لكن كأس شرابه التسليم والكم كربة ومضايق قد فرجت وغريب أوطان توطا حبيبه ووضيع قدر قد رفعت حضيضه وذا الامام فزور تراه تتركا إن الامام محمد بن محمد الـكم من مزابا نالها ظهرت كما من ذاك أن أمر الخديم محمدًا واشتد في أمر الأمير محمد قد حاز من حسن القوام لطافة واستنجز الانتصار من كل غاية وقل من رام ارتقاء كماله ولقد أتيت بما بدأ أعلا الرضا ثم الصلاة على الشعيب محمد

٢٣٦
ولا يخفى ما في هذه القصيدة من التغالبي الذي لا يكاد يخلو منه مدح في الغالب...

وبني قبة ضريح سيدي سعيد أبي عثمان.

وأسس مدرسة الشاوية وهي الواقعة أمام الداخل من المدينة لباب منصور الدج شرقا أحد أبواب القصبة الشهيرة، وهي المجاورة للباب المحدث لقصر الستينية المار الوصف، بهذه المدرسة قرأ القرآن العظيم، ويها قراءة أباؤنا وأسلافنا الكرام برد الله ثراهم، ولقد تخرج بها من حملته منهم ما يئذى الألف، ومنا منهم إلا من له الخط الرائق الفائق، ولا رئي هذه المدرسة إلى حد الآن مكتباً لتعليم الصبيان ومسجدًا لعبادة الرحمن، وقد كان الدهر أخني عليها وبقيت في زوايا الإهمال دهرا طولا إلى أن خرت سقوفها، واغتصب محرابها، ولعبت بجدرانها أيدي اليلى، وتبنت بأرضها الكرم، وعشت بها اليوم، وتكررت أنواع الطوبر، وأخيراً صارت مقبرة معدة للدفن، وفي هذه الأزمة الحاضرة أصح ما يواجه الداخل منها.

وقد كان أول من انتدب لإصلاحه والذي قدس الله ثراه، فابتدأ مباشرة ذلك من ماله الخاص له ثم بعدة أشهر جانب الحبس ما كان ابتداء من الإصلاح وبقي ما وراء ذلك وهو معظم المدرسة على ما وصفناه من الخراب والإهمال، مع توفر مادة الاحباس، إذ للمسجد الأعظم وما أضيف إليه من المساجد التي من جملتها المدرسة التي كلامنا فيها بالعاصمة المكانية من الرباع ما بين دور ودكاكين وإصطبلات ومعاصر ودبيار الصابون وطرات وحمامات وما قوم ثم رقيته في أوائل رجب الفرد الخراب عام ألف وثلاثمائة وواحد وثلاثين مئة ألف ريال وتسعة وأربعين ألف ريال ومائتين ريال وأربعين ريالا ونصف ريال.

وفي منفعته ثلاثة عشر ألف بليون ومائة وثمانية وخمسون بليونا، وفي مدخره الشهري ثلاث وثلاثون مائة مشقاق وستون مثقلا، وثلاث أواق ونصف 237
الأوقية حسبما وقفت عليه في صك الإشهاد بذلك بتاريخ أوائل رجب عام ألف وثلاثمائة وواحد وثلاثين.

وله من الأوقاف خارج المدينة بين بلادات وريتون وجنتان ما قومت رقبته بخمسة ألف ريال وخمس وألف ريال وسبعمائة ريال وثمانين ريالاً حسبما وقفت على ذلك أيضاً في صك تقويم العراف المرجوع إليهم في ذلك بالتاريخ التقدم.

ولمساعد السور من الأوقاف بداخل المدينة من حوايات وديار وفنادق ومعاصر وغير ذلك ما قومت رقبته بثمانية وتسعة آلاف ريال ومائتي ريال بالافراد وتسع وألف ريالاً، وفي المنفعة عشرة آلاف ريال واحد خمسمائة ريال وسبعة وخمسين ريالاً، وفي المنفعة عشرة آلاف ريال واحد خمسمائة ريال وسبعة وستون ريالاً وفي المدخل خمس وثمانين مائة مثال وأربعة وثلاثين مشقالاً وثمانين الثقيل حسبما وقفت عليه في عقد الإشهاد بذلك بالتاريخ التقدم، وهذا خارج عن الأحباس الصغير وما انضم إليها وعن أحباس مولاي عبد الله بن حمد، بل وعن المعاوضات التي وقفت في أرض حمرية ومدخولاتها.

وذلك أسس السلطان سيد محمد بن عبد الله أيضاً بالقصبة مسجد باب مراح ومناره، وباب مراح هذا هو المعد إلى اليوم لسكنى ماليك الجانب السلطاني، وموقعه ما بين قصر المحنشة السعيدة وصهريج السواني المحدث عنه سابقاً، وجوار جنان ابن خليفة الشهر، وجد ما افتقر للتجديد من المسجد الأعظم، وجدند بناء متاره وذلك عام سبعين ومائة وثلاثين ألف، ويدل له ما هو مكتوب في نقش زليج بجدار المنار المذكور في الجهة الموالية للصحن ودونك لفظه:

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده.

٢٣٨
بني هذا المئار أمير صدق
وجد فيه مسجد به محارة
وهكذا قصة قصبات سبع
أشهر للموكب المذكور بحروف لفظة عشق، وجدد مسجد باب البراءةين
المذكور فيما مر كما جدد ضريح الولي الشهير سيد سعيد الشابواني ومسجده:
تذبيه: عبد أبو القاسم الزياني من جملة ما شيده السلطان سيد محمد بن
عبد الله من المعاهد الدينية مسجد سيدية سعيد المذكور، ومدرسة بركة، ومدرسته،
ومدرسة الصهريج، وقد تبعه على ذلك صاحبان "الجيش" و"الاستقصاء".
قلت: ويعتبر حمل كلماتهم في ذلك على تشديد الإصلاح والترميم، وإلا
فقد قدمنا أن مؤسس تلك المعاهد الثلاثة الأولى ومشيد بناءها هو جده مولانا
إسماعيل، وقد لم لا نشأ ذلك في تاسيسات المباني الإسماعيلية، كما أن
الزياني وتابعيه قد أغلقوا من مباني سيد محمد بن عبد الله بعاصمة جده مكناسة
ما نهناك عليه هنا فلتكن من ذلك على ذكر.
وأما مدرسة الصهريج فلا يعرف لها اليوم أثر ولا موقع، بعد أن كانت هي
وغيرها من مدارس الدولة العلوية المتقدمة الذكر أهله بما بنيت له، معنئي بسكنها
بمدينة سلاطيننا على تفقد روائهما، ومن ذلك ما أصدره الإمام الذي افتخرت به
الأواخر على الأوائل والمغاربون على المشارق السلطان العادل سيد محمد بن عبد
الله لنا الاحياء بهذه العاصمة ونصه:
تأمر أحباس مكناسة الحاج الطيب المطلبي أن يجعل طلبة باب مراح في
المرتب مثل المدارس الست، وهي: مدرسة القدار البيضاء، ومدرسة باب مراح
ومدرسة قصبة هدراش، ومدرسة الصهريج، ومدرسة جامع الشاوية، ومدرسة
سيدنا ومولانا إسماعيل رحمه الله بحسب سبع أواقي لكل واحد من الطلبة المذكورين في الشهر، وستماثل للمؤمن، وخمس عشرة أوّقة للإمام، وخِزّة لكل واحد في اليوم من عند الزياتينية كما تقدم لك أميرنا بذلك وراثيبهم من الأحاسيس، كما هو مرسوم عندك ولا فرق بين الطلبة المذكورين فكلهم في ذلك سواء.

وأما طلة مدرسة الأودية فلا يقبن إلا الراتب فقط، كما أميرنا قبل، وأما الخبز فلا تطعمهم شيئا لأنهم في ديارهم ومع أهليهم هنالك، والسلام في ثاني عشر شوال من سنة ثلاث وتسعين وفترة وألف.

ومن تمامه أن الخبز المذكور يكون من أربعة في الرطل، وكل ما يدفع الزياتينية من الخبز، فاعطهم خط بذك والسلام. اه.

فبمثله هذا الاعتنتان من أمراء الله كانت معالم الدين قائمة، وبه دامت المحافظة عليها حسا ومعنى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن تاسيسات سيدي محمد بن عبد الله أيضا ما جده بالضيف الإدريسي الأكبر المقدس، قال شيخنا الشريف البركة العلامة الأقعد سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه «الأزهار العاطرة الأنشاس» ما لفظه ثم لما ولى السلطان الأسعد الهمام الأصعد، الأنفو الأرشد، مولانا محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل المذكور، جدد بناء هذه القبة وما هو متصل بها مرة أخرى، وجلب لها المرمر الحسن ما كان بدار جده بكماشة الزيتون، وبالغ في إيقان ذلك وإحكام عمله، وكان بناؤه له على ما هو مرارقم إلى الآن بالقلم الغباري براج دفة باب القبة المذكور سنة ثمانية وثمانة وفترة وألف. اه.

قيلت: رجالة الدفة الذي به التاريخ المشارك له هو الأسفل عن بين الداخل للقبة، ولا رال ذلك التاريخ إلى الآن مفروشا فوقه الحصير لا يمكن رؤيته إلا برفع
الخصر عنه، ولعل من آثار هذا التجديد اللوحتين القائمتين في خذي باب القبة
المصنوعين من المرمر الرفيع المنقوش في يمناها؟ ما صورته؟
يا ناظرا بهجتي الله يرعاك
أمر بعمله مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف عام ألف وسبع وثمانين. أه.
وفي بسراهما ما صورته:
أبشر بما تزحمي من خير مولانا
فرغ من عمل هذا سنة سبع وثمانين وآلف مولانا إسماعيل أبده الله بعزيز نصره. أه.
إذا هذا التاريخ متقدم على تاريخ بناء المولى إسماعيل للقبة الإدريسية بنحو ثلاث وعشرين سنة كما قدم علم ما قدمناه، مع كون تاريخ اللوحين لا مزيد فيه على أنهما ممولان للمولى إسماعيل، وذلك يؤذن بأنه كان عملهما لقصور نفسه فتقلهما حفيده مولانا محمد بن عبد الله ثقي القبة الإدريسية لما جدد ما احتاج للتجديد منها، وليس ثما بأصلين فيها ولا مصنوعين لاجلها، ولا لكان تاريخهما موافقا لتاريخ البناء الإسماعيلي المتقدم للقبة، ولكن فيه أيضا ما يؤذن بأن إنشاؤهما للضريح الإدريسي، على أن تجديد مولانا محمد بن عبد الله لنفس قبة الضريح هو عندنا الآن مجمل، لأنه لا دليل عندها على أنه جددها بعد أن نقضها من أصلها، فتكون الرخامة التي في مواجهة الداخل المكتوب فيها ذلك القصيد المختوم بيان تاريخ المولى إسماعيل بناء القبة، إما أعيد إلى محله بعد التجديد، أو إذا كان التجديد في بعضهما، فيكون رخام ذلك القصيد لم ينزل عن محله منذ وضعه البناء الإسماعيلي بذلك المحل، والعادة قاضية بهذا، فإنه يعد كل بعد أن يحتاج الضريح كله إلى التجديد في المدة التي بين السلطانين مولانا إسماعيل

241
وسيد محمد، مع مثابة الأمية الإسماعيلية ومزيد اعتقائه بإتقان الأضرحة، ومع هذا فعلم الحقيقة عند الله تعالى.

ومن المتصل بالقبة السالفة أمامها المحيطة من جهاتها الأربع بالمبحات الأنيقة المحمولة على اثني عشر عمودا من الأعمدة الرخامية البديعة، وبوسط الصحن المحيط بتلك المباحات خصة تقذف من جوفها المعين الفرات الزدري باللبنين صفاء، ويوجد بجدار الجهة الشرقية لهذا البراح محراب للصلاة يقابل بالجهة الغريبة باب بيت القناديل، وبالجهة الشمالية باب لدار الزاوية بهيج أنق، يقابل باب قبة الضريح الأقدس.

دار الزاوية هذه أسست وأعدت لسكنى المنقطعات من الشريفات وجريحة النفقا عليهم، وعلى طبة المدرسة هنالك، واللازمين لدار الأضياف المعدة لسكنى المنقطعين الغرباء والفقراء من الرجال، وكانت دار الزاوية المذكورة يؤكل فيها كل يوم بضيافة ما يضاف إليها نحو خمسة أمداد من القمح وما يلزم ذلك من إدمان وحطب وتوابل، وكان معظم ما يقام به ذلك أعشار سكان الزاوية الإدريسية، وبعض المداشر التابعة لها حبا وزينونا، وبسبب ذلك كانت تعظم ثروتها في بعض السنين حتى يكون لها المطامير العديدة موفورة حبا، والخزائن عملا زيتا.

وكان الملك تائف من مدخولات دار الزاوية هذه إعانات قصيبة وزينية شهيرة لبعض ذوي الحاجات، وبالخصوص الأشراف، كما كانت تفرق الحز المستعمل هناك، وكذلك الكسكسون على ديار المضطربين من آل البيت بالزاوية، وسبب ذلك وجدت الأديب العادية سببا إلى الاستيلاء منها على ما لا تستحقه، حتى أفضى ذلك إلى إغلاق باب دار الزاوية بعض السنين في وجه المستحقين، وباقي من كان تجري عليه النفقة منها يتكشف الناس للإجحاف كثرة الخارج في غير

(1) الإدمان: ما يستمر به الحز.
وجوهه من مدخولها حتى استسلم لها بأمر الخزنة، ولم يوجد ما يرد منه السلف لكون الأعشار التي كانت منفذة لها، إنما هي أعشار بعض العامة، وهو القيام بالزاوية والمجاورين لها وبقية الزراهنة كانت تدفع أعشارها بمكناس، وأما الشرفاء فقد كانت الملوك تسوع لهم دفع أعشارهم لضعافهم وتكل ذلك لامانتهم، فلما رأى ذلك كثير من العامة تساعروا لادعاء النسب النبور الظاهر وفتحوا الطريق لتمشية ذلك وقبولهم منهم وتأييد دعاهم الباطلة ببذل المال لأولى الأمر، فأل ذلك إلى الإجهاض بدار الزاوية وإلى غلقها بالكلية كما تقدم، وهكذا عاقبة كل أمر أستن إلى غير أهله.

ثم لما رأى ذلك متأخرو الولاية والنظراء اختصروا خارجها حتى ردوه لنحو خمس الخارج قبل، وصار لا يعطي منه إلا للمقيمات بدار الزيادة المذكورة مع طلب المدرسة والقليل من المساكين القعيدين بدار الأضياف، ويدفع قليل منه لبعض محتجي الشرفاء الساكين بالزاوية، ثم لما أحدث الترتيب وقطع الخزنة النظر عن التداخل في الزكاة لم يبق لدار الزاوية داخل إلا من بعض الأصول المحسبة عليها وخارجها يضعف عن القيام بخارجه، فكان الخزنة بعد اختياره لذلك صار يؤدي لها ما يجيبه من الضرائب كل سنة خمسة عشر ألف بسيطة لتتميم الخارج اللازم لها، وكانت صورة الطعام المستعمل فيها في سائر الظروف المتقدمة في القمح يطحن ثم تزال نخلاته القوية بالغربال، وما عدا ذلك يستعمل منه الخبز والكفسون من غير تصفية، بل الغالب أن لببه يستولي عليه نصف الخبزة السوقية وهو الذي يفرق على من عدا طلبة المدرسة وتوع فوقهم، وهو الذي يدفع للطلبة.

ثم لما حسنت حالة الاحساس وتتوفرت مادة ماليتها في الأقطار المغربية على يد الخزنة حيث جعل لها وزارة خاصة تحت نظرها نظر ومراعبون، وعظم وفر
الأحباب بكل بلد جاء وزارة الأحباب المشار له اختبار الآخوال بالزاوية وتعاهد الشئون، وذلك يوم الخميس فاتح صفر عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وحين شاهد حالة الخنز والكسوسون المصوفة أنك ذلك وأباه، وأمر في الحين بأن يكون يشتري ذلك صافيا من السوق وثمن الخزمة لا تنقص عن السوقية، كما أمر باشتراء قدر معين لها من اللحم وتوابع كل يوم ليتبخ مع الكسوسون، وقد كان اللحم قبل ذلك لا يشتري لها إلا يوم السبت الذي يعمر فيه السوق هنالك، فكان ذلك من أعظم حسناته، وإذا فسد ما فسد بإهمال الولاة، وتقاعسهم عن القيام بمثل هذه النهضات، أهلكنا الله وإياهم الرشد في الحال والآت.

ودار الأضياء المشار لها هي الواقعة في أمراك وهي الأولى عن يسار الداخل للحرم الإدريسي من باب المعارض الشهير، وتكلم الدار عبارة عن مربع محيط بمباحث أربع محتو على عدة بيوت وكنيف حافل.

ومن تأسيسات الأمير الفخيم البجور النصور مولانا الزيدي بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل الزيادة الواقعة في الجهة الغربية من المسجد الإدريسي، يفصل بينها وبين المسجد القديم الصحن، وذلك عام أربعة وثلاثين وألف، وبدل له ما هو منقوش في خشب باب المسجد المذكور ودونك لفظه:

"يا سائلًا عممن يد طلعتي
من لدين الله شكلي بشيد
آتشاني المولى الملك الرضي
محمد المهدي الإمام الزيدي
وزاده نصرًا وفتحًا يزيد
أعطاه مولانا جميع المنى
فإناني (رشد) أراه يزيد
ونشأتي من رام تاريخها
أشعر بلفظ رشد للتاريخ المذكور، ويدل له أيضا اختلاف البناء القديم مع الزيداء في الشكل."

244
ومنها أيضا المسجد الشهير بجامع مولاي اليزيد إلى الآن بالزاوية المذكورة موقع هذا المسجد بالخواصة المعروفة بنازجا من الزاوية المشار لها، تقام بهذا المسجد الجماعة والجمعة.

ومنها الدار الجديدة وهي قصة سكنها الأشراف العلمين الآتيان بزاوية زرعة.

كان أنشأها لسكنه، ولكنها لم تكمل في حياته.

ومن آثار السلطان العالم العامل الخواص مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل الدار المعروفة اليوم بالدار الجديدة مع روضها، جوار جده المولى إسماعيل، وذلك الدار وروضها بها الآن إدارة شتون حاكم الأحوار المكناسية وما يضاف إليها.

ومنها تلافيه بالتجديد والترميم والإصلاح ما اقتصر لذا من القصور السلطانية المحسناء، والمدرسة وما انضم إليها، قال أبو القاسم النيائي عاطف على ما أسسه وشيده المولى سليمان بالاقطارات المغربية كما استقبل عليه مفصلا في ترجمته بحولت الله ما لفظه: ثم جدد قصور الملك لمكناسة بعد تلاشيها. أهد قلت: مراده بالقصور قصر المحسناء، والمدرسة وما أضيف إليها، أما قصور الدار الكبرى دار خلافة جده الأعلى فإنها إذ ذلك كانت خربة بيد بعض أفراد العائلة الملكية الإسماعيلية، خربها والده سيد محمد بن عبد الله وسلمها لمن استحقها من العائلة المذكورة حيث قاموا بطلب حقوقهم وراموا السكنى بدار والدهم، ولم يجد السلطان سيد محمد بن عبد الله مناصبا من ذلك لما لهم من الحق في بيت مال المسلمين، ورأى أن تسيلهما لهم على بهجتها ونينها الملكية التي مر بك بعض وصفها ليس من العدل والانصاف في شيء لتعلق حقوق غيرهم من الخاصة والامة ببيت المال.
ولذلك مدّّد الهدم والتخريب فيها لإزالة كل ما له قيمة، ولم يبق بها غير شاهق الجدران المسلحة عن كل زينة وما لا قيمة له توجب الاتلاف نحوها، فعند ذلك سلمها لهم فتملكوها وينبوا فيها دورهم وأنشأوا بها غراسات متعددة واستقرّوا بها، ولا زال بها عقدهم إلى الحين الحالي يتصرفون فيها بالبيع والابتياع وسائر أنواع التصرفات.

ومن تأسيسات هذا السلطان الجليل المقدار مولانا سلیمان السقایات التي على يمين وسار الداخل من الباب المقابل لباب المعراض الشهير بالحرم الإدريسي بالزاوية، وكان تأسيسه لها عام ثمانية وعشرين ومائتين ولهف، ويدل لذلك ما هو منقوش في رواق مثبت بالجدار الذي به السقایات اللتان عن يمين الداخل ودونه لفظه:

وما البست من حل البهاء تأمل بهجتي وبدع حسني
يفوق البدر في أفق السماء تجد عزي ومجدي وارتفاعي
وأعظمها جوار أبي العلاء جمعت من المحاسن كل فرد
سليل الأكرمين ذوي الوفاء إمام الغرب إدريس ذي المعالي
أظهره زاهي بطيب ماء وقمت بباب روضته بجد
وتاريخي (تجلّيت بالسناء) إذن إمامة الاسمي بنون

أشار للتاريخ المذكور بحروف تجلّيت بالسناء.

ومن تأسيسات الأمير الأوره السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بالعاصمة الإسماعيلية قبب الخشب البديعة الشكل العجيبة المثال المعروفة باسم الخيمة، وهي الواقعة بجانب ابن حليمة في الجهة الشرقية منه المحمولة على ساقية وادي بوفكران التي يجري فيها ماؤه الداخل

٢٤٦
لا المدينة، وهذه القبة تحتوي على مبادئ ثلاث محمولة على الأعمدة الخشبية، وثلاثة مبأ ولهما بوستها إلى ما يتبغ ذلك من منافع ومزايا وجعل في الساقية المذكورة أمام المباخ الجنوبي دوراً يحمل الماء من الساقية ويصعب في الفناءات الموصعة له للخصية الواقعية أمام المباخ المذكور وإلى غيرها من الفناءات التي تجري فيها الماء، ثم مع السقاية التي يأسف القبة المذكورة ويصعد لهذه القبة بدرج، وتحيط بجانبها السلائف أبواب الحزام الملون تترك هذه الأبواب هناك وقت حول السلطن بالعاصمة المكناسية، وعند سفره تزال وتصان بالحزامات السلطانية إلى أن يعود من سفره يرجع لمحلها، وعلى هذا استمرار العمل إلى أواخر الدولة العزيزية.

ومنها إنشاء الباب الثاني لجامع القصبة الموار الذهب والمباخ داخله المشار له آنفاً.

ومنها المباخ الواقع على يسار الخارج من باب منصور المباخ لبطحاء الهديم المحمول هو أي المباخ على أساطين ستة حجرية، وكان إنشاؤها إياه على يد عاصمة سلفه المكناسية البشام الانتصص للكباري صاحب الجليلي بن العواد الشهير، وكان ذلك المباخ معاً لبلج السُن اعيان الجيوش المظفرة وذوي الحميات منها في أوقات الأحكام المخزنية، حيث إن باب منصور المباخ المذكور كان هو المحكمة الرسمية لباشا مكناس، يجلس به لفصل الخصوم وسماع المهام كل يوم صباحاً ومساءً، وبهذه المحكمة الواقعية بباب قصبة الدار العالية بالله كانت العادة جارية في كل يوم جمعة يتمانوال البابا وقواد ارتحال الجيش الغداء آثر الفراغ من آداء فريضة الجمعية بجامع القصبة الموار الذهب، وصائر ذلك من بيت المال ولم يزال العمل مستمراً على ذلك إلى انصرام دولة السلطان مولاي عبد العزيز، كما كانت العادة جارية بأن سائر الاحتفالات والأفراح المخزنية الرسمية التي تقام تحت رعاية البشام إذا تكون بالباب المذكور، واستمر على ذلك الحال إلى أواخر الدولة الخفيفة.

ومن تأسيساته الباخان خارج باب قصر المحسنة السعيدة المحمولات على

247
اثنين وثلاثين عمداً من الأعمدة الحجرية، وأعدهما جلوس الموظفين ورؤساء رجال السباعي الملوك وذوي الحليات وقت جلوس السلطان للنظر في أمور الوعية كل غد ورحا، عندما يكون جناه بالقصر المذكور، وعند جلوسه في غيشه من القصور السلطانية، أو نهوض ركابه الشريف من العاصمة يعمر الحرس المباحسن المذكورين ليلاً ونهاراً ظنن السلطان أو آقام، ومع الأسف فقد استولى الخراب على تلك المباحت وعما قريب يستأصل شآفتها إن لم تندأرها بد الإصلاح.

ومن أثاره إتمامه لمسجد ومنار ضريح الولي الشهير مولانا عبد القادر بن محمد بن بلقاسم العلمي، ونقل الخطبة من مسجد سيدي أحمد بن خضراء إلى مسجده وذلك بعد وفاة صاحب الضريح، ووفاته كانت يوم الاثنين وقبل الجمعة سادس عشري رمضان المعظم سنة ست وستين وثلاثين ولف.

كما أن السلطان مولانا عبد الرحمن المذكور هو الآمر والمشير لاحساس المسجد المذكور، وذلك من متخلف الولي سيدي عبد القادر المذكور حسبما تضمن ذلك ظهير له شريف هذه صورته:

"خديتنا الأرضية الناظر الطاهر بن عثمان وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد بلغنا كتابك أن الولي الصالح سيدي عبد القادر العلمي نفع الله ببركاته، خلف من الناضجان قتلاً عشر ألف متنغل وحالة مشقل واحدة وواحداً وستين متقالاً وست أروفي وربع الأوقية، وقد كنا مهتمين بأمر مسجد راونته المباركة الذي أشتد بناؤه في حياته من أين يكون الصائر على إكماله، حتى بلغنا تخليله لهذا القدر المذكور فسأرنا، وعلمنا أن ذلك من بركاته رضي الله عنه، فتامرك أنتق في حيارة ذلك ووضعه تحت أيدي الأمناء هناك على وجه الحفظ والأمانة، وتشرع في إكمال المسجد المذكور وإتمام تلك الحسنة على حسب ما كان يشير به السيد المذكور في حياته، وجد في ذلك كل..."
الجند ومهما احتاجته إلى ما يصيره عليه يدفعه لك الأمانة، فإن عندهم أمرنا بذلك، وكان في خلاف ذلك عينا وأذانا على الأصول التي تباع بمكنسة الزينون وزرهون فسمها ظهر لك أصل نفع يشتركه الإنسان لنفسه فاشترى للزاوية المذكورة، ويؤدي الأمانة منه حتى يستوعب بناء المسجد والأصول التي تشتري للزاوية من جميع متخلفه من الناش وغريه، ومهما اشترى أصلا لذلك فاعلنا به لنمضي تعيش ومتخلفه من الآثاب والبهائم، ثم أجره على ما تقضيه السنة من البيع ونفض الثمن، فإن السيد إذا ترك ذلك في حياته لأسرار لا نعلمهها نحن، ولا يلبق به بعد مماته إلا البيع، وما يتجمل في ذلك بعد التنقيض يضاف لما تحت أيدي الأمانة ويسلك به سبيله من الصائر على المسجد وشراء الأصول التي تعيش على الزاوية، والسلام في سابع شوال المبارك عام سنة وستين ومائتين ولف.

وقد امتنع الناظر المذكور أمره الشريف فاشترى أصولا هي الآن من أجاس ما ذكر بإضاءة الأمير المذكور لتحييسها، ومن جملتها حظ في رجي وقفت على إمضائه لتحييس هذه صورته:

الحمد لله أمضينا بحول وقوته شراء الحظ في الرحى المذكور أعلاه يليه، وتحييسه على الزاوية ومسجدها حيث أشير ووسطنا البند للناظر على التصرف النام فيه وعلى الواقف عليه أن يعلم ويعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، والسلام في ذي الحجة الحرام عام 1266.

وأول من خطب بذلك المسجد العلمي الفقيه السيد قاسم بن حلال. كان رحمه الله من أهل الدين والورع ومن خصبة أصحاب الروضة العلمية، ثم بعده خطب سيدي محمد فتحا بوزكري من آل الولي الصالح سيدي أبي زكريا الصبان أحد صلحاء مكناسة المشهور، ثم خطب بعده أخوه سيدي عبد الحق بوزكري، ثم بعده النقيب المفضل سيدي المختار الإدريسي الشبيهي، ثم بعده نجله
النبي الأجل سيدي مشيش، ثم بعده أخوه سيدي محمد بن المختار المذكور وهو الخطيب الحالي.

أما الزاوية التي بها الضريح العلمي فمؤسسها هو صاحبها سيدي عبد القادر المذكور، كانت داراً ورثها من أبيه، وكان يسكن بها مع أخته السيدة خديجة، ولما توفيت ذفتها في بيئتها الذي كانت تسكن فيه، وهو اللقب المدون معها هو فيها، كما أنه هو الذي شرع في تأسيس المنازل واخترتها المنية قبل إقامه، وكان تأسيسه لهذه الزاوية عام تسع أو خمسين ومائتين وألف، ويدل له ما هو منقوش في الجبص فوق الشرجب الذي عن يسار الداخل لقبة الضريح ولفظه:

وها توصف بسر الهاشمي عبابها
والصادرين من جناها رطبها
على بركات الله جل رحابها
لقاصداً فووا فهذا لبابها
وكيف ولتلائجين صع انسابها
مدى الدهر يرجو أن يدمي احتسابها
إلى البعث لا ينفك عنها انصبابها
وبلقاء من بشير الكرم خطابها

سُمت روضة الله ففتح بابها
فللواردين من هنا ها ظلالها
وللزائرين بالمكارم عَمْرتلـ
وبالهن والإقبال والسعد خاطبت
هموا إلى كهف السعادة والرضى
(بالشكور) للملوى مطالع أفقها
فذي روضة ورحمة الله غياثها
فطوري لمن يأتي إليها وهُنتمتي

أشار للتاريخ المشارك بهحف لفظ وبالشكور، وهو مؤسِّس مسجد ضريحه القديم أيضاً، أما الزيادة التي وقعت فيه مع الحالة التي هو عليها الآن فإما أحدثت بعد على ما سير بك بحول الله قرباً.

ومنها تأسيس ضريح الوالي الشهير سيدي عمرو الحصيني عام اثنين ومائتين وخمسين

٢٥٠
ومائتين ولف ويدل لذلك ما هو متقدم في الجدار الشمالي من قبة الضريح المذكور المقابل الداخل وللفظه:

معج جفونك في محاسن شاني
البست من حلل الجمال قلادة
فناً الحصيني الشهير مقامه
فالله يمنح من يشاء بهبته
ملك الملوك الصالحين وفخرهم
من آل أحمد عبد الأكون
فلذاك جدود بهدوى فتبائي
إذ أتى البشير بدولة السلطان
بقيت مآثر الخسان مصانة
وينيل قلبه منتقي الإيمان
 فالله يكرمه بكل كرامة
بأجل مبعوث وأكرم مرسل
والله والصدق والسبحان
أيدي النسيم ذوات الأغصان
ثم الصلاة عليهم ما صافحت

آشور للتاريخ المذكور بحروف: 'بشري لي'.

ومنها إحداث باب السبيلة ووجه العروس مع السور الممتدة من الأخر إلية
باب برية على ما سبم بك لدى الكلام على الأبواب. ومنها مسجد السلام
بحورة الحفرة من الزاوية، وكان صدور إذن بذلك في حادي عشر صفر عام تسع
وثلاثين ومائتين وألف، ومحبس هذا المسجد المذكور وما بني به هو سيدي عبد
السلام بن على الإدريسي الشيبكي، جدّ أولاً سيد عبد الله المعروفين بهذا الاسم الإضافي إلى الآن بالزاوية الإدريسية.

ومنها القصة المعدة الآن لسكنى الشرفاء آل سيدى أبي الغيث بالزاوية المذكورة، فقد كان أسسها للشرفاء الآمران أهل يفران، وقفت على بطاقة من عامل الزاوية الإدريسية خليفته بها إذ ذاك.

لفضها بعد الحمد لله والصلاة وسلام عليه ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره وأيده، وبعد: فسرد عليكم ساداتنا الشرفاء العلاويون أولاد سيدى بلغيث، فاعلم أنه قد أتي أمر مولانا المولوي المطاع، وها نص كتبه:

وبعد فإن أربعة وعشرين رحلا من أبناء عمنا الشرفاء أهل سيدى بلغيث قد أتهمنا عليهم بالمحل الذي كنا أمسنا بناء للشرفاء أهل يفران بزرهون، فأمر خليفتنا أن يكدفهم من النزول به والسكنى فيه والبناء فيه لأنفسهم، فإن هؤلاء الشرفاء أهل سكينة وخير، وفيهم ثلاثة آناس طعنوا في السن، فأنظر لهم دورًا بزرهون يسكنون بها والسلام، في ثامن رمضان عام ستة وخمسين ومائتين وألف ونائت نفذ الأمر المطاع على ما أمر به مولانا المنصور بالله. اهتم من تأسيسات مجد السلطان الأفخم سيدى محمد القبة الواقعة في الجهة الشمالية من جنان ابن حليمة السالف الذكر، وكان بناء هذه القبة على يد أميه الصادق الأحمذ الطالب بوعزة الفشار البخاري.

ومنها قبة الزجاج الواقعة على الصقلاة المشرفة على المرصة المعروفة بالبحراوية، تلك القبة هي التي بين قصري سكنيي الجناب السلطاني من قصور المدرسة المولوية وبين الباب المعروف إلى الآن بباب الشبكة.
مرة أثره زيادة في سماق قبة الضريح الإدريسي الأثري بزاوية زهوة ورفعها في الهواء زيادة على ما كانت عليه من قبل، وتزيين ذلك بالحزام الأخضر الزليجي الكائن أعلى القبة الآن، وكان انتهاء العمل في تلك الزيادة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، والزيادة المذكورة هي من ابتداء حزام الزليج المذكور الذي لا يقل ارتفاعه عن متر، فالحزام داخل في الزيادة، ويوجد تاريخ البناء مربوطة بكلمة الغباري بلون أحمر فوق الحزام المذكور، ومنها في حرم ذلك الضريح أيضاً المباح الأول خارج الباب الذي يدخل منه للصحن الذي به السقافات الذي تقدم، أن السلطان المتوكل سليمان كان أنشأها وكان السلطان سيدى محمد هذا المباح عام تسعًا وثمانين ومائتين وألف على يد ناظره على ذلك الحرم الإدريسي الحاج قدور ابن عبد الرحمن بن الحاج محمد السراج دفني أمي العباس السبتي رضي الله عنه.

وبدل لذلك ما هو منتقوش في زليج أسود بأعلى القوس الوسط من المباح المذكور ودونه محل الشاهد منه:

أعلى الله بامتعه هذا البنا
واللهم يرفعه من سناب
والله هم مصعودنا نعمة
وأبحيث الأفواه في سماعنا
ولا يlest يا صاح عن تاريخه
يا زارجا إدريس مسعدك قدتنا
وانصر إماما عادلا في حكمه
ذاك الأمير محمد المصور نج
ولنذكر السراج ناظر وقفة
والله من طرقت وأنت يا خير

أشار بحروف كلمات الشطر الأخير للتاريخ الموصي إليه.
ومنها أيضا المدرج الرخامية المفضية لداخل ذلك الحرم الإدريسي مع تسوية الصحن المفضي لهذه المدرج وتزليجه على ما هو عليه الآن وتلبسه الخصبة الرخامية أمام قبة الضريح باللخصة العديدة المثل الموجودة هناك الآن.
ومن تأسيسات مهد السلطان العظيم الشأن مولانا الحسن بالقصور الملكية
قبة الباهية الواقعة بقصر المدرسة.
وقبة الزجاج المشروفة على غراسات جنان البحراوية.
ومنها الصرح البديع الذي أنشأه وشيدته بقصر المحنطة واحد له بابا بالنهج
المستطيل المعروف بأسراك وذلك عام خمسة وثمانمائة وألف. وفق ما وقعت
الإشارة للتاريخ المذكور بلفظ خذه في نقش زليج بأعلى الباب المذكور وسط أبوات
لطيفة دونك لفظها:

وحار ضروب الوشي والرقم والحكم
كما الحسن المولى به أمر الخدم
بئ فهمو باب الله فتح للكرم
وروض أريض فيه منزه الام
ويرفع مسرورا ويكني الذي أهتم
بناه وحظه في البنين وفي الحرم
ونصرنا عميما ثابتنا راسخ القدم

وكامل هذا الباب حسنًا وبهجية
ولم لا ومبناه على العز والتقى
فقف وانشق الرحمى يهبه نسيمها
بداخله الرضوان والآمن والهناء
فأمن ربه يظهر بني مرامى
أم رينا العلياء والملك لهذى
وأوله عزة دائما مستواها.

وجدد قصر المحنطة وانشأ بها قبة عظيمة وجعل لها بابين بابا للمحنطة وبابا
للمرصة المعروفة بعرضة الرخام، إحدى البساتين التي تختلف تلك القصور
السلطانية، وهي التي على يمين الداخل للنهج المستطيل المعروف بين العراقي من
باب المحنطة السعيدة المعد لاستقرار عديد الدار الحصان الذين هم عند الملك بمثابة
الحرس الداخلي، وأنشأ بهذا البستان أيضا حماما حافلا وجعل له بابين، بابا لقصر
المحنطة المذكور وبابا بالبستان المحدث عنه.

٢٥٤
ومنها الصيغة الشاهقة العظيمة المتصلة بسابط قصر سكنى جناب السامي

 بالمدرسة السعيدة الطالع، وكان قصده من تأسيس هذه الصيغة إنشاء صرح عليها

 تئراءت منه بواسطة المرأة الكبرى المقرية الديار الفاسية، وشرع في بناء ذلك الصرح

 بالفعل إلا أنه لم يتم لذلك أمر، وحال حلول المنيا دون الوصول إلى الغاية

 المصودة، وكان ابتداء تأسيسه له عام سته وتسعين ومائتين وalf على ما هو

 منقوش بالغباري في رخامة بخد الباب الذي يعود منه للصرح المذكور، كما أنه

 منقوش على الخد الوالي ليمين الصاعد له ما لفظه:

 باب السعو ومظهر الإقبال

 ظهرت نتائجه وصين أساسه

 وعلى الأيسر ما لفظه:

 فتنافس الصناع والحكماء في

 إتقانه بمواهب المتعالية

 الحسن الأمير سلالة الكرمال

 أما الإشارة للتاريخ الواقعة في البيت الأخير فإنها لم تظهر لي صحتها بعد

 الإمعان فلتتأكد.

 وفي دولة السلطان الموال عبد العزيز أمر به ما كان أنس من ذلك الصرح

 المشار لعيب حدث به، وكان في عزمه افتقاء أثر والده في تشبيد ذلك الصرح إلا

 أن ذلك لم يكن في الكتاب مسطوراً، ولا زالت تلك الصيغة شاخصة للأبصار

 تتراهي من مسافة بعيدة.

 ومنها تأسيس منار جامع المحنشة، إلا أنه اختبرته المنتهى دون إقامة عمله وفق

 ما رام.
ومنها القلب الخمس المتصلة بالمنارة المذكورة من الجهة الجنوبية، كان أعد تلك القلب لجوء وزراء ذووي الحيات والكبراء، والوجهاء من المرتدين في خدمة جناحه الإسمى.

ومنها الصهريج المحدث أمام مسجد المحشة المذكور المحتوي هو أي الصهريج على الجوامع الرخامية الخمس، في رأس كل ركن من أركانه الأربع وحيدة والخمسة بوسطه وهي أكبرها.

ومنها قبة الزجاج الواقعة إحداهما شمالي المسجد الشمار والآخر جنوبه.

أهدهما لجلوس على كرسي ملكه للنظر في أمور رعيته وعرض قضاياءه عليه.

ومنها الترسبة المعروفة باسم الوسعة الواقعة بين بابي الدار العالية بالله المحشة الباب الذي به استقرار عبد الدار المذكورين وباب سي مسعود أضيف هذا الباب لباب كان به من جملة وصفان الجلالة السلطانية اسمه مسعود كان متفقها، واتشا بالساحة المشار لها قبة ذات بال يجلس بها لسماع الملازم واعطاء الأوامر، وجعل لها مباحا يضارعها في التنقية والزخرفة وجعل أمامها صهريجا لطيفا بوسطه جنبية من الروخان الرائق تتدفق زالا، وجعل عن يمين هذه القبة قبة دونها في الروخان والابية، وعن شمالها كذلك، وأمام هذه القبة على يسار الداخل من باب سي مسعود المتقدم الذكر عدة قبة معدة للذين الخزينة، ومع الأسف فقد أسرع الخراب لذلك كله لعدم المعاهد والمبادر ومتلافي ما اتصدع فاخر جل تلك السقف وانقشع الزليج وزالت تلك المحاسن ونبت الكلا والكروم على عالي تلك الأسطح.

ومنها الدورية التي بداخل باب سكني عبد الدار المتقدمي الذكر الكائنة على يمين داخله، وقد كان أعدها مكتبا لتعليم البنات القرآن العظيم، واستمر العمل على ذلك فيها إلى أن هرمت الدولة العزيزة.

٢٣٦
ومن آثاره تجديد الباب المعروف بباب سي مسعود الذي مرت الإشارة إليه وذلك عام ألف وثلاثمائة، وبدل لذلك ما هو متوحج به في نقش زليج ودونه لفظه:

باب السعد وبهجة الأمان
محروسة بعناية الرحمن
منها استمدت أشر[l]ة[l]لمعان
يزهو بطلعته على كيوان
كبهمام من بني عدنان
فخر الملوك وكهد الفلاحين
أصبه بديع محاسني ومعالي
فهو الشريف السيد الحسن الرضا
ذاك المجدد للشرعية ركنها
منحصراً في عزة المنان
فقال له ينصروه وبقي ملكه
ومنها الأروى السعيد لربط خيله وبغالة بقصر المحنشة الميمن، وقد تهدم
السور المحيط بهذا الأروى في هذا الأيام الأخيرة من الجهة العالية لباب مراح المار
الذكر، فسُدَّ بابه الاعتيادي الواقع داخل المحنشة على يسار الداخل من باب هذا
القصر الشهير بالباب الفوقاني، وهو الباب المقابل لباب الناعورة السالف الذكر
وصار الدخول اليوم لهذا الأروى من الجهة المتهدة السور بباب مراح المشار له.
ومنها الطريق السري المعروف ب［طالع وهاط］ الموصل من قصر المحنشة
المينف لبنان ابن حليمة، بحيث تيسر خروج الحرم الكبير من القصور السلطانية
إلى لبنان ابن حليمة الذي سبقت الإشارة إليه من غير أن يبر بالنهج العامي الذي
كان يمنع المرأ من سلوكه وقت ما أرادت الجلالة السلطانية إخراج حرمها الظاهر

٢٠٧
وحاشيتها الكريمة للتفسح في ذلك الجنان، وبسبب ذلك ارتفع عن سكان تلك
الناحية ضرر منع المرور من النهج العمومي كل آونة.
ومنها القبى التي بالنهج المستطيل المسمي بأسراک - بالكاف المعقودة -
 الكاتبة هي - أي القبى - على يمين الذاهب، لقصر المدرسة الخارج من باب الرأيس
الشاهر، وأعدها جلوس وزراه وأعيان كتابه وقت جلوسه للأحكام وسماع
المظالم، وجعل لتلك القبى مباحث أعدت جلوس بقية الكتيب مع عيان رؤساء
ذوي الحشيات والموظفين.
ومنها الروض الجديد الذي أسسه بالبحراوية بصهر بجيه.
ومنها قبة الزجاج التي على الصقالة بأعلى الروض المشار المشرفة عليه، بل
وعلى عرضي البحراوية والانترغية.
ومنها الصرح الذي بأعلى باب المحشية المقابل لباب الناعورة المذكور، إلا أنه
لم يكمل.
ومنها تلاليه صدع مسجد الأزهر، المعروف بجامع الأروي.
ومنها تأسيس مدار الضريح الإسماعيلي.
ومنها تجديد سقف المباح الشرقي بصحن الضريح المذكور.
ومنها زادته في مسجد الضريح العلمي المذكور آنفما ما أكثر أتباع ذلك الولي
وضاقت بهم المسجد، وكانت زادته فيه على يد ناظره إذ ذاك الحاج محمد بن عمرو
الصناحي السابق الترجمة، وهو الذي رد محرابه إلى عين القبلة حيث هو الآن،
إذ كان قبل في الجهة الجنوبية موضع الخزين في العصر الحاضر، وذلك بعد هرج
ومرج بين أتباع صاحب الضريح والعدل الميقاتي يمكنا إذ ذاك السيد الجيلاني
الرحلى، وطال ذلك وتفاحش إلى أن رفع الأمر إلى الجلالة السلطانية فقام لذلك
208
وقعد وحضر بنفسه وأحضر مهرة المعدلين العارفين بأدلة القبلة من فاس ومراخش ومكناس، فأذدهم اجتهادهم إلى أن الآصوب هو جعل المراب بالمحل الذي أشار به ميقاتي مكناسة المذكور، وأنه لدج لرده للجهة الجنوبية التي كان بها قبل لقيام الأدلة على خطأ الوضع الأول، فنام السلطان حينا بإمضاء ما قالوا وسببه انحسمت مادة النزاع.

ومن تأسيسات هذا السلطان قصة أهل تولال - بقسم النهار وسكنوا الواقعة فيلم الشبيعة - وتوال اسم لواء من أودية صحراء تافلالة كان نقلهم السلطان المقدس مولانا عبد الرحمن بن هشام بن بلادهم لتمددهم وأنزلهم بنواحي فاس قرب دار ديبينج، وجعلهم تحت نظر ياشا الوقت باب الدار العمالية بالله ثمة وهو القائد فرجي الشهير، ثم نقلهم نجوم السلطان سيدي محمد من فاس إلى نواحي مكناس وذلك عام اثنين وثمانين ومائتين وألف، وأدرجهم في جملة الجيش البخاري، وكانت سكناهما إذ ذاك في الخيام.

ثم في دولة نجوم السلطان مولاي الحسن أنشأ لهم القصبة المذكورة التي هي مستقرهم الآن، وموقع هذه القصبة غربا من المدينة، وقد أحدثت بها اليوم عدة دور ومسجد للصلاة.

ومنها قصة الحاجب الشهيرة بلاد بن مطيع على اثنين وثلاثين ألفا من المدينة، وهذه القصبة هي التي صارت اليوم محلاً لإدارة الأحكام الإدارية ومتعلقاتها.

ومنها المسجد الذي أنشأه بالساحة المقابلة للمزارعة السفلى للضريح الإدريسي الأكبر التي كانت مستقر الموساخ والقذرات، ومحلاً لذبح ما يهدى لضريح ذلك الإمام العظيم ليفرق، وعلى أبناء صاحبه وعلى من انتظم في سلكهم من القميئين بذلك الضريح الأقدس من الإلهام، وكان تأسيسه لهذا المسجد ولدار اللذائج المذكورة خارجه عام ثلاثة وثلاثمائة وألف، وفي هذا التاريخ أنشأ بيسير آنذاً
بالزاوية الإداريسية أيضا الحمام الجديد البديع سمعة وشكا، إلى غير هذا ما ليس لغايته وصول.

ومن تأميمات مجلس السلطان المولى عبد العزيز تجديد بعض القنوات التي يجري فيها الماء للمساجد والمدارس بالمدينة وغيرها.

ومنها بناء الساقية مع القنطرة ذات الأقواس التي يمر فوقها الماء المجلوب من عين شانص الخفيف، أصلها قرب مدرّش موسا، أحد مداشرين جبل زرهون.يزيد ذلك الماء على ماي خير الداخلي للحرم الإداريسى وغيرها من الأماكن التي يجري بها الماء من تلك الزاوية المباركة، إلا أن هذا الماء إلى الآن لم يحصل منه المصود الذي جلب لأجله، وهذا الماء هو الجارى اليوم بالمحل الذي أحدثته الدولة الحامية بطرس خبير المعروف بالبر وسائر فروعه.

ومن ذلك أيضا تلفيته بالترميم والإصلاح ما كان تلاقى بذلك الحرم الإداريسى ومضافاته، كتجديده لتقويم القبة الإداريسية وتطيره لصومعتها ومسجدها وتزيينه لمحرابه وترميمه لدار الزاوية ولدار الأضياف ولدار المخزن التي تستريح بها الجلالة الملكية عند زيارتها لذلك الضريح.

ومن ذلك أيضا إنشاؤه للفندق الجديد المعروف بهذا الاسم بالزاوية الإداريسية وكانت هذه الأعمال جلها على يد الناظر السيد إدريس بن زاكور الفاسي، وبيثها على يد بدل الناظر السيد الحاج الهادي غلاب أحد الأعيان بفاس الآن.

ومن آثار المولى زين العابدين تزليف أرض ضريح سيدي سعيد الناشئى

السالمي الحضر وما أنضم إليه، وبناه الصفعة لقادة خارج بابه، وذلك أيام الفتنة البربرية التي حدثت في دولة أخاه السلطان المولى عبد الحفيظ عام سبعة وعشرين وت삼ئة وألف.

(1) تعروف في المطبوع إلى: "الناشر" وصوابه من دوحة الناشر في موسوعة أعلام المغرب.

88/2

260
ومن آثار سلطاننا الحالي المعظم الملحوظة بين الإجلال والإكرام مولانا يوسف أعز الله أمره، وأيده وأدام فخره، تجديد جيّص المسجد الأعظم بمكناسة وتليل أرضه بالجنس وتزليج جناته.

ومنها إصلاح جامع القصبة وتحسين صحنه الخارجي الموالي لبابه.

ومنها إصلاح مدرسة الشاوية المعروفة اليوم بجامع الستينية وتسقيف صف واحد منها.

ومنها إعادة تبليغ جيّص قبة ضريح جده الأكبر المولى إسماعيل قدس سرهم، وإعادة ما أزيل وتناول من زليج بعض جدرانها.

ومنها تجديد مسجد سيدي يحيى وسقاه الماء الكلام فيها.

ومنها تجديد جامع الكرمة المعروف بزينة حومة الأنوار قرب سيدي سلامة الولى الشهير.

ومنها إصلاح المسجد العتيق المعروف بجامع التجارين.

ومنها إصلاح مسجد الزيزونة ومسجد البرذاذيين وزاوية مولاي عبد الله بن حمد المعدة للمعتوهين والضفاع والمنتهعين، ومسجد باب عيسى وضريح سيدى علي بن نون، وضريح السّت كلينة - بالكالف المعقودة.

ومنها إصلاح حمام باب البرذاذيين، وتجديد ما اتقّر من التحديد وكذلك حمام الزيزونة، وحمام مولاي عبد الله بن حمد، وحمام التجارين، وحمام السويقة، وحمام الجديد، وحمام سيدى عمرو بن عواد، وحمام النوبة.

ومنها تجديد بعض سقف القصور السلطانية، وتريم ما دعت الحاجة الأكيدة لترميمه، وبالخصق قصور المدرسة الشريفة.
ومنها تجديد السقاية التي ببطحاء الهديم قبالة باب منصور العلجل، تلك السقاية العجيبة الشكل العديدة المثال التي لم ينصب على موانعها في حاضر الأزمان ولا في غابرها ناصب، فما شئت من تزيين وتنسيق، ونقش رقيق، يستلطف الأنظار، ويستوقد الأبصار، وكان تجديده لها السقاية على ما وصفنا عام اثنين وثلاثين والاثمانين والآف، ويدل لذلك ما هو متقوق في أعاليها ولفظه:

ورونققياس وازدهارن
منك جميل الدعا
باهتمامات
إلى جناب تسامى
مداوى يوسف أضحي
رئيس نواس الدولة
وهممته في ارتفاع
شكرا على جزير ماء
تاربخ زين بنانائي
وقول مصادر هذا

أشار للتاريخ المومي إليه بحروف الشتر الأخير من القطعة، ومع الأسف فقد مد الحروب لهذه السقاية يد الاعتداء ولم تجد مندعا، فإن دام حالا هكذا رجعت إلى ما كانت آلت إليه قبل، فإن هذه السقاية هي التي يعبر عنها في العقود الحبسة القديمة بالسقاية الكبرى، ففي بعض العقود الحبسة ما لفظه:

أرباب البصر سدل منهم الوقوف على عين مسجد زوادة الكائن بالهديم من الحضرة المذكورة المجاور للسقاية الكبرى التي هناك. اهـ.

وقد كان الدهر أخنى على هذه السقاية حتى تعطل وصول الماء إليها وصارت

٢٦٢
مقر الأوساخ والأربال، كما أُخِتِّي على المسجد المشار له في العقد السابق ولعب به شيوطاً في أدوار الأهالي، بعد العزة ورفعه الشان، إلى أن مزرق مجتمعه أديد سباً فصار بعضه مربضاً للغنم المعدة لتموين البلد وبعضه جزيرة (محلل للبيع المراشي) ثم صار محل المربي من جملة روسي لبعض عظام الموظفين، وذلك الروض هو الواقع في الجهة الغربية من بحيرة الهدى المبارك المتصل بباب رواة الشهير ذلك الروض هو الذي صار اليوم مكتباً اقتصادياً للدولة الحالية بالعاصمة المكناسية وأما الجزيرة فقد صارت دكاناً لبيع السلع.

ومن التأماسات والآثار الخالدة التالية الواقعة في دولة جلالة سلطاننا الأعظم أيضاً القيسارية الجديدة المعدة لبيع أنواع البيز الواقعة خارج باب بريمة المجاورة لسوق البيز القديم المستندة على سوق السلالين، وقد كان موقعها قبل فندقاً معدًّا لبيع الفحم وربط الدواب.

ومن أعظمها وأفخرها تأسيس المدينة الجديدة الكائنة بارض غابة الزيتون المعروفة بحمرية، التي كان أنشأها سيدنا الجد الأعظم مولانا إسماعيل برد الله ثراه، وحبها على الحرمين الشريفين مكة والمدينة حسبما مرت الإشارة إليه، وكان الشروع في تسخير طرقها في شهر غشت سنة ست عشرة وتسعمائة وألف وخف، مستحقة، وصدر الأمير العالي بتعويض أرضها معاوضة النقدية لن يزيد البناء بها من الأجانب والأهالي عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف موفقة شهر جولي وألف وعشية وثلاثمائة وألف، وكان ثمن المتر المربع إذ ذاك فرنكاً واحداً وخمساً وسبعين سنتماً.

وأما كثرة الرغبة وتهافت الأجانب والأهالي على الشراء ولاحبت لواقع الاستعمار، بلغ ثمن المتر المربع سبعين فرنكاً، ولا يسوق لمشتر أياً كان أن يترك مشتراً بدون بناء فوق ستين، وثلاث ترك البناء أصلاً بناء لا يبلغ صائره خمسة.
عشر فنكا لكل متر، فإن ترك البناء أصلا أو بنى ما لا يبلغ صائره ما ذكر ورمت
الستان، فإنه يحاز منه مشتراه ويسلم جانبه الحبس ويرد للمشتري ما خرج من
يهده بعد إسقاط قدر معين في الصوائر.
ومنها تشيد بنايات دار السمن وروى مزيج الصلة بباب أبي العمار على
الطراز الأوروبى الذي على حاليه الآن، حتى دخل بذلك المحلان في طور جديد،
وصارا متمارسا ومرغوبا فيها بعد أن كانا معطرين ومرغوبا عنهما.
ومنها تأسيس الباب المتصل بجدار البوسطة لدار السمن، ثم عاشه العربات
والسيارات الداخلة لدار السمن وترجع من القديم حذوها متصلة به فرارا من
التصادم الناشئ عن الورود والصعود من مورد واحد، وقد كان يحمل هذا الباب
المحدث مكتب لتعليم الصبيان.
ومنها إحداث الصف الأول بمجدد الشافية مع ميزة أنه وإحداث مباح
آخر في المسجد المذكور، وإحداث مكتب عليه لقراءة الصبيان عوضا عن المسجد
الذي جعل بمحله الباب المحدث بدار السمن المذكور. وباب المكتب المحدث وهو
النافيد للزقاق العمومي بين الداخل لمسجد الشافية المذكور.
ومنها تجديد مسجد تيبرارين، وزيادة المكتب حذوها صفا فيه، ورد سقايته
وكتبه إلى صحنها وقد كانتا بأسطوان بابه.
ومنها تجديد سقاية أبي الحسن على بن منون، وإحداث أنبوبين للسبيل بزقاق
روى مزيج، وتجديد سقاية جامع الزيتونة، وتجديد سقاية حومة حمام الجديد،
وسقاية درب القرع، وسقاية النورة، وسقاية ضريح أبي محمد عبد القادر العلمي،
وسقاية سبع أئلاب مع تجديد سقفها وترصيف أرض مباحا، وسقاية حمادة
بئري الصغير، وسقاية حميي الكبير، وسقاية براكة، وسقاية حومة جامع
الساباط، وسقاية الغمديين داخل باب الجديد.
ووحدات سقاية وكتف بالوسعة داخل باب السيب، وتجديد سقاية العوادين وسقف سقاية الشريشة، وسقاية تبرارين، وإحداث سوق لبيع الخضروات يدعى البلاصة بالعريضة المعروفة قديماً باسم حسب قارة الذي كانت معدة لنزول قائد حمزة الأثري، وإنشاء المحكمة الباشوية حذو البلاصة المذكورة، وإحداث البوسطة بطل الزوايا العينية التي كان أحدثها القائد إدريس بن يعيش، وصرف على بنائها كمية ليست بالفاهة الكائنة بدار السمن.

ومنها تجديد حائط محراب مسجد الولى الصالح عمرو بوعواد، وتسقيف صفوفه وتشجري أرضه وإصلاح ميضاته، وإصلاح مسجد براكة، وتجديد مسجد سيدى الصيفي بدرك سيدى عبد الله الجزار.

ومنها إنشاء المستشفى للأهالي الكائن أمام ضريح سيدى سعيد.

ومنها إنشاء الجرفة الحافلة لدى الأئمة الكائنة خارج باب السيب أحد أبواب المدينة.

ومنها تجديد جبص الضريح الأثري ضريح مولانا إدريس الأكبر وتجديد جبص ما حوله كذلك، وتجديد صين خشب سقفه الفخيمة، وإعادة تزويق ذلك كله ورده لهبهجة ورونقاته، وكان الشروع في ابتداء العمل في ذلك صبيحة يوم الاثنين放出 عشرى شوال عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وانتهاء العمل في غالب ذلك أواست جمادي الثانية عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

ومنها تسليج أسراك من باب المعراض إلى مباح باب الحفاة هناك، وترميمه لجدران أسراك المذكور.

ومنها تسليج السقايات السليمانية الكائنة داخل باب الحفاة المذكور، وتجديد القف أعلاها.

٢٦٥
منها تجدد قرومود قبة الضريح المذكور وسائر ما حوله من المسجد الأعظم.

и هناك وغيره.

منها ترميم وتجميد ما وشي من غير واحد من مساجد جبل زورون.

منها تجدد وتوسيع وتحويل باب فكرة أحد أبواب الزاوية على الهيئة التي هي عليها الآن.

منها مسجد السوق البراكن بالزاوية الذي أنشأه وحبه المرحوم الحاج أحمد ابن محمد الريفي بموافقة أميرنا الحالي مولاي يوسف آدم الله جلالته، فهذا ما حضرنا من التسهيلات والتهديدات الواقعة بكلمة من زورون في هذه الدولة السعيدة العلوية، وهو في جنب ما جهلنا وما غلاب عنا أو أغفلناه فَل من كثر، وليس إلا عند الله حقيقة الأمر.

قال في الروض: والضيافة ستة أبواب: باب البراذيين، باب المشاورين (1)، وبقية مثه وراءه، ودار الأشراف، وجامع الخطبة القرية ويعرف بهذا العهد بجامع التجارين، باب عيسى، وباب القلعة، وكان يسمى بهذا الاسم قبل أن تبنى هنالك القصة على ما يظهر من كلام بعضهم والله تعالى أعلم وباب فورج، وباب دارودرة وربما قبل له باب الصفا. اه. من خطره (2).

قلت: كتب بعضهم على هذا المحلة ما صورته: كل باب من هذه الأبواب

تغير عن حاله.

أما باب البراذيين فقد أدركناه على خمسة أقواس تحيط به أبراج كثيرة

فهدف في سنة سبع وتسعين أو ثمانية ورحل لناحية الجوف وبنى على ثمانية عشر

قوسا محدقة بصحن فسيح، ويمدخه مسجد الخطبة مما صنعه وبناء الوزير على بن

يشو.

(1) في المطبوع: «المشاورين» والثابت من الروض الهتون الذي ينقل عنه المصنف. (2) الروض الهتون - ص 78.
وأما باب المشاوريين فقد هدم أيضا لقرب من هذا العهد، وبنى وراءه غربا
باب يسمى باب برجي بتثبيت الراء مكسورة.
وأما باب عيسى فقد هدم قبل هذا التاريخ وزيد في القصبة وموضعه الآن
بين باب سعيد - بكر ياه مشدة - وضريح سيد عبد الرحمن المجدوب نفعنا
الله به.
وأما باب القلعة فقد هدم وزيد في القصبة وموضعه الآن قريب من باب
العلوج.
وأما باب قورجة فقد هدم وزيد في القصبة وبنى جوفا منه باب يسمى
عبد الرزاق.
وأما باب دردورة فقد هدم ولم يبق وموضعه الآن بباب تزيى، وترى اسم
قبلة أخرج أهلها من الصحراء من عمالة سجلماسة وغربوا وأسكنوا في هذا
الوضع، وقد أدركتنا قبل دار عمل الفخاريين، فأخرج الفخاريون إلى عودة النهر
شرقًا، وكان هناك قنطرتان قديمتان فهدمتا وجعلت قنطرة واحدة. اهـ.
قلت: إنا تكلموا ابن غازى والمطر عليـه هذا على أبواب المدينة القديمة
تاجررنت، ولم يتعرض واحد منها لأبواب القصبة القديمة ولا لأبواب القصبة
الإسماعيلية سوى باب العلوج الذي ذكره الثاني فإنه هو باب منصور العلج
المعروف للقصبة الآن، وكذا لم يشر ابن غازى لموقع القصبة المربية إلا في قوله:
قبل أن تبنى هناك القصبة يعني والله أعلم خارج باب القلعة.
ثم إن أبواب المدينة الموجودة لهذا العهد اثنا عشر بابا بضميمة أبواب القصبة
إليها لم يصرورتهما شيئا واحدا ودخولهما معا في مسمى مكناس كـدخول سائر
القصبات المتصلة المتقدمة فيما أسلافنا.
فأما باب البرازعين فموقعة قدما وحديثا في الجانب الغربي للمدينة، غير أنه
كما رحل زمن ذلك المطر إلى الباب ذي الثمانية عشر قوسا الذي ذكره كذلك
رحل بعده إلى الباب الخارج عنه المقابل له الموجود الآن وهو باب في غاية
الارتفاع والسعة والإلحان وإحكام البناء، يكتفاه برجان أخذهما عن يمين داخله
والأخر عن شماله، وتتفتح دفتاه بين قوسين خر سقفها وانهذ القوس الداخلي
وغاربه الدالان عليه لازالا لهذا العهد.

ومن هذا الباب يخرج لضريح الولى الكامل المولى عبد الله بن حمد وهو
متصل من جهة يمين الخارج منه بالسور المحيط بقصبة تزيمي الممتدة إلى الباب
المعروف بباب تزيي.

وعن يمين الخارج أيضا روضة قبور الشهداء.

وعلى يساره المقبرة العظمى الجامعة جم غفير لا يعلمهم إلا الله من العلماء
والأولى الكاملين التي بها ضريح الشيخ محمد بن عيسى الولى الشهير.

وبينه وبين الباب ذي الأقواس الثمانية عشر صحن فسيح يقام فيه سوق لبيع
الخشب كل يوم جمعة بعد صلاتها، وقد كان الداخل على الباب ذي الثمانية عشر
قوسا المذكور ينفعه في جهة اليمن حيث الفندق الموجود الآن، ويدخل للمدينة
من قوس كان مجاورا للمثمنة فسد ذلك القوس، وأحدث في محله دكان للبيع
والابتعاد وروى صغير وجعل فوق الكل غرفة، والكل تحت القوس الذي فوقه
المستودع محل القيم بالتوقيت، ولا زال كل ذلك قائم العين إلى الحين الحالي.

وأما قوس المشار فتح نقل كالقوس مساوات للبابين المذكورين،
ومنه الممر الآن لكل ذاهب وآت.

أما الأقواس الثمانية عشر فمنها ما هو قائم العين والأثر حتى الآن، ومنها ما
هند وبقيت أساطينه أو بعضها شاهدة له، كان إذا دخل الإنسان من القوس المحدث في محله الدككان وما ذكر معه وجود خمسة أقواس في صف عن يساره، وأربعة كذلك عن يمينه، فيمر بنيهما مستطيلا، فإذا وصل إلى القوس الخامس استديره منحزا عن اليمين فيجد قوسا آخر عن اليمين في مقابلة القوس الذي منه المرور الآن، وهو في الوسط بين خمسة أقواس: إثنان عن اليمين ومثلهما على اليسار.

وهذا الذي يخرج منه الآن اشتغل على قوسين يحوطهما سقف واحد أحدهما مساو للأقواس التي عن اليمين واليسار، والآخر ملتصق بالجدار المحيط بالجميع.

والآقواس الأربعة التي عن اليمين والخمسة التي عن الشمال مع قوسين من الآقواس الخمس المقابلة، هي التي صارت فندقا وهو الموجود الآن عن يمين الداخل هناك، وعن يسار القوس الذي ذكرنا نقبه وفتحه للصعود منه والورود قوس آخر أحمد الحمام الموجود الآن في محله، فمجموع الأقواس ثمانية عشر كما ذكر، منهما ما هو قائم العين محكم البناء إلى الآن، ومنهما ما أتي العفاء عليه ولم يبق البلى غير الأطلال الشاهدة لما كان عليه في الماضي ما بينه.

وكل هذه التغييرات حدثت بعد أن رحلق باب البراذعين المعروف بهذا الاسم الآن، وذلك زمن سيدى محمد بن عبد الله كما بني، وباني الباب ذي الثمانية عشر قوسا وكذا الباب المرحلق إليه هو المولى إسماعيل، فقول ذلك المطر بني عام سبعة أو ثمانية وتسعين يعني وألف، وقد كان سرادق ملك المولى إسماعيل وقتئذ على الأيام ممدودا.

وأما باب المشاورين وباب عيسى وباب القلعة وباب آفوج، وباب دردورة فقد بسط ذلك المطر السابق ما بين مواقعها وما آلت إليه، وقد أفاد كلامه أن باب دردورة كان خارج باب تزيمي أحد أبواب المدينة المعروفة بهذا الاسم الآن.
والقنطرة التي أشار لها هناك هي والله أعلم التي ير عليها الداهب للفخارين وغيرها هناك، وقد كان سقط بعضها قرب التاريخ فندورك بالصلاح.
وموقع باب تزيمي في الجانب الغربي الشمالي تنفتح دفتاه بين قوسين يسترها سقف أعلاه غرفة معدة للقيم بحرامته، وجاه إضافته تقدمت الإشارة إليها، وخارج هذا الباب كانت سقاية السبيل المعروفة بسقاية الذهب المشار لها فيما أسلفناه في ذكر الآثار الإسلامية، ولا زال إلى الآن سور صدر هذه السقاية شاهدًا للعيان وكذلك غارباً، وقد أحدث في محلها بناء جعلته دولة الحماية من جملة مراقبتها.
ويوجد الآن باب بالنهج الموصل من باب منصور العلج لدار السمن، يسمى باب عيسى، وهو غير الأول قطعاً، ولعله هو الذي كان يعرف باب سعيد قديماً، فلما هدم باب عيسى نقل اسمه إليه لقربه منه.
وأما باب عبد الرزاق فقد أدركته قائم العين مشقق البناء محكم الصنع كان يخرج منه للحبول محل البستان العمومي الآن، ثم هد في هذه الأزمنة الأخيرة ولم يبق له رسم ولا طلل، وصار محله برحاً.
وأما باب بريمة فلا زال قائم العين إلى وقتنا هذا، غير أن الجدار المتصل به هدته الدولة الحامية ولم يبق للباب بعد هد هذا الجدار فائدة.
وأما باقي أبواب المدينة التي لم يقع لها تعرض من أسلفنا، فمنها باب السبية وموقعه في الجانب الغربي الجنوبي خارج باب الجديد المعروف بهذا الاسم إلى الآن يُنير باب السيبة هذا على عهد السلطان الموالي عبد الرحمن بن هشام، وذلك لما أضرمت نار الفتنت السيربية وتفاحش عبى أهل الزيب والبغي وصارت لنصوصهم تتوالى التهرب لكل ما وجدت إليه سبيلًا خارج بابي الجديد وبريمة، وتفاحش الضرر.

270
بالأهالي سكان البلد وضعا دمرا من ذلك، بني هذا الباب إذ ذاك على يدباشر
القائد محمد بن الباوض الكبير، وهذا وجه إضافته للسيئة، تفتح دفتاه هذا الباب
بين قوسين يعلوهما سقف وبين هذين البابين - أعني باب الجديد والسيبة - سوق
به دكاكين للبيع والاشياع وفسيح متسع كانت تباع فيه الخيل والبغال والحمير كل
يوم خمسة واحد، ثم تعطل يوم الأحد وبقي يوم الخميس إلى إن نقل بعد نشر
الحماية للمحل الذي يعمر فيه الآن خارج المدينة بين ضريح سيدى سعيد
المشيري(1) وسيدى محمد بن عيسى - رضي الله عنهما - كل يوم خمس كما
يعمر كل يوم أربعاء بالمحل سوق بهيمة الأتعام.

ومنها باب سيدى سعيد، ويقال له باب الملاح، وباب وجه العروس وموقع
هذا الباب في الربع الغربي الجنوبي، وهو من تأسيسه السلطان الولى عبد الرحمن
ابن هشام أنهشة أيضا عند شق البرابع عصا الطاعة وامتداد تمدهم وإضرارهم باهل
الذمة بهدف أمتهتهم، حيث كانت حارتهم خارج سور البلد عن يسار الخارج من
باب بريمة، فأنشأ المولى عبد الرحمن هذا الباب والسور الممتدة منه إلى أن اتصل
باب بريمة أحد أبواب الفخامة الإسلاميّة لمعاصمه المكانية، وتنفتح دفتاه هذا
الباب بين قوسين يعلوهما سقف وإضافته لسيدى سعيد لوقع ضريحه وزاويته
خارجه وللملاح المجاور له واتصاله ببابه، ولوجه العروس لكون المزارع خارجه
تسمى بوجه العروس، وذلك لضارة احضاره وبهجة أنواره في سائر فصول السنة
لأن جل الخضر التي تجلى للمدينة إذا تزوع شمة.

ومنها باب زين العبادين موقع هذا الباب في الجانبي الغربي الجنوبي على
يسار الخارج من باب منصور العلوج لبضحة الهديد، بني هذا الباب الولى زين
العبادين بن السلطان الأعظم الوالي إسماعيل أيام إمرته، تفتح دفتاه بين قوسين
يعلوهما سقف فوقه غرفة.

(1) تعود في الطبع إلى: "المشيري".

271
ومنها باب ابن الناري موقعه في الجانب الغربي الجنوبي تسابقه، وهو باب محكم البناء يعلوه برج هائل يشمل هذا الباب على بابين أحدهما يدخل منه لناحية القصور الملكية من جهة صهريج السوانى، والآخر يدخل منه لناحية الأروى الإسماعيلية ومساكن الجيش الملكي الذي كان بمثابة الخرس.

ومنها باب البطيوى، موقعه في الجانب الغربي، وهو باب متقن البناء في غاية الإحكام، يدخل منه لناحية الأروى المذكور.

ومنها باب كبيش - بصيغة التصغير - موقعه في الجانب الشرقي في ناحية الأروى كذلك أيضاً.

ومنها باب الناعورة وموقعه في الجانب الشرقي الشمالي يعلوه برج عظيم هائل محكم البناء عجيب الإتقان، أحد السلطان العظيم الشان المولى الحسن في هذا البرج بإدراة هذا الباب باب آخر قبالة قصر المنشة السعيد، ومنه اليوم مرور كل صادر ووارد من يأتي من ناحيته، ووراء هذا الباب باب آخر يعرف بباب الناعورة البراني وهو حديث البناء ولا مستحضر الآن بانيه.

ومنها باب القزدير موقعه في الجانب الشرقي يخرج منه لناحية ضريح أبي زكرياء الصبان، تنفتح دفته بين قوسين عليهما سقف، ومن هذا الباب كان دخول جيوش فرنسا الاستعمارية لهذه الحضرة المكاسبية، وذلك في رواية يوم الخميس ثامن جمادى الثانية عام ثمانية وعرين وثلاثمائة وalf موقع شهر مايو بلغتنا سنة إحدى عشرة وتسعمائة والف على ما يأتي مفصلا بحول الله.

ومنها باب أبي العمار خارب باب الحجر المتقدم الذكر كان موقعه أمام باب المرس الأثني، وقد تقدمت الإشارة لوجه هذه الإضافة وما آل إليه أمره.

ومنها باب المرس وهو لناحية القبلة، وإذا أضيف للمرس لوقعه المرس

٢٧٢
الإسماعيلية الهائل خارجه وهذه الأبواب الثمانية كلها - والله أعلم - من إنشاء المولى إسماعيل، والمرس المعروف هو من أعظم الآثار الإسماعيلية، وقد أدركنا هذا المرس يعمر بما يجيء إليه من زكاتات الإيالة المولوية المجاورة للديار المكناسية وعليه قيمون يحرسونه وأمناء على محصولات ما يجيء إليه سنوياً إلى أن اختل ذلك بحدث الترتيب والضرائب الواقية.

فهذه أبواب المدينة الموجودة لهذا العهد، وكلها كما علمت من التأسيسات الإسماعيلية غير باب زين العابدين، وباب السيبة، ووجه العروس.

أما الأول فلولده من صلبه، وأما الآخران فلهحفيه مولاي عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، وقد أسس غير ما ذكر من الأبواب العظيمة ذات الهياكل المدهشة التي صارت داخل المدينة وبالخصوص في قصبه السعيدة.

قال أبو القاسم الزياني ومن تابعه: إنه جعل للقصبة عشرين باباً في غاية السعة والارتفاع مقبوبة، وفي كل باب منها برج عظيم عليه من الدافع الظهارية العظيمة الأشكال ما يضى منه العجب. اه.

قلت: هذا غالب ما يتعلق بتفاصيل التأسيسات المكناسية من لدن شأنها إلى الوقت الحاضر، وأما الأتيان على جميعها فمن قبل المحل، لا يعلم حقيقة ذلك إلا الكبير المعالج، وما أتيت به من ذلك لم يعود قبلي تقيدنا هذا ديوان، ولا حار فضيلة حفظ وجمعه واحد من أبناء الإنسان، على طول الآت ومصر الزمان، والفضل في ذلك لملوبي الافتتاح المنان، وانت ترى جل تلك التأسيسات والآثار الخالدة الثالثة، إنا هي لمولكنا العلوين، وقادتنا الأكرمين، ذوي الأيادي البيضاء على الإسلام والمسلمين، أعز الله كلمتهم، وأدام في سماء المعالي منزلتهم، آمين.

٣٧٣
قال في الروض: ولو لم يكن من مفارخ مدينة مكناسة إلا إضمارها على مدفن وليّ الله تعالى المجمع عليه شيخ المشايخ سيدي أبي يعزي، لكان كافياً وقد ذكرت في الفهرسة المرسومة بالتعليم برسوم الإسناد - بعد انتقال أهل المنزل والناد - بعض من لقيت بها كالشيخ الفقيه المتفنن أبي زيدي عبد الرحمن الكواشي، والشيخ الأستاذ أبي الحسن بن مثنى الخنسائي، والشيخ الخطيب الأحفيز أبي العباس أحمد بن سعيد الغفجيمي، كما ذكرت هناك شيخنا العلامة أبا عبد الله القيري فيمن لقيت بمدينة فاس كلاهما الله تعالى، وكان هذان الشيخان قد ارتحلا من مكناسة إلى فاس وسبب ارتحالهما مشهور عند الناس، فلتقبض عنه العنان والله المستعان. أه. من خطة(1).

قلت: أبو يعزي(2)، هو الولي الكامل العارف الشهير قال فيه ابن أبي زرع في «روض القرآن»: قطب دهره، أعجوبة عصره، أبو يعزي ينور بن ميمون ابن عبد الله الهميري، قيل من بني صبح من هسكورة، مات وقد نف على المائة وثلاثين سنة، أقام منها عشرين سنة سائحا في الجبال المشرفة على تنميل، ثم ارتحل إلى السواحل فنقم بها منقطعأثنائ عشرة سنة، لا يتعيش إلا من نبات الأرض، وكان أسود كبد اللون طويلاً رقيقاً يلبس تليسا ويرمسا مرقعاً وشاسية عزف عل رأسه. أه.

وتم في المعزى عن عصريه مولانا عبد القادر الجيلاني أنه قال فيه إنه عبد

حبيبي. أه.

(1) الروض الهنون - ص 125.
(2) له ترجمة في شرف الطالب في موسوعة أعلام المغرب 1/ 365.
وكذا اختلفا في اسم أبيه فقيل: ميمون كما تقدم، وقيل عبد الرحمن، وقيل عبد الله، وقد كان وجهه غارياً لا شعر فيه، وما وقع في كلام الشيخ زروق من أنه دكالي فهو باعتبار كترة مكنته بدكالة، وليس هو من نفس دكالة كما بيئة في المعزى، وكان برير اللسان أمياً لا يحفظ إلا الفائقة والإخلاص والمعوذتين، ومع ذلك كان يردع على من أخطأ في القراءة عنده، ويلتور هو اسمه وقيل يلبث.
من شيوخه: أبو شعيب أبو بكر بن سعيد الصنهاجي دفني آมور خدمه كثيراً، ومن شيوخه أبو عبد الله بن آمغار وغيرهما من الشيوخ الذين لقيهم، وهم نحو أربعين.
ومن أخذ عن أبيه يعزى: أبو محمد الغوث المتوفى سنة أربع وتسعين، وخمسة الله المدفون حدو تلمسان، ومن أخذ عنه أيضاً الشيخ الفقيح الصالح، الإمام المرشد الناصح، سيداً على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حزيمهم - بكسر الحاء المهملة وسكون الراء وبعدها زاي - وربما قيل ابن حرارهم كما في الطبقات الكبرى للسبكي (1) وغيره المتوفى فاس آخر يوم من شعبان سنة تسع وخمسين وقيل ستين وخمسة وغيرهما من أئمة الشريعة والحقيقة رضوان الله عليهم.
توفى أبو يعزى كما سبق عن نحو مائة وثلاثين سنة في شهر شوال سنة اثنين وتسعين وخمسماة (2)، ودفن بتغافرة من جبل أيرجان ويقال فيه أركان - بالكاف المعقوفة - وقبره هناك إلى الحين الحالي مزارة عظيمة عليه مشهد فاخر، وهو والله أعلم من بناءات مولانا الجدابي النصر مولانا إسماعيل.
وكشف أبي يعزى وكراماته وطاعته الآسود له واستجابه دعاء زائريه وقضاء

(1) طبقات السبكي ۲/۲۵۸.
(2) في شرف الطالب: ۶۴۱ هـ.

٢٧٥
حواثجهم بإذن الله تعالى وإطعامه لزائريه الاطعمة المتنوعة كل وما يناسبه،
واقصراه في نفسه على نبات الأرض وما تأكله البهائم أشهر من أن يذكر، وأجل
من أن يسوطر.
وقد أفرد منتقبه ابن أبي القاسم الصوامي بمجوم فلسطين، وكان ابن غازى
عنى بكون مسفن أبي يعزى من عمل مكناسة أنه كان داخل تحت حكم ولاته،
وقد انفصل محل دفنه من عمل عمال مكناسة قديما وصار من جملة عمل عمال
قبيلة زبان، ولا ريب أن افتخار مدينة مكناسة بالقرب من مولانا إدريس الأكبر
أجم وأعظم من افتخارها بالقرب من أبي يعزى.
قال في "الروض": نقل عن ابن الخطيب السلماني في وصف هذه البلدة في
كتابه "انتفاضة الجراح"، ما صورته وأطلت مدينة مكناسة في ظهر النجد، رافلة في
حل(1) الدوحة، مبستة عن شناب المياه العذبة، سافرة عن أجمل المرأى، قد
أخحم وضعها الذي أخرج المرعي، قيد البصر، وفذالكة الحسن، فنزلنا بها منزل لا
تستطيع العين أن تخفه حسنا ووضعا، من بلد دارت به الماجشر الغلبة، والتغت
بسورة الزياتين المفيدة، وراق بين بخاره للسلطان المستخلص الذي يسمى إليه الطرف،
ورحب ساحة، والتفاف(2) شجرة، ومناحة بني، وإشراف روة.
ومثلت بإرازها الزاوية القديمة المعتدة للوراد، ذات البداية النامية، والمثلثة
السامية، والمرافق السري، يضاف إليها الحان البديع المنصب، الخصين الغلق، الخاص
بالسابلة والجماعية في الأرض يبتغون من فضول الله، تقابلا غربا الزاوية الحديثة
المربية برونق الشبيبة، ومزية الجدة والانفساح، وتفرن الاحتفال(3) انتهى.

(1) في المطبوع: حلة، ومثله في الروض- ص 127، والثبت من انفاضة الجراح- ص 371.
(2) تعرف في المطبوع إلى: "التفافات" وصوابه من انفاضة.
(3) الروض البتون- ص 126، انفاضة الجراح- ص 372 - 276.
والزائرين معاً من بناء أمير المسلمين أبي الحسن المريني، جدد الله تعالى عليه رحمته بفضله، إلا أن الأولى بناها في دولة أبيه، والثانية بناها بعد استقلاله بالدولة.

ثم قال ابن الخطيب: وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم كلفت بها الملوك الجلة الهمم، وأخذها التنجيد، فجاءت فائقة الحسن: ما شئ من أبواب نحاسية وبرك فیاضة تقف فيها صافی الماء أعمق أشدية وفيها خزانات الكتب والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين(1).

وتفضل هذه المدينة كثيراً من لداتها بصحة الهواء وتبجر أصناف الفواكه، وتميز الفضين، ومداومة البر جوار ترابها سليماً من الفساد، معافي من العفن، إذ تقدم ساحات منزلها غالباً على أطباق الآلاف من الأقواس تتناولها المواير، ويصبحا العتيم وتتجافى عنها الأراضي، ومحاسن هذه البلدة المباركة جمة قال ابن عبدون من أهلها وله دره:

إن تفتخر فاص بما في طيها ولأنها في زيهما حسناء
والأطيبان هواها والماء(2)

ويستَمِتْها شرقاً جبل زرهون، المنبع جليون، الظاهر البركة المتراوح العمران الكثير الزياتين والأشجار، قد جلله الله شكرًا ورزقا حسنًا فهو عنصر الخير ومادة المجبي، وفي المدينة دور نبيهة، وبنى أصيلة، والله تعالى ولا من اشتملت ليه بقدرته. وفيها أقول:

قد صح عذر الناظر المفتون
بالحسن من مكناسة الزيتون

(1) نفاظة الزراب - ص 272.
(2) نفاظة الزراب - ص 272.
يجري بها وسلامة المخزون
للمرزوكة همية الخمام هتون
وافتقر ثغر الزهر فوق ضعون
قصب السياق القرب من زرهون
فبطت عذاب عيونه عيون
في لوحة والثنين والزيتون
مشوى أمان أو مناخ أمون
تكسوك ثومي أمنة وسكن

فضل الهواء وصحة الماء الذي
سحت عليها كل عين قرة
فاحمر خد الورد بين أباظة
ولقد كفاها شاهدًا مهما ادعت
جيل تضاحكن البروق بجوه
وكأنها هو بريري وافد
حييت من بلد خصيب أرضه
وضفت عليك من الإله عناية
انتهى.

ما قصدنا نقله من نفاضة الجراب، ولم أكن وقفت عليها حين ابتدأت هذا
المجموع فذلك اقتصرت في صدره على الخمسة الآيات التي علقت بحفظي من
هذه القصيدة.

وقال في فريحانة الكتاب ونهاة المتنبئ: مكنسة مدينة أصيلة، وشعب
لمحاصور وفصيلة. فضل الله تعالى ورعاها، وأخرج منها ماءها ومراعاه
فحازها مربع، وخيرها سريع، ووضعها له في فقه الفضل تقرير، عدل فيها
الزمان، وانسح الامان، واقتت الفواكه فواكهها، ولا سما الرمان، وحفظ أقواتها
الاختزان، ولفتت فيها الأوراق والكيلان، ودتنا من الخضرة جوارها، فكثر قصادها
من الوزراء وزوارها، وبها المدارس والفقهاء، ولقصبتها الأبهة والبهاء، والمقابر
والبهاء. انتهى. من خطه.

(1) كذا نفاضة الجراب والروض الهمون. وفي المطبوع: «فاده».
(2) في نفاضة الجراب: «وضعت إليك»، وما هنا في الموضعين رواية: «الروض الهمون».
(3) الخير والآيات في الروض الهمون - ص 128، ونفاضة الجراب - ص 273 - 274.
قلت: "تفاضل الجواب. في علاج إلا الاعتراب. بين بقى من الأصحاب" هي في أربعة أسفار.

وريحانة الكتاب. ومبيحة المتناب. في الرسائل والمكاتبات. في جزء ضخم وهي مما ضمته مكتبتنا. وقد وهم من قال إنها في ثمانية أسفار. وما نقله ابن غازي عنها مثله باللفظ لابن الخطيب أيضاً في "معيار الاختيار. ففي ذكر المعاهد والديار". ومراد ابن الخطيب بالحضيرة فاس. كما نبه في "تفع الطيب". قالتا: ويعني بالحضيرة مدينة فاس المحروسة. لأنها إذ ذاك كرسى الخليفة ومكتاسة مقر الوزارة. وأهل المغرب يعبرون عن المدينة التي فيها كرسى الخليفة بالحضيرة(1).


(1) نفح الطيب ٢٠١٣. ٢٧٩
وستين وسبعمائة، وعلى العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر المتوفي سنة سبعمائة وتسعة وسبعين، وعلى العلامة محمد ابن محمد ابن أحمد القرشي المقرى قاضي القضاء بفاس وغيرها من العلماء الأئمة.

واخذ عنه إفضل الفضائل من قادة العلم كلهم المهني، والوزير ابن زمرك، وأبي عبد الله الشريشى، وأحمد بن سليمان بن فركون، وأبي محمد بن عطية وغيرهم.

وترجمه أفردت بالتأليف، توفى شهيداً بفاس سنة ست وسبعين وسبعمائة. ودفن خارج باب الشريعة المعروف اليوم بباب محروق، وضربه الآن عليه حوض صغير مقابلة من روضة سيدى عبد النور، يفصل بينهما الطريق المرور عليها لظهر الخمس.

والزاويتان اللتان وصفهما ابن الخطيب في كلامه المتقدم، هما: الزاوية القوريجية، وزاوية باب المشاورين، والمدارس الثلاث، هي: مدرسة الشهود، والمدرسة الجديدة، وهي المعروفة اليوم بالبوعنانية، ومدرسة سماط العدوان الآن، والقصبة هي: المرينية وقد بينا فيما سبق ما يتعلق بذلك كله.

وفي وصف هذه البلدة أيضًا يقول قاضي الدولة الإسماعيلية بها العلامة البرز سيدي أبو مدين السوسي في كتاب رفعه مولانا إسماعيل، هذه الخضرة المشرفة بعناية مولانا إذ جعلها من ثماره، واصطفىها لقربه وجوهاره. وشتى من بديع الفراديس ورفع القبای، بما لو رآه الإسكندر لا يعرف بأنه العجب العجاب، قد حلت من المحاسن بنتها، وأسعدها الإسعاف بنت أرفع مشتتها، والعلوم قد تدفقت بها أنهارها، وتتفقت على آجر التحصيل أزهارها.

قد أكثر الشعراء والكتاب قديماً وحديثاً من وصف هذه الدنيا التي كل بلد من محاسنها مدينة، وذكر شرفها الأصيل، والتلفن في نشر ذلك في قوالف

280
الإجمال والتفصيل، فمن ذلك قول العلامة الذي لا يحتاج إلى التمييز بعلامة

سيدي محمد بن أحمد السنوار:

كذب الذين ترعت في زعمهم
وأصاب من جعلت له مكتاسة
دار الإمارة والعالا والدين
وتركهم أطيلها في الحين

وقول علامتها وقواصيها أبى القاسم بن سعيد الفيسي مذيلًا لهذه الآيات,

ومعدها ما أحرزته من فاخر محاسن الصفات:

خطت قصبتها بأسعد طالع
ومثبتها متنى ما شتى
للسوق والسلاون في وسلين
وباب جماعة يفوق جمالها
مراي دمشق ومراي قنسر
نثرت عليها محاسنا وروبية
بالروح والطريقان والنسرين

وقوله من قصيدة تنف على عشرين بيتًا:

أمكتاسة الزيتون يأ خير بلدة
فلأجعل الله الموانع في حل
وأما القول فيمن حال حال وصاله
إذا لاح نحو الغرب برق هوت به
وإن هبت الأرواح رق وراق من
يسهل من أمره ما ليس بالسهل
 وإن غنت الورقاء بالأليك روعت
فؤادا دعاء الشوق بالجد والهزل

وقول الشريف المنيف المولى محمد المغالي بن محمد الحسيني الإديسي

العمراني اللجائي في كتابه "درحة المجيد والتمكين" في وزارة بنى العشرين

281
وكماكنة دار علم، وادراك وفهم، كانتها علماء فضلاء، وأئمة نبلاء فقهاء، وبدور سافرة، لا تريد إلا الدار الآخرة. انتهى.

وقول بعض شعراء الدولة الإسماعيلية وظرفاء أدبائها:

أمكناسة إني لرؤياك أمل
فأنت التي حزت المفاخر كلها
ففي القبة الخضر تضيء الأقوال
إذا افتخرت ماكلاك ببيعها
ففي الجامع الخضر بدور كوال
وإن ذكرت مصر بجامع أزهر
لك الفخر يا مكنسة قد حويته
وأمل العلامة الأديب الماهر أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد م صباح من قصيدة طنانة يمدح بها سيدنا الجد مولانا إسماعيل:

فمكناسة راحاتها وارتوؤها
لبن مسها الأعياء أو شفها الظما
أضاء على كل البلاد ضياؤها
بلاغ هي الدنيا بأجمعها التي
وجنتها الزوراء والزهر أهلها
وأربعها الزهراء ودجلة ماؤها
معنى تداعي للرحيل عنها
إذا ما رأت أعمالها نفس مدنت
وقصر على أفنتها وقصورها
زينتها جسام ليس يخشى فناها
فقدوهما مثل السماء وبقابها
وأندل الأديب سيدى إدريس بن أحمد الوكيلي كم باكاشة العلامة المفتى

سيدى بو بكر بن عبد الرحمن المنجرة ومن خطه نقلت:
مكاسمة دار علم
تاج الملوك حبها
لهما بذلك مزارها
وأهلها خير قوم
وقول الفقيه الأديب العلامة العدل المدرس سيدى النهاضي بن الطيب آل عمار
رحمه الله تعالى:

فأبيه عمائر الحميات
معاهدي مارحة محفوفة
قليها إليها قد صبا كيف
وهي مكاسة قطب البلاد كلها
أعظم بها من حضرة عم الورى
فيها لها من بلد يجلو الصدى
فأبي العمائر سقاها سسللا
وفهد وزهون بقرهها زها
فكمل من أبيها معنى لغظتها
لا تسمع قول جهود لم يجد
ودت بقاع الأرض طراً أن ترى
أشرقت الدنيا بها إذ أحدها
ما أعين رات ولا قد سميت
رفع سمها شريف مصطفى

٢٨٣
ذات المعاني والخلي والخلا
في الكون طرا قط منذ قد نشا
من قبل أن يهض جمو الغضا
يحرسهما من بني ومن طغا
ذات السرور والحبور والهنا
مسبحا لله في در الحضان
فسجدت لله شكا للحبا
و والساق خلخالى بلين قد صفا
من كل لون مشرق يذكي الحجا
على يواقيت الشقيق واردهى
فسلانه من القففا
أطراف كرا إن النعمام في القرى
وأظهر الخجلة منه واستحا
لا بد أن يسبذ يومنا بالعرا
وهو يشرق إذا الليل سجا
و راحنته النمام خبرًا ففسحا
مرضى جاءات لمتنى معتمما
نهر سلا روح جلا ظل ضفا
فيها إذا سجا الحمام أو شدا
من أقر نفسه على الهوى
مشروفة على حمي حمرية
تالله ما أبشر طرف مثلها
يكاد ريبها يضئ في الدجي
صفوفها جند خاضرتها
محتميا بعلمي وريغة
تأمل في أبي السلو إذ جرى
كما الرياض خللا من سندس
حلى السواعد سوارى ذهب
يغشي عيون الناظرين نورها
بالبنفسج رها بورقة
فانتصر الورد له مرحم
وصدع الورجو فيه طرفه
فظاظا الرأس صغارا وانتشى
شمان من طغي تجبروا
وأظهر الخبرى خيرا في الضحي
مختفيا من الرقيب في الدجي
حروف ختم فوق طرس أخضر
أصل ركا فرعها رهم ذاكا
تنازع الأذن العيون غَبطة
جتتها الدنيا التي قد زخرفت

285
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة المقدمة.
أودى بها الدهر الديهار إن في فيمائها من آية دلت على لا تمجه ما دمت حيا يا فتى ما أبرزت إلا حقيق تمها ما رال يوم الأربعاء يذكرني على أنى في رتبة تسمى السها أحمر النقل بذهن ثاقب فأحكم الدار بقول رائق أطوارًا أطرب حل مشكل مشمرا عن ساعد الجد وقد متمطيا ذرى المعالي دائما موفقا بالله مهدية به فنبل من رام حراق زرتى وهل ينال المجد يوما من وني بل ذاك محض فضل ربا الذي ظنوا بأنى قلق ومة دروا والحر يستف الشرى ولا يرى همته بالله لا يغفره ومن تمام فضله عليه ان أحمد حمدنا يوفي ما حبا اه. كما وجد.

286
وقول بعض نبغاء الشعر النبطوي متوجا أوائل الصرور بما لفظه (مكناسة)
حسناء:
مكناسة الزيتون فردوس الدنيا
كفت بها النجم المثير فانتشرت
نور الغزالة مستمد جمالها
ابنها أهل الذكاء سجينة
أهل السخا يسدون للغرباء
بين الورى كالشامامة البيضاء
له كليم السعادة العذراء
مكناسة والطيب في الأوهاء
حزت الفضائل والتقدم للعلا
سادت طرائط الفضيلة غيبرها
نالت عذوبة كثر أودية
أو ما تراها مسكن البلاة
أهل السخا بالبلدة الغرائ
وقول صديقنا المؤرخ الأشهر أبي عبد الله محمد بو جندرت الرباطي دام
إسعده:
فلايا نصبت على التمبييز
مكناسة عهدى بها مرفوعة
مثل العراظ ساعة التبريز
فتنسق في (فرساي) من باريس
وكلما أن رياضها وحيضها
هاتك إسماعيل أبدي صنع (لوبيز)

287
وكلاهما بلد عليه حلة
وعلى قصورهما المحاسن أصبحت
من لى بزورة تلك أو هدى فهل
لا خيب الله الرجا حتى أرى
وقوله:

إلا كناسا للظلبا ومهاتهها
يا حسرة المضنى إذا لم يأتها
والماء كالصهباء في كاساتها
س من معين في أكف سقاتها
ف الحور والولدان في عرصاتها
واهظم بهاء السراء قبل فواتها
ومضت بها اللذات في أوقاتها
من الناظر الأسمى وخير قضاتها

وقول الأديب الماهر الفقيه السيد إبراهيم بن أحمد السلوى العدل الأول

بنظارة الأحباس بالدار البيضاء:

إنا كناسا بلدة خصوها اللد
بلدة للمحاسن الغر أمست
خصب طبيب ومرعى فسيح
فيها الاطمئنان تقي عصاء

288
وبها كانت الفطاحل من ك -
وبها الدولة العظيمة كانت
كان فيها إذ ذاك وقع عظيم
إلى أن قال:
ويمكننا كم ما أثرت تلتي
وموفي نهرها الذي حل منها
ما لم تدند البغداد معنی
ذاك باب المنصور يشهد بالعجة
واستجدت بهمة التوسل
ها فقرت جفون كل مقيم
واعتنا ماعضدا بقروم
وإلى الآن لم تزل في ترق
وقول نابغة الشرق وناطورة الأدب الشيخ رشيد مصوبع اللبناني:
فية تعد حديقة للناظر
في المغرب الأقصى رأيت مدينة
يا من مرت بها بشوق وافر
مكاسب هابط الديار فحيها
لم يحك رقتها سوى ماء بها
وهم وغيره شاذ نسيم عاطر
وقول صاحبنا الفقيه الأديب الناظم النثر السيد محمد بن الحاج السلمى
الفاسي:
يقول لساكنيها لا تخفوا
على مكاسبة الزيتون سور
هي الدنيا جمالا وافتكرا
وقوله على لسانها:

289
حصونى بجيش للحروب عرمرم
من المرهف البتار وهو مصير
وأصبح شمل البغنى وهو مهشم
جلال ملوك الغرب ذاك المقدم
ولكل بحسن الوضع منى مغرم
على رسمه والشأن منى معظم

يلتئى ذو اللب الأول مما يرى
فيخشى من التمثيل ما ليس يخشى
فصنت دماء القوم والمال كله
ولم لا وغصن الحسن مني أعاده
بمولاي إسماعيل كنت وحيدة
فلا زال رضوان من الله عاطفا
وقوله:

بمكناسة الزيتون من ملح الحسن
لها الشرف الذاتى وفي الغير عارض
فمن شام دور الحي منها وقد سمت

معان بها تعلو على كل ذى رين
إذا ما أعارت بعض ما لاح للعين
تخيل أزهارا منوعة اللون

وقول محبنا الفقيه العدل السيد عبد القادر العلمي المكناسي شهر بالعرائشى:

يا ناظرا مكناصه الزيتون
نزو حاظك في اجتهادها التي
وانظر إلى أسوارها وبروجها
فكانها ملك بدأ في عرشه
أو أنها عذراء حسن أحرست
أحسن بها من بلدة فديها
يكلف فيها شرحها بهواتها
وجدت من كثر ومعين
صدرا لمكلوم الحشا بعيون
(يا ناظرا مكناصه الزيتون)

290
وقول صاحبنا الآديب الفقيه القاضي السيد محمد الشكيري البيضاوي:

أرض هي الأرز في ناس هم الناس كباراسيات وأبراج وأقواس جلال والعزم والسلطان والباس ريح هو المسك أنفس فأنفس يضيء من علمه الفيض مقباس ما الزرد منها وما الريحان والآس،

وقول صديقنا العلامة المشارك المتضلع السيد أحمد بن العياشي سكيرج من قطعة:

فما مكناسة الزيتون إلا هى الدنيا بها قد حاط قاف فمن فيها يحل ينال أمنا وفيها وسادة فقهاء فاقوا وقوله:

عرج على مكناسة الزيتون بلد تريك ضخامة الملك العلي طاب الهم الشريحة جرى وقد لله من بلد صلى أهلها ولهم من الآداب ما يسبى النهى

291
بالطيب من صب بهم مفتون
فعليهم أذكي السلام يعمهم
وقوله:
سكتت في مكناس
حتى تكون مفاجأً
بئيب الأنفس
لم تختب بالإيناس
وقوله:
ممثل مكناس يرى في المغرب
وبعده وهواء طبيب
هل رأيت حسنها يبى النهي
وبها الأنفس قرت عينها
وقوله:
هذه مكناس يا قوم بدنت
بلدة طابت وطابت ناسها
وقوله:
ففيها تطيب النفس من بين أنفس
زمنى بناس كنت أعطادهم ناسي
نظير من فيها لدى الجود والباس
بها وله قد تم في الناس إيناسي
فإن لم تسر بالرجل سرت على الرأس
(1) في الطيروب: خليل سريبي، وهو غير صحيح عرضاً، والأيات من بحر الطويل
وقول الاديب أبو علي حسون بن علي بن عمر القسمتيني المعروف بابن مردانيس وهو بقسمتين عدد فيها البلادات التي دخل فيها مطلعها:

الأقل للسراي بن السراي أبو البدر الجحود الأريحي

إلى أن قال: فيها:

وهم مكناسة إلا كناس

لا حوي الطرف ذ حسن سنى

وقول الوزير السيد الشرقي الإسحاقي في رحلته: تذكرنا الغرب يوما ونحن

بمصر فذكرنا مطمئن النفس، ومحل الأنس، مكناسة الزيتون وما بها من المعاهد

التي استفتح القلب فيها نفسه وإن أفانه الفتون، ففبت الشوق مناكل كبد، ويرح

كل منا بما يجد، فأتضننا صاحبه الفقيه الأديب السيد بلقاسم بن الفقيه العلامة

السيد سعيد العميري لنفسه ما أنشده أيام نزوحه عن الحضرة المذكورة وجلائه عنها

أيام الحادث الجارف، الذي استدعى التالد والطارف، بناحية جبل غمارة:

يا لولي لعيممارة

شتختها بغمارة

أرابى اليوم أمر

كسيف لي وبركه

خلي الحبيب وداره

فليس يغبني سواها

مااوي ولو كان داره

وقول حبيبنا الفقيه الكاتب الشاعر المطبوع الشهير السيد الحاج عبد الله

القباج مشترا للقطعة الشنجيطية المرة:

لله لله ما أبهى كمكاس

خبص ورخص وأغراس وأعراس

292
أرض هي الأرض بل ناس هم الناس
شتى وفيها من الإفプラス أجناس
كالرياضيات وأبراج وأقواس
والفسخار والعز قلب والعلاء راس
والجلال والعزم والسلطان والباس
ريح الصبا ووهو الحمجر والكاس
ريح هو المسك أننس فأنناس
هو الإمام الذي تصب له فاس
يذى من علمه الفيض مقباس
فوق القياس وللأخلاق مقياس
ما الرند منها وما الريحان والآس
وقول المشتر المذكور لا زال يشفف الاسماع بخيرائده، ويحلل النحور
بفرائه:

اهل عوالي بل والاهل علالى
مكانة الزيتون اهل معالي
بلاد حباا الله خير زلال
وليس بها هم وغم كلال
كساا جمال الدهر ثوب جلال
سوها وما فيما ذكرت تغال
وفيها من الورد كل غزال
مكاسب ما نظرت عيني تظهرتها
بها القصور وأسوار مشيدة
وبين سباحتها الآثار ثابتة
تجمع المجد في تلك المعاقل
والمجد فيها مقيم والمهابة
وماؤها السسبيل العذب باكره
ما مر منها امرؤ إلا ومر به
يكنى مدتيتها أن الكبير بها
والابلج الفرد من لو في الظلم سرى
إلى روائع من اخلائه عبقت
كأنها من جنان الخلد قد هبطت
وقول المشتر المذكور لا زال يشفف الاسماع بخيرائده، ويحلل النحور
بفرائه:
اقيمت بلا ريب ودون جدال
وللجسم طب من أضر عضال
دخلت وحد الهم باب جمال
وها غيرا ينبسه فيه بحال
لفناسك دارا لم تسم بلال
وأوله حرفما ورمت سؤال
لسكنى الظبا والريم بين جبال
على كل مصر قد رحا بظلال
والمملك والسلطان خير مثال
ومن الله الأظهار أفضل آل
أبو زيد الغطريف راحمة بال
وأورعها مصباحها المتلاي
قديا وأهل الفضل أهل نوال
بكناسة فاعلم وثث بمقالي
وتاج فخاض بل وسليف نفاض
خضم وبحر العلم كنز لألي
ووجه منهير فيه النف هلال
ولازال للتحقيق فيه موالي
ولازال للآداب بدر كممال
بلاد ولكن من هو كل مهجة
بلاد لروح المره روح وراحمة
بلاد متى تقبل بهمك نحوها
بلاد تنى من آناها بربعه
بلاد هي الدنيا فخذها غنيمة
بلاد إذا أسقطت من أحرف اسمها
يعود كناسا والكناس مخصص
بلاد بإسماعيل تزهو وتزدهي
بأنحاقها آثاره وفخواره
وفي قلبها من نسله خير زمرة
ومزورهم في عصرنا وكبيرهم
حلاحل مغناها وجججاح أهلها
سلالة زيدان الشهير بفضله
إف إن أبا زيد لاكرم سيد
شرف عفيف عالم متواضع
وبحر من الآداب عذب مذاقه
له خلق كألفه باكره الندى
فلا زال للعلم المقدس خادما
ولا زال للتاريخ كوكب أفقه
انتهى.
قاله وكتبه في ثاني عشرة ربيع الثاني عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف، ودودكم عبد الله القباج وفقه الله. انتهى. من خطيه.

وقول ابن عمنا الفقهي الأديب العدل مولاي الحسن بن النقشب الأبرز البركة:

سيدي محمد بن العباس العلوي التجار، الفاسي النشأة والدار والقرار:

إذا افتخرت فاس بطبيب معانها ولطف أهاليها ورقراق واديها وحرص سجايا أهلها وأغانيها ومراكش الحمرا بطلع نخيلها وثغر رباط الفتاح بالأدب الذي غدا مفرق العليا يصل به تيها فما مثلها الزهرا في حسن منظر فمكاسة الزبيبون فاقت بتربة ولم لا وسط المصطفى هو بانيها فكانت شموع الفدل مشرقة فيها وإمام همام ساعد السعد سامية

وقول صفينة الشريف الأديب سيد محمد فتحا بن يحيى المقال:

مكاسة ما لها في الحسن من ثاني تبسي عقول ذوى العرفان والشان وأهلها حسن أخلاق لهم جملت نسبت من لطفهم أهلي وأوطاني به الدواء لكروب ولالعاني هواها عز أن يلفي له شبه وماه السبلي السبلي العذب منهمل شفتي السقيم به من كل أحزان بين البلاد بحسن ثم إحسان يلفي شبيه لها قاص ولا داني فاقت برفعتها كل البلاد ولا

وقول محبيتنا الأديب الفضل مرآب أحباس حضرتنا المكاسية سابقاً وخليفة عامل فاس على فاس الجديد حيته السيد الحاج محمد بو عشرين.
يرجع ليل المجد في مكنايس
وحباء من زيغ ومن أدناس
ووقاه من شر من وسوااس
ويجيده عقد من الألماس
ويخلي أرض أخرجت للناس
وصيانة الأعمال في الأحياء
وقول مالك أزمة الشعر الأديب الماهر السيد محمد بن المفضل غريب من

قصيدة:

ياغيل زيغان يا أندى الكرام يدا
ففي ترمسها لسقمه آس
ما يهيج العين من أغصان أغرااس
مخلص التبر محلولا بقرطاس
ما لا تناله بالاوطار والكاس
بلى يليل طبع النافر القاسي
فاستوجبت مدحها من جلة الناس
بالعجاز عن مشه البلاطم
ملك عظيم جليل الفخر والباس
من كل أبنة الدنيا بققباس
وقوله من قصيدة:

فلعله يجد السبيل لخضر
بلد تصادق ماؤها وهواها
مغني القصور السم والدور التي
مكتاسة إحدى الشهد لمالك
مجلٍ مثأر من تجول صيته
إلى أن قال:

بلد لها آوت أصولي عندما
فتهبوا دارا يعز قطينها
وتسنُّموا في نعمة وأمان
ربما تناهض رتبة «السالماني»
لم يختار أمكانيها اللوان
عقد الذي يغلو عن العُثمان

وقوله:

أهل الصفا والثرى من مكتاسة
وقوله:

مكتاس غنمت صفاً وقت
فإن أكثرت ذكرها فإني
وقول الفقيه الكاتب السيد محمد بن داني من قصيدة طانية أثانية:

لمكتاس على البلدان فاخر

عِمَّيم والفخار لها قديم

298
وقول صديقنا الحليم العلامة سيدي المدني بن الحسني الحسني الرياني:

لله مكناس في حسن وإحسان
حديقة تدع الأحادق محدقة
بها يصح ضعيف الجسم من علل
لقد تجلت محاسن البديع بها
فمن متأخ بما صارت نسانمه
ومن روائي إذا اعتقدت صهوبتها
ومن قصور إذا رام البلغ لها
ومن دساقر فيها للمساقر قد
ومن حصن كغيل السيد ما فنتت
تناطح السحب والهرام من صعد
وقد تجلت مفاضلة الإمارة من
يفترنر (أصيل) و(العرائش) مع
ومن مدارس زانتها قد انجبت
ومن مساجد للعباد مزهرة
ومن عيون بها للصادي مزهرة

(1) في هامش المطبوع: بالروسيا.
(2) في هامش المطبوع: طنجة.
(3) في هامش المطبوع: مراكش الحمراء.
(4) في هامش المطبوع: الريان.
ومن بساتين تحكي في منازهها
واخضع يانع وأبيض يفق
كأنها في جمالها وبهجتها
والورق تشدو على الأوراق من مرح
والماء يعلو وقد أبدى لنا نغماً
لذا تنشد من أقوالها مثلاً

إذا سقتها السما بكل هتان
وليس فيها لعمري مثل)ِبستاني
لها الخلي فبدت عروسة بلدان
أو (الكتانة) (5) أو جسر (بغدان)
وأذكرتها (فرقو) (4) في مباهجها
عطر العروس وزادت بابن زيدان
كاليحمدي] الراضى و[كابن حمدان]
)
يعم ربعكم الزاهي إحمسان
وقول حبنا ناظر مكناسة الحالية الفقية الأديب أبي العباس أحمد الصبيحي

السلاوي:

(1) في هاشم المطبع: دمشق الفيحة.
(2) في هاشم المطبع: غابة بوليتا ببارس.
(3) في هاشم المطبع: مغني بالأندلس.
(4) في هاشم المطبع: فروق الاستثناء العثمانية.
(5) في هاشم المطبع: مصر الفاطمية.
(6) في هاشم المطبع: بغداد العباسي.
(7) في هاشم المطبع: في حلب الشهباء.
عُرج على مكناسة الزيتون
وأنق مطبك حيث منطلق الهوى
حيث أمياء الدافقات ترقصت
حيث البساتين الكثيفة التي
حيث الزياتين الكثيرات التي
حيث الصوامع شامخات في السما
حيث الآثر جمعة لللوكنا
لا تنام منها دوره وقصوره
وأماكن الأجداد والأسرى بها
وأبلغ منصور تراوا آية
هذا وإن بها أفاضل جلة
ناهيك بالشيخ ابن عيسى منهم
واقصد باحياء بها ربي القرى
عين البلدان آخر الوداد المرتضى
ذاك ابن زيدان النقيب ومن له
أبقياه مولاه لنشر عبيده
وقولي:
مكناسة الزيتون تهيب وافخري
بمناظر يسي العقول جمالها
وأرجى أرجاء ولفظ حدائق
وتفواكه كالشهيد إلا أنها
أعظم بما قد نلته من رونق
يصبو له في الناس كل مهذب

وقد شطر قطعتنا هذه قاضي مكتاسة الحالى شيخنا أبو العباس البلغشي:
حفظه الله لما لفظه:

فانتيه من ذات المحاسن يعذب
(مكتاسة الزيتون تيمي وافخري)
ولئن فخرت فلا غرابة حيث قد
(حذت الشعر على بلاد المغرب)
جمد الذي بجمالها لم يترب
(بمناظر يسي العقول جمالها)
وجلال بري قد سموت موقع
(ورجال ماتك والهواء الطيب)
تحكي الفرذ من بهاها الأعجاب
(وأرجى أرجاء ولفظ حدائق)
لا غرو أن فقت البلدان بجنة
(وفواكه كالشهيد لولا أنها)
فيها الشفا تغيني عن المطيب
(مكتاسة الزيتون تيمي وافخري)
تغيني عن الصباء إلا أنها
هو موقف الأبصار للمتعجب
(أعظم بما قد نلته من رونق)
فيه لنفس الأريحي راحة
(يصب له في الناس كل مهذب)

وكذا صديقنا الأديب الماهر السيد عمر بري المدني:

(مكتاسة الزيتون تيمي وافخري)
(حذت الشعر على بلاد المغرب)
بالروض فيك كنسان ظبي ربيب
(مناظر يسي العقول جمالها)
يكفيك أتك للجمال بأسره
وطرز شكل ليس يفهمه غبي

٣٠٢
وملاعب تلهو ببلذ ذوي النهی
(وزلال مائک والهواء الطيب)
حدق الوری من حسنها لم تذهب
(أریج أرجاء ولطف حدائق)
بک أهذکت وبدیع زعیم مخصب
(وزهرة أنوار الريح بما أحتوت)
تشک كسكر وسط كأس مذهب
(وفواكه كالشهد إلا أنها)
مسکنة تزی تبهقر أشب
(وتخال في استنشاق ریح أريجها)
راقت مدادهه لكل مؤدب
(أعظم بما قد نلتته من رونق)
يصبو له في الناس كل مهذب
(أني يغض الذوق عنه وقد غدا)
وخمس تشطير هذا بقوله:
الورید وجوهه بخد أحمر
(طيب الزمان بوجه روض أخضر)
زيتونة خال عليه عنبري
(ماکنة الزيتون تهيي وأفخري)
بالربوط أنت كناس ظبي ربری
(بالروض أنت كناس ظبي ربری)
وتصيب شائكة الكمي بنحره
(كم فيک من لحظ يصبه بسحرة)
لا حزم فيک مع المدل بكرم
(يکفیک أنک للجمال بأسره)
حزت الشفوف على بلاد الغرب
(رانت بک الدنيا فتم كمالها)
وقتمست في نظمها أحوالها
(قد سلمت عند الوري أقوالها)
(مانظر يسبی العقول جمالها)
وبطرز شکل ليس يفهمه غبي
(وبطرز صقر ليس يفهمه غبي)
ما حل فيک غريب دار قد وھی
(لا تقاس من لهاك له اللهي)
بتازه مما تتقاس بزدھی
(وملاعب تلهو ببلذ ذوي النهی)
وزلال مائک والهواء الطيب
(وزلال مائک والهواء الطيب)
٣٠٣
اصبحت بين أزهر وشفائق
(وأريج أرجاء ولفت حدادت)
حدق الورى من حسنها لم تذهب
فيك النفس على مقاصدها استوث
ببلابل تسنيك (معبدا) إن روت
(ورهور أنوار البديع بما احتوت
بك أحدثت وبديع ربع مخصب)
فكانسي للراح أفقت دنها
(وفواكه كالشهد إلا أنها
تتشي كخمر ووسط كأس مذهب)
روح الشجي إن روعت بأبيجها
فلروحها طب لردع مهيجةها
(وتخال في استشاق ريح أريجها
مسكية تزري بشرع أشنب)
با عاشقي هذا الملاعب فاتتقي
(أعظم وما قد نلت منه من رونق
رزت مدائحة لكل مؤدب)
اما التعيم فتحت ذيلي قد بدا
ولغر أنسي رشفه فقد الصدى
(أني يغض الذوق عنه وقد غدا
يصب له في الناس كل مهذب)
وشطرها أيضا صديقنا الأديب الفقيه سيدي اليمني الناصري الرباطي النشأة:
والدار والقرار:

مكافحة تزهر بفخور مغرب
(مكتاسة الزينتون تيهي وافخري)

جزز السماء ترفعا حتى لقد
(حزت الشفوف على بلاد المغرب)

تغبني النفسوس عن الأئس المطرب
(بمناظر يسيع العقول جمالها)

طاب المقام لديك من طيب الهوي
(وزلال ماثك والهدوء الطيب)

ضحكت على دمع الغمام الصيب
(وأرجي أرجاء ولطف حدائق)

بأحدت وبديع ربع مخصص
(بأحدت وبديع ربع مخصص)

وأعثن من نرجس حداقها
(وفواكه كالشهد إلا أنها)

잀 ينسيك ذوقا كل ذوق أعذب
(وإذا ارتفعت أو اقتطفت وجدتها)

مسكية تزري بشعر أشب
(اعظم لما قد نلته من رونق)

راقص بروح لكل راء مععجب
(قيد هذته يد الهنها حتى غدا)

(يصب له في الناس كل مهدب)

وكذا حبنا الفقيه ابن الحاج السلمي فقال:

وطني الشري بالجمال المعجب
(مكتاسة الزينتون تيهي وافخري)

أرسلت عن الحسن ونغمة مطرب
(حزت الشفوف على بلاد المغرب)

أرسلت عن الحسن ونغمة مطرب
(بمناظر يسيع العقول جمالها)

تأصب النفسوس إلى مغانيك العلا
(وزلال ماثك والهدوء الطيب)

كالهيف في حلي اللجن ومذهب
(وأرجي أرجاء ولطف حدائق)

فنا ما يهوي ويعشق حسانه
ساغت لأكلها كموع الشرب
(وفواكه كالشهد إلا أنها)
مدت له عند التناول نفحة
(مكسة تزيي بنغر أشبنب)
يهدى لرائيه جميع الأرب
(أعظم بما قد تلته من رونق)
لازال عهده والزمان رفيقه
(يصبو له في الناس كل مهذب)
وخمسها الشاب الأنبش الشريف الأديب المولوي عبد المالك بن شيخنا

اللغوي المذكور:
تمتاز في ذيل البهاء الأزهر
(مكتبة حسناء بين الأزهار)
ظهرت محاسنها بهذي الأعصر
(مكتبة الزياتون تهيي وأفخري)
جزت الشفوف على بلاد المغرب
(بقصورك العليا العجيب جلالها)
وحصونك الشما العذب مثلها
(بمناظر يسيع العقول جمالها)
وزلال ماتك ولهواء الطيب
(عجبا لزخرفك القديم الرائق)
وأرجوك الأبيه الأتيق الشائق
(ورأرك أرجاء ولطف حدادش)
بك أجدت ويديع ربع مخصب
(بنفسك وبرجس ما بينها)
ورد يذكرك الخدر وحسنها
(وفواكه كالشهد إلا أنها)
مسكية تزيي بنغر أشبنب
(قد فزت صوتنا كل فرد أبلق)
وحويت فضلا ما له من محق
(وأعظم بما قد تلته من رونق)
يصبو له في الناس كل مهذب
306
إلى غير هذا مما يطول، وليس لغايته وصول.

ثم إن ما توارد عليه هؤلاء الأدباء وغيرهم من محاسن مكناسة منظور فيه
إلى الحسن الفعلي الحالي تارة وإلى الأصلي الذي عضده أثاره أخري، إذ لا
محالة أنها كغيرها تعازرتها أطوار الزمان، وكشفت المرة بعد الأخرى بأيدي
الامتحان.

وما دام في العيش خير لا بد أن يقابل كل شروق بغروب، ومّن أن يتقلب
فصل الربيع المحبوب، في أطوار باقي الفصول وبذلك يكمل المرغوب، وعلى
ذلك نبه علامة مكناسة ومؤرخها وأدبيها ابن جابر الغساني بقوله:

فألمين لم يبرح بها معرفوا
ولكن محت أيدي الزمان رسومها
فالحسن لم يبرح بها معرفوا
فلربما أثبت هناك حروفًا

هذا وحيث آتينا بيض ما اعتناظت به هذه المدينة من الفخر، وجنّة للمطالب
المنصف بما يجهد نعم الذكر، ومنحنا تلك المنح المزية برقة الملح، وروينا الظلماء
من عذبة أخبارها، فلا بد أن نأتي على المطلب الثالث ونحلي تاج مفرقه بذلك
ما لا غني عنه من تراجم من حفظت ترجمته من عقولها وأبحارها، مشاهير
الإسلام وحماته، وحفاظه وحاملي راينه، ونظم نشأ أولائها شم الأئمة،
الباذلين مهجهم في عرفان من هو بالديومة معروف، أولئك الذين رفعوا بانتصارهم
لنفع العباد، وإرشاد الخليفة حاضرا والباب، مربما تراجمه على ترتيب حروف
المعجم غير مبالي في نظمها بتقدم من تأخر، أو تأخر من تقدم، لا أجمل من
الحروف غير حرف عدت تراجمه، أو جهلت معاله.

أذكر أولاً ما حلي به كل واحد منهم بنصه، ثم أذيل بما وقفت عليه رأيًا
من أحوال شخصه، وأطررت حلول أولئك الأعازم، بذكر ما للنائر منهم إن وقفت

307
عليه والنااظم. ملتزم التعزير لذكر من كان أصله منها، سواء استوطنها أو رحل عنها، ولم كانت له ولاية أو إقبار بها، ولو كان من غير سر بها، أو هاجر إليه ما صح عنده من عموم بره، وتعجيل خيرها، واتخذ دور استيطان فأسله عن تذكار الأهل والوطن.

معتمدا في النقل على ما يتلي عليه من الكتب الذي عرفت جلالته أربابها، وأجمع العقلاء على أنهم أنشأ البيوت من أربابها. كنفح الطيب، ووفيات ابن خلكان، وتكملة الصلة للحافظ أبي بكر ابن الأبار القضاعي، وفهرسة مصنف فاس أبي زكرياء السراج، وخلاصة الأثر للمحب، ودرة الحجال، والرياض الربانية، والمنح البداية، في الأسانيد الحالية، ونيل الإبهاء، وكتاب المحتاج، ونشر الثاني والرحلة البارانية، ودوحة المنطقة والصفوة، وفهرسة ابن غازي، وتعريف السلف، وروض الفراتس، وأثبتة القلوب، ومروة المحاسن، ومعنى الأسماع، وابن خلدون، وسرعة النجاسة، والإحاطة، وئفة الزائر، وبعض مناقب سيد أحمد بن عاشور، وابن عاشير الحاسي، وجواهر السماء وتعصير البساط، بذكر تراجم قضاة الرباط، والجيش الامروري، وخمائل الورد والไขش السريئ، لاكتسوس، ودوحة المجد والتمكين لمحمد الغالي الإدريسي العمراني اللخافي، ورحلة البايسبن الكنوري، وفهرسة النخلي، وفهرسة ابن سالم البصري، والسلسل القاضي للحضيري، والئبة البسيرة النافعة، التي هي لأستمار بعض أحوال الشعب الكائنية راجعة.

لشيخنا الإمام سيدى محمد بن جعفر الكتاني، والفتح الوهي للحجاج العربي بن داود، وأداء الحق الفرض في النبي الذي يقظون ما أمر الله به أن يوصيل ويفسدون في الأرض، لأخينا النسبية المعتمي مولاي عبد الحي الكتاني، وسلوك الطريق الوردية للشيخ المريد والزاوية للإمام الزيادي، وفهرسة سيدى العربي الدمناني وثبت الأمير الكبير، وثبت ابن الصباح، والشجرة الشما لمولاي الزكي العلوي، وسلك
الدرلاوي الفضل المرادي، وكتب صله الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير، ورحلة الإمام العبدي، والاستقصاء، ورحلة ابن عثمان المكناسي، المسماة إجراء المعلى والرقيب، وبيعة الوعاة، واللدر الضاوية، واللدر البهية، وفهرسة الشيخ التاودي، وفهرسة أبي القاسم الميري، وذيل السلوك وعجائب الآثار، والروض الهمت، والمعجم المختصر لشرح الإحياء، والقاموس، والإصابة، وما تلقيته من مشايخي النقد، وأخلاقي الأنتاج، أو نقلته من كتابتهم أو شاهدته بالعيان إلى غير هذا مما يطول تعداده وقد اكتشفت بذكر المواد التي لي منها الاستمداد، عن نسبة النقل في الترجم غالباً فقول:

***
المطلب الثالث
[في تراجم السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء]
حرف الألف

1 - منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن بحبي بن أبي حفاظ مهدي الإمام المكناسي.

حاله: فقيه نحوي، مشارك نبيل، ماجد وجهه، وقى أحد الفضلاء الرحلانين. دخل الشام والعراق وأفاد واستفاد وكانت له يد في الشعر والأدب. ذكره الذهبي وأورده صاحب بغية الوعاء ونسبه لمكناسة.

مشيخته: سمع من أبي الحسين بن زرقوة وطائفة بإشبيلية.

الأخذون عنه: أخذ عنه الحافظ الدمشقي وغيره.

ولادته: ولد سنة ستمائة.

وفاته: توفي بالفيوم سنة ست وستين وستمائة.

2 - ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المصمدي التلمسياني.

حاله: كان عالما شهداً مدرسا صالحاً من أئمة الولاية صبياً، وحل من رياض العلم وازداد مكانا علياً، جاهد في العلم والعبادة إلى الغاية القصوى، ورعا وزهداً وإشارة، متبعاً على البذور، متبعاً طريق السلف أحب الناس لذاكره العلم، كثير الرغبة في الاجتماع بأهل العلم والفضل، شديد المحبة في المذاكرة، أعلم أهل وقته بالسير وأخبار السلف والعلماء كافة من متقدم ومنتأخر.

انقطع خدمة الله تعالى فكفاءها ما أهمه، له كرامات كثيرة، منها ما حدث به

ملحوظة:
1 - من مصادر ترجمته: بغية الوعاء 1/419، تاريخ الإسلام، وفيات (1-670) ص 219.
2 - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج 1/99، نيل الإتيجاح 1/427.
اصيح، وابن حبيب دون الشهرة لعذر، ثم حصل له فيلم شديد، فاعتقدت أنه عقوبة لترك الشهرة، ثم رفت الشيخ وآنا متألم فقال له: مالك يا فلان؟ فقلت: ذنب، فقال فأولا: لا ذنب على من قلد أصيح وابن حبيب.
وكان رما يرد ما يهدى له من طعام فرميا يتفقد المهدي فيه. موجب الرد من شبهة فيه من ضجر أهل البيت أو غيره.
قال السوداني في (العناية المحتاج) وذكر غير واحد أنه كان خارج البلد في وقت لا يدرك فيه الباب ثم ضمه في البلد، وكان يمس جيد الكساء فقط يعي رأسه أكثر الأوقات، وكان إذا وجد نوار الريش أمن النظر في ألوانه وصفته ففيلغبه الحال ويتواجه ويتبتخئ ويقول هذا خلق الله الآية.
ولد بمكتاسة الزيتون وقرأ بنفس.

مشيخته: أخذ عن الإمام موسى العبدوسي، والإمام الآبلي، وشريف العلماء أبي عبد الله التلمساني، والقاضي سعيد العبقياني.

الأخذون عنه: من جملتهم أبو عبد الله بن جميل وناهيك به.

وفاته: توفي عام خمسة وثمانية وحضر جنازته السلطان على قدمه.

3- ومنهم: إبراهيم بن عبد الكريم أبو إسحاق.

حاله: كان فقيها مدرسا بمكتاسة الزيتون، يقرر أقوال الأئمة وكلام الناس والمختصرين، ويعلم الصبيان ويدرس المدونه.

وفاته: توفي بعد سبعة عشر وسبعمائة.

4- ومنهم: أبو إسحاق الشيخ إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري(1)

حاله: كان من أهل المعرفة بالعربية واللغة والأدب، وتجاوز البلاد معلما بها.

4 - من مصادر ترجمته: بنفس الوعدة 4/26، التكملة لابن الأبار 122/1، جذوة الاقتباس 88/5، صلة الصلة 5/ برقم 84.

(1) تعرف في المطبوع إلى: المجري، وصوابه لدى ابن الأبار الذي ينقل عنه المصنف.
تعلم الطب وفقد للعلاج بوطِجة، واستقر آخر عمره فباس في نحو ست وخمسين سنة. قال ابن الأبار في "تكملته" أكثر خبره عن ابن عزيز (1) ذكره ابن عبّاد وفيه عن غيره.

ميشقتله: روى عن أبيه، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي الحسن بن سيدة وأبي إسحاق بن خفاجة، وله فيه مدخ.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

5- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الزرهوني.

حالة: كان من صدور كتاب الدولة الرشيدية العلوية الحسنية وأجل حملة الأقاليم بها، أدبه نحراً، منتشرا بلعبا وجبها مجدلا، فقيهها نبيها ارحبها مهداً، ملحوظا بين الإجلال والإكرام من عظام دولة السلطان الأفخم مولاي الرشيد بن الشريف بن على الحسني السلماني.

وفاته: توفي عشية الاثنين سابع عشر شعبان عام ألف وثمانين رحمه الله.

6- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز الخطابي.

من ذرية الوالي الأكبر سيدي عبد الله المحياط دفين جبل زرْهْون.

حالة: فقيه جليل قدوة، ماجد بركة، نزيه عالي المكانة، ولي صالح مثيرك به أورده في جواهر السماط وقال: إنه دفين داخل باب الفتوح من فاس، ولم يذكر له غير هذا.

(1) تصرف في المطبوع إلى "عزيز" بالزاي المفعمة في آخره، وصوابه ندى ابن الأبار الذي ينقل عنه المصدر.

5- مصادر ترجمته: الإعلام بن غفر في موسوعة أعلام المغرب 4/156.

6- من مصادر ترجمته: إتحاف المطالب في موسوعة أعلام المغرب 28/8 وفه ووفاته سنة 1308 هـ.

312
7 - ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن القائد الطبيب الأندلسي المراكشي ثم المكسي ثم التونسي.

أحد أطباء الحضرة السلطانية الإسماعيلية.

حاله: طبيب ماهر حكيم عظيم الشان من أجلة الحكماء المتبقين الكامل
المهارة، الملازمين لسيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، المرجع إليه
في العضلات من الداء، وكانت مسائله كلها متفتنة.

وكان له بمكانة حاولت اتخاذها ليقصده الناس للسؤال عن مسائل الطب
ولاشراء الأدوية منه، ثم انتقل إلى تونس واتخذ بها حاتوته لما ذكر وسمى نفسه
هناك محمد الأندلسي، فغير اسمه لأمر ملعم أوجهه إلى ذلك، والضرورات
تبيح المحظورات، كذا أخبر عنه تلميذه ابن شقرون الطبيب المكسي بصاحب
الشروحات المتناولة بين أيدي عامة الناس وخاصتهم، حسبما وقفت على ذلك بخط
العلامة البيت المتقن السيد محمد فتحا الخياط بن إبراهيم الشنائي - بن فرائ -
dلاكالي الأصل، من أولاد ابن إبراهيم الذكاليين فاس، بتشهم بيت علم وصلاح
ومتانا دين ورياسة وجلالة.

الأخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد عبد القادر بن شقرون المكسي مسائل
كثير من الطب.

8 - أحمد الجهني السلطان أبو المعاس أحمد(1) العبي بن نهر ملوك
المغرب وأعظم سلاطينه سيدنا الجد مولانا إسماعيل بن الشريف
الحسني العلوي.

آتي الترجمة قريباً بحول الله.

---

8 - من مصادر ترجمته: نشر الثاني في موسوعة أعلام المغرب 1/5/1000.

(1) في هامش المطبوع: قال الحافظ السقايلي في تنصير المتبه بتحرير المنشمة: ظلماءن أن
أول من تسمى بأحمد بعد نبي الله ووالد الخليل بن أحمد. لكن رزم الإثني أشهده أنه
كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد. أفاد ذلك أبو بكر بن فتحون في ذله على
الاستيعاب.
حالة: كان جوادا كريما شفيفا حليما، وكل ما صدر من الشدة والقساوة
وقتل الأنس في دولتي فبالتزام من العباد وإكراره له على فعله، وقد كان قيد حياة
أبيه ساعيا فيما يرضي ظاهره، استخلصه والده بقطر تدلا وغيره حسبما أوضحتنا
ذلك في "الموضوع" لم يسمع عنه ما يبر مدة تقلباته في أطوار الخلافة
على والده، وسره بوفر العطاء الشامل للتقاصي والداني.
ولما نقل الله والده إليه - وذلك يوم السبت ثامن عشرين رجب عام تسع
وثلاثين ومانة وليف - اجتمع رأى قواد العباد ذوي الشروانة وأبطال الودايا
ورؤسائها ثم العلماء والأشراف والوزراء والكتاب وصدر الدولة على بعثة المترجم
فيابعه بإلزام لهم من العباد وزرعوا بينه بذر الفوضي والعتو، وأوقدا نيران
الفتن.
وحملهم على اختيار المترجم دون باقي إخوته ما عرف به من الجواد والبذل
الواسع، حتى إن الأمير الإنجليزي البحرى "توما ميلودام" حكي في رحلته المطبوعة
باللغة الإنجليزية أن العسكر فروا به تزويته لكونه كان يعدل لهم جم العطاء، ولم
يكن والده عهد إليه كما زعم الزيناني، فقد ذكر صاحب "الجيش" أن السلطان
العادل مولانا سليمان كان يتحكي لهم ماراً أن مولانا إسماعيل لما ايفن بالموت دعا
رفيقه وسلم حضرته أبا العباس اليمامي وأكد عليه في أن يشر عليه مي صلح
للولاية على المسلمين من بعده، وكان آخر الأمر بعد المنامات التامة قوله: يا
مولانا، أعلم أنه ليس لك ولد، أولا ولدلك. فقال له السلطان صدقت والله،
wودعه وخرج ولم يعهد لأحد، قال: وكان مولانا سليمان يتحكي ذلك في شأن
بعض أولاده، وأما قول الزيناني: إن مولاي أحمد ولي العهد فليس كذلك، ومن
العجب أنه قال إنه سيصه هذه الحكايته من مولانا سليمان كما سمعنا منه ولا بعد
فيه ثم يقول: إنه ولي العهد، مع أن مولاي أحمد رحمه الله قبل إنه كان لا يفع
نفسه لمعد صحه فهو طافح دائماً. إنه ي.
ولم يعرج على العهد له في قدرة السلوك وريحانة العلماء والملوك، مؤلفه

314
العلامة الأصيل، المفهو الجليل، مولانا عبد السلام بن السلطان الأعظم سيد
محمد بن عبد الله، ورب البيت أدي بما فيه، وأهل مكة أدي بشعبابها، ولا سند
ولا سلف للزياني فيما تقوله واختلقه، وإنما التقدم والتأخير إذ ذاك كان بيد العبيد
حسب أراضهم الشخصية حسبما علم بالاستقرار من أحوالهم الاستبدادية:
اشاعوا أن والده عهد إليه كي لا تسوء نفسه إخوه لمنازعته أمره، و اختلقوا له
طابعاً باسماً وكتبوا عدة مكاتب لسائر الباقع الغريب وطبعوها بطابعه مظهرين أن
والده عهد إليه بالخلافة من بعده، وموعينيما كان له من الحظوة والمكانة مدة
خلافته لديه، وأنه لم يحفظ عنه إذ ذاك ما يندس سمعته أو يبتغ عليه، وأوعدوا
من شق عصا طاعته بما يلزم البغاة المحاربين، وصرحوا بكينونته عند أمره في
الشدة والرخاء والنشط والفكر، والحال أنهم مصرون على خلاف ذلك إن لم يكن
رهين نظرهم.

وأما شاهد أهل مكانس الجلد من المترجم وأنه عزم على تدمير مدينتهم بما
نصبه عليها من الدافع – حسبما ذكر ذلك الأمير تومي الإنجليزي في رحلته ونقله
عن مختصر الرحلة صحفية 9 – بأبعده خوفاً من تدمير المدافع وصولة العبيد
وقواهم على الامثال ما سمعوا المترجم يعلن به من أن لا يقبض من الرعية غير
الزكوات والأعشار فتمت له البيعة بمكانس.

وبلغ نعي والده أهل فاس – وقد كانوا قاموا قرمة شناعة في وجه عاملهم
أبي على الروسي – فاجتمع العلماء والأعيان وذوى الخيل والإبرام بالضريح
الإدريسي الأزر، وبايعوا المترجم وأودعوا عليه بيعتهم للمعاصية المكانسة جمعية
موفقة من وجه الأشراف والعلماء والتجار وذوي الخبيثات، وطلقوهم مملوءة رعباً
بما صدر منهم من الإيقاع بعاملهم المذكور وتهب أمواله، معتقدين أن يقابلهم بما
يقابل به من ارتقب ما ارتكبهم من الإجرام لا يدرون أي باب من أبواب الاعتبار
يثلجون، ولم مثلوا بين يديه لم يبال ب ما اقترفوا ولا رفع لافتياتهم رأساً كأنه لم يكن

315
له أدني علم بذلك الحادث الجليل، مع أنهم قتلوا العامل وثمانين من أصحابه كما في اختصار رحلة تومي الإنجليزي. بل هش، وبس، وأكرم، وعظم، وخص كل واحد على حدة بعثه له بال، وأجري عليهم ببلادهم جريءات مشاهير ومساندة ورشح الفقيه السيد محمد المسكنى لقضاء فاس والطيب المثيري لحظتها ولعمالتها القائد محجوب العليل، ورجع الوفد الفاسي يرسل في حلول النشاط والانباضة بعد الخوف والقنوط، وفي اختصار رحلة تومي الإنجليزي التصريح بأن أهل فاس تأخروا عن البيعة، وله ذي تطرفعه أو تأخر نسب، وإذا فساق أحواله يقضي أنهم بادروا بالبيعه قبل غيرهم والله أعلم.

ثم وردت البيعات من سائر الأصول المغربية على الحضرة السلطانية وتلقي الوافدين على اختلاف طبقاتهم بكل بشاشة وطلاقة، وأحسن لكل فرد منهم على حدته، وأكرم مثواه، وأتبعه الكرامة حيث سار ورد كلا على منصبه الذي تركه فيه والده وأفاض المال ووصل سائر الروعه بصلات سنة فأحتج القلوب وأطمانت النفس وابتهجت وفرحت الروعه واستبشرت.

لما رأى العبيد أن الملك لازال قائما تسوه ساماته المهرة الذين حنكتهم التجارب وأتممت غروس الاخلاص والصديق للملك في قلوبهم ونبذهم مهازي الشهوة والأغراض الشخصية وراءهم ظهرا، طبق حال تنظيم المملكة أيام والد المترجم، أظلم الجو في أعينهم حيث خيل بينهم وبين ما يشتهون من نهب بورت الأموال، وجعل الإمارة ألمعية بين أيديهم وكبر ذلك عليهم، وعلموا أنه لا سبيل لتحصيلهم على أعراضهم الفاسدة ما دامت المناصب عامرة بأربابها ذوي النجدة والأفعال السديدة والآراء المصفية والسياسة المؤسسة البنان، على تقوي من الله ورضوان.

وافتق رأي كبارهم على أن يبسوسو للسلطان في أركان الملك ويختلفون لهم معايبة بلفظونها بجيدهم ويدسون لهم دسائس حتى يوغرؤ قلب السلطان عليهم ويالغون جهدهم وطاقتهم في إغرائه على قتلهم وتظافروا على ذلك: فصار
كل من اجتمع منهم مع السلطان يبيدي له دسائس في قوالب نصائح ويقول له يا سيدي: إن ملكك لازال إلى الآن لم يتم، ولا يؤمن عليك من هؤلاء العمال والوزراء والكتاب الذين كانت بيدهم مقاليد الملك أيام والدك، فإنهم لا يرون شيئاً وانت ممحوج بهم عن الرعية، ولا بد من قيامهم عليك وتسليمهم غيرك من إخوتك وترشيحهم للملك دونك، وكان المرجح يملى إليهم كل أميل لضعف فكرته عن السياسة وتديب أمر الملك والرياسة، أي ولكونه مغلوباً على أمره يخفف بأسهم ولا يرى رأياً إلا رأيهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولما تمكنوا منه وأوغرموا صدره على من بيده الخيل والإبرام من ولاة أمره وأمر والده من قبله أغور أو أي بعد أن أقاموا له الحرج على الفتى بأركان السياسة الذين هم للملك عماد كابي العباس أحمد بن علي العليزي وكان عامل الجبال كلها سهلها ووعدها نافذ الحكم فيها، يرسل رسولاً واحده في قضايا متعددة فتنتشر الأوامر كلها وفق ما أمر في أقرب الأوقات، ويأتي الرجل الواحد إليه بالمساجين العديدة من صياصي الجبل والقبائل العظيمة من غير قيد ولا يحدث أحد نفسه بالهروب لعلمه يبذؤ كلمته وطول يده في طول البلاد والعرب، وأنه لات حين مناص، وقد كان هذا العامل ناصحاً للسلطان يجمع المال من وجوهه ويوده في خزائن السلطان يبذل التصح ولا يعرف غشا ولا خديعة، وكان السلطان مولانا إسماعيل يعرف أمانته وصدقه وينزله منزلته ويدره قدره ولا يسمع فيه مقاله طاعن.

وعلى بن يش: وكان قائد أهل الديوان وعامل البرير ورئيس العمال، وكان من ذوي الري والتدبير والعقل الراصخ، لا يقدر أحد من البرير أن يملك فرسا ولا مكحلة ولا يحوم حول ذلك، وسبب ذلك صارت رؤوس الجبال البريرية الصعبة المسالك عبر فيها الأطفال وضعاف النساء في أماكن واطمئنان لا يحققهم أدني مروع ولا مشوش.
وابن الأشقر: وكان عاملًا على جبل زَرُّون، وعلى يده أعشار البوادي والحواضر من زروع ومواشي وزيوت وغير ذلك، وكان عليه مدار الجيوش، وإليه مرجع أمرها ذا رأي مصيب ووثاب ونصب وإخلاص وتبقي وحزم وعزم.

وحاكه الملوك الخصيّ مرجان الكبير وكان بيده دفتر الداخل والخارج لا يطلع على ذلك غيره قريب أو بعيد، وكان العارف بالعوائد الجارية في الصلات مسانده ومشاره، وما يدفع للجيوش وغيرهم في الأعياد والمواسم وغيرها لا يعرف ضبط ذلك وتحقيقه غيره، وقد كان محور شئون الدولة على هؤلاء الأربعة يدور لتحقيق متبوعهم صدقهم وآمانهم وسباستهم وكياستهم وعلمهم من أين تؤكل الكثف بعد السير والامتحان والاختبار.

وبمبت هؤلاء الأربعة احتل النظام وضربت الفوضى والاستبداد الأطباق، ووقع من العامة استخفاف عظيم بأمر المملكة واشن النهب في الطرقات وأغلقت المسالك، ولم يأمن المسافر من الوقوع في الهاك.

وحصل أهل الزيج على غاية مناهم وكثيرت الشكو بباب السلطان والسلطان داخل قصوره ضارب صفحًا عما وراء بابه لا يسمع شكوي ولا يتصير لملوم من ظالم، أي لكونه أسند الأمر لرؤساء العبيد المنتصبين، وذوي السلطة ومن لا ينفذ له أمر دونهم.

ومن جملة من قتلها وصلبه الفقيه العلامة القاضي الوزير السيد محمد بن العياشي الذي كان بيده دواوين الخرابين(1).

(1) وكذا رواية صاحب الاستقصا 78/5 - وله: الخرطومي عاماه في عرف أهل المغرب: العتبق، وأصله الحرف الثاني كان الحر الأصلي حرّر أول، وهذا العتبق حرّر ثان، ثم كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطاني على ضرب من التخفيف.
ثم نظروا فببالي شجى في نحوهم يحول بينهم وبين ثمان مراهم فلم يجدوا غير الحاجب المعمل المقيم مرحان الصغير فقتلوه، ثم قتلوه عامل مكانة ابن عدو، ثم أشاروا بقتل من بقي من يشام إلى بجودة الرأي وحسن التدبير، والنسح للأمير، حتى خلا لهم الجو واتسع الخرق على المرتق.

فبموت أحمد بن علي اليازيغي ثار أهل الجبال وأضرمت نيران العفو والفساد ورفضت الأوامر السلطانية وانقطعت الجبهات وانثرت العبث والنهب في الطرق واتبعت الأهواء.

وبموت على بن يشري خرج البرابر من السلاسل والأغلال وتفنوسا في اشتراء الخيل والسلاح، ورجعوا لحالتهم الأولى من سفك الدماء وقطع الطرقات، ولم يبق لهم زاجر ولا رادع.

وبموت ابن الأشقر كف الزاهدة عن الأداءات وتحصنوا بجبلهم خوفا من البرير وصُمموا على قتال من أنام وضاعت أعشار القبائل وزكواتهم ولم يعرف منها نقي ولا قطير.

وبقتل مرحان الكبير جهل الخارج ولم يدر قدر الداخل فأخرقت الدفاتر الحافظة لذلك، وسبب ذلك نال العبيد مناهم وحصلوا على ضالتهم المشوهة.

وأما احتل النظام وتضاحشت المظلوم وأكل القوي الضعيف واضطربت الأحوال، واشتكنت الأحوال، وثارت الثوار بسائر النواحي خرج المترجم من دار الملك وأفعى المال ورد للمعبيد فوقع المتاعداً منه أن ذلك يجيده في رتذ ذلك الفتق العظيم، ثم رجع لقصوره أي حيث رأى أنه لا سبيل له لأكثر مما فعل.

قال في «نشر المثنى» ووقعت هدنة بين الناس عن الحرب، إلا أن أهل فاس رفضوا جميع ما كان يجري عليهم من الوظائف السلطانية وحملوا الأسلحة وركوا الخيل، ووضع الناس بالفرح والسرور، واشتفوا بالملاهي في النزهات والتألق في اللباس والجلوس في الطرقات أفواجاً مقبلين على اللهو واللعب والسريان (1).

(1) في نشر المثنى: «والهذين».

319
كل متسع من أرقة فاس، ولم يبق للألحام السلطانية نفوذ فيها بل في سائر المغرب، وليس للسلطان سوى الدعاء على المتأبار والاسم، وكتم العام كله على هذه الحالة - يعني عام ثمانية وثلاثين - وكثير في المغرب الفتنة والأهوال فكان هذا هو الأصل في الفتنة التي ظهرت بعده. اده من النسخة الصحيحة من نشر المثنى(1) مقالة في الدور المثير.

ومن جملة من نثار، وسعي في الأرض الفاسد من الثوار: أحمد بن علي الريفي والقصص وقطاع الطريق ونهض بتلك الجيوش يريد دخول تطاوين ومبايعة أهله لها - وقادةهن إذ ذاك عمر الوفاق آتي الترجئة في حرف العين بحول الله وقوته - ففصولوا بأفواه القتابل ووقع بينهما قتال عظيم مات فيه كثير من الفريقين، قبل إنه دخلها وهم بأهلها فاتسروا عليه وصدوه.

والذي صفحه في الدور المثير» أنه لم يدخلها، وأن الكرمة كانت عليه من أول الأمر، ودعنا الوفاق لنفسه وكرت الهجر والمهر واشتغلت نيران الفتنة، وكتب أهل تطاوين للسلطان المترجم وقصوا عليه القصص وشرحوا له ما هم فيه من الضيق والحرج وطلبوا نصرته وتعزيزهم بجيش ينكس آلام البغاة المتمردين ويكسر شوكتهم كي ترجع المياه إلى مجاريها ويعتب الأئمة في تلك الناحية.

وأما وصلت رسالهم بالكتاب وعلم فحواو، وأحاظ علما بسره ونحوه عرضه على المسيطر عليه من أعيان العبيد وهو إذ ذلك مضرور بأعلى يده من جانبهم فاجابوه بان هذا الأمر لا يهم ولا يرفع إليه رسول، لأن عادة أهل الريف مع جيرانهم المداوا والقتال دائما، ولو علما أن الريفي ادعى هذا الدعوى لبادروا إلى قتاله وأبدوا بجيشه وصبروا جميعهم في خير كان، فاستصوب رأيهم قائلًا هذا رأي، ولم يدر أن لهم إنما تصلوا خوفا على أنفسهم وركونا للراحة لعلهم أن الجيش الذي يسعه السلطان لا يكون إلا منهم، فاختراعا الراحة وأعرضوا عن مصالح الإسلام والمسلمين، وبيت رسل أهل تطاوين مبنية بالعراق لم يبال بها.

(1) نشر المثنى - ص 730 في موسوعة أعلام المغرب.
أحد مسنداء الأمر لغير أهلا، وإذا أخبر بحادث جهل، يقول: كل ما قدر الرحمن مفعول.

وأما رجل تطوان إلى بلدهم وأخبرهم بحقيقة الحال وأنه لسلطان في الحقيقة، وإقاها هي فوضى مترتبة من شهاوي وأغراض قاموا في تحصين بلادهم على ساق واشتند القتال بين الريفية والقبائل التي أتت من مبايعته على هواه وكان النصر حليفهم والخذلان قرين الريف إلى أن قتل وأرّاح الله منه البلاد والعباد.

وفي اختصار "رحلة تومي" الإنجليزي صاحفته 12، 13, 14, 15، 16، ما فيه بعض مخالفات لما ذكره صاحب "الدر المكتوب" في الجملة وذلك أنه حكي أن الباشا أحمد هو الذي كان عاملًا على تطوان، وأن أهل تطوان ومجاميعهم من الجبال هم الذين قاموا على العامل المذكور مع رئيس الفئة إذ ذاك بليز، فقاموا على الريفين ونهموا أموالهم وقتلوا منهم من لم يدخل معهم في اتفاقيتهم، فطلب الباشا أحمد الريفي الإعانة على أهل الجبال ومن أقاموا الفئة من أهل تطوان فامتنعوا، فعند ذلك وجه إليهم عسكر سبعة فامتنعوا من تلبية وآن آخاه والي طنجة لما علم بما ذكر له بأبيه أحمد المذكور في خمساتة فارس، ولم وصل تطوان ولاه أخوه أحمد مكانه بتطارين وترك معه أدلة من العبيد وخرج هو في أثر الثائرين، ثم إن أهل تطوان لم ينقلوا أخا الباشا عاملًا عليهم فحضره في داره وعدد ذلك أمر الآخ الذي بتطارين بإيقد النار في دار البارود فانهد فانهد ما حولها من الدور، ثم هرب العامل مع لفيف من أصحابه إلى بعض الأضراحة، ثم إلى طنجة، وأن أهل تطوان أكلوا دار ونهموا أجته وامتعته، ووجهوا يعتهم للذهب والخرى بأن سبب قيامهم على العامل هو ظلله لهم في حرب.

وأما علمت القبائل حقيقة ما صار إليه الأمر بعد السلطان الأعظم ملالة إسماعيل نبذوا الأوامر السلطانية وراءهم ظهروا وامتطوا متي الاستبداد، ود cryptocahnf في الأرض بالفساد، واكل القوي الضعيف وشقت شركة البربر وعزمت ولم يبق إلا

221
النهب والسلب واشتد الضيق بكناسة والسلطان بها، حتى صار خارجها مسلوباً،
وداخلها مهيبة، تغير البرابر على مسحها ومتح مهلاً من العمل بجنتها.
ولما تيقن العبيد أن السيل بلغ الزيب، أجمعوا رأبهم على أنه لابد من شد
الوطاة على متmericة البرابر وكسر شوكتهم قائلين إنهم آذوناوآذوا جوازنا
واستضفونا، ونحن ما مات سيدنا حتى تركنا أصحاب قوة وبأس شديد، يذيب
ربعنا الحيد، فركبهم منا يزيد على الخمسة ألفا وأغاروا على سرح البرابر في
سائر الجهات والموايا ورجعوا لكناسة من غير أن يتعرض لهم البربري ثم اجتمع
رؤوس البرابر ووجوه العبيد واتفق رأبهم على أن البرابر لا يتعرض لههم أحد داخل
المدينة ولا خارجها، وأن البرابر لا يتعرضون لمأتي لكناسة ولا من خرج منها.
انتهى، ما عسول عليه ما ساهم أيضا في "الدر المنتخب"، وهذا بعض ما جري عام
تسعة وثلاثين الذي جلس فيه الترجم على عرش ملكة والده المقدس.
أما عام أربعين فقد قال العالمة المؤرخ ابن إبراهيم الككالي في "تقاليد
التاريخية" ما نصه: وفي ضحي يوم الخميس رابع عشر ربيع الأول عام أربعين أغار
الودية على سوق الخميس، واشتكوا بالسلب والنهب وضربوا الناس بالرصاص،
فانتدب أهل فاس لقتالهم من النزوال إلى الغروب من جهة المس، فقبض الأودية
على بعض أهل فاس وسجنوه بنفس الجد، وفي آخر النهار أخذ أهل فاس
قصبة شراكسة واستولوا عليها.
ثم بالغد وقع قتال أيضا بظهر الرماكة، ثم يوم السبت وقع قتال بينهم بناحية
بستون باب الجيزة وكانت الغلبة لاهل فاس.
ثم وقع الصلح بينهم يوم الاثنين وذلك برضوة سيدب أبي بكر بن العربي
نفع الله به وسراحوا المسجونين بعد أن قتلوا منهم طائفة، ثم أخذ الأودية في قطع
الطريق.

327
ومن الغد جاء كتاب من عند السلطان يسأل عن الظالم من الفريقين وقرئي
بنبر سولانا إدريس، ثم ما سمع الح kiếmة وشراكة وأولاد جامع بهذا الأمر جاوا
إعانا لاهل فاس ظنا منهم أن ما فعله الأوردية ليس بإذن السلطان، فلما تحق بما
ذلك فإنه انصرفوا لمواضعهم وبيقى الأمر يروح إلى يوم الأربعاء الموسمي عشرين
خرج الأشراف والعلماء بقصد الملاقاة مع السلطان.
وفي يوم الخميس بعده وقع قتال باب الفتح وحضر فيه الحبينا ومن
انضاف إليهم وبيقى من خيل الأوردية نحو من ستة وثلاثين، ووقع قتال بالوادي
المالح بباب الجبس يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر ومات فيه من أهل فاس
نحو السنة.
وفي الرابع والعشرين جاء شريف من ذهب للاجابة لسلطان وآخر أنهم لم
يتلاقوا مع السلطان وأن على ويش أمر بهم فسجنوا إلا هذا السيريف بخصوصه،
وجاء كتاب من أخت الأمير تهدهم فيه وتذكر أمرًا تقتضي أنهم ظالمون، ثم
أجاب أهل فاس على الكتاب المذكور ويقي الأمر يروح إلى يوم الشام والعشرين
قدم جماعة من عبيد مشرع الرملة يبحثون عن حقيقة الأمر لأن الوداية كتبوا لهم
أن أهل فاس شقوا العصا على السلطان، فأضافهم أهل فاس أحسن ضيافة
وأثربهم بحقيقة الأمر، وانصرفوا يوم السبت الموسمي ثلاثين، وفي عشية هذا
اليوم وقع قتال مع محلة جاءت من عند السلطان قرب بسيون باب الفتح ولم
يكن فيه أحد من أهل فاس.
ثم صار السلطان يبعث البعثات ويكزج الجيش لوفرة قاس وأمرهم بالتضييق
على أهلها وقطع عنهم الداخل والخارج وركب الألفاض والمهارين ليمرهم بها
البب.
وفي ثاني ربيع الثانى رمي البب على فاس سبع مرات ولم تضر أحداً.

٣٧٣
وركب أهل فاس نفسي بالزياط يرمي لناحية المحلة النازلة بظهر الرمية ثم كتب أهل فاس كتاباً لعبد مشرع الرملة.
وفي زوال يوم الأربعاء رابع الشهر المذكور وقع القتال أيضاً بقنطرة ابن طاطور مات فيه من أهل فاس نحو السبعة.
ومن الغد وقع قتال كبير واسعت من الزوال إلى الغروب بالوضع المذكور ومات فيه من أهل فاس نحو الثمانية ومن غيرهم عدد كبير، وفي صيحة هذا اليوم هدم أهل فاس المنزه الذي بدار أبي على الروسي ونهبوا دار صهره المزار.
وفي الثاني عشر من الشهر كان قتال كبير بناحية باب الحدود، وامتد من الضحى إلى الغروب، مات فيه من أهل فاس نحو الثمانية ومن غيرهم من أهل المحلة نحو أربعين رجلاً ونحو الثلاثين من الخيل. وفي عشي هذا اليوم قدم الأشرف الذين كانوا مسجونين بكناسة ومعهم مولاي المستضيء(1) وأشرف مكاسة إلى قبعتهما الصلح بين الفريقين، ثم ذهب مولاي المستضيء مع جماعة من أعيان أهل فاس من أشراط وعلماء، ونزلوا مع السلطان ففرح بهم وسامحهم، وقال لهم: أرسل ولدي ليسكن معكم وهو أمان بيني وبينكم، وقدم الذين ذهبوا مع مولاي المستضيء يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني المذكور بين المغرب والعشاء وضجت المدينة وظنوا أنهم عدو قتيلين خلاف ذلك بعد ما وقع الحزام(2).
وفي السادس والعشرين ورد أبو فارس والذى السلطان، وتعلقت الناس بظهور هو بالناس، ثم إن بعض الشياطين من الناس أمر في أذنيه أن أهل فاس عزموا على قتال إن دخلت إليهم فنكص على عقبه وولى هاربا، فوقعت رجفة وأخذ أهل...

(1) في نشر الثاني - ص 402 في موسوعة أعلام المغرب، إشارة إلى بعض هذه الأحداث.
(2) في هامش الطيغ: «يريد بالحزام أخذ الأهلة - وسعيد هذا المؤرخ - اعنى ابن إبراهيم - مثل هذا التعبير العامي.»

224
فاس بعض أصحابه وقتلوا وبات مولاي أبو فارس بالمحلة وتغير الناس لذلك
والغد أرسل إليه وأنانوا له القول واصطلحوا معه وأتى إلى المدينة معهم.
وفي التاسع من جمادي الأول رحلت المحلة عن فاس بعد ما أصابتهم المشفة
العظيمية من الكور والبمب. وفي يوم السبت الثالث عشر من الشهر خرج القائد
المجوب هاري، وقد كان أهل فاس أعطوه الأمان حين كان القتال مع السلطان.
وفي عشية هذا اليوم وقع الشر أيضا بين أهل فاس والودية عند باب
الجيش.
وفي العشرين كان آخر شر بالمحل المذكور وامتد إلى الغروب ومات كثير من
الودية ومن أهل فاس نحو خمسة عشر رجلا وجرح كثير منهم.
وفي الثالث والعشرين كان شر كبير عند باب الجفيف بفاس الجديد، وذلك
أن أهل فاس اتفقوا أن يذهبوا لفاس الجديد ويأخذوا قهراء، فتحمزوا وخرجوا
على ظهر الرملة بعدد كثيرون، فلمما رأهم الوداية أيقنوا بالهلاك وتحيروا أنهم
لا يقرون على ملائاتهم، ثم إن الله تعالى ألقى في قلوبهم الرعب
فرجعوا من حينهم هاررين وتبغهم الودية بالقتل والضرب والسلب والنهب ومات
منهم ما بين مفقود وسقط في الوادي ومقتول ما ينيف على عشرين.
وفي يوم السبت خامس جمادي الثانية وقع قتال بوادي المالح خارج باب
الجيش، واشتهر من الزوال إلى الليل مات من أهل فاس نحو العشرين ومن الودية
أكثر من ذلك.
وفي ليلة الجمعة الخامس والعشرين رماوا على فاس سبعة من البمب.
ومن الغد وقع أيضا شر بالوادي المالح فجاء الودية بعدد كبير وانهزموا
وقطع منهم أهل فاس رؤوسا وقتلوا منهم ما يزيد على الأربعين، وأما الجرحى

325
فكثر، ومات من أهل فاس نحو العشيرة، ثم في هذا اليوم نفسه رموا على فاس تسعة من البمب ونزلت في المواقع الخالية، ثم رموا في يومين بين ليل ونهار نحو الثلاثين، ثم رموا تسعا.

وفي يوم الجمعة الثاني رجب وقع حزام قبل الصلاة، وأخرج القائد عبد الوهاب الناس من المسجد خوفا على المدينة، وترك خطيب الأندلس نصر السلطان في الخطبة ونصره خطيب القرويين.

وفي رابع رجب وقع شر كبير لم ير مثله ومع الوداية قبائل كثيرة مات من أهل فاس نحو اثني عشر رجلا.

ومن الغد رموا اثني عشر من البمب.

وفي السادس الشهر جاء جيش عظيم وأحاطوا بالمدينة واجتمعوا بدار ابن عمرو ووجه موسي الجرازي إلى باب الجيزة وبعث رسولًا يطلب الأمان حتى يتكلم مع علماء فاس، فأجابوه لذلك وتكلموا معه حتى لم يجد حجة وانصرف مع العصر يريد أن يصلح أهل فاس مع السلطان.

وفي الثاني عشر رجب خرج علماء أهل فاس وأشرافها وجماعة من الأعيان صحبة موسي الجرازي بعد ما أعطاهم رهائن من قومه تركهم بناس وقدموا لكناسة ولم يلتاقوا مع السلطان وإنما تلاقوا مع الدائرة ولم يصلوا على طالب ورجعوا لفاس تاسع عشر الشهر المذكور.

وفي السابع والعشرين فتح بعض رؤساء فاس باب الفتح ليلًا وأخرج منها بعض أحمال السلع بقصد التجارة على يد بعض أشراف تافيلالت، وقبض من صحابها نحو العشيرة مثاليًا ثم بلغ الخبر للجماعة فأرادوا الانتقام من فعله فوقعته فيه الشفاعنة، وكان من آراد الانتقام منه مولاي عبد الله بن إدريس وأراد عزل
القرواني فلم تساعد الجماعة، فبعث إلى موسى الجبري وقال له: إن أهل فاس أرادوا مولاي إدريس فأخذت الجماعة بخاطر حتى سكن.

وفي يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر وقع شر كبير بالواقي الديما، مات من أهل فاس نحو الثلاثين، وجرح نحو الخمسين، ومات من الودية نحو ثلاثمائة وجرح نحو الثمانين، وصاروا يرمون البمب في اليومين بعد على أهل فاس.

اهم ما ذكره ابن إبراهيم ونحوه في نشر الثاني.

قال في "الده المتخشب" ولما ترك الأمير ما كان عليه والده من القوة وحسن التدبير في الأمور وقع في النكبات، حتى عزل ولم يبق إليه النفقات، وهكذا يقع لكل ملك ترك التدبير، وعدم التفرقة بين الأمير اليسير والعسير، اجتمع أهل فاس وغيرهم من أبيات القبائل وصناديقهم - غير الأودية لم تتنتمم في سلكهم - واتفق رأيهم على خلع الترجم وبيعة غيره من يقوم بأمور المسلمين من إخوته.1) ولم وصل الخبر بالعبيد تيقنوا أنهم إذا لم يساعدوا للدخول فيهما دخل إليه أهل فاس ومن اتصام إليهم بخرج الأمير من أبديهم ويبذون بالعمراء ويحل بينهم وبين ما يشتهون من الاستبداد ونهب بيوت الأموال وأكل أموال الناس بالباطل، فألجعوا أمرهم بيتهم وتفاوضوا في تدبير حيلة يدخلون بها على أهل فاس ومن انتظم في سلكهم من عصب القبائل، ورأوا أن لاحيله تخلصهم إلا إظهار الأشقاء والضجر من الترجم وتصميم العزم على خلعه لمعجز عن القيام بتدبير أمور الرعية حتى عم الفساد وضياء الفوضوي في سائر الإيالة الأطلاب، وكتبوا لاهل فاس والودية، بأن السلطان عجز عن الولاية، وأنه لابد من تقديم من يقوم بأمور المسلمين، من نهاء إخوته المقتدرين، وأن هذا الحق كان وقوعهم منهم وأنهم يريدون جبر كسره.

1) نشر الثاني - ص 5 2 في موسوعة أعلام المغرب.
على أيديهم وأن مولاي عبد الملك(1) بسوس هو أحق وأولي بالقيام بأعمال الخلافة.
ورتق ما تسبب فيه آخرترجم من الفتق، وأنهم يطلبون من أهل فاس والوداية
الموافقة على هذا الأمر الذي فيه صلاح الأمة وخلق باب التهور والافتيات،
فاستحسن أهل فاس والوداية ذلك منهم وتمت الحيلة عليهم وأجابوا العبيد بتحية
ما رأوا، وأنهم لا خروج لهم عمدا أبومرو واتفق رأيهم عليه، ففرح العبيد
وأستفسروا وأرسلوا إلى مولاي عبد الملك بسو، وما بلغه الخبر لبي دعواهم.
وأجاب رغبتهم، وجد في المسير وطوى المراحل وصاحب الترجمة في غمرته ساه.
وأما وصل مولاي عبد الملك لوادي بهت واتصل الخير بالعبيد دخلوا على
الترجم لدار ملكه وألقوا عليه القبض وأخرجوا من دار الملك وسجنه بالدار التي
كانت معدة لسكنان قبل ولايته على عهد والده، وأحاطوا به شرذمة من الحرس
لحراسته ونادوا بخلعه والضرب على بده، وقيل: إنهم فعلوا به ذلك قبل تعين
السلطان في سابع شعبان، ومن الغد وصل الخير لفاس.
وفي تاسع شعبان قدم العبيد إلى مشرع الرملة والعلماء والأشراف على فاس
فتهيأ أهل فاس لملائاتهم في ثمانين ألفا من الرماة ورحبو بهم وأضافوه أحسن
ضيفاء، وشرحو لهم عجز المخلوع عن القيام بمصالح الرعية وما آلم إليه بسبب
إهماله البلاد والعباد، من انعدام الأمن، وتسبقات القوي على الضعيف، وأن رأيهم
اجتمع على بيعة أخوه المولى عبد الملك لنجدته وشجاعته وحزمه وعزمه وضبطه
وحسن سيرته وسياسته وعدله ومعيله للسلم والإصلاح بين الناس، وأنهم شهدوا
منه ذلك في حياة والده حيث خالف عليه ويويع بشارودانت، ففرح أهل فاس
بولايته لأنهم حر كوا معه فكان يحسن إليهم ويواسي ضعفهم ويصرهم ويطيب

(1) خبر الخيل للترجم له: أحمد الزهبي ومبايعة أخوه عبد الملك ورد في نشر الثاني - ص

228

2005 وما بعدها في موسوعة أعلام المغرب.
أنفسهم على ما يقاسون من أدي عمال والده، فتوافق الجمع على نصره وخلع أخيه المولى أحمد، وأعلنوا بذلك في الأسواق والأندية، قيل: كان ذلك في عاشر شعبان.

وفي يوم الجمعة الرابع عشر منه خطب به على المنابر في سائر المساجد وخلفوا بمكناسة الزيتون ولده، وأبردوا بريداً لولي عبد المالك بعلمه بسائر ما وقع وبيته على تعجيل القدوم عليهم للعاصمة المكناسية، فصار الرسول يطوي المرحل متابعاً المكاتب بشرح الواقع، ويقوم وصول الخبر لولي عبد المالك أسرع السير إلى أن حل بالضريح الإدريسية الأكبر تابع رمضان، وهناك جمع به وفد شرفاء فاس وعلمائها وأعيانها ورماثها مع القبائل المجاوية لهم فأكرم وقادهم وأنزلهم بوادي الشجرة بجناح هلال وأفضي عليهم موائد الإفطار والإكرام والصلوات الضافية فسروا واستبشروا.

ومن الغد دخل مكناسة فتلقاه وجهوهما على اختلاف طبقاتهم وقدموا إليه بيعتهم.

وفي الثالث والعشرين من رمضان شرع في قراءة صحيح البخاري في جمع من أعيان العلماء وأصدر أورامه لجميع القبائل بحضور العبد بحضسته فامتلك الكل فغمرهم موائد وصلات وعوائد.

وفي رابع شوال عزل التماثق عن قضاء فاس، وولي مكانته العلامة أبي العباس الشدادي وولي الهمة العري العساسي.

وأما تم له الأمر واستقر على عرش ملكه بمكناس قام أهل فاس وغيرهم يطلبون أخذ تأريهم من أخيه السلطان المرجم وأصفوا به أمواجأ أرتكبها تبعاً لاهل الظلم والتعدي. قال في الدر المتخت: نقلنا عن نشر المثنى: إن مولاي

329
عبد المالك، استفسى العلماء في أمور شنيعة شنعوا على أخيه مولاي أحمد توجب القتل من ارتكبها وفعلها، وكثر بها الكلام على الأئمة منها طلب أهل فاس أن ينصفهم من أخيه مولاي أحمد المذكور بكونهم لم يخرجوا عنه ولا قدرة لهم على ذلك ولا على حرب من يريد ذلك ولا على موافقتهم بقول ولا فعل، فنهبوا أمولهم وحوشت أشجارهم وهمت دورهم بالبمرب، وماتت نساؤهم وأولادهم وآباؤهم وأجلوهم بالحقل، مع أن ينسب له الخروج عليه لم يتحقق منه ذلك ولم يثبت عليه وفاها يدفع عن نفسه النداء وغيرهم من الجيش الذين كانوا يهبون أمولهم ويريدون الورث على ناسهم كما فعلوا بالبرتاء والخواضر فنسوا الخروج إليهم ليحصلوا ما أرادوا فيه، ووضوا باهل فاس إلى مولاي أحمد ونسوا لهم الخروج عليه قبل منهم ذلك من غير ثبوت لهم على أهل فاس، فأطلقهم عليهم فخاخ العلماء في ذلك ولم تنفق أقوالهم ولا آراءهم في شيء فلم يجيبوا عن شيء واصفوا على أن التفويض في ذلك للسultan يهود، وبحكم بائجهادة، فاستشار في ذلك كتابه أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي فأجابه بأنه لم يتم موجب قتله بما طلب به بعض الضعفاء من أهل فاس من المؤمنين ورجع عما استفسى فيه العلماء عن قتله. انتهى.

ثم أرسل مولاي عبد المالك أخيه الوالي أحمد المترجم مسجحاً لسجن فاس الجديد، فأتى به إليه مصدق بالخديد تاسع الشهر قبل إنه رق له بعد ذلك وسرره وبي مسرحا نحو ثمانية أيام، ثم بداله سجنه وإجلاسه إلى الصحرا، ظانا أنه يستريح منه، وقبض عليه ووجهه في الثامن والعشرين من الشهر المذكور، وأمر ولده بعمل عن عمه المترجم ومنزل وصوله إليه، فكان من لطف الله به أن بلغه ما أضره لأخوه القائم عليه فهرب لزاوية أبي عثمان سعيد احتجاز بقبيلة أيت عطة، وكان قيم الزاوية إذ ذاك ولده أبو يعقوب يوسف بن سعيد - وكان من المحدثين - فأخبره برجوعه لملكه وعود الامور إليه.
ثم لما بدأ للعبيد من الموالي عبد الملك ماليم يوافق هواهم من التبذير وتفريق الأموال في غير مستحقة بل حتى في مستحقة وقيامه بأمور الملكة بنفسه واستتروحا رائحة عزمه على الابتعاد بهم ضاق بهم المسح وشموا على ساق في خلعه، ورد الموالي أحمد لبسط كله وإلقائه رماد الملك بأيديهم يصرفون في الرعايا والجبابئ وبيروت الأموال كيف شاء هواهم.

وأما أحصى بذلك الموالي عبد الملك أخذ في الاحتياط لنفسه وتربي الدوائر بهم، ولكن بأيه حيله ولم تغن عنه احتياطاته شيئاً كم سيقص عليه في ترجمته بعد بحول الله.

وفي صبيحة عيد الأضحى من العام أعلن العبيد بخلق ريقة يبعثه من اعتاقهم ومنعوا خطيب مشرع الرملة من التعرض لذكرو في خطبته وألزموا ذكر الموالي أحمد الشرح وطياروا الإعلام إله، و لما اتصل به الخبر أسرع المسير إليهم وفي ميعته صاحب الزاوية الخلصحية الذكور وقد انضم إليهم بو حسن وتحملوا وتعاقدوا على بينه والموت تحت رايته وارتحلوا جميعاً إلى مكاسة حيث عرش المملكة، فهم الموالي عبد الملك بالبروز إليهم ومعقاتهم، فجمهر الودية بالخروج عليه وبيعة أخيه وبرعوا فوراً في قتال جيه، وحق بهم العبيد إلى مكاسة يوم الاثنين الرابع عشر ذي الحجة عام أربعين(1).

ثم نادى بعض رؤساء العبيد على بعض من باب قصبة السلطان الموالي للقبة الخضراء بنصر أخيه الموالي عبد الله وكانت خناثة بنت(2) بكار المغفي - روجة مولانا إسماعيل - هي الساكنة بتلك الدار الموالية لذلك الباب، فلما سمعت نداء بنصر ولدها فتحت الباب من ناحيتها فبينما الناس يقاتلون بتواحي مكاسة إذ سمعوا بدخول العبيد للقصبة فسقط في أيديهم، وخرج السلطان ناجياً بنفسه في

---
(1) نشر الثاني - ص 808 في موسوعة أعلام المغرب.
(2) في نشر الثاني الذي ينقل عنه المصنف خاتمة وفى الاستقصاء 5/78. خناثة بنت بكار المغفي.
نحو ثلاثمائة من أصحابه، وسلك غير طريق فاس المشهورة، ووقع في القصة
نهر عظيم وأعادوا النزارة على مكناسة ب مثل ذلك نهبا وسببا وهتكا للحرمتات،
وارتكاب سائر المحرمتات، وكان ذلك ثاني اليوم المذكور (1).

ولما وصل مولاي عبد الملك أبواب فاس اضطراب رأي أهلها، فمنهم من
رأى أن الأولى صده عن الدخول إليها لبعضهم عن مقاومة حرب العبيد الساعين
في الأرض الفساد، وخفافا أن يوقعوا بهم ما أوفرموه بمكناس وقصته، ورأى
السواد الأعظم منهم دخوله والمقاتلة دونه، لأنه الخليفة الذي بيعته في أعبائهم
وطاعتهم واجبه عليهم والحال أنه بين أظهرهم فأخذوه واستوطن دار القيطون، وما
رأى الجمهور من إدخاله هو رأي جل علمائهم، وانضم إلى أهل فاس كل من لم
يخرج عن المولى عبد الملك من القبائل على ما سيبين في محلة بحول الله (2).

وقيل: إن مولاي أحمد المتجم وصل مكناسة في أواخر ذي الحجة من العام
المذكور، وأن مولاي عبد الملك لما فر ترك رماة أهل فاس بقصبة مكناسة وكانوا
نحو الألفين، وأن مولاي أحمد لما حل بمكناس قبض على الرماة المذكورين
وقدوهم وأودعهم بالسراية رجاء أن يرجع أهل فاس إلى طاعته، ولما اتصل الخبر
بأهل فاس خرجوا خيلا ورجالا إلى زواحف ومنهجا للودابة جميع ما وجدوا من
الماشية، واجدوا بذلك لفاس، فيبع الكبش بثلاث مزونات والبقر بثمانين عشرة
موزونة واستغاث الوداية بإخوانهم الحالين بمكناس والعبيد.

وفي أول يوم من المحرم جاء المولى أحمد لقائمة فاس بجنود لا حصر لها
وهم لا يشكون في دخول فاس والإيقاع بأهلها أفطعا مم فعلموه بمكناس، ثم بدأ
مولاي أحمد أن يوجه القائد صالح الليريني قائد الرماة المسجونين بكتاب لأهل

(1) نشر الثاني - ص 2008 في موسوعة أعلام المغرب.
(2) نشر الثاني - ص 2008 في موسوعة أعلام المغرب.
فاس يحذرونهم ما صنعوا ويجبرهم على بيعه الترجم والدخول تحت طاعته،
وبعدهم يسرح بإخوانهم الروما المسجونين، وما وصل الليبريني إليهم وقرروا
الكتاب المذكور وثبوا على الليبريني فقتلوه وصلبوا على الثورة الكائنة بسوق
الصفراء، وقبلوا الحاج الخياط عديل بداره بالمعلدي، وتمادوا على قتل كل من ذكر
الترجم حتى لم يبق لابسه ذكر بفاس.
وفينسادس محرم نوادي في وقت الصلاة بهجوم العدو وخرج الناس من
المسجد وصلوا الجمعية ظهرها فكش الغيب أن لا عدو فاطمانوا وأقاموا صلاة
الجامعة وخطبوا بولاي عبد المالك.
وفي يوم السبت سابع محرم وقع قتال كبير بين أهل فاس والوداية والعيد،
مات من أهل فاس نحو ثمانية وجرح نحو العشرين، ومات من الوداية ومن انضم
إليهم نحو أربعمائة.
قال في نشر الثاني، وفي تاسع المحرم قدم على السلطان مولاي أحمد من
بقي (1) من جيشه من قبائل المغرب فأحاطت الجيوش بمدينة فاس كالحائط، فلما
أصبح يوم عاشوراء برز (2) جيش العبيد على فاس، واحاطوا بها إحاطة السوار
بالمعصم، وقصدوا دفعة واحدة ولم يخرج لهم أحد من أهل فاس، واما
حاربوهم من أسوارها إلا القليل خرج إليهم، فهزم الله تعالى الجيوش كلها، ولم
يتم من أهل فاس أحد إلا الولي الصالح سيدي العربي بن عيسى، لأنه خرج
على باب المسافرين فأصابه رصاصة فقتله، وحكموا أنهم منعوه من الخروج أولا
分钟后 عليه فقال: إن لم تتركوني آخر يدخل عليكم العدو يشير أنه الطالب من
الله تعالى أن يعرفهم عن فاس وأنه افتتح نفسه وأنه حصل لاهل فاس دهش.

(1) مختر في المطبوع إلى: "ما بقي"، وصوابه من نشر المثاني الذي ينقل عنه المصنف.
(2) في نشر المثاني: "ميّز".

333
عظمهم. ثم كتب لهم مولاي أحمد رسائل يدعوهما إلى خلع مولاي عبد الملك والدخول في طاعته فامتنعوا، وهو في ذلك مساعد للمائد، ولا ثقة كان حاله إنيا يريد الراحة لكن كان الأمر والنهي للملؤ، وليس له من الملك إلا الاسم لمسمى لا يقطع أمر، إلا ما يأمره [هنا] وإلى هذا اعتذرت أهل فاس وامتنعوا من الدخول تحت العبد. ثم حمي وطيب الفتنة وبقي الحرب سجالاً(1).

وردد الخبر بأن سفيان وبني مالك وشراكة وأولاد جامع والحيابة اجتمعوا يريدون أن ينصروا مولى عبد الملك لأنهم باقون على عهد ولم يخلعواه، فوجد لهم العبيد جيشاً فاقتها مع القبائل قرب وادي إينول(2) فانهزمت القبائل وبقي منهم قليل كثيرون(3).

ومن جملة من دخل مع(4) القبائل وزير مولاي عبد الملك مولاي المتنصر بن مولانا إسماعيل، وحمل إلى فاس ودفن بروضاً سيد الخياط بالدوحة من فاس القرويين، قتله الوادية وأرسلوه مع بعض المحبوبين من أهل فاس، وقصدهم بذلك تحقق مولاي عبد الملك بهزيمة جيشه، فحيثذ يس وانقطع رجاؤه من المدد(5).

وفي رواية أن الذي قدم بمولاي المتنصر سيد عبد الله القصري في الرابع عشر من المحرم ودفن ليلاً وحضره جنارته السلطان مولاي عبد الملك وأعيان المدينة، وشد العبيد الخصار على فاس، وقطعوا الماء عن عدوة القرويين وأدنوا محلتهم لسورها.

(1) نشر المثنائي - ص 2018 وما بين حاصرتين منه.
(2) في المطبوع: إيناونو، والثابت من نشر المثنائي الذي ينقل عنه المصدر.
(3) نشر المثنائي - ص 2018 في موسوعة أعلام المغرب.
(4) تحرر في المطبوع إلى: ومن، وصولاً في نشر المثنائي.
(5) نشر المثنائي - ص 2018 في موسوعة أعلام المغرب.

٣٣٤
وفي ثامن عشر محرم ركبوا نفيتين على المدينة قرب سيدي الحسن الدراوي، ورموها في ذلك اليوم نحوًا من أربع وعشرين كورة، وبلغت وقعت قتال كبير على جميع الابواب خصوصاً باب الفتح، لأنهم أرادوا أن يغفووا البسنتين واجروا إليه بالسلاسل فانهزموا، ومات من أهل فاس نحو العشرين ورموا في ذلك اليوم كورة كبير.

وفي اليوم الموافق عشرين رماوا نحو خمس وأربعين كورة، وبالغد رموا نحو العشرين.

وفي يوم الأحد الثاني والعشرين وقع قتال عظيم عند سيدي الحسن الدراوي، وفيه مات الحاج عبد الرحمن المفروج قائد الأندلس ونحو العشرين رجلاً بين قتيل وجريح.

وفي السادس والعشرين وقع قتال عظيم بوادي الملاح بباب الجيزة من الضحى إلى الظهر مات فيه من أهل فاس ثلاثة، وزوج ستة وسنين الغير عدد كثير، ورموه في ذلك اليوم من الكور والبب عددًا كثيرًا في كورة واحدة نحو سبع أرباع، وركوا بقصبة شرابة بالحمرية أربعة عشر نفساً وكانوا يرمون بها ليلة ونهارًا من كل جهاتها وأحاطوا بها أشجار، فكأنو بينهم وبينها أقل من رمية بتكحلة، وربما كان رصاصهم يبلغ سطح الدور من بعض جهاتها فتصيب من يكون بالأسطحة، ووقع ضيق عظيم بالمدينة وهدم بالبب كثير، ومات كثير من النساء والاطفال ومن لا يستطيع منها ولا دفعاً من الرجال العاجزين عن القتال، ونهب أهل الحلة المنس الكبير الذي بين سيدي على بن حرازهم (1) وسيدي الحسن الدراوي إلى سور المدينة وحطموا الأشجار وتحملوا على دخول فاس، وانحل من المدينة الدور التي يصل إليها الرمي بالكور والبب واقتصر على سكيني ما لا يصل إليه، ورتب أهل فاس الحرس على الأسوار وحفروا واديا خارج السور.

(1) محرف في المطبوع إلى: حرازم وصوابه لدى السيدي في طبقاته 258/6
محيطا به وأخر أبعد منه من جهة باب الجيزة، وتجدنا للمدافعة عن أنفسهم وعن أهل المسكنة من المؤمنين الذين لا يستطيعون دفعها ولا منها العاجزين عن القتال وعن المنع أو القبول بالقول باللسان، متوجهين إلى الله في اللطف والنजاة وإخماد الفتنة. متضرعين إلى الله لا تذين بحمي الله وحمي رسوله وأولائه، وظهر في ذلك لطف عظيم وأمر عظيمة وأهل المدينة يخرجون للجيش خارج السور لا يرضىون بالاقتصار على السور، وكان جيش العبيد مع ما انضما إلىهم قدر مائة ألف.

ثم إن القبائل التي انهزمت بوادي إينو أعادوا الجمع لاجل مولاي عبد المالك والمدافعة عنه وكانوا يتنزؤون الفرسه كيف يصلون إلى فاس من الجيش المحيط بهم، واستقرنا بموضع يقال له تيسة من أرض الحياينة، وكان العبيد يتهبون روع الحياينة الذي بأمرهم وياتون به للمنزلة فخرج العبيد لنهب الحياينة على العادة، فرصدهم القبائل المجتمعة بحجة واقتنوا مع العبيد، فهزموا العبيد وقطعوا رؤوسهم ونهبوا لهم من الدواب ما يزيد على سميتة.

ولما وصل الخبر للعبيد أرسلوا جيشا منهم ومن الأودية ووقع القتال أيضاً بتيجة فعلىهم جيش العبيد وهزهم وترقفت القبائل في الجهات. ولم تتبع العبيد إلا سياسان لكثرة حقدهم عليهم، حتى أدركهم فأوقعوا بهم مقتالة عظيمة فهرب سيمان لأحر ورازنا منهم أن العبيد لا يتبعونهم للحرم، فتبوعهم ودخلوا عليهم داخل وراز، ونهبوا الأمتعة والديار، وكانت هذه الوقعة على الناس بوران من أعظم الوقائع وذلك في الخامس والعشرين من صفر.

ورجع جيش العدو (1) من وراز إلى فاس ودخلهم من العجب ما أطمهم بالاستيلاء على فاس، وقد كان العبيد حين دخلوا لقتال القبائل صادفوه الفقه.

(1) نشر الثاني - ص 2019 في موسوعة أعلام المغرب.
السيد أحمد بن سيد محمد القشملاني بحور الحبانية متوجها إلى فاس، وقد كان قاضيا بتأزا فقتلوه ومثلوا به.

وفي صفر أيضا وقع قتال عظيم على جميع أبواب فاس حضره فيها مولاي أحمد السلطان وأصحابه وجاءوا من ناحية باب الجسة، وأظهر اللمطيون في ذلك اليوم قوة عظيمة وقتلوا من الجيش ما يزيد على مائتي وخمسين وق DUIUM يختبئوا وأسلحتهم، ومعا فيهم من أهل فاس نحو خمسة عشر رجلا منهم التاجر بو عزة الشرايدي.

وفي الخامس من ربيع الأول كان قتال كبير أيضا باب الجسة مات من أهل فاس نحو اثني عشر رجلا، وجرح نحو العشرين ومن الفريق الآخر عدد كبير.

وفي الناسم منه كان القتال يمتصب باب الفتوح وباب المسافرين وباب الجسة، مات من أهل فاس عدد عديد يقارب المائة ومن القتال أضعاف ذلك.

وفي يوم الأربعاء الخامس عشر منه أو الرابع عشر سردوا جيشهم على أن يدفعوا على فاس دفعة واحدة من كل ناحية، وعلامة ذلك خروج نفض في كل محلة عند طلوع الفجر على حين غفلة من أهل فاس، فكان من قدر الله تعالى أن أخبر بذلك بعض أهل المخزن (1) بعض أهل الصلاح والولاية برسالة، فدفع الرسالة التي أتته من المحلة لأهل فاس فباطوا عليهم هر يترقبون ذلك (2).

فلما خرجت الأنفاس كان أهل المدينة على حذر، فإذا هم من كل حدب

---
(1) في هامش نشر الثاني - ص 202 هو: صالح بن صالح الأدولي، وكان من أصحاب الشيخ مولاي التهامي، والمراذ ببعض أهل الصلاح: سيد محمد بن التهامي المذكور.
(2) نشر الثاني - ص 202 في موسوعة أعلام المغرب.
يسلون إلى أسوار المدينة، وجاء العبيد بسلاليم كل سلم (1) يسع عشرة رجال في الدرجة الواحدة، وكانوا حفراً منيرة تحت بعض الأسوار قرب سيدي الحاج بودرهم، وجعلوا فيها البارود وأوقفوا فيها النار، وكان من لطف الله أن صعد السور بالبارود ورجع لملح ولم يعمل فيه البارود صدعاً فرجع العبيد في قيود الحزن ترتاح ولم يتألموا شيئاً (2).

ولما بدأ النهار ووضعت الحرب أوزارها وجدت قتلى العبيد صرعى على كل ناحية، وأكثرهم باب الفتوع، وهم عدد كبير. ومات من أهل فاس نحو الخامسين منهم الطالب عبد الواحد الجامعي، والطالب مسعود بن محمد القليلي، والسيد علال التونسي (3).

فمن هذه الوقعة أيس العبيد من دخول فاس عنوة، واستبشر أهل فاس وزال عنهم الفزع.

ثم صرف العبيد وجهتهم إلى استعمال الخيلة والمكيدة، وإرسال الكور والBUM (4)، وطال الأمر وانقطع عن يقوم بدعوة مولاي عبد المالك من كل موضع إلا فاس، وانقطع عنها اللحم والسروابون وجميع ما يجيء إليها من خارجها إلا الزرع والإدام كانا بها [كثيراً في هذا الحصار] (5).

وبقي كل من الرفيقين مصاباً للآخر إلى سادس عشر ربيع الثاني، جاءت محلة عظيمة ونزلت على فاس قادها الباشا مساهل، وهم أخلاء ملتقطين من بني

---

(1) في المطبوع: كل سلم وجيابها كلمة (كذا) والثابت من مختار الصحاح، وفيه: السلام، بفتح اللام واحد السلاليم التي يرتقي عليها.
(2) نشر الثاني - ص 200 في موسوعة أعلام المغرب.
(3) نشر الثاني - ص 200 في موسوعة أعلام المغرب.
(4) في نشر الثاني: "البب".
(5) نشر الثاني - ص 200 في موسوعة أعلام المغرب، وما بين حاصرتين منه.

338
حسن وغيرهم ودفعوا على القلة من باب الجيسة، مات منهم من (1) لا يحصى،
ومن فاس نحو العشرين.

ثم في يوم الأحد الرابع والعشرين منه وقع القتال بباب عجيسة، وبالوادي الملاح، وباشحية القلق وامتد من الفسفي إلى العصر، ومات من أهل فاس نحو الثلاثين، منهم القائد عبد الوهاب الغزاني. ومن الفريق الآخر من لا يحصى.
هـ ينقل "صاحب الدر المتخب".

وأما أشد الأمير وطلا وكبر الحر والمرج وعصف المصاب، واشتعلت نيران
القين من كل جانب، واشتبكت وارتبكت، وتم سجاح وحاشيته معين في مراوة
أهل فاس عن الخروج عن طاعة المولى عبد المالك والرجوع إلى طاعة المترجم،
وانتقلت آراء الأعلام والعوام في ذلك، أتكي الفقيه سيدي محمد ميارة بأنه لا يحل
الخروج عن طاعة مولاي عبد المالك ووافقه على ذلك الفقيه أبو عبد الله محمد
ابن عبد السلام بناني وأبو عبد الله محمد بن زكري، وخالقهم أبو العباس أحمد
ابن مبارك الفيلالي اللطفي قالا بوجه خليه ودفعه لأخيه المتغلب، لأنه لا قدرة
له على مقاومته، وبيق الأمر يروج ومال النعمان إلى فندقي ميارة ومن وافقه،
an والأندلسيون إلى فندى ابن المبارك ومن تبعه كأبي العلاء إدريس المشاط وأبي الحسن
على الخريشي.

وفي ضحي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى ذهب مولاي عبد المالك إلى
زاوية سيدي عبد القادر الفاسي موما أنه يزور وقصده السكال مع الأندلسيين
والأخير بهم فلم يلتقيا إلى عادة الغوغا في الرجوع عن أقوالهم.
قال العلاءة ابن إبراهيم الدكالي في "تقاليده التاريخية": ثم إن بعض الطلبة
اجتمعوا بجامع الأندلس مع الفقيه السيد أحمد بن مبارك وبكتما موجبا بإخراج
مولاي عبد المالك وعزله ونصر الذهبي، وجعلوا يطوونه على الناس في

(1) في الطبوع: "ما لا يحصى".
العساوات فيقولون: هل تعلمون الشرع أم لا؟ فيقولون: نعم، نعمل الشرع، فيقولون إن الشرع حكم بإخراج مولاي عبد الملك ونصر الذهبي أخيه حتى طافوا بذلك الموجب على جميع أسوار المدينة فتستغفر الناس بسبب هذا الفعل أشد التعبير (1)، وبقي الأمر كذلك إلى يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر وجاءت غوطة الأندلسين إلى أئمة المنابر وأمروهم أن لا يخطبوها مولاي عبد الملك، فبعضهم ترك نصره على المنبر، وبعضهم نصره، وبعضهم قال: الله انصر من نصره الحق المبين، واختفت الكلمة وكثر الهرج والقيل والقال بين الفريقيين، وكاد الأمر يعظ وغلبت الأعصار خصوصا الصابون يبع بخمسم مورونات للرطل.

ثم اجتمع الأندلسين واللمطويون بمدرسة الصارفين ليلا وأظهر الذين أرادوا خلع مولاي عبد الملك حاجتهم وسكت المخالفون لهم فعدل سكونتهم على موافقتهم وانفصل المجلس في الحين.

وفي يوم السبت السادس عشر اجتمع رؤساء الأندلسين منهم الحاج عبد الرحمن المرازي، وال الحاج محمد الأندلس، وال حاج محمد بوريجر، وأحمد بن عبد الوهاب الغزولي، والمجندوب إقلال اللطفي، وال حاج أحمد بودة اللطفي بروضة سيد محمد بن عباد مع من وافقهم من طيلة الوقت وكتبوا كتاباً للمولاي أحمد الذهبي واشتراطوا عليه شروطاً إن وفي بها خلعوا أخاه ونصره وعثروا له ذلك الكتاب، وبالغ أجابهم بأنه قبل ما شرطوه وذهب إليه جماعة من العلماء والأشراح وأهل الخز والعقد ففرح بهم فرحًا شديداً ووعدهم خيراً.

وفي يوم الاثنين الثامن عشر قدموا من عند مولاي أحمد ومعهم كتاب لاهل فاس يشكر فعلهم ويحيجك صنيعهم ويعلن بصامحتهم فيما صدر منهم ورد القائد المحجوبي عليهم فقرأ الكتاب بصحن القرويين وأعلنوا بنصره.

ومن الغد نودي بالأسواق على المخازن الذين مع مولاي عبد الملك بأن لا

(1) في المطبوع: اأشد الغيار، ويجابها كلمة (كذا).
يشترى أحد منهم سلاحا ولا غيره، ومن أخرى منهم شيئا لزمنه العقوقية، ونودي
ثاني ما دخل مولاي عبد الملك لحرم مولاي إدريس أن لا يدخل عليه أحد.
وفي عشية هذا اليوم جاء كتاب من عند الذهبي بأنه سامح أخاه وشفع فيه
أهل فاس، أنه إن أراد الخروج من الحرم الإدريسي والذهاب لتفالات فله ذلك،
وأما آخر مولاي عبد الملك بذلك امتنع عن الخروج وقال: إني في حرم الله ولا
حاجة لي بالملك، فشهد عليه بذلك وأرسلت الشهادة للذهبي.
ثم إن مولاي عبد الملك سمع ممن لا خلائق له من أهل فاس يقول في حقه: إن هذا الحرم لا يجر عاصيا، وسمع أن بعض الطلبة الذين أتى بهبلا أقروا
إبخار من الضريح الإدريسي، فبعث أحد أولاده لعبد مشرع الرملة يطلب منهم
لأمن لنفسه ويبقى معهم فاجابوه كتابة لذلك.
قال ابن إبراهيم: وفي ضحي يوم الخمس الحادي والعشرين من جمادى
الأولي قدم الباشا سالم الذكاري رئيس العبيد ومعه نحو الخمسين من أكابرهم
ودخلوا لحرم مولانا إدريس وتكلموا معه وأعطوه الأمان وأنهم لا يغدرونه، فخرج
معهم قرب الزوال مع جماعة من أصحابه وكلهم على خيلهم ولما كان مولاي
عبد الملك عند السقاية التي بزينة الحرم الإدريسي لقيه بعض الأندلسيين فقال له
نريد من سيدنا السماح فقال لهم: هذا السيد بني وبنكم ونصرف.
وكان الذي جد في خلعهم هم الأندلسيون، وكنا نسمع أن الذهبي بعث إليهم
بدرهم كثيرة فاقتسموها بينهم وكانت العامة تقول: أهل الأندلس باعوا سلطانهم
بالفولس.
ولما كان اليوم الذي دخل العبيد للحرم الإدريسي بقصد إخراج مولاي
عبد الملك ضج الناس بالمدينة وسدد بعضهم الدروب وتخرب المطمون وحلفوا أن

341
لا يتركوا أحداً يخرج كما كان، ثم دخل اللطبيون على مولاي عبد المالك وخلوها في المقام بفضريه الإدريسي والخروج مع العبيد، فاختار الخروج مع العبيد.

وأما ذهب معهم للمحلة أرسلوه لفاس الجديد وتتلاقى مع أخيه مولاي أحمد، فتئدب له ونزل عن فرسه وقمته وسلم عليه وأعطه مضممة من الذهب وفرسا سرح ذهب وأنزله بدار ابن شقرا ففرح الناس بذلك.

وفي الغد - وهو الثاني والعشرون من الشهر - بعث مولاي أحمد أخاه مولاي عبد المالك لمكنسة مسجونة فأصاب الناس كدر لا يعلمهم إلا الله.

وفي هذا اليوم ذهب أعيان فاس إلى فاس الجديد وصلوا معه الجمعوة وفرح بهم وأخذوا بخاطره وقدموا له هدية وشكوها فعله وسرح لهم المساجين الذين كانوا بمكنسة بالدهاليز، وأمر أهل فاس بالصلاة مع الودايا فاتصلحوا، وفي الغد وهو يوم السبت فتحت أبواب فاس كلها وأمن الناس بعضهم بعضاً.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين قلعت المحلة ورحلت وذهب السultan لمكنسة بعد الزوال، وودعه أهل فاس، وبعد ثمانية أيام ذهب أهل فاس إلى مكنسة طالبين من السultan أن يرد عليهم ما ننهبه لهم الودايا من الحماشي البلدي الذي كان بالبرج بفاس الجديد على يد القصاصين فلم يرد لههم.

وفي يوم الاثنين الثالث رجب جاء الفقيه السيد إدريس المشاط من عند السultan، أنه عزل سيدى أحمد الشداي عن خطة القضاء وولاها له فلم يقبله أهل فاس.

وفي الرابع عشر رجب جاء المشاط لجامع القرويين وصلى الظهر وجلس بمقصورة القضاء ليحكم بين الناس، فدفع عليه جماعة اللطبيين قائم هارباً.

٣٤٢
وفي ثامن عشر رجب جاء كتاب السلطان برد سيدي أحمد الشدادي للقضاء، وعزل المشاه وقرئ على المنبر وفرح الناس.
ثم بعد إبرام الصلح مع أهل فاس مرتمم قيل خرج من فاس صحيحاً وابتدأ أمره بكتانس، وقيل خرج من فاس مريضاً حمله العبيد في المحفة لكتانس، وعلى هذا القول أعني الثاني اقتصر في نشر المثنى (1).
وأما أشدته به المرض أرسل إلى أخيه سيدي محمد بن عريبة ومولاي سليمان ابن الجامعية - على ما قال - وجماعة من العبید أهل مشورته وأمرهم بقتل أخيه المولى عبد المالك ليلاً من غير أن يشعر به أحد، فختموا ليلة الثلاثاء الموافق ثلاثين من رجب وغسلوا بالماء البارد على لوح بضيافة جامع الزيتون.
وأما القتل مولاي عبد المالك شهيداً - رحمه الله - وشاع الخبر في الناس منهم من صدق الخبير ومنهم من أنكره، وكانوا يتبايعون بالاجل الذي هو ظهور مولاي عبد المالك حتى أنفسي الأمير إلى إخراجه من قبره برد الله ثراه ووضعه على الشافر حتى شاهده الخاص والعام وزال الريب.

(1) نشر المثنى - ص 2071 في موسوعة أعلام المغرب.
علاقته السياسية

لما لبي مولاي إسماعيل داعي مولاه، واتشقت لما قدمت يداه وجه ملك الإنجليزي القبطان (روسيل) سفيرًا للمترجم معزيا ومهينا وطلبًا قضاء الأسوار والدوام على حسن المعاملة مع التجار الذين يباليه المغربية والأماني على أنفسهم وأموالهم طبق ما كان الأمر جاريا عليه بين والده الفقيد.

ولما بلغ علم المترجم أن السفير حل بطنجة كتب له بما حاصله - حسبما جاء في صفحة 27 من تاريخ انقلابات دول المغرب بعد وفاة مولانا إسماعيل الذي ألفه القبطان (بريط ويت) الإنجليزي الذي ورد في رفقة السفير (روسيل) المذكور المترجم من الإنجليزية إلى الفرنسية - وبعد: فقد أخبرنا الباشا أحمد بن علي بن عبد الله الريفي أنكم وصلتم إلى جبل طارق ومعكم صاحب القائد المذكور الذي كان في عاصمة مملكتكم، وأخبرنا بما تولمنا من تجديد العهود التي كانت بين والدنا رحمه الله وبين دولكم، وعليهم فقدم لدينا صحبة الباشا أحمد بن علي وها مكاتب الإبضاء عليك بالطريق حتى تصل لدينا مصنونًا من كل مروع أنتم ومن معكم من الأصحاب أه. ملخصًا.

والصاحب الذي أشار إليه في هذا المكتوب الذي سماه صاحب التاريخ المنقول منه بوكلي كان رجلاً الجلد المقدس مولانا إسماعيل سفيرًا لملك إنكلترا وفي أيوبته من سفارته اتصل به نعي مرسؤل أثناء الطريق.

وكان هذا السفير من جملة أعوان القائد أحمد الريفي المذكور وهو الذي كان أشار على السلطان المرحوم بتعيينه سفيراً.

ولما حدث ما حدث بين القائد أحمد وابن أهل تطوان لما تلي عليك وعلم بذلك السفير والخال أنه تطوان الأصل والاستيكان، كبر عليه ذلك ولم يدر إلى 344
أين تكون وجهته، فإن قصد الريفي لطنجة ربما لا يأمن على عائلته بتطوأن من التضيق بهم ولسهم أمتعتهم وما لهم نكاهة له، وإن قصد أهله بتطوأن لا يدري ماذا تلد له الليالي، وقد كان كل من الريفي وأهل تطوان لما علموا بقدومه وجه إليه يأمره بالنزول من البحر لديه فاردات حيبرته، حتى هم بالرجل من حيث جاء إلى أن تطمثم البلاد وترفع المياه لمجاريها، وقد كان هذا السفير «ستابيا لهدايا مهمة من ملك الإنجليز لرسله».

وأما اتصل الخبر بصاحب الترجمة أوفد إليه الحاج عبد القادر لبريس جبل طارق يأمره بالقدوم لحضرته بمكاس، وعند ذلك لم يجد بدًا من التوجه للقائد أحمد الريفي بطنجة فتوجه لديه ثم ذهب للحضرة السلطانية.

وفي عشري قعدة الحرام عام تسعة وثلاثين وامانة وألف كتب الترجم لفصل الإنجليز وتجار التصاري الذي بتطوان يعلهم بأنه ولالي البشارة على بوشرة مكان البشارة أحمد الريفي عاملاً على إياه سهله ومعروها معاذا طنجة والعرائش وأصيبه، فإنه أعقبها لنظر الريفي المذكور، وأنه أمر بوشرة بسكنى تطوان وأنهم لا يرون من المذكور إلا كمال المجامbling والصيام التامة لأنفسهم وأموالهم حسبما بصحيفة 28 من تاريخ القلابات دول المغرب المذكور.

بناءه: منها القصة التي أنشأها ينادل حذر قصبة والده، واتخذ بها داره ومسجد أكبر من مسجد والده، كما أن قصبه أكبر، وزيدته في قبة ضريح والده كما تقدمت الإشارة لذلك في البناءات المكانية.

قضايا: منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التحماك الأندلسي الغزالي العالما المشاور، ولي قضاء فاس بعد امتتان والخطاب بالقراءين منها سادات صغر سنة أربعين وماه وألف، فعدل في الأحكام وتمزي الإنصاف والورع ومشاورة العلماء وأخرى رابع شوال من السنة المذكورة عن غير
ريبة. له من المؤلفات: حوائش علي شرح الحصن، وإزالة الدلسة عن أحكام الجلسة، وجمع الأقوال في ليس السروال، قبضه الله عفية الأربعاء عاشر الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائتان وألف، ترجمه في "النشر" والروضة المقصودة.

عماله: منهم على بوشيرة الوديني، وأحمد الريفي، والمحجوب العلج.

وفاته: توفي مسلولا رحمه الله ليلة السبت الرابع من شعبان عام أربعين ومائتين وألف طبق ما هو متفوق في رحمة ضريحه، ودفن خلف ظهر والده بقبة الضريح رحمه الله وبرث وغفر له آملأ.

9 - أبو العباس أحمد بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش المكتاسي
التاويدي (1).

حالة: كان فقيها حافظا لكتاب الله تعالى كثير التلاوة له متدينا ماهرا في معرفة الهيئة والتعديل، عمى آخر عمره فلما كان عند الموت تلا: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم جديد، فحدث حاضروه أن الله تعмиلى رد عليه بصري، قال حفيد أخيه أبو الخطاب: فل أادي أنص لهم على ذلك أم استندوا بالتلاوة، ووالده محمد بن حماد هو الذي كان يحتله يدر بن وجد في سبعة من أقارب، بالتخفيف إلى أن أصبحوا مذبحين، ولا غرابة في ذلك إذ الجاهلون لأهل العلم أعداء سنة الله ولن تجد لسنة الله تبدلا.

10 - أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن الولي الصالح المتبرك به عبد الله
زغبوش القرشي المكتاسي النشأة والدار والإقبال.

حالة: فقيه معظم، وجهه محترم، تفي زكي، بر طاهر مرسي، من بت مجد وفضل وعلم ودبيانة، وعفاف ونباهة وصيانته، تقلد وظائف إفرادا، وجمعه.
(1) في المطبوع: "التاويدي" بالراء.
342
وتقييد مناصب هداية ونفعا، كم نشأ في هذا البيت الكبير من عدول، وكم تفرع من فطاحل عن تلك الأصول، وكم تفتتوا في بلاغة النظم والمثل، حتى أصبح منهم روض العلم فنشر تحميد عقبه يوم النشر، وتطيل الأكواك من ريا ذلك النشر، رمتهما الجلاء الإسماعيلية بطرف القبل، وشملت عنايتهما بإدراك السوؤل، وحملهم على كاهل المبرة والاحترام، وأرفههم من منشوراته بما يعد من الآثار الفخامة، وناهيك بما يبتلى عليك من ذلك بعد في مرسموه الآخر، فإنه شاهد صدق أغر.

11 - أحمد بن عبد الملك بن محمد بن الحسين (1) بن عميرة المخزويمي

بلسمي شقوري الأصل يكنى أبا الطرف.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان أول طلب شديد العناية بشأن الرواية فكثر(2) من سماع الحديث، وأخذ عن مشايخ أمه، وتفنن في العلوم، ونظر في العقليات، وأصول الفقه، ومال إلى الأدب، فبرع به براعة عدد بها من كبار مجدي الدين.

وأما الكتابة فهو علمها المشهور، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور، ولاسيما في خطابة الأخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان، وله المطلقات المنتخبة، والقصص المقتضبة، وكان يعلم كلما نظمًا ونشرا بالإشارة إلى التاريخ، ويوعد إلئمات بالمسائل العلمية متعددة المقصد(3).

11 - من مصادر ترجمته: الإحاطة 1/ 173، تغية الوعي 1/ 137، جذوة الافتخار 1/ 145، الديهنج الذهب 1/ 179، الليل والتكملة 1/ 150، شجرة النور الزهيبة 1/ 167، عنوان النذارة - ص 298، المقتضب من نهفة القدم - ص 197، نفح الطيب 1/ 136، الواقي بالونيات 1/ 7/ 133.

(1) تعرف في المطبوع إلى: "الحسين".
(2) في المطبوع: "فاستكر" وآثبت لدى ابن عبد الملك الذي ينقل عنه المصدر.
(3) الليل والتكملة - السفر الأول - القسم الأول - ص 152.
وقال المَرَّي في "فنح الطيب" لدى تعرضه له ما لفظه: قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، وصدر الجلالة الفضلاء، ونكنة البلاغة (1)، التي قد أحرزها وأوسعها، وشمسها (2) التي أخفت ثواب توكبها حين أبدعها، مبدع البديع التي لم يحظ قبله بها إنسان، ولا ينطق عن تلاوتها لسان، إذ كان ينطق عن قربه صحيحة، وروية بدرر العلم فصيحة، ذلك له صعب الكلام، وصدّقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين - وهو الذي أتى جوا مع الكلام - في يده الإقلاع (3).

وقال ابن الأبار في تحفة القادم في حقه ما صورته: فائدة هذه المائة والواحد يفي بالفترة، الذي اعترف بالحادي الجمع، واتصف بالإبداع فماذا يتصف به البديع، ومعاذ الله أن أحليه بالتقديم، لما له من حق التعلم، كيف ونسيه الأشهر، ونطفه الياقوت والجهر، تحلله الصحف والملاحظ، وما تخلت عنه المغارب والمشارق، فحسب أن أجهد في أوصفه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول العموم والخصوص لذكره، وتناوب المؤثر والمظروحة على شكره (4).

وقال في الإحاطة: قلت: وعلى الجملة ذات أبي المطرف فيما ينزع إليه (5) ليست من ذات الأمثال: فقد كان نسيج وحيد، إدراكا وتفسينا، بصيرا بالعلم مُجْهَرًا مكرورًا راوية ثيابا، مبهرًا (6) في التاريخ والأخبار، ريانا مضطعا بالاصلين.

(1) في المطبوع: "البلاغة"، والمثبت رواية المقرى الذي ينقل عنه المصنف وهي المناسبة للمعنى.
(2) في المطبوع: "وشمسه"، والمثبت رواية المقرى.
(3) نفح الطبب / 1312.
(4) نقله المقرى في نفح الطيب / 1315.
(5) في المطبوع: "وعليه"، والمثبت لدى ابن الخطيب في الإحاطة الذي ينقل عنه المصنف.
(6) في متن الإحاطة: "سجرا"، وبالهاءيش: السجر: هو المليء".

348
قائمة على العربية واللغة، كلامه كبير الخلاوة والطلاوة، جمل العلوم(1)، غزير المعاني والمحاسن، شفاف اللفظ حراً المنى(2).

انتقل إلى العُدوة(3)، واستكتب الشديد أبو محمد بن عبد الواحد مراكش، مدة بسيرة، ثم صرف عن الكتابة وولاء قضاء مليئة من نظر مراكش الشرقي، فنفعت قلباً ثم نقله إلى رباط النست، وتوفي الرشيده فتارقة(4) على ذلك الوالي بعدن أبي الحسن المتضداد أخوه، ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون، ثم لما قتل المعتضد انفصل عن مكناسة، وحقت بيتته، وجري عليه طريقها ما يذكر في محته، ثم ركب البحر منها مستوجهها إلى إفريقية، فقدم بجاية على الأمير أبي زكريا، ثم توجه إلى تونس فنجحت بها وسالة، وولي قضاء مدينة الأريس، ثم انتقل إلى فاس وفيها طالت مدة ولايته، فاستدعاه المتصر بالله محمد بن أبي زكريا، واطف محله منه، حتى كان يحضر مجالس أنسه(5).

مشيخته: روي عن أبي الخطاب بن واجب، وأبي الريع بن سالم(6)، وأبي عبد الله بن فرج، وأبي على الشبلة، وأبي عمر بن عات، وأبي محمد بن حوَّل الله، لقيهم وقرأ عليهم وسمع منهم، وأجازوا له، وأجاز له من أهل الشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج وغيره(7).

(1) في الإحاطة: جمل العيون.
(2) الإحاطة 164/1.
(3) أي عدوة المغرب.
(4) في المطبوع: مقاماته، والمثبت من الإحاطة.
(5) الإحاطة 16/1.
(6) تحرف في المطبوع إلى: إسلام، وصوابه من الإحاطة والذيل والتكملة.
(7) الإحاطة 164/1.

349
الآخرون عنه: أخذ عنه ابنه أبو القاسم، وأبو بكر بن خطأب، وأبو إسحاق البلقيني الحفيد، والحسن بن طاهر بن علي الشقيري، وأبو عبد الله البري (1). وحدث عنه أبو جعفر بن الزبير، وابن شقيق (2)، وابن ربيع، وغيرهم ممن يطول ذكره.

شعره: من ذلك قوله موريا بالعلوم:

قد عكفتنا على الكتابة حينا
ثم جاءت خطة الفضاء تليها
مع كل لم يبق للجهد إلا
منزلة نائيا وعيا كريبا
nenسبة بدلت ولم تنغير
مثل ما يعزم المهندس فيها (3)

وقوله:

يا غائبًا سكبنتي الأرض غيبته
شوقى إليك فكيف الجمع بينهما
(4) دعوياً أنك في قلبي فعارضها
في صبري وقينت بينهما
فكيف صبري وقد كابدت بينهما
وقوله:

إن الكتاب أتي وساحة طرسه
هل حقوق ضاق وقت وجوبيه
ومن الوجوب (5) ضيق وموسع (6)
دوج توشح بالبدع مبرقع
(7)

(1) تحرف في المطبوع إلى البديء بالرأي. وصوابه من الاحاطة والدليل والتكملة.
(2) في المطبوع: "وابن شقيق" والثبت رواية الإحاطة.
(3) الإحاطة 1/177.
(4) الإحاطة 1/177.
(5) في المطبوع: "العجائب" والثبت رواية الإحاطة.
(6) الإحاطة 1/177.
(7)
وقوله:

وأتى atéر ٍكِي في وشاحك فانتي
أنصمت عصْنُ البارإذ لم تدعه
ورحَيتُ در العقد حين وضعته
كيف اللقاء وفعل وعدك سينه
وكما قومك نارهم ووقيدها

وقوله:

أري مَن جاء بالموسي مواسي
فهذا مخفَقٌ في قص شعرٍ

وقوله:

عيدُي الذي لشهدك تكبيري
مختصرة بزيادة التكبير

وقوله:

بابعْنآ ممودة هي عندي
فسأقضي بردا ثم أقضي

(1) في المطبوع: "التوادع"، والثابت رواية النفح.
(2) نفح الطبب ١٣١٥/١.
(3) نفح الطبب ١٣١٦/١.
(4) الإحاطة ١٧٧/١.
(5) الإحاطة ١٧٧/١.

٣٥١
وقوله:

شركت عليهم عند تسليم مهجتي
وعلق انعقاد البيع حتما يواصل
فلما أدرت الأذن بالشروط أعربوا
قالوا يصح البيع والشرط باطل

تئمه: من ذلك قوله من رسالة أجاب بها العباس بن أمية، وقد أعلمه باستيلاء
الروم على بلنسية:

بالله أي نحو تنحو، أو مسطور تثبت أو تنحو، وقد حذف الأصل
والزواائد، وذوى الصلة والعوائد، وباب التعجب طال، وحال البأس لا تخشي
انتقال، وذوى علامة الرفع، وفقدت نون الجمع، والمعتلم أعي الذبح،
والثلث أودي الفصيح، وامتنعت الجموع من الصرف، وأمنت زوائدها من الحذف
ومالت قواعد الملة، وصرنا جميع القلالة، وظهرت علامة الخفض، وجاء بدل الكل
من البعض.

مؤلفاته: له تأليف في كاتنة مَرْقَةٍ (3) وتغلب الروم عليها نحا فيه نحو
العماد الأصبهاني في الفتح القدسي، وكتابه في تعبيه على فخر الدين ابن الخطيب
الرازي في كتاب المعالم في أصول الفقه منه، ورد في كمال الدين أبي محمد
عبد الكريم السماك في كتابه المسمى بالثبتان في علم البيان، اختصار نبيل من
تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك من التعاليم والمقالات (4).

(1) الإحاطة 178/1
(2) الإحاطة 176/1
(3) كذا في متن الإحاطة 178/1 وهو الصواب، وهباهشها: في بعض النسخ الخاطئة;
المرية، وهو تعريف. وكاتبة ميروفة يقصد بها هنا استيلاء النصارى على جزيرة ميروفة،
كبرى جزائر البليار أو الجزائر الشرقية وذلك في سنة 727هـ، على يد ملكهم خايمي
ملك أرجون. وتعريف في المطبوع إلى: المرية.
(4) الإحاطة 178/1

٣٥٢
ودون الاستاذ أبو عبد الله ابن هانيء السبتي كاتبه وما يتحلّلها من الشعر
في سفرين بديعين آتقتا ترتيبهما، وسمي ذاك "بيغية المستطرف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف"(1).

محتته: لما قتل المعتضد اغتنم الفترة وانفصل عن مكناسة قاصدا سيتة فلقي الرفقة التي كان فيها جمع من بني ضرين فسلبه وكال من كان معه، وكان المهوب من ماله يعدل أربعة آلاف دينار، وكان ورقا وعيّنا وحليا أصيب بما له أحوج ما كان إليه(2) وقد استقبل الكبر ونازعه سوى الخض(3).

مولده: ولد بجزيرة شقر(4) وقيل ببلنسية في رمضان عام ستة وخمسين قال عبد الملك: ووهّم ابن الزبير في وفاته إذ جعلها في حدود الخمسين وستمئة أو بعدها(5).

12 - أبو العباس أحمد بن علي الزروهوني المكناسي.

حالة: فقيه علامة جليل محدث كامل ناقد أورده ابن لأبار في تكمله وغيره.

(1) الإحاطة 1/178/1.
(2) في الإحاطة: "أصيب بالغة ما أحوج ما كان إليه".
(3) الإحاطة 1/179/1.
(4) جزيرة شقر كانت تطلق أيام الدول الإسلامية على الجزيرة الكبيرة الواقعة في نهر شقر قبل مصبها في البحر المتوسط جنوب بلنسية. وكانت من أعظم المواقع في تلك المنطقة، وكانت تسمى أحيانا بالجزيرة فقط. وهو الاسم الذي استمر فيما بعد للبادية الإسبانية الواقعة على نهر شقر على مقرية من الجزيرة المذكورة. وقد كانت جزيرة شقر موطن كثير من العلماء والأدباء.
(5) الإحاطة 1/180.

12 - من مصادر ترجمته: التكملة لأبي الأبار 1/112/1.

٣٥٣
13- أب العباس أحمد: هو الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري.

من أهل شريف

حاله: كان فقيه جليلًا استوطن سلا وولاي بها القضاء، ثم بمدينة مكناسة.

مشيخته: روي عن أبي إسحاق بن قر قول.

وفاته: توفي سنة إحدى عشرة وسماة.

14- الولي الصالح الولِي أحمد الشبل عن الشريف الحسني.

لم آفِق على من تعرَّض لترجمته ولا على من له أدنى معرفة بشيء من حاله غير ما في بعض الرسوم من تحليله بالشريف الحسني، وما هو متروك في جَبَب دائرة باب مسجد ضريحه ولفظه:

هِا روضة الشبل كمسمار
نزع خالقك في بهاء محاسني
ذكر الأنام وواصل المهجان
فإذا دخلت ضريحه فاسال به

واسط أفكك المهيمن ضارعا
كهف الآمال وبغية المحتاج
واسأل تذكر فين الأناضلين ما

13- من مصادر ترجمته: الكتمة لابن الأبار 93/1, الذيل والتكملة 387/107 رقم 543.
يقال إن هذه القطعة لبعض الأدباء المكتنسين من أولاد القسنود، وقصيدة في مدحه أيضًا تأتي فيما بعد.

ويقال إن السيدة حبيبة بنت الحاج الطاهر بن العربي بادو، هي التي بنت ضريح هذ السيد ومسجد من مالها الخاص بها والخاصص لها، لرؤيا رأتها وقد كانت كفيفة البصر فرد الله عليها بصرها فثبت الضريح ومسجده، وهذا إن صح يحمل على مزيد التنميق أو التجديد، إلا أن أسلفنا لف ما هو نص في أن باني الضريح المذكور هو سيدنا الجد السلطان الأعظم المولى إسماعيل عليه صيب الرحمات، والله أعلم بحقيقة الحال.

16- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن ثييم البقري الشهير بالمكتاني.

أخو أبي الحسن الطنجي، شيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي.

حالة: فقيه عدل أستاذ نبيل فاضل ركي نزه.

مشيخته: منهم ابن هاني تلميذ ابن الشاط، وابن رشيد، وأبو يعقوب البادسي، وأبو الزبير، وأب سليمان الوادياشي، وأبو عبد الله محمد بن قاسم ابن محمد الأنصاري الملقى الضريح الشهير بابن قاسم نزيل مكناسة أزرون، رحل إليه من مدينة فاس إلى مكناسة، ورحل إليه الناس للاخذ عنه، وقام قفز إلى بلاده مدينة فاس يدعى بالمكناسي لذلك.

وفاته: توفي بمدينة فاس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة سنة والله ثراه آمين.

16- أبو العباس أحمد بن العربي البقري الكومي، قاضي مكناس.

حالة: فقيه علامة واعية موثق، وقفت على رسم تجسيم حلي فيه بالعلم.

15 - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس 122/1، درة الحجال 46/1.
ومع ذلك، ولم أعرف شيئاً من أحواله ولا من الولادة والوفاة، إلا أنه كان مستوليً خطة القضاء بمكناس سنة 959 سبع وخمسين وتسعمائة(1).

17- أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي الأنصاري الجزيري.

نزيل سلا، ودفنها، أصله من شميتة وبها نشأ.

حاله: أفضل أهل زمانه علماء وعمال، وقال ابن صعد في «النجم الثاقب» في حقه ما ملخصه: كان أحد الأولياء الأبدال، مدعو في كتاب العلماء من جمع له العلم والعمل، والقي عليه القبول من الخلق، شديد الهيئة، عظيم الوقار، كثير الخشية، طويل التفكير والإعتبار، قصده السلطان أبو عنان وارتحل عام سبعة وخمسين فوقف ببابه طويلا فلم يأت له وكرر ذلك مراراً فلم يأت له، وتبهج يوم الجمعه على رجله والناس ينظرونه وهو لا ينظر فقال: منعنا من هذا الولي، ثم أرسل إليه ولده مستعفراً فاجابه بما قطيع رجاه منه. اه(2).

ودونك نص ما أجابه به:

الحمد لله من العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر وفقه الله تعالى وكرمه، إلى أمير المؤمنين أبي عنان أديه الله تعالى بتقواه ورد حاله إلى ما كان عليه الخلفاء الفارضون ومن تعرض لتغييحة المسلمين آمنين، وصلى الله تعالى على مولانا سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً، أما بعد:

(1) كذا في المطبوع، وقد ترجم صابح الأعلام بمن غير - 4/1455 موسوعة - من اسمه أحمد بن محمد العربي الغماري، فقال: وفي هذه السنة - أعين سنة 130 هـ - توفي الفقيه الأصولي أبو العباس أحمد بن الفقيه العلماء أبي عبد الله محمد العربي بن محمد الكومي عرف بالعماري، ولي قضاء بلده مكاسية فحمدت سيرته، وكان فقيهاً مدرساً. أخذ عن الفقيه المتقن أبي عبد الله البناوي، ثم عن العلامة أبي عبد الله بن الحليم وغيره.

قال خالد الشيخ أبو عبد الله محمد المهدى الفاسي: قرأت على صاحب الترجمة الرسالة والمنتصر.

17 - من مصدري ترجمته: ذرة الحجل 148/1، شجرة التور الزركية 2/34، كفاية المحترج 27/37، نيل الإبهام 97/1.

(2) كفاية المحترج 1/27. 302
فقد ورد على كتابهم المشرف بذكر الله تعالى ولودكم الكريم جعله الله تعالى من المتقين، وأنبهته نباتاً حسنًا وعلمه علماً نافعاً ولا يجعله من المبدين، من رحمة رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم، ولتعلم أنه ما شكت فيكم وقد أيقنت أنكم ما أرسلتموه إلا من أجل الله عز وجل وطلب مرضاته، وبعد: فإني لم أكن للزيارة أهلًا، ولا للقرية محلاً، وإنما سترني الكريم بفضله، ولفظته بحلميه، ولله الحمد على نعمة الظاهرة والباطنة، ولتعلم أنه قصدت بتصححتي لك وجه الله العظيم خاصة فإني لا أطمع في مخلوق أن يكسبني مالاً ولا جاها لاكتفائي بمولاي جل جلاله وتقدست أسماؤه.

ولتعلم يا أمير المؤمنين وفقك الله للخير أن الله عز وجل ناظر إليك في كل حين وفي كل ساعة وكل نفس وكل ظرف، ولا يد لك من لقائه، ويسأل عما دقت وجل، وينشر عليك طهيه، ويسأل عن أمر خلقه وما صنعته، هذا إن طالب جل جلاله. وأما إن عفا عليك ونشر عليك رحمته وفسح لك فلا راد لفضله ولا لحكمه جل جلاله وتقدست أسماؤه.

ولكن أمير المؤمنين مشفقاً على نفسه، وليعمل في يومنا ما فرط فيه أميه، ومن كان يومه شراً من أمسه فيا حسرته ويا وحشته ويا فشعته، وأعظم المصائب إعراضه عن ربه عز وجل، وقد أشفق الصالحين والأولاياء والمتقون على أنفسهم، كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يقرأ قوله تعالى (أفراءت إن معناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغلبهم ما كانوا يبتدأن) وقال الله عز وجل: (وانتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من يأخذها بما فيها يعني من الأجر الذي يعطي الإمام العادل إشراقاً على نفسه. وقد وقف الضيبل بن عامي بعرفة فقال: ظننت أن هذا الحلق عفر لهم حتى رأيت نفسي فيهم. وكان عطاء يقول: لو مات عطاء استراح الناس. وكشفت الشمس يوماً فصاح عنها الغلام بنذويي كشفت الشمس. وعرف عثمان بن عفان أذن غلام له للابن فقال: أه أوجهتي. فقال: عثمان خذ أذني فأعركها، فأجاب الغلام فقال عثمان: لا أيد من ذلك لأن تقتص مني في الدنيا خير من أن يقتص مني في الآخرة فمرك الغلام أذن عثمان فقال له: اشهد ورد، فقال: أمير المؤمنين
إن كنت تخاف القصاص فإنني أخف أيضاً، فهذا يديلك كله على شفتة الأولياء والأصفاء على نفوسهم ما علموا عدل الله عز وجل في خلقه، ولك عامرة في آبائك وأجدادك فقد صاروا إلى الله عز وجل ولا ندري ما قال لهم ولا ما قالوا له.

وروى عن عيسى عليه السلام أنه مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي بإذن الله تعالى، قال: يا روح الله، أنا ملك زمان كذا وكذا فيما أنا جالس في ملكي على تاجي على سرير ملكي وحولي جندل وحشمي إذ بدأ لي ملك الموت، فزالت عنى كل عضو على حاله، ثم خرجت نفسي إليه، فيليت ما كان من الاجتماع كان فرقة، وياليت ما كان ذلك إلا حسرة ووحشة.

وروى عن أبي بكر الصديق أنه قال في خطبته: أين الوشاء وجوههم، أين الصباح الحسنة وجوههم، المعجون بشبابهم، أصبحوا تحت الثرى.

وروى عنه أيضاً أنه قال في خطبته: أين الذين بنوا المدائن، وحسنوا الحصون والحاواط، أين الذين كانوا يعانون من الغلبة في مواطن الحرب قد تضعغوا بهم الحرب فأصبحوا تحت النار والآلام.

وروى عن حذيفة بن اليمان أنه قال لاين محمد ويهبه ألم من آخر الليل: قم وانظر لي أي ساعة هذه، قال قد طلعت الجمرة يعني الزهرة، فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار.


وقيل لعمر بن عبد الله بن قيس عند الموت وقد بكى: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي فأراك من الموت ولا حرصا على الدنيا، ولكنك أصبحت في صعود مهيبة ثم لا أدري أين أهبط هل إلى الجنة أو إلى النار أو يعفو الله تعالى.

358
وقال محمد بن واسع عند الموت: يا إخواني، عليكم السلام إلى النار، أو يعفو الله تعالى.

وروي جابر بن عبد الله عن النبي في بعض الأحاديث أن نفراً من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله عز وجل أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتاً فناسه، فدعوا الله عز وجل فإذا هم برجل جلس بين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من تلك القبور فقال: ما أردتم مني؟ لقد ذفت الموت منذ خمسين عاماً فما سكتت من قلبي مراً.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو لقيت الله بعمل سبعين نبياً خشيتك لك أن لا تنجو من هول ذلك اليوم.

فعلك عافاك الله بالشفقة على نفسك فإن الدنيا لا تدوم لك، فقد كان في زمن من الأزمان على ما حكي: ملك من الملوك كان عادلاً في رعيته فقد سمعه، فقالوا برحوا في الناس من كان مظلوماً فليلبس ثوبًا أحمر، فإني إن فقدت سعيماً فما فقدت بصري، فهذا عافاك الله قد نصح لرعيته ولا أديه هل كان مؤمناً أو كان كافراً، وإن برجع أمير المؤمنين وأشفق على نفسه ورعية رجوت أن يقبله الله تعالى وأن ين عمله بفضله إنه جواد كريم.

وقد قال بعض المشايخ: إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبيباً بقصيبك عن الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذنبك ذلك آخر ذنب قد رأى عليكم ولطاع أمير المؤمنين الرعاية للمحاصيلي، أو كتاب النصائح للمحاصيلي ففعل بركة الشيخ يكسب الله خوضها ورحمة في يكون سبي نجاتك، وإن سمعت بأمير المؤمنين أنه اجتهد في نصيحة رعيته وكتبه بنظمهم ونصر مظلومهم اجتهد له في السؤال الله عز وجل في الأمساء، وأطراف النهار، وليعلم أمير المؤمنين أنه لا يخلصه أحد من خدامه ولا من حضمه بل يفرون منه يوم القيامة ويفرم منهم، ولا عليك في هذا الأمر إلا أن تراقب الله تعالى وتعمل بما أمرك ونهاك يسهل الله عليك الخير فسعاك.
تموت وآنت مقبل على الله عز وجل وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ففقد الله لما يحبه ويرضاه وسخرك خلقه ولا أدار عليك رحى الملحنة، على قطب الفتنة، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله فرحهم الله أمرنا نظر لنفسه وعمل ما يخليصه عنده ربي.

فلما وصل كتابه هذا للسلطان أبي عمان رضمه الله أيس من لقاينه واشتد حزنه وقال: هذا ولي من أولياء الله حجبه الله عنا.

وقد أجابه أبو عمان عن هذا الكتاب بما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، من عبد الله المعترف بهذين، الراجي رحمة ربه، فارس أمير المؤمنين بن على بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق وفقه الله عز وجل لطاعته، وجعله بفضل الله أهل جنته، إلى ولي في الله ومناصبي في ذات الله عز وجل الولي العالم الذاهد الخاشع أبي العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاصر، أمتع الله بحياه أولاه، ونفع بصاحب دعواته أصفياءه، وأبقاء ذخرا للمسلمين ونورا يهدى إلى سبيل المتقين، وبعد حمد الله بارقي السم، على تتابع النعم، والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبئائه ورسله إلى خيره الأئم، وعلى آله وأصحابه ليوث الهمجاء ونغم الظلم، فإنه وصلي كتبكم الذي ذكرتني بوعظته، وعرفتني مصالح نفسية بنصيحةه، أعرب بلسان الصدق، ودع إلى سبيل الحق، وایحظ من النومه، ونه من الغفلة، فعزم الله خيرا يا أيها الأقاصد وجه الله العظيم في سره وجهه، الواقع عند حدوتكم عز وجل في أمره ونهيه، لقد نصحتني وما غششتني، وندبتي لسعادتي وما كابنتي، فلأني أسأل أن ينور بصيرتي، وابتح لخير بناصتي، ويسلك بي فيما قلدي سبيل أوليائه الراحمين. وعيتي على القيام بأمور عباده المسلمين.

وهنا إن شاء الله تعالى أجد في كف أيدي الظلمين، وأبدل جهدي في
إنصف المظلومين، وأبتل إلى الله تعالى بالسرعة في إعانتي بتوفيقه، وهدايتي
لمنهج طبيقه، وهو سبحانه يعلم - وإن كنت مسرفا على نفسي مقصرا في عملي
- أني لا أضرر إهمال مظلوم ولا إعاني ظالم، وكفي بالله شهيدا، وقد قل أوعان
الحق، وكاد أن تعمد منقبة الصدق، فلا رجلولي عملاء ظلم وتجبر، ولا
مؤمن يركن إليه إلا خان وفجور، ولا جليس يستمعان بنهاة إلا آخر دنياه، واتبع
هواء، لكن بالله أستعين في جميع الأمور، وعليه سبحانه أنوكل وإن لم أوف
بحق التوكل في الورد والصدور، ونسأله جل وعلا أن يلهمنا ما يقربنا منه، ولا
يجعلنا من المبعدين عنه.

وأسألك أنت بنى كأن هذه المكتابة إبباه وجهي الكريم إلا ما اجتهد لي
في الدعاء في غلس الأسحار، وأطراف النهار، أن يمكنني الله عز وجل نفسي
وبلهمني رشدي، ويجعلني من الناطقين بالحق، الفاضلين بالعدل، ويلعني تعالى
أملي في جهاد الكافرين، ويندلي قصدي في حج بيت الله الكريم، وزيارته قبره
عليه أفضل الصلاة وأركذي التسليم، وأن يجعل ذريتي من عباده الصالحين ومن أهل
القرآن العظيم وزوار قبر نبيه، وأن يختم لي ولهم بالحسن، ويلعنه في طاعته
جميع المني، بفضله وجوده.

ولأنا قد افتتشعت بكتابك، وأنشفع إن شاء الله بنصيبحتك وأجذب بركة
موعظتك، التي أردت بها وجه الله العظيم علام الغيوب فلا تخليني بعد من
إشارتك. ولا من صالح دعواتك، ولا توحشنا من أنس جوارك، ولا تفقدنا من
صالح إشارك. وإن كنت قد استغنت عنها فإني لا استغنى عن مشاورتك الصالحة،
ومكتبتك الرابحه. إن شاء الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يجزيكم أفضل الجزاء
ويهدينا إلى الطرق المثلى والسلام عليكم ورحمة الله.

وذكر الترجم ابن الخطيب في نفاحة الجربان ابن الخطيب القسططيني في
رحلته ووصفه بأوسمة عالية منها: كرئة التورون من أصحاب الولاية في الأعمال

361
قال: وخرجت على يده تلاميذ نجاح أخبار وطريقه أنه جعل إحياء علوم الدين نصب عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد، وصدق وانقياد.

قال هو غيره: ولم يكن قوته إلا من نسخ "عمدة الأحكام" في الحديث وكان معجبًا بهذا التأليف مؤثرًا حفظه وفهمه كثيرًا ما يندب إخوانه لذلك، وكان يقوم على حفظه وربما أقرأ تفسيرها لكثير من أصحابه يسخ من ثلاث نسخ في السنة غالبا ويشمها ببيده، وربما صنع لها أغشية من جلد بيد وبيبعها مما يعرف الطيب كشبه بدينار من الذهب العين للنسخة ولا يأخذ إلا قيمتها.

ولم تزل حالته وبركته في زيادة إلى أن توفى قال ابن عرفة: ما في زماننا مبرر إلا هو وأبو الحسن المتصر.

قال ابن عاشر الحافي في "ثقة الزائر": رحل يعني المترجم له وحج ثم آب للمغرب فقدم فاسا المحروسة وأقام بها مدة ثم أرجح إلى مكاسبة. اه.

وفي "درب الحجاب": رحل إلى مكاسبة واستوطنه مدة وكانت به إحدى أختيه والثانية بثمانية، وكان أبو عثمان يجري على التي كانت مكاسبة جزيرة تعيش بها، ثم انتقل إلى سلا وقرأ القرآن والعلم ببلده شميتة، ثم انتقل منها إلى الجزيرة الخضراء وأقام بها زمانا مشغولا بتعليم كتاب الله ولي الأكبر من أهل المقامات كمسعود الأول - الرجل الصالح - قال وباشرته خرج من الخضراء.

وفي "ثقة الزائر" أنه نزل برابط الفضح بعد انتقاله من مكاسبة دهرا طولًا بزاوية الشيخ العظيم الشيخ سيدي عبد الله البابوري، ثم انتقل للعودة الأخرى من سلا فنزل بها بزاوية الشيخ أبي زكرياء الكاتب بقرب الجامع الأعظم ويدار المقدم عليها إذ ذاك أبى عبد الله محمد بن عيسى تلميذ أبي زكرياء المذكور، وكل ذلك بعد وفاة الشيخ البابوري. اه.
الآخرون عنه: منهم العارف الكبير أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم العطائية، وناهيك به وهو من أكابر أصحابه وخيرهم، أقام معه سنين عديدة قال في رسالته: "كنت خرجت يوم مولده صائما إلى ساحل البحر فوجدت هنالك السيد الحاج ابن عاقرة رحمه الله وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلون فآتضا منا الآكل، فقلت: إنني صائم، فنظر إلى السيد الحاج نظرة منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستحق في مثل الصوم كالعيد، فتأملت مقالته فوجدتها حقا وأائن أيقظني من النوم.

وفاته: توفي سنة خمس وستين وسبعمائة وضريحه بسلا مزارا مشهورة يقصدها الزوار ويقد إليها ذوو العاهات فيكشف الله أوصاصهم والأعمال بالنواة.

18 - أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان أبو العباس الخزرجي.

أجرى ذكره تلميذه العلامة ابن جابر الغساني في شرحه على التلميذة في الفرائض.

حاله: وصفه تلميذه المذكور بالشيخ الفقيه العلم رافع رأية الشعر والأدب في عصره القدوة الأحفار، المتنفون الأكمل، كاتب الخلافة العلياء، المختصوص لديها بالمزايا السنية، وتشبه لبعض المشارقة:

مفتاح رزقك تقوي الله فاتقه، وليس مفتاحه حرصا ولا طلبًا.
والعلم أفضل ثوب أنت لا بسه، فاجعل له علمين الدين والأدب.
وكان إنشاده إياهم البيتين المذكورين برغبات الفتح من مدينة سلا أوائل عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة، اهـ.

18 - من مصادر ترجمته: درة الحجال 53/1.

٣٢٣
وحكى أنه قدم مكانتة مع أبي العباس أحمد المريني بن أبي سالم ونزل في مراستان مكانتة لكونه كان خالياً فكتب له السلطان المذكور هذه الأبيات:

يا شاعرا قد خبرنا ففاض لنا
مكانتة فشجعا من عندك ابنان
بالمهر والكتب من تلقاء نجران

نبئت أنك قد بدلت دارك في
ما زال يتبع الخاون منذ زمن
حتى لقد همت في وادي المرستان

واجابه أبو العباس المذكور بقوله:

لم بدأ لي في حمي مكانتة
لما شوى الذين مضوا من الثاراب
بتسمت نفسى من هوي وتصابي
أيقنت أنني لست ذا عقل بها
فترك داري لم أعرج نحوها
ورأيت مارستانها أولاً بي

وقد[4] تنص له حكاية، وهي أنه كان ذات يوم في طريق مكانتة فينما هو في أثاثها إذ سمع هاتفاً ولم ير شخصه وهو يقول:

أسرتم[5] السبحة في لجة
ولم تفلتوا ذوات الجناح
فكيف لو خلدتم يا وقاح[6]

فأجابه ابن عبد المنان بقوله:

(1) رواية المطبوع: "مكانتة فشجا من عنك ابنان" والثبت رواية المكانتي في درة الحجال.
(2) درة الحجال 1/53.
(3) درة الحجال 1/53.
(4) من درة الحجال.
(5) في المطبوع: "أكلتم" والثبت رواية درة الحجال.
(6) درة الحجال 1/54.
بالعقل قد فضلتنا ربنا
فالحوت والطيور متنا لنا
وما علينا فيهما من جثة
وإن غدنا عرضة للقنا
فنقلتنا إلى دار الفناء
لدار خلد ليس عنها براحة
فإنه يفضي إلى دعوة
قال في "درة الحجال" وهذه الحكاية حدثي بها أبو راشد عن شيخه ابن
إقمار (2) وعن شيخه ابن غازي وأوردها في فهرسته هكذا مسويه (3) له.
وأوردها الصفدي ونسبها لغيره فانظره.
قال وذكرني عن ولد الكاتب المذكور وهو يحيى بن أحمد أنه دخل على
مخدومه أحمد المرني بساء فقال له: مولانا نعم صباحك، فأنكر السلطان ذلك
 منه وتوجهه ثمًا لتغتن الكتب لما صدر منه فاشتاق يقول:
صبحثه عند المساء فقال لي
ماذا الكلام وظن ذلك مزاحا
فأجبته إشراق وجهك غرني
حتى توهمت المساء صباحًا (4)
وعطس السلطان المذكور يوما وكان ابن عبد المنان حاضرا فقال:
يرحمك الرحمن من عاطس
وليهنك الحمد على عطستك
وليس بالستر على حربتك
الأخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن جبار المغاني حسبما ذكره عن
نفسه في شرحه على المنظومة التلماسانية وجماعة.

(1) درة الحجال 1/54.
(2) في المطبوع: ابن آكار، المثبت رواية درة الحجال.
(3) درة الحجال 1/54.
(4) درة الحجال 1/54.
وفاته: توفي سنة إثنين وتسعين - بتقديم المثنى - وسبعمائة - بتأخير الموحدة عن السن.

19 - أبو العباس أحمد بن سعيد القيصيمي - بفتح القاف والجيم بينهما ياء ساكنة مثناً تحته فماسورة فياء ساكنة فسين بعدها ياء النسبة - المكناسي الورزيغي شهر بالحباك.

حاله: كان فقيها علامة متصوفا شاعرا فصيحا ظريفا آية من آيات الله في النيل والإدراك مع حظ وافر من الأدب، له ذوق في التصوف تولي الخطابة في المسجد الأعظم من بلده مكناسة الزيتون مدة، ثم خطبه بجماع القرودين بعد العبدوسي، ثم عاد لمكناسة فنطب بها، ثم عاد إلى فاس وعزل وهو عن الخطابة، والفقهي القوري عن الفتوى، والفقيه الجناحي عن خطيه في يوم واحد، ثم طلب للإمام بجماع الأندلس فأبى، وقال: إن كان عزلي لجرحة فلا يحل تقديمي، وإن كان عن غير بصلة فقبل من قلة الهمة، أي لأن منصب الخلافة في القرودين أشرف من منصب الإمامة في الأندلس، وبقبول الانتقال من الأعلى للأدنى انخطاط في الهمة والله يحب معالي الأمور ويكره سفسفها وهذا ظاهر. وكان يدرس بالمدرسة المولوية المعروفة بآبي عنان، كان يسكن بوريزغة من مكناسة الزيتون ومنها ارتحل لفاس.

مشيخته: كان تلمذ وهو صغير لسيدي سليمان الذي قال فيه ابن عباس: ما أعلم أحداً في هذا الوقت أعلم منه بمواجات القلوب، ولم يفقره حتى توفي. واتخذ عن العلامة سيدى علي بن يشمو التلاجدوي المكناسي، وعن الشيخ الأستاذ

19 - من مصادر ترجمته: التوسيع رقم 13 جذوة الاقتباس 1/127: درة الحجال 18/88،
كشفة المتاح 1/128، نيل الانتهاء رقم 118.
(1) في المطبوع: فمع حفظ وافر في الأدب، والشبت رواية القراقي في التوسيع.
ابن جابر الغساني المكتسي، والحافظ أبي القاسم التازغدوري، والحافظ المحدث أبى محمد العبدوسي وغيرهم.

تأليفه: منها نظم مسائل ابن جماعة في البيوع محررة بما وضع عليه الإمام القباب في رجز عذب بلينج أجد فيه غاية قال ابن غازي: قرأته عليه وأصلح فيه بقراءتي أشياء وأجارنيه، وإنشائه وإفادته كثيرة.

الأخذون عنه: أخذ عنه الإمام ابن غازي حسبا أفصح بذلك عن نفسه في روضه، وحلاء بشيخنا الخطيب البلينج أبى العباس أحمد بن سعيد الفيجميسي هـ من خمه.

وفي الفيجميسي (١) - بالغين المعجمة بعدها ياء ثم جيم فميم مكسورة مشبعة ثم سين فياء نسب - فانظر مع ما نقلنا صدر ترجمته في النسبة وفق ما صرح به السوداني في تكميله وغيره، وكذا أخذ عنه من في طبته.

شعره: من ذلك قوله:

وحضرتا (١) آس وجمع ناس
وصفوا راح فمن عذيري
محجس سرور وفسيض نور
راح لها في القلب قدمًا
قدس في الحسن عن نظير
وكان سكري من المدير (٣)

وقوله:

أخبجر جودك عن سعود تعرب
وغير ترجي في الأئام وترب
بلغت آمالاً ونالت مقاصداً
بهرت محاسنك الأئام فأصبحت

(١) الذى في المطبوع من الروض الهتون - ص ٥٦: "الفيجميسي".
(٢) في المطبوع: "خضرة" بالخانة المحجسة والمشت رواية المكتسي في درة الحجال، وجدوعة الاحذام.
(٣) درة الحجال ٨٩/١٨٨٩.
برعت علاك وحزن كل فضيلة ، وطفقت من فلك المعالي تقرب
برقت عيون الحاسدين ونالهم من روع عزك ذلة وتغلب.

ولادته: ولد بمكتاسة أواخر القرن التاسع أعيين سنة أربع وثمانين.

وفاته: توفي سنة سبعين وثمانية بناء على ما في جذوة الاقتباس عن نيف وستين سنة كما في «كناشة» سيدي أحمد زروق وفي درة الحجال توفي بعد السبعين وثمانية.

20 - أحمد بن سعيد المكناسي يكنى أبا العباس.

حالة: فقيه خطيب. مصع وجيه ليث. أريحى أرب. ذكره في درة الحجال.

وفاته: توفي في المحرم الذي هو من شهر سيناءثور سنة اثنى وسبعين وثمانية.

21 - أحمد بن محمد الخباك المكناسي.

ذكره في الدرة.

حالة: فقيه أستاذ نحوي كان قووالاً بالحق، وكان آيه من آيات الله تعالى، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم.

مشيخته: أخذ عن سليمان الشهر بوبغرين (٤) اليزناجي.

(١) في درة الحجال : كرمة
(٢) درة الحجال ٨٩/١
(٣) درة الحجال ٨٩/١
(٤) في المطبوعة : سليمان بن يومين، ولد من ترجمته لدى المكتاسي في درة الحجال ١٤٩/١٣١٢/٣
وفاته: قال في درة الحجال: توفى مسموما فيما حدثني به شيخنا أبو راشد
بعد رجوعه من حركة الصلح مع المرني. آه. وذلك سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة.

22- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي
بن غازي العشماوي المصري.

حالة: إمام علامة واعية مشارك، حلاة العلامة ابن فهد في إجازة له بالشيخ
الإمام العلم الواحد. العلامة الأمجد.

مشيخته: منهم أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد وأجازه
عامة كما رأيته بخطه.

واخذ عن والده الإمام ابن غازي وأجازه أيضا عامة ودونك نص إجازته له

تقول عن خطه:

«أجزت لولدي أحمد ومحمد وللقبيه أبي محمد عبد الواحد نجل العالم
المطلق أبي جعفر أحمد بن يحيي الوشريسي، وللقبيه أبي الحسن علي بن موسى
ابن هارون المطغري، وللفقهاء الإخوة الجلالة أبي عبد الله محمد، وأبي ريد
عبد الرحمن، وأبي العباس أحمد أولاد الفقيه المحصل أبي عبد الله محمد بن
إبراهيم الدكالي، وللفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الغزال جميع ما
اشتملت عليه فهرستي هذه وذيلها إجازة تامة، مطلقة عامة، بشروطها.

قاله وكتبه العبد الفقيه المستغفر محمد بن أحمد بن محمد بن غازي
العشماوي، سمح الله تعالى له بمهنة والحمد لله و恽ي، وسلم على عباده الذين
اصطفيف».

كما أجازه عامة أيضا العلامة أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الدبي
المصري، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن مرزوق العجسي، حسبما
أفصح بذلك والده في فهرسته وذيلها.

369
فرع الشجرة الزيتية العتيقة العلم الشهير، البركة.

23- سيدي أحمد الشبيه بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبى غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن حمود بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومولانا فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين. وحبيب رب العالمين، وآله الطبيين.

حاله: علامة نبيل، قدوة جليل، إمام حفيف، شريف أصيل، صاحب قدم رأسخ، وقدر شامخ، عارف ناسك، جهذ مشارك، لقب بالشبيه لما بدأ من علامة جده فيه، وهي الخاتم بين تكيه، وبالها من مزية عظيمة، ومنتبة جسمية، وقد أثني عليه صاحب "الدرة الفاخرة" قائلًا:

ثٌم الإمام أحمد الشبيه
كَانَ بِالشَّبِيْهَ بِالرَسُول
بِخَاتمٍ فِي وضُعْهَا المُنْقُول
بَنْسَبَ أَقَلِ العَمَّا مَنْ وَطُ
عَنْ أَبِي يَجْبِشِ الْطَّرِيقَ أَخْذ
كَانَ لَهُ بِهَا عَالِمُ الشَّانَ
مُضِيَّ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبعَ عَشَان
قَبْرُهُ فِي مِكْتَاشَةِ الزِّيْتِنَ

ٍمَشِيْخِهِ: أَخْذَ عَنْ وَلِيِّ اللَّهِ تَعَالَيْ سيدي محمد بن عبد الرحمن النازي
المولد سنة أربعين وثمانِّفة، وسيدي عبد الله الغزوي، والشيخ أبي عبد الله

170
محمد الزينوني دفين المسيلة من بلاد الجريد المتوفي سنة إحدى عشرة وتسعمئة، وعن الشيخ أبي محمد عبد العزيز القسطنطي المتوفي سنة ثلاث عشرة وتسعمئة وغيرهم.

وإن الذكور عنة: منهم الولي المحبوب، أبو زيد عبد الرحمن المجنوب وجماعة كثيرة وطريقته رضي الله عنه جليلانية.

ولادة: وُلد رضي الله عنه وعنٌها به آخر المائة التاسعة.

وفاته: توفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة ودفن بروضه سيدي عمرو الحصيني وقبره غير معروف لدينا اليوم قالوا إنه كان يعرفه الولي الشهير مولانا عبد القادر العلمي وقيل إن الدعاء عند قبره مستجاب.

24- أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون السطاني المكناسي.

حالة: كان فقيهاً، حفلاً نبيها، وجيلها نزيها، قاضياً بالحضره الهاشمية المكناسية وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ خمس وتسعمئة محلية فيه بالفقيه القاضي بمدينة مكناسة ولم يدر وقت وفاته.

25- قاضيها أبو العباس أحمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن القاضي الأعدل الحسن الدين أبي العزيز بن أبي العافية المكناسي.

حالة: فهو علامة نزيه أعدل قضائه زمانه له معرفة بالفقيه الملكي.

قال ففي إبتهال القلوب وبسبب قضائه أبي العزيز - يعني جد المرجوم - جرى عليهم لقب ابن القاضي فيما نظر.

والمترجم هو جد أبي العباس ابن القاضي مؤلف (الجذوة) و (الدرة) وغيرهما من التأليف المفيد تولي خطة القضاء بحروسة مكناسة الزيون.

٣٧١
ويقال: توفيivité بقبس المحروسة سنة خمس وخمسين وتسعماثة ودفن بإزاء قبر
الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن غازر رحم الله الجميع به.
26- أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور.
المكتسي التجار، الفاسي الدار والقرار، كذا نسبه غير واحد من
ترجمة(1).

حاله: إمام فقيه معقولي، محدث أصولي، آية من آيات الله في المعقول
والنقل، وسعة العارضة والاطلاع والمهارة الكاملة في سائر الفنون، كان أحفظ أهل
زمانه وأعرفهم بالتاريخ والإبيان والمنطق وغير ذلك وكانت له معرفة برجال الحديث
شديد العناية بالتحقيق قوي التحقيق حسن الإلقاء والتقرير، معتنيا بالمناقشة
والتقيد والإقراء، لا يكل ولا يمل، شعوره الإنصاف في البحث والذكارة، يميل مع
حق حيث كان صافي الذهن جاد الإدراك، مصيب الفهم، ذا خط رائق، وأدب
فائق، خدم العلم حتى ألقت إليه العريضات زمامها، وبرز على الأقران، وصار
شيخ جماعة الأعلام في وقته، وكان يحب على تعلم سائر العلم و يقول: إن
علمها كلها نافعة، وكان يبحث عنها ويتعلمها حتى إنه علم لعب الشطرنج فأتنقه
ومهر فيه وصار تمار في النبات في معرفة دقائقه وتعلم تلاحين العود فكان يحرك
بجسه أوتوره أفادة العاشقين، جمال حضرة رض العالمين، أما عقائد فهو ابن
بجدها، وانفرد عن أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسيروهم والعلماء على طبقاتهم
ومعرفة أيامهم وكانت ممه حدة في بعض الأوقات تمنع التعلم من مراجعتهم،
والإكثار من مباحثه.

وكان مولعا بأمثلة العامة خصوصا عامة الأندلس يستحسن لغتهم وللكلام.
ويضني عليهم وعلى بلالهم ويشوق إليها وكان يقال فيه إن فهمه لا يقبل الخطأ وله صناعة في التدريس يجيد ترتيب النقول ويتأنق في كيفية الإلقاء، وكان من عباد الله الصالحين ليفتر عن قراءة القرآن إلا في زمن المطالعة أو الإقراء أو ضروريات الإنسان، وكان أورع الناس في النقل، كاد أن لا يفارق لسانه لا أدي أو حتى أنظر أو كلام يقرب من هذا.

وكان دمت الأخلاق رقيق الحاشية متتتتشفا في الدنيا فانها بما تيسر من المكول واللبس لا يحسن تدبير الدنيا قال في درة الحجال صارت الدنيا تصغر بين عيني كلما ذكرت أكل التراب لساني والثوب لبنيه.

وفي "كفاية المحتاج" هو آخر فقهاء فاس لم يخلف بعده مثله، وأصله من مكناسة الزينون كما صرح بذلك غير واحد من ترجمه.

ميشتيه: أخذ عن البسيتي وهو عمته، وصقين، وابن هارون، وعبد الواحد الوشريسي، والزفاق وغيرهم من اشتملت عليه فهرسته.

الأخذون عنه: أخذ عنه الإمام المولى عبد الله بن علي بن طاهر الحسبي العلوي، وأبو المحاسن الفاسي، وأخوه العارف بالله، وولده أبو العباس أحمد، وأبو العباس ابن الفاضي صاحب درة الحجال وغيرها. وأجازه عامة قال في درته لازمه كثيراً من سنة خمس وسبعين إلى وفاته وما فارقه إلا زمن رحلتي للمشرق أو زمن أسري فقط أو مرة أقامتها بمراياش في حياته رحمة الله عليه واحذ عنه خلق عظيم.

مؤلفاته: منها شرح المنهج المتخب على قواعد المذهب، وحاشية على كبري السنوسي في العقائد، وأخري صغيرة عليها أيضاً، وشرحان على قصيدة ابن زكري في الكلام مطول ومختصر، وفهرستان كبري وصغيري، ومراقي المجد في...
آيات السعد، والختصر المذهب، من شرح المنهج المتخب، وشرح المختصر. من ملتقى الدرب.

شعره: من ذلك قوله جواباً عن سؤال بعض السنوسيين سأل عنها قاضي

الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي(1):

جوابك في الأولى إباحة أكلها
وأناكر في التنبيه نجل بشيرهم
وقد قيل في الأوزاع يحرم أكلها
وتعمّم كلام لا تمكن غير منتق
فإن كموت فصل الحق تعلم
وحينا يرى قبل البلوغ فطبيق
وحينا لعصيان(2) الكبير يلتقي
يحقق فحكم الجميع ووثيق
وفق إمام في الثلاثة فارتيق
ويندب للمسبوق دعوى تشهد
ليس له فعل بحال واصله
ومعك صاعاً في القليل بأصوص
وبضابط(4) تصريف فللعلم شووق

(1) الآيات لدى المكتاسي في درة الحجال 1/188، والتبتيك في نيل الابتهاج 1/157.
(2) في المطبوع: "بعصيان" والمثبت من درة الحجال.
(3) في المطبوع: "العمر" والمثبت من درة الحجال.
(4) في المطبوع: "الضابط" والمثبت من درة الحجال.

274
وصاع كمام عينه فرع ضمة وتحريكه فتح فزئة وحقق
ومقصود من في العود بداء لغاية
فإلبس مبدا العود عند الموقف
بافعلة فأعلم يقاس ففرق
وجمع سواء فالذي منه جامد
سوايا به نقل فَمَلالد فانطلق
ومشتقه وزن الخطابا قياسه

يعني أن المشتق جمعه مسونع، وأما الجامد فلم يسمع له جمع لكن قياسه
افعلة كافية، قال في نيل الابتهاج إثر نقله لهذا الآباث ما نصه:
"هور هذه الآباث أرويها عن صاحبنا قاضي تامسا إبراهيم الشاوي عنه" (1).

ولادته: ولد عام ستة وعشرين وتسعمائة.
وفيته: توفي يوم الاثنين سادس عشر القعدة الحرام سنة خمسونسعين
وتسعماة كذا في "الدرة" والذي في نيل الابتهاج أنه توفي نصف ذي القعدة ليلة
الأثنين والخطب سهل.

27- أبو العباس أحمد بن عمر الحراثي السفاني.

نسبة لفخذ من قبيلة الغرب المشهور.

حاله: كان من أكابر الصالحين عارفا بالله تعالى رطب الاسنان بذكره تعالى
لا يفتقر لسانه عن ذكره وكان دابه أن يخطط أطباخ العزف والقفاف فلا يدخل الخيط
ويخرجه في كل مرة إلا بكلمة الهليلة شأنه مراقبة مولاه، في سره ونحوه،
والدليلة عليه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب
دلائل الخيات.

(1) نيل الابتهاج 158/1.

27 - من مصادر ترجمته: دوحة الناشير في موسوعة أعلام المغرب 2/1481.
الأخذون عنهم: منهم الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن عيسى السفياني الأصل ثم المختار شيخ الطائفة العيساوية، ومنهم السيد عمر بن مبارك الحصيني من قبيلة حسين - بالتصغير - دفني مكناسة الزينون والسيد سعيد بن الساّح المالكي من عرب بني مالك، وغيرهم.
وفاتهم: توفى في العشرة الأولى من القرن العاشر وقبره مشهور ببلدتنا المكناسية عليه مزارة جليلة خارج باب السبيبة أحد أبواب المدينة.

28- أحمد بن إبراهيم الأوسى الجنان أبو جعفر.
من جملة شيوخ مكناسة الذين لقيهم ابن الخطيب عام إحدى وستين
وسبعمائة حسبما ذكره في رحلته المسماة "نفاضة الجراف".
حاله: كان فقيها عدلا اخباريا مشاركا من أهل الظروف والانطباع والفضيلة
عاقدا ناظرا نائرا مشاركا في فنون من العلم.
مصنفاته: منها المنهاج المورود في شرح المقصد المحمود، في ثلاثة أسفار
شرح فيه وثائق ابن القاسم الجزائري فأرّي على الإجادة، بيانا وإفاده، قال ابن الخطيب ناولني إياه وأذن في حمله عنه ونشدني كثيرا من شعره.
شعره قال في صدر رسالة يهني بها ناقشها من مرض (1):

البس الصحة بردًا قشيبا
وارشف النعمة شغيثًا
واعط اللاماء زهرا نضيّرا
إذ ين ساءك وعك تفضي
تجد الأجر عظيمًا رحيما
يصب الحاسد مته كشيما
فانتعش دهلك ذا في سرور

28 - من مصادر ترجمته: "نفاضة الجراف" - ص 376.
(2) "نفاضة الجراف" - ص 376.
(3) في المطبوع: "فرطيا" بالراء، والثابت من النفاضة.
376
ومنه أيضاً ما رقم في الدور الخشبي الذي بالدار التي كان نزل بها ابن الخطيب عند حلوله بالديار المكشوفة وهو قوله(1):

إنتظر إلى منزل إذا نظرت
يبني عين رفعه لما لقى
واعتقال الحجاج لبانية
ما يرقم النشف في أعاليه
يشاهد الوسفي في أسئله
كانه روضة مُدَبَّجة(2)
فاظهرت للعيون رجوعها
فهو على بهجته تلوح به
ورونق للجمال يبديه
من جنة الخلد ما يحاكيه
في أبيات أخرى.

قال ابن الطيب: وفاقتته محركاً قريحته ومضيترا ما عئت به يقول:

فلكد غدا جناتها الجنة
إن كانت الآداب أضحت جنة
أقلمه القطب اللدوان بدوحة
وأقرمه منته بنان
قال فراعني الجنان بما نصه:

يا خاطب الآداب مهلا فقد
رديك عن خطبتي ابن الخطيب(4)
وشرطها الكفاة قول مصيب
هل نهر في الأرض كفؤ لها

(1) نقابة الجزاب - ص 279.
(2) في المطبوع: مُدَبَّجة، والثبت رواية النقابة.
(3) نقابة الجزاب - ص 277.
(4) نقابة الجزاب - ص 277

377
أصبح للشرط بها معرضاً، فاستمرت في النسخ فهل من مجيب؟
نشره قال بخاطب ابن الخطيب: "أيهما السيد الذي يتنافس في لقائه ويتغلب، ويصادم بولاته صرف الزمان وتعالي"(1)، وتنطلق نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، وتقتصر شوارد العلم برواية كلامه، كيف بدات عيانه، جذور على من بنات فكرك عائلة نواهد، واقتصر بها على معارفك الجماعة دائنة وشواهد، واقتصرت بركة(2) بديهتك من المعاني،(3) أوابد شوارد، وقَّرَّت من بлагаكن ويراطك حياضاً عذبة الموارد، ثم كلفتني من إجراي ظالمي(4) في ميدان ضلعيها، مقابلة الشمس النيرة بسراج عند طلوعها، فأخلت إخلاء مهين(5) السجان، وفرح فرار الأعزل عن شاكي السلاح، وعلم أنني أخذت نفسي بالقابلة، وأذل دلو قريحتي للمساحة، كنت كم كلف الأيام رجوع أمها، أو طلب من علته السماء محاولة لمسها، وإن رضيت من القريحة بسجيتها(6) وأظهرت القدر الذي كنت امتحنت(7) من ركبته، أصبحت مسخرة للراون(8) والسامعين، ونبت عن أسمني دواوينهم كما تبث عن الأشبيب عيون العين ثم إن أمرك يا سيدي لا يحلُ وثيق مبرمته ولا يحل نسخ محكمته، فاستنثلت(9) امثال من لم يجد في

(1) في المطبوع: "تعالي" والثبت رواية نفاضة الجرب.
(2) في المطبوع: "بشراد" والثبت رواية النفاضة.
(3) في المطبوع: "المعالي" والثبت رواية ابن الخطيب.
(4) في المطبوع: "طالعين" والثبت رواية ابن الخطيب، وهما مشه: "الظالع الذي أصابه الظلغ وهو شبه العرج".
(5) في المطبوع: "فقيض" والثبت رواية ابن الخطيب.
(6) في المطبوع: "فسيمتها" والثبت رواية ابن الخطيب.
(7) في المطبوع: "استمتحت" والثبت رواية ابن الخطيب.
(8) في المطبوع: "المحرين" والثبت رواية ابن الخطيب.
(9) في المطبوع: "فامثلت" والثبت رواية ابن الخطيب.
نفسه حرجا من قضائئك، ورجوت حسن تجاوزك وإغمازئك، أبناك الله قطبا لملك المكارم والمتجر، وفصا خاتم المحامد والمفاخر والسلام(1).

29- أبو العباس أحمد بن سعيد المجلدي(2).

حالة: شيخ الجماعة في إقراء المختصر الخليلي محصل لمتطرفه ومفهومه، كثير الممارسة له، يختمه كل سنة، مستحضرا للنزول، عارف بإجراء الجزيئات تحت الكليات، ماهر في ذلك، حسن الأخلاق، لين العريكة، منصف متواضع، له إشراف تام على السير، ومشاركة وافرة في فنون عديدة نفع الله بعلمه جما غفيراً من الأعيان.

ولي قضاء فاس الجديد أزيد من أربعين سنة، فحمدت سيرته، ولم يحفظ عنه ما يشين عرضه ولا ماغض من جلالته منصبه.

وولي قضاء مكناسة الزيتون بعد عزل القاضي أبي مدين عنها، وذلك أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وألف كما أفصه بذلك السيف في "تاريخه" وقد وقفت على عدة خطابات له تدل على ذلك.

مصنفاته: منها اختصار المعيار في مجلد ضخم، وشرح على المختصر الخليلي سماه أم الخواشي بينه في الصورة أو لا بما فهمه ثم بنقل ما يناسبه من كلام الأئمة، ثم بنقل سائر لفظ الخواشي السابقة عليه، ومؤلف في الحسبة سماه "التيسير في أحكام التسعير" وقتله عليه في نحو الكراسة.

مشيخته: أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وأبي سالم العباشي وأجراه الأخير عامة كما أخذ عن غيرهما.

(1) الخبر بطوله لدى ابن الخطيب في نفاضة الجزار - ص 377.
(2) في المطبوخ: "المجلدي" والمثبت في نشر المثنى.
29- من مصارف ترجمته: نشر المثنى 4/ 1677 في موسوعة أعلام المغرب.

379
الأخذون عنه: منهم أبو علي الخسن بن مسعود اليوسي كما في نشر المثنى، وناهي به. قال اليوسي في "فهرسته" أخذت عنه رسالة الاستراح، وشيئاً من الحبانية وشيئاً من الفلسفي، وحضرت عنه خليلاً وأتي عليه رحم الله الجميع.

وفاته: قبضه الله إليه مغرب يوم الاثنين خمسة عشرة صفر عام أربعة وتسعين ولف ودفنه وظهر القدر خارج باب محرق أحد أبواب فاس.

30- أبو العباس أحمد الغماز أستاذها.

حاله: كان شديد الحفظ في القرآن العزيز يسأل عما قبل الآية فيجيب مسرعة.

وكان أستاذ الإقراء وأستاذ الغناء، وكان له تلاميذ يحسنون الصناعتين.

31- الشاب أبو العباس أحمد بن عمر بن مبارك الحصيني المكناسي.

حاله: فقيه من أعيان أهل مكتاسة ذكره الغزال في تأليفه الذي تعرض فيه لترجمة الشيخ الكامل السيد محمد بن عيسى دفین خارج باب السيدة والبراذعين من مكتاسنة الزيتون قائلاً فيما حكاه عن السيد محمد بن عمر بن دارو المختارى أحد تلاميذ الشيخ المذكور، من أنه كان يوماً بين يدي شيخه ابن عيسى إذ جاء الشيخ شاب فقیه من أهل مكتاسنة ومن أعيانها ومن أحبابها وعليه أثر الغبار، فجلس أمام الشيخ وصار يبكي بكاءً شديداً، فقال له الشيخ: ما يكبك يا فقیه؟ فأخبره عن والده أنه سار إلى رحمته الله وله مدة بسيرة وأنه رآه الليلة في النوم وذكر له أنه يذبح في قبره، وأنه أمره بالتوجه إليه لعله أن يدعو الله له أن يخفف عنه العذاب، فقال له الشيخ: نعم، وبسط كفه وقال: اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجلالة العظيم عندك خفف عن والده العذاب، وأمست نحن على دعائه، ثم إن الشاب قبل يد الشيخ وقام وهو مسرور وأيقين بالفرج لما يتحقق من إجابة دعائه رضي الله عنه.

380
ثم بعد ثلاثة أيام أقبل المترجم على الشيخ عند صلاة الصبح فصلاها خلفه وعليه آثار الفرح والسرور، ثم بعد الفراخ قام وجلس أمام الشيخ وقبل يده وقال: يا سيدي، رأيت البارحة والدى وهو في غاية السرور، وعليه عباءة خضراء، وقال: يا ولدي فقد رفع الله عني العذاب بيركته دعاء الشيخ، فعليك با بنا باتباعه وصحبته، ثم دخل الشاب المترجم في عهده وصاحبه وصبر من المفتوح عليهم. قال: وهذا الشاب الفقهي هو الشيخ سيدي أحمد بن عمر بن المبارك الحصيني رضي الله عنه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ ابن عيسى وغيره.

32- أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد المكناسي الزناتي الشهير بابن القاضي.

من نسل موسى بن أبي العافية.

صرح هو بذلك في كتابه جذوة الاقتباس.

ورفع نفسه فيه إليه، ثم إلى مكناس بن وصييف، ثم تبرأ من فعل جده ابن أبي العافية مع أهل البيت وهو عن شمله عموم قول ابن غارو في "روضه" الذي تعداده علماء مدينة مكناسة الزينتون، إذ قال: ومنهم بنو العافية.

حاله: كان فقيها مشاركًا مؤرخًا ضابطا نقادة مطلعا ثبتا وجيها متقنا حيسيويا فرضيا له معرفه بالتاريخ والفقه والفرائض والحساب والهندسة وتولي القضاء بسلا فحسنت سيرته وحمدت.

مشيخته: أخذ عن عدة شيوخ في المغرب، منهم: أبو القاسم النجور، ومفتي مراكش أبو محمد عبد الواحد السجليمي الحسن الحسني العلوي، وأبو زكرياء يحيى السراج، وأبو عبد الله بن جلال، وأبو مسيري المساري، والشيخ القصار، والشيخ أحمد بابا السوداني. ثم رحل إلى الشرق فأخذ به عن عدة شيوخ أيضًا وكان يتزود إلى الشيخ أبي المحاسن الفاسي ويحضر مجالسه.

---

32 - من مصادر ترجمته: نشر الثاني 1229 في موسوعة أعلام المغرب.

381
تأليفه: منها جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ومنها درة الحجال في أسماء الرجال. واللطفي المنصور على مكارث الخليفة أبو العباس المنصور، ولفظ الفرائض من لفظة حلو الفرائض، وله نظم ذيل بظم الخليل لأبن الخطيب، وغنية الفرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض، والدخل في الهندسة، ونظم تلخيص ابن البينا، وكتاب نيل الأمل فيما بين المالكي جري العمل، وفهرسته المسماة بطائفة الصلاح، وله كلام على جداول الحوفي وتقايد.

محتنية: كان في رحلته إلى الحج ركب البحر فأسر بيد النصاري وأذاقوه النكال الأليم والبلاء العظيم، من الجوع والضرب والتكليف بما لا يطائر، وقد كان المنصور - رحمه الله - كتب في شأنه لقوع الشغور بالبحث عن مستقره في أي موضوع من بلاد النصاري لتعلق هدفه العليا بإخراجه من ريبة الأمر تعظمه لقدرته حسبما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه المتنقي.

وكان أمره في يوم الخميس رابع عشرش شعبان عام أربعة وثمانين، فتكون مدة أمره نحو 13 شهرا، افتتاح المنصور بما يعد عشرين ألف أو يمن من الذهب، بعد أن كان النصاري إذا طلبا فنانه بكلب تعتن. شعره من ذلك قوله مستعطفا ومستصرخا المنصور الذبي لفردائه من الأسر:

(1) هموم سرت في الجسم في كل فصل، اختفت يديه خبير الخلق في كل محفل بسيبة.

(2) بذكر الإمام الهاشمي الذي سما إمام العلا المنصور فخر أمة مطيع به رائق وجه الأرض وافترث ثغره وعلي جيد منه بالبر والحلي طبي ماله.

(1) نشر الثاني - ص 1231 في موسوعة أعلام المغرب.

(2) في المطبوع: "باتنة" والمحب من نشأ الثاني.

382
فكم تضحك الخيرات في بطن كفه
وكم جاور الغضبات حتى لو أنه
أراد النعيم أمها في المنزل
ضياءً بور بالخلافة مشعل
جناح لنسر النصر في كل محفل
إمام الهدي بحر الندي قصور الردى
ركي زهبي للسمماح سماوه
إلى المعتني والفاجر المتضلل
نكده الذي ولد (3) ملكاً فنجاني
من الهلك يا قصد السبيل المكبل
وكن يا إمام العدل في عيون حائر
أمير كسيئر ذي جناح مذيل
لقد مزقت أيدي الزمان ورده
ودارت عليه الذئات كجلجل
لأنني عليه الدهر من كل وجهة
وأدت عليه الناثبات بأرجل
ففاكم ربك العرش يا ملك العلا
ودمت أماما في علاء مزمل
وبدافاً لأهل الفضل في كل محفل
ولادته: ولد عام ستين وتسعمائة.
وفاته: توقي عالم ألف وخمسين وعشرين وقدر المكتاتي لوفاته بحروف
(وهو شهاب) في قوله:
(وهو شهاب) ظلماً الليل تنجلٍ
وخر شهاب الدين أحمد من به
(1) في المطبوع: "ولاكي" ولما食べた رواية نشر الثاني.
(2) في المطبوع: "فزوز" بالعين المهملة والزاي، ولما ظل رواية نشر الثاني.
(3) في المطبوع: "ولاك" ولما لب ضم نشر الثاني.

383
الولي الشهير، المجذوب الكبير، سيدي أحمد بن بلعيد المدعو ابن خضراء.

من بحاليل مكاساة الزيتونة.

حاله: كانت حالته حالة الغابيين المتحيين له كرامات كبيرة. وأخبر بالغيبيات شهرة. قال في "نشر الثاني" يقول ذلك أهل باده ويتذكرون عنه بعجائب.

مشيخته: أخذ عن سيدي محمد الشرقي، قال في النشر: والتاريخ يقبله، إذ كان لصاحب الترجمة علو في ستة، لأنه تقدم أن وفاة سيدي محمد الشرقي في العام العاشر بعد الألف وتوفي صاحب الترجمة عام خمسة وسبعين موحدة وألف، وفيما بعد نحو خمس وستين سنة، وعمر صاحب الترجمة قرب المائة(1).

والذي في لوح خشب منقوش مبني عليه صدر جدار المباح بين الداخل لضريح المرجع أنه أخذ عن سيدي عبد السلام الشرقي، وهو أخذ عن والده سيدي محمد فكون أخذ عن سيدي محمد بواسطة والده سيدي عبد السلام، وقد رفع سنه في ذلك اللوح إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وفاته: توفي عن سن عالية في منتصف رجب الفردم عام خمسة وسبعين موحدة وألف، وضريحه مكاساة شهرة من المشاهد المتبكرين بها رحمه الله ورضي عنه.

34 - أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسي بن الشيخ سيدي محمد بن مبارك النتاوتي (3).

33 - من مصادر ترجمته: نشر الثاني / 527 في موسوعة أعلام المغرب.

(1) نشر الثاني - ص 527 - 1528 في موسوعة أعلام المغرب، وما بين حاصرته.

34 - من مصادر ترجمته: نشر الثاني / 1564 في موسوعة أعلام المغرب.

(3) في المطبوع "التأثري" والمثبت من نشر المثنى.

384
الولي الصالح العارف الشهير من حفدة الشيخ أبي عبد الله محمد بن مبارك الزعري.

حالة: كان عالما عالما، عارفا كاملا، متمتعاً بالمجاسة آية في نبله الفضائل، ومعرفة حقوق الأفاضل، فمن ذلك أنه كانت وقعت وحشة بينه وبين الشيخ الكامل، العارف الواصل، سيدي أحمد بن ناصر، فبقي مرة يترضااه، ويسنزل بمحاسن أدبه رضاءه، إلى أن لبي منادي، فدعا لتلقي تلك المئة نادبه، واستدعى الناس لحضور ذلك المهرجان الدعاء العام، وذبح كل ما ملكت يهينه من الأذناء، وأوراق قراءة كتاب الشيخ الشموع بالنهاية، وكاد أن يجري لكثرة ما ذبح من الدماء الأنهار، وأخرج من الفرش المروحة ما قدر عليه، وقام عاري الرواس حافي القدمين لقبض الكتاب الكريم الذي ألقي إليه.

فقال بالذال إن لقيت الكباراً
إما الذال أن تجل الصغاراً

ومن ذلك أنه وفد على صاحب الترجمة فتية من أولاد الشيخ أبي عزى في خروجهم لصيد فأكرمرهم وطمروا وشرعوا وحيج لشيدهم وجد كلابا بالباب أعدوها لصيدهم، فقال: أي من هذه؟ فقالوا: لنا، فعابتهم، حيث لم يخبروه بها، قالتا: ليس بذكر أن تكون هذه الكلاب تصطاد لكم وتنزهم ثم تدخلون وتتركونها ولا تخربوني مكانها! ما هذا شأن صحبة الكرام، ثم أقسم أن لا ينصروها حتى يصنع للكلاب طعاما واتخذ في مدايعتهم ومعادتهم ومؤانستهم حتى بحشر طعام الكلاب، فوضعه بين يديها ووقف عليها بنفسه حتى أكمل فدوهم وانصرفوا شاكرين.
قال أبو القاسم العمري: دخلت عليه في يوم الذي توفي فيه فوجدته جالساً على صندوق مرتفع عن الأرض، فقال: لي: إنما جلست هنا لأنني صليت عليه هذه الصلاة يعني الظهر ويشق على إن نزلت أن أصعد لصلاة العصر فمات قبل العصر أو بعده.

ذكر لي يوماً باءته وأن من قوته فيها أنه إذا كان في داره لا يصلي صلاة من الصلوات إلا ببغض من جناية، وكان إذ ذاك متسع الحال في المناكح والسراري، وتأتي له من ذلك ما لم يشأئ لملته، وكان له حسن بذاهة في النظم حتى إنه قد يكتب الكتاب وحامله حاضر ينتظره له كأنه يحفظه.

مؤلفاته: منها نظم متع الأسماع وشرحه، ونظم رجال الشوف وشرحه، ونظم رجال القشيرية وشرحه، وله كتاب التزهاء ضمنه رسائله في جزءين، وله ديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخم وقفت على جزء منها في القالب الكبير، وله أمثلة فقهية لعلماء وقته، وتقايسد مفيدة تدل على تضعه واقتراره وشفوه مكانته وعلو همته وتفوقه على أثرابه.

شعره: من ذلك قصيدته الدالية في مذبح خير البرية، عارض بها دالية الشيخ البيوسي في مذبح شيخ السنة وإمام الحقيقة سيدي محمد بن ناصر الدرعي ومطلعها.

أتأثرهم يوما لمعله تهتدي
وأرجع باطلال الأحبة واقصد
قد ضم أجداد العشير الهمد
ولهيب قلبك إن أردت شفاء
إلى أن قال:
لولا النوى ما أقبلت من مغرب
صلب عليه الله ما هب صبا
بادر لزورته إذا ما اشتقته
وذهب على الوجند غير مكد
وعده الموت بأرجل تشم الخصي
وسيمن بالأخفاك خد الأجلد
وسيمن بالركبات كل مبلد
ولهن سبيح في سراب صيهد
وهي طويلة تنفع على السماتية بيت وكان إنشاؤه لهذه القصيدة سنة خمس
وعشرين ومائة وألف.

ومن ذلك قوله في ثاني ربع الأول سنة اثنتين وتسعين وألف:
عظمت نعمة الله علينا
كل يوم نري من الله فضلا
لو نزعت من جالب جنينا
ها زنلت منازل الإبعاد
فاعفا رحمة ومغفرة علينا
واعتدينا بناشر أشرف هادي
أحمد المصطفى الذي من سناء
واهتدى كل ساقك طرق الإحر
شاد من حاضر الأنام وياهاد
ففي من رائح إليه وغاد
إلى أن قال:
عجبنا كيف يدرك المره هون
والنبي الكريم رحب النادي

387
لذ به متسوسلا تبلغ الما
وقوله في سنة ست ومائة والف:
أراك ان شمت الطلول الدوارسا
كان لم تري فيها البدور الأولى
تذكر ظهي كان قبل مؤسنا
وهل هاج منك الدمع لما رأيتها
جوي للحشا في كل وقت ملاسا
نعم رحل الأحباب منها وأودعوا
وأصبحت من شوق من الصبر آيضا
بكيت فلم تطف المدامع لوعتي
و ما كنت أديي البين حتى تحملوا
ولا كنت من قبل التفرق عابسا
كانت من شجو فقدت ابن ناصر
بسلع أرامي بعد ذلك ناكسا
ولم أر شيخا شامخ المجدد رايسا
وقوله من قصيدة:

إذا أنا بابن البلاد وأهلها
و فارقت أهلي وابنعت عن الولد
فقد نلت آثري وما خفت من كم
و نبت على دين النبي محمد

نشره من ذلك قوله في طالعة الجزء الثالث من ديوانه الشعري ولفظه:
"الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب الشامخ المقدار، في ذكر ما فتح الله به علينا
من مستمحلات الأشعار، وهو باب أستعت دائرته، وقويت عارضته، وجمع من
رقيق المعاني، ودقيق البيان اللساني ما فيه مستراح للالباب، وارتاح للأحباب، فما
شتت من جد مفروغ في قالب الدهل منسوج على منوال الجد الرفيق، ففرضته
الغناة لا تتفن أزهارها، ولا تفبر من التماثل أشجارها، دانية المرام، غير مستصعبة
على الأفهام، وقد رأيت أن أبنته بقصائد نبويات وأخرى بذكرى الصالحين
مشترفات، ثم أمسك سكنا، وأذكرها فاشه وأبا، متاعا كرم ولانعامكم، ونزة
لأرواحكم وأجسامكم، والله المستعان، وعلى التكلان.

٣٨٨
مشيخته: منهم السيد عبد الكريم الجزائري أخذ عنه سنده المصافة، وهو عن
سعيد قدورة، عن سعيد المقرى، عن أحمد حجى، عن محمد الوهراني، عن
إبراهيم التاري، عن صالح الزرواي، عن محمد الشريف الفاسي نزيه الجزيرة،
عن والده عبد الرحمان وعاش أربعة وستمائة سنة، عن أحمد بن عبد القادر
القوصي، عن أبي العباس المحمض وهو صاحب العمر وهو صاحب رسول الله ﷺ.

وله سندر في المصافة عن سيدى عبد القادر الفاسي وأجازه، وقال له:
صافحتك بما صافحتني به الآشياخ إلى أنس بن مالك قال: صافحتي رسول الله ﷺ
فلم أر خزا ولا قى كان ألين من كف رسول الله ﷺ الحديث فيه روايات.

قال صاحب الترجمة في كتابه "نزهة الناظر" وصافحتي أيضا سيدى محمد
ابن ناصر الدرعي، وأجازني عن آشياخ الذين صافحوا إلى النبي ﷺ. اه.
بنقل صاحب الأزهر النادية ومن معتمد إمام السنة، وأعظمهم عليه منة، شيخ
الشريعة والحقيقة سيدى محمد بن ناصر الدرعي وعلى يديه فتح نه.

الآخرون عنه: أخذ عنه العلامات الطيب السيد عبد القادر بن العربي بن
شقرون المكناسي، وأحمد بن أبي عسرة بن أحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي
في خلق.

محنته: سجن سنة أربع ومائة وألف بحبس فاس الجديد، لوضاءة بعض
أقاربه لنظام الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل ثم سراحه وحمله
ذلك على استيانت مكتاسة الزيتون فرحل إليها، ولم يزل بها إلى أن توفي بها.

وفاته: توفي رحمه الله ليلة الأربعاء فاتح رجب سنة ستين وعشرين ومائة
والف، ودفن قرب روضة الشيخ عبد الله بن حمد خارج باب البرادعين، وقربه
هناك مزارة شهيرة عليه بناء لأناس به، وله عقب بلاد زعير يقال لهم القادرون.
35- أبو العباس أحمد الخضر بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمد عبد القادر زغبوش المكاني الشاهي والدار.

حاله: فقيه عدل ثقة مبرر وقور، صالح فاحص بار مشكور، محمود الغريرة والطاع، معلق في عهد العلماء، نبئه العقل وجهه في عهد الباب، نبئه في الفهم، عمدة فيما يلم، منشور إليه من الجلالة السلطانية الإسماعيلية بين الإذكار، مسؤول عليه من لهنها رداء الوقار والفخار، وناهيك من يبجله ذلك الإمام، وأعظم بن كان له منه ذم.

فقد وقفت على ظهير إسماعيلي يبرهن عما للمترجم من شفوف المكانة لذي أسمينا الجد المذكور ودونك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ووليانا محمد وآله وسلم تسليماً، من الإمام العلامة المؤيد المنصور الإسماعيلي أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الشريف الحسني، وداخل طابعه إسماعيل بن الشريف الحسني الله له صدر هذا الظهر الزعيم، والآمر المعتمد عليه ملوكه، وهو الذي أعلن له اسمه بالرتبة المخصصة بالتنويه، وشيد للمؤمن إلى الله وعليه مباني الاحتراء والتنويه، من الاعتناء الإمامي السلطاني الإسماعيلي الشريفي أكرم الله معاقده، وأجمل من إحسانه الجميل مساحيه ومصايده، آمين يا رب العالمين.

يستقر به بحول الله وقوته بعبد الأرضي الأحظي المرضى الأبر الأحفل الأبل خديج الجهان الأساسي، والملأ الجسم الحدي، أبو العباس أحمد الخضر نجل الفقيه العدل أبي عبد الله محمد نجل الفقيه العدل أحمد بن عبد القادر دعي بزغبوش، حفيد الوالي الصالح الزاهد الناسك قطب المشايخ الأعلام، وتاج الأولياء الصالحين الكرم، سيدنا مغفل نفنا الله بركاته، وأضاقت علينا وعلى بنيه من أسراره ونفحاته، اقتضى له ما يتوخي به الولاء الصريح، والصفاء الصحيح، من تكريم واضح الرسوم والإيثار، وتنميم لواهب الاستقصاء الأمينة من الإثارة، اعتناء بقدره الذي سمت به رياضة أسلافه في أعلى المظاهر، ومت طرق العلم والعمل والمجاهة.
في جانب الخلافة المؤيدة بالود الباطن والظاهر، فاتخذ حفظه الله هذا الأمر الكريم راوية يتناولها باليمين، لا يستريها بحول الله ومنه الإنصدام إلى يوم الدين، إنعما عليه بالعناية والتوقير الذي لا ينسخ حكمه، ولا يبيد بحول الله وقوته على تعاون الآيام رسمه، رعيا لما له من الخديمة والسباق والنصيحة التي لاحت غررا في وجه الزمان البهيم، والآمور التي توصل بها أدام الله عليه نعمته في الحديث والقديم، ومن كثرة الاعتناء به شأنه والتنويع بمقدار حكمه.

وقع له أبده الله بعد صلاة الجمعة من تاريخه محضر العلماء الجلالة وفق فيه الملة والآشراء والكتاب والجراح وأعيان القواد، المنصرين تصرف الحق في البلاد، أن لا حكم عليه لأحد سنة حياته، فبينه وبين مولانا الإمام فيما ذا عسي أن يكون من تصرفاته، ولا كلام له مع أحد من القواد ولا من العمال والولاة بوجه من الوجه، اللهم إلا إذا كانت بينه وبين أحد من الناس دعوى شرعية فأحكام الشروع العزيز تجري على كل مسلم بمقتضابها، ولا سبيل لمؤمن موحد أن يتعداها أو يختطها، بهذا قضي وامرأ صاحب الأمر المطلع والتزم أن يخط هذا في الدواوين والرقع حكما التزمه أبده الله بروراً بخديه المذكور، فلا سبيل لمن يتعقب على مر الليالي والنهار، والواقف يعمل به والسلام وكتب في العشر من رمضان عام ثلاثة وثامنة ألف.

ومن ظهير منزلة المترجم لدى السلطان المذكور، وكمال رفعه على الوة البرور، أن كتب له كتاباً بخط يده أعرب له فيه، عما له من شرف المكتابة لديه، ما هو فوق منه حسبما وقفته على ذلك فتتبرر الخبر، وأتقت نقد الذكي البصير، لما لهذا الإمام العظيم الشان من إزال الناس منازله وإعطاه كل مستحق ما استحق بما هو الأولى به والأحق.

وعلى نهج وطريقه في اعتبار المترجم والتنويع بقدره، وإشادة مثار فخره، نهج ولده وخلفيه سيدنا الجد مولانا زيدان فقد وقف على كتاب حافل له أصدره بتقرير ظهير والده والأمر بالوقوف عند حدّ أواقمه المطاعة بالله بتاريخ عشري قعدة
الحرام، عام أربعة وثلاثة وألف، تركت نصه اختصارًا ووقفت على تحليله في بعض العقود الحربية بأوصاف عالية غالية.

36- أبو العباس أحمد بن محمد بصري.

حاله: فاضل محلي بالاحظقين الأجل، الآلوه الفقيه النبي الامثال، كان بقيد الحياة في العصر الإسرازيجي حيث يظهر من ظهير إسماعيلي منه في بقدر بيتهم الفخيم بتاريخ ربيع الثاني عام اثني عشر ومائة وألف، محلي فيه المدرج بالأنواع المذكورة وسيأتي نص الظهر في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بصري خاتمة الحفاظ والقراء من حرف الميم بحول الله.

37- القاضي أبو العباس أحمد بن ناجي السلماسي الأصل المكناني.

الوفاة والإقبال.

حاله: فقيه علامة محقق مشاور، معظم للعلم وذويه، ذو جاه ووجاهة، علوي مكانة، ونفوذ كلمة عند سائر الطباقات، ولي قضاء فاس وعزل عنه وكان يتعاقد مع القاضي أبي عبد الله بردة، وقد كان أواخر القرن الحادي عشر تولي قضاء الرباط، وسلم، ثم قضاء فاس، ثم قضاء مكناسة. وقفت على عدة رسوم بخطاباته والتسجيل عليه محلي فيها بأوصاف عالية.

ووقع في أيام قضاءه أن اليهود جاؤوا إليه بشقة رسم وأدلو بها لديه، يتهيرون الفرصة فيه بخطابه عليه. ويعتبرون با وصلوا منه إليه، وحين صدروا عنه ثار في أثرهم بالطلب، فأخذوا واستخرج منهم الرسوم المجتمع، وانتهى الخبر لولاء إسماعيل فنالت عقوته جميع من بعثه من اليهود. وأغرهم عليه أموالاً بوظيف غير معهود، ونص ما في تلك النسخة بعد السبالة والصلاة:

"هذا ما عهد به مولانا محمد رسول الله ﷺ لموسى بن حب بن أخطب وأهل بيت صفية زوج النبي ﷺ، لهم أمين الله عز وجل، وأمن رسوله لشاهدهم.

من مصادر ترجمته: نشر الثاني 1942 في موسوعة أعلام المغرب.

392
وغاثهم وذامهم لا يحصرون ولا يغزون، ولا يطأ أرضهم جيش، ليس عليهم نزل ولا يطأ ولا كسح، وعلى من أحب رسول الله يؤمنهم لذمة الله وذمة رسوله، ولهم ربط العمائم وأمر على اليهود، ثم لهم بعد هذا ما افترض رسول الله أربعة دراهم في الشهر إن كان عليهم مقدرة فمن خالف كتابنا هذا الذي كتبنا لهم، وعهدنا الذي عاهدناهم، فقدمته منه بيره وأنا بيره منهم، وأنا خصصهم يوم القيامة فمن خاصمني خاصمتته، ومن خاصمته كان في النار وكتب علي بن أبي طالب ورسول الله ﷺ في جلد أحمر طوله ثلاثون إصبعا وعرضه عشرون.

وعدد أطراف عشرون.

وأما في شهد الله على ذلك وعطق ابن أبي قحافة وعبد الرحمن بن عوف والأقرع بن حاسب، وكتب معاوية بن أبي سفيان شهادتهم في ذي قعدة سنة تسع من الهجرة والسلام على من اتبع الهدي، وبعده مقابلا بأصولها على اختلاف الأزمة المارد بشهادة من بعث ذلك وخطابات من أئمة أعلام باستقلالات إلى سنة اثنتين وأربعين وألف.

وقد أبطل أعيان علماء الوقت هذا الرسم منهم الإمام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي قائلا إنه مخالف لأصول السلف وفصاحتهم، ولنهج ذوي التوثيق من المتآخرين وصانعتهم، ومصادم للإجماع، وما عليه العمل في سائر الأزمة والبقاع، فإنه لا يوصف بخروج اليهود من جزيرة العرب من غير استثناء فأجلاهم الفاروق من غير تخصص، وضربت الجزية عليهم زمن الخلفاء الراشدين كذلك، ولا يجوز اتفاقهم على تضيع حق ولا تهاونهم بتنفيذ عهد عهد رسول الله ﷺ، خصوصا وقد أشهد عليهم الخلفتين أبا بكر وعليا ومن معهما وانفاق أئمة الأعصار، وعلماء الأمصار، بعدهم على عهد ذلك وعدم تقله حتى ينقله إلينا بعد ما نمف على ألف ومائة سنة اليهود، إخوان الشرود، وأيضا أحكام أهل الذمة معروفة ملحوطة، والشروط التي عليهم محروقة منها أن لا يتشابهوا بلباس المسلمين في العمامات ونحوها، وأن يشدوا الزنانير كما ذلك مبسوط في شروط الفاروق رضي الله عنه على نصارى الشام حين صاحبهم.

393
روى ذلك ابن حبان وغيره، وعلى اعتماد سائر أئمة المذاهب الإسلامية في أحكام أهل الدعوة وأجمعوا على ذلك، نقل ابن حزم الذي إجماعه أصح الإجماعات، وكذا نقل الماوردي الإجماع على أن يهود خبر كغيرهم في الجزية، وأيضاً تاريخ ذلك الرسول يُنص من الهجرة مالك الامام في السير فإنها خالية عن التاريخ إلى غير هذا من دلائل الكذب التي اختلفت بالرسوم المذكور ويطول تبعتها ملخصاً.

وقد عوض هذا الجواب وصححه سيدي محمد القسمتي وغيره من أهل تلك الطبق، انظر فهرسة أبي القاسم العمري ونوازل الشريف العلمي.

الأخذون عنه: منهم أبو العباس أحمد الحافي السلوى.

وفاته: مات ب مكانسة الزبتون عام اثنين وعشرين ونائبة ولف ودم في ضريح السيدة عائشة العدوي المبروك بها حية وميّتة.

38 - أبو العباس أحمد بن محمد العمرى بن محمد الكومي عرف بالغماري.

ورد ذكره أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في مؤلفه المسوم بالإعلام بن مضى وغير في القرن الحادي عشر من الأعلام.

حاله: حاله أبو محمد عبد الله في كتابه المذكور بالفقهي الأصولي وقال:

كان فقيهاً مدرساً ولي قضية مكناسة فُحْدِمَت سيرته.

من مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله الهواري، وأبي عبد الله بن عبد الحليم.

وغيرهما

الأخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي حسبما أفصحت بذلك صاحب الإعلام المتعقُّد فلمتيماً، قال خال الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي: قرأ على صاحب الترجمة الرسالة ومختصر خليل، فكان ينقل

38 - من مصادر ترجمته: الإعلام بين غدير 4/1455 في موسوعة أعلام المغرب.
على الرسالة شرح ابن عمر، وأبي ناجي، وعلى المختصر شرح بيرام الأوسط، وشفاء العليل لابن غازي كل ذلك باللفظ هـ.

وفاته: توفي سنة ثلاث وستين وعفل كما قاله في الإعلام.

39 - أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الوالدي - بفتح الواو وتشديد اللام دفين مكناس.

حالة ونسبه: فقيه نبيه، علامة ووجه نزيه، قدوة مشارك، دراك فهامة ناسك، أحد الأعلام علماً وعملاً ومنصه دين، وتابعة ل승ة سيد المرسلين، كان يدرس بقصة الخضراء السلطانية الإسماعيلية من مكناسة الزيتون، وكان يجيد التعبير عن كل ما يريد مبحراً في العلوم علائها ونقيها محقاً لها.

نسب نفسه في كتابه "مباحث الآثار" فقال "قبيلة بن الوالد هم قومنا الذين نشا أجدادنا منهم، وأصلهم من بني عطاء، قبيلة كبيرة معروفة بأقصى جبال ملوكية، وفيهم إخوة قبيلتنا يسمون لديهم ببني الوالد أيضاً، وبنو عطاء مشداً بوزن فقال - أصلهم من العرب كما تقرر ذلك في كتاب أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة، بل أخباره بعضهم أن بني عطاء أصلهم من أخص العرب وهم قريش، وكل ذلك لا يعد فيه لتبدل أحوال القبائل العربية وتنتقلها من أرض إلى أرض، ومن رفع إلى خفض، فتبدل الألسن تبدل البلد، إنه ينهي نصه".

مشيخته: تفظه بالزاوية البدارية واتصل بالوذال curry العلاج سيدي محمد بن عبد الله السوسي وانتفع به، وصاحب العارفين سيدي أحمد اليماني وسيدي أحمد بن عبد الله معن وتردد إليه، وآخذ عن الإمام اليوسي الحسن بن مسعود المنطبق ومنظومة الاضحى في البيان.


(1) نشر المئاني - ص 1956.
الأخرون عنه: منهم أبو القاسم بن سعيد العمري، والعلامة الطيب السيد
عبد القادر بن العربي بن شقرون المكناسي، وناهيك بهما أخذ الأول عنه منظومته
في علم الكلام وغيرها.

مؤلفاته: منها شرح العجيب على مختصر المنطق للشيخ السنوسي، ومنها
شرح المعروف على منظومة الأخصاري المعروفة بالسلم، وشرح على جمل
الخوطي، وشرح رسالة السيد الجرجاني، وشرح تلخيص المفتاح صدره بشرح
خطبة مختصر السعد، وشرح علي لامية الأفعال، وحاشية على المحلي، وشرح
على روضة الأزهار للجادري في التوقيت، وبحث الأوان في سلسلة الأخيرة.

وفاته: توفي ثاني رجب عام ثمانية وعشرين ومائة وألف ودفن بمكناة
الزيتون رحمه الله وفسح له في عدنها.

٤٠ - أبو العباس أحمد بن أبي يعزي الأودي قاضيها.

حالة: فقيه جليل كان متواليًا خطة القضاء بهذه الحضرة المولوية الإمامية
بتاريخ ثامن شعبان عام تسعة وثلاثين وحجة وألف، وقفت على ظهير شريف،
mولوي مسفك، يتضمن الأمر لناظر الوقت الحاج الطيب المطاقي بتنفيذ إعانة له
على القضاء من أحبص المسجد الأعظم قدرها ثلاثون أوقيا بالتاريخ المذكور.

٤١ - أبو العباس أحمد الصيقل المكناسي

حالة: قال في حقه عصريه أبو العباس أحمد المنفور لدى تعرضه لذكره في
ترجمة شيخه ابن هارون من فهرسته: الشيخ المسند أحد عدول مكناة.

٤٢ - أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الشدائي الشريف الحسني

الإدريسي العمراني.

حالة: كان مفتي الأئم، وأعدل قضاعة الزمان، ووجه عصره وأوائه.
وأفضلهم وأزكاهم، وأجلهم وأسامهم، علامة متبناً في الفقه والنحو والحديث والتفسير مصدر المحاقل، في جمع الفضائل، مرجعاً له في السواحل، محتجاً بما يقوله إذا خفيت الدلائل، له نظر في الفقه لا يجارى، وإدراكه في حقائق مشكلاته الشأو الذي لا يدرك فلا يبارى، مجالسه العلمية نزهة الأفكار، لا يقع من أهل النجابة إلا عليها الاختيار، تصدى للتدريس بفنا وغيرها من حواضر المغرب وبواه، وأتدى من وافر تحقيقه على الطالبين ففازوا بسابق أبيه، تولى أولا الفتاوى بكتانس وأقام فيها مدة، ثم نقل منها إلى قضاء الجمعية فاس الإدريسية وفاس الدارية مع الإمامة والخطابة بالقرويين، ثم آخر عن قضاء فاس خاصة، ثم عن قضاء فاس الجديد لغير ربة، ثم بعد مدة ولي القضاء والإمامة والخطابة بزاوية زرهون إلى أن توفى.

مشيخته: اخذ عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي علي اليوسي، وأبي عبد الله المسناوي، وأبي العباس ابن الحاج، وأبي عبد الله محمد العربي بردلة، وأبي عبد الله القسنطاني وغيرهم.

الآخرون عنه: جماعة منهم القاضي أبو القاسم العمري لأزمه مدة إقامته بجناية الزيتون، ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد السوادوخي بن سودة المري قرأ عليه المختصر من البيع إلى الوهدة والعارية، وسمع عليه بعض التفسير من أوله إلى سورة النساء، وغيرهما من فحول آثمة العلم.

مؤلفاته: له فتاوى لم تجمع ولو جمعت لافادت ولاة الأحكام، وغاظت متعصة الحكام، وشرح على لامية الزقاق، وتقسيب على ابن عاصم، وتقييد على العمل الفاسي - قال في نشر الكثاني: فمن تلك الأبحاث استفاد أهل عصرنا وشرحوا الأنظمة التي ذكروها فهو بسبق حائر تفضيلاً.

٣٩٧
قلت: المعروف له والمرجع بأيدي الناس هو حاشية شرح ميارة على الزقاق ولا يعرف له شرح مستقل لها أعني الزقاقية.
وفاته: توفي على ما في «فهرسة القاضي العميري»، و«الروضة المقصودة في الزاوية الزروهونية الإدريسية». قال في الروضة خمس عشر جمادى الثانية سنة ست وأربعين ومائة وألف، والذي في نشر الثاني أنه توفي بفاس ودفن خارج باب المحرق بين المديتين، وبنى أهله عليه قبة وبلغنا أن له عقبا بطنجة. انتهى.
قال شيخنا الكاتبي في «سلوة الأئمة»، ويشك على ما تقدم من أنه توفي بالزاوية الزروهونية إلا أن يقال بتنقله بعد الموت منها إلى هذه الحضرة ودفنه بها، ويكون قوله في النشر: توفي بفاس غطتا نشا له من عدم التحقيق لوفاته، بدليل أنه لم يعينه سنة والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى.
قلت: ولا يعرف له قبر بالزاوية المذكورة وذلك، ما يؤكد كونه مدفونا بفاس.
43- الفقيه سيدى أحمد بن عزو.
44- الفقيه سيدى أحمد الحزميري.
45- الفقيه سيدى أحمد بن سعيد السوسي.
46- الفقيه السيد أحمد بن مومو.
47- الفقيه السيد أحمد بن مسطار.
كل هؤلاء الشيخاء الأعلام الخمسة كانوا بقيد الحياة في حدود الخمسين ومائة وalf بحاضرتنا المكانية حسبما وقفت على ذلك في زمزم مرتب العلماء الشهري وأرساؤهم مسطرة فيه بالتاريخ المذكور، ولم أقف لواحد منهم على ترجمة بعد البحث الشديد.
48- السيد أحمد بن عبد الرحمن زغبوش الفقيه النبي العدل الراضي الثقة.
49 ـ أبو العباس أحمد بن العباس النسب السيد الأثني، الزكى الأثني.

50 ـ أبو العباس أحمد بن عبد القادر النسب الفقيه المعظم الضرى المحترم اللقي الأصعد، الزكى الأسعد.

51 ـ أبو العباس أحمد بن الوالي الصالح سيدى مغشى زغبوش القرشي الفقيه المرتضى الزكى الأحظى.

أما أحمد بن عبد الرحمن زغبوش أول الأربعة فهو من أهل النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

وأما الثلاثة بعده ففيما بين ذلك وبين الآله فيما يظهر من ذكرهم في عمود نسبرصد مؤرخ بأواخر رجب عام تسعين وثمانون وثلاثين وئام ولف وتحليتهم فيه بما ذكر.

52 ـ أبو العباس أحمد بن سعيد العمري.

حالة من أعيان علماء الدولة الإسماعيلية، حاميلي لواء التدريس وثب العلم في صدور الرجال بها، وهو أحد الأعلام الذين شهدوا في عقد توثيق عرى الإخاء الصادر بين الآخرين الأخملين مولانا أحمد المدعو النبي والسيدان الجد مولانا زيدان ابن الأمير الذي طار صيته في بقاع المموم سيدنا الجد الكبير، مولانا إسماعيل بندب والدهما لهما لذلك، وهذا العقد بعثته تحت بدي تاريخه منتصف رمضان عام سبعين وثلاثين وئام ولف شهد فيه على إشهار سيدنا الجد الأكبر بذلك وهو على كرسي ملكته يكتباس جمع وافر من العدول والفقهاء والقضاء منهم المترجم.

مشيخته: منهم والده، وأبو علي بن رحال، ومن في طبقتهما من المعاصرين لهما.
الأخذون عنه: أخذ عنه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصري المكناسي المتوفي يوم السبت الخامس شعبان عام ستة وثمانين ومائة وألف كما بثت ولده إتحاف أهل الهدية.
وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بيد أنه كان يقيد الحياة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف.

٣٣ - أحمد بن عبد الرحمن المجاصي الشهير بالمكناسي الشيخ الأستاذ المقرئ صالح.
حاله: كان أستاذًا صالحا مقرئًا فقهاً أديباً نحويًا.

الأخذون عنه: أخذ عنه ابن عباد القرآن العظيم بحرف نافع، وتفقه عليه في كثير من الجمل لأبي القاسم الزجاج وفي كتاب السهل لابن مالك وغير ذلك.
ذكره مسند فاس أبو زكريا يحيى بن أحمد السراج في ترجمة ابن عباد من فهرسته ولم يذكر له وفاته.

٣٤ - أبو عباس أحمد بن عبد الملك البوعصامي.
حاله: مجدد غائب غيابه اتصال من صغره ساكت لا يتكلم مع أحد إلا ما قول، وكان بعد موت أبيه تارة يكون بمكانة التي هي مقر والده وتارة يذهب لفاس ثم في آخر عمره بنحو العامين استقر بفاس بحومة السياج منها حتى توفي هنالك.
وفاته: توفى ليلاً الخميس حادي وعشري ربيع الأول عام تسعة ومائتين وثمانية ونصف.

٥٤ - من مصادر ترجمة: إتحاف المطالع - ص ٣٤٥ - من موسوعة أعلام المغرب.
(١) تنذف في المطبع إلى: عبد الملك وصوابه من إتحاف المطالع.
55- الشريف أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن علي بن طاهر بن مولانا الحسن الحسيني العلوي.

حاله: له معرفة بالعلوم وبالأخلاق الفقه وال نحو نشأ بالصحراء ببلد أسلافه الكرام، ورحل لحج بيت الله الحرام، وزيارة جده عليه من ربه أزكي الصلاة والسلام، ثم ارتحل لمكاسة الزيتون واستوطنها وصاحبه السلطان بنت السلطان مولانا سليمان تعرض لذكره صاحب "الشجرة الزكية" وقال إنه حي بمكاسة في عصر تأليفه المذكور وهو من علماء الدولة العبد الرحمانية.

56- أبو العباس أحمد بن أحمد الحكيمي الأصل الرباطي النشأة والدار المكاسى الوظيفة.

حاله: حامل لواء التحقيق في زمانه، جهينة المقول والمنقول، المرجع إليه في الأدب والفروع والأصول، حلو النسب بطبع الترتيب إذا نظم سحر للأباب، وإذا نشر استورث على الأرواح بخلاص الكلاب، بطبع الإنشاء سيال القريحة بارع في الالملاء، مع شجاعة وإقامة. وتقدم في الرماية والسباحة والمسابقة، يشهد له بذلك الخاص والع عام، كثير العبادة والتأييد والتهجذ بالأسحار، معمر أوته بالدراسات العلمية مع كثرة الأذكار، والصلاة على النبي المختار، واثق بره محسن ظنه فيه لا يهتم لتأثيث ولا يضجر لها، يتلقى ما تبره الأقدر بقلب سليم.

رجل لفاس، وأخذ عن جلة أثمتها الأكياس، ثم رجع نبلده فاكتب على التدريس، وأفادحة الناس بإبراز كل نفيس، ثم أصد له قضاء العدوتين: سلا والرابط، وذلك عام أربعة عشر ومائتين وألف، ومكث في ولايته هذه نحو الخمس سنين، ثم أعفي عقبية يوم السبت الثالث والعشرين من جمادية الثانية عام تسع

56 - من ممصات ترجمته: إخوان المطالع - ص 2485 في موسوعة أعلام المغرب.
عشر ومائتين وألف وولي مكانه العلامه سيدي الطيب بسير - آتي الترجمة في حرف الطاء - بحول الله تم خوطب بالقضاء مرة ثانية فامتع من القبول فألزمه الخبراء أن يقبل فامتع واعترذ عن ذلك بأنه كان يفاضل في القضية الأول الفقهين: الغربي والمير، وقد ماتا مما رحمهما الله كذا في "تعطير البساط".

ووقفت في بعض مقيدات مؤرخ سلا السيد محمد بن علي الدكالي الأصل السلاوي النشأة والدار نقلها عن أحد نبأء تلماذ السيد محمد بن الشهامي بن عمرو الرباطي، أن المترجم ولي قضاء مكناس ولفظه لدى تعرضه لترجمة القاضي بسير: وقال معاصره الأديب ابن عمرو الرباطي إنه أخذ عن قاضي العدوانين ومكانتهما الفقهية المشارك السيد أحمد الحكيم الرباطي رحمه الله وانتفع به فعلا بيتاه. إنه من خطبه وانظر إن صح ذلك هل كان قبل ولايته بالعدوانين أو بعدها أجرى ذكره العلامه أبو إسحاق النادي لي تاليفه "أغاني السقا في علم الموسيقى" وأفاد أنه كانت له مشاركة حتى في علم الأغاني والألحان ونواكش الموسيقى وذكر له فوائد علمية، في خلال، مؤلفاته الأدبية وذكره الرباني في فهرسة أبي الربيع السلطان مولانا سليمان وغيرها.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بناني مُحَمَّد الزرقاني وأجازه عامة، وعن الشيخ محمد الشيشيمي ومن في طبقته.

الأخذون عنه: منهم نجله السيد صالح والسيد الطيب بسير، والسيد محمد ابن عمرو، والسيد محمد بن عبد الرحمن الشرشالي، والقاضي ابن جلون وغيرهم من عيون آعيان العلماء.

شعره: من ذلك قوله بمدح العلامه آبا حفص سيدي عمر بن محمد المكي

الشيخ المعني الشرقي:

للبين ما بين أفلاذ الحشا أثر

والشروق إلى نحو الحمي نظر

٤٠٢
يرى المشوق وفي عبارةه عبر
وآن رأى الصدق في دعوى المحبة
ويكن يرتتجي يوما يسير به
فوصلكم متنهي الآمال يا عمر

ومن ذلك ما رآه صديقنا ابن علي السلاوي مسوبا إلى المترجم يبدح النبي

**بعده:***

دعتني فتاة الحبي بادية نحرا
فلبتها والدمع يهمي واضمعي
على حسننا إن شئت(1)... 

فلقالت وقد ملأت عن الوجه برقعا
لا تقدم يا أخا العشق إنني
فإن شئت أن تهوى جمالي فلا تعد
وكن خليلا عما سواي وعندما
ومنها في التخلص لدمج رسول الله

فقالت وقد كان الرضا وتبسمت
عليك بمن أسرى إلى مناح الامراء

ومن ذلك قوله في المقام حسبما رأيت ذلك بخط بلدي تلميذ هذه العلامة السيد
محمد بن النهامي ابن عمرو في كتابة له منها نقلت:

شم بارقا سحرا بابل قد لاحا
واسرب عليه من الأنراح أقداحا

وقد أمر تلميذنا المذكور بالزيادة عليه فخمسه بقوله:

نفذيك أهلا وأموالا وأرواحا
يا من بسر علوم الشرع قد بحا

بشراك قدرون طير السعد إفصاحا

(1) كذا في المطبع.
واشرب عليه من الأفراح أقداحاً
وعش برياً من الأكدار في سعة
لدى رياض عن الأسسا متمتعة
ترى الأعادى باشلاء مزعة

واهتنا بأمن مع الإقبال في دعا
وارقب لما أثاث الأباب إصلاحاً
وقوله مخاطباً العلامة الأديب سيدي سليمان بن محمد الخوات وطالباً منه

قراءة الخزرجية معه كما وجد ذلك بخط المطلوب منه ومن خطه نقلت:

كم ذا نعاني وفرط الشروق أفنا
أما فلك الدمع حينا ثم أرسله
ذا لوعة برماح الحب طاعة
وجمرة ورفاء ليس ينسان
وطرفة بسهام الحب راشقة
أين صب يواري الحب كتمتانا
إلا لالقي مني قلبي سليمانات
أخلاقه تشتهى حسبنا وإحسانا
واعد بالعلم فياضاً وملاكنا
دثر بالمعالي رياض الناس لا برحت
بحر طما فصا فلفكر مشربه
يزري بنظم اللالى نظمه وكذا
لهن موايا ما اولاه خالقته
فبض تدرك فقوع الخصى
فم ذا نعاني وفرط الشروق أفنا

٤٠٤
وفاته: توفي بعد ظهور الفجر من يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان عام سنة
وعشرين ومائتين وثمانية وله القاضي صالح بقصيدة طويلة لكنها دون
الأولي، كما رثاه تلميذه ابن عمرو، ومطلع الأولى:

ما احتاج للتأنيس والإكرام
عز المصب وسلسه وانهض إلى
ومطلع الثانية لابن عمرو:
كيف الوراء خطبة أن يحل على الصبر ويرخص من دمع الوري غالي التبر

57 - أبو العباس أحمد العمراني الفقيه الشريف.
حاله: فقيه جليل وجيه تولى الخطابة بالمسجد الجامع الإدريسي بعد وفاة
خطيطه سيدي الفاطمي بن عبد القادر، وتولى نبأ القضاء بالزاوية الإدريسية.

58 - أبو العباس أحمد المكناسي.
الشيخ الصالح الشهير شيخ الغماري الذي أخذ عنه والد صاحب "أنس
الفقيه وعز الحضير" رواية نافع في القراءة وحدثه برجز ابن بري عن مؤلفه ووالد
صاحب الآنس المذكور هو القاضي أبو العباس أحمد بن الخطيب القطيني.

59 - مولاي أحمد بن عبد المالك العلوي.
قاضي الجمعة بالحضرتين فاس ومكناس.
حاله: له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة والتاريخ والأدب والتوثيق
ومعرفة الكاملة بصناعة الأحكام، حلاه ابن عبد السلام الناصري: بسيدنا الشريف
الأجل، العلامة الأفضل، نور النبراس، سيدنا ومولانا أبي العباس، وقال في حقه
تلميذه العلامة الشهير صاحب الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير

59 - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع 7/2543 في موسوعة أعلام المغرب.
الأشرف، ما لفظه: قاضي الجماعة بالحضرتين الإدريسية والمولوية شيخنا أبو العباس مولانا أحمد بن عبد المالك، له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة مع المعرفة التامة بصناعة القضاء والوثائق واستحضار نصوص المكتثر وقضايا التاريخ والادب. انتهى.

وكان مثليا خطة العدالة بهذه الحضرة المكناسية، ثم ولاء السلطان أبو الربع مولانا سليمان عام أربعة وثلاثين ومائة ولف ورشحه خطبة جامع قصبة المولوية أوائل محرم فاتح سابع - بموحة - وثلاثين ومائة ولف، حسبما وقفت على تاريخ التوليين بخط يده منه نقلت، وقد كان قبل ذلك من عدول مكناسة المرزون، متصدرا للشهادة وقفت على عدة رسوم بخطه وشهادته و كثير من خطاباته وتسجيل عليه.

وكانت تولية لقضاء فاس البالي وتأخيره عن قضاء مكناس فاتح شعبان عام سبعة وثلاثين ومائة ولف حسبما ذلك بظهير السلطان أبو الربع مولانا سليمان الصادرة لولده خليفته مولاي الحسن، ودونك لفظه بعد الخملة والصلاية.

ولدننا مولاي الحسن السلام عليه ورحمة الله وبركاته، وبعد: فتأمرك أن توجه لحضرتنا العالية بالله قاضي مكناسة ولد عمة مولاي أحمد بن عبد المالك بجرد وصول كتبنا هذا إليك فورا، ليلا أو نهاراً مع جروان أو مجاط، ومن أتي معا من البربر فقد سامحنا وأمناه وأهل مكناسة يجتمعون ويتفقون على رجل يرضونه لأنفسهم منهم أو من غيرهم، ويولونه عليهم، وأما مولاي أحمد فقد ولية أمر القضاء فاس البالي، وفي ثالث شعبان عام سبع وثلاثين ومائة ولف.

ولم يزل على خطته فاس إلى أن بوعي المولى عبد الرحمن بن هشام ثم رجع لمكتاس ناجيا بنفسه من أدى غوغاء أهل فاس كما في بعض التقاضي الموثوق بسحاتها.
مشيخته: أخذ عن عمه الموالي عبد القادر بن محمد بن عبد المالك شارح الهمزية، والüşاصيمية، وأجاز له ابن عبد السلام الناصري في الطريقة الناصرية في رابع رمضان عام تسع وتسعين وثلاثين، وأخذ عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالية، وعن غيرهم من شيوخ فاس.

الأخذون عنه: منهم المؤرخ النسايب القاضي أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون بن الحاج السلمي الفاسي صاحب حواشي المرشد المعنين، وغيرهم من التأليف المتنوفي بعد عصر يوم الجمعة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف بفاس، وشيخ الجماعة مكناس الحاج مبارك بن عبد الله الفيضي.

مؤلفاته: له تأليف في تحرير السكر، ويلال: إنه كان لا يقبل شهادة من يسبره الأمل ما جاهل حكمه يجب التوقف عنه حتى يعلم حكم الله فيه، وقد حكي الغزالي في (الإحياء)، والشافعي في رسالته، الإجماع على أن الكافل لا يجوز له أن يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله تعالى في هذا مسلم المترجم، وإن كان التعويل على خلافه، وله أيضا (مجموعة خطب) و(تقديم على الخطبة) التي أملاها السلطان العادل مولانا سليمان لما كان بهذه الحضرة المكلمية عمام خمسة وثلاثية ومائتين وألف لما طلبه منه أولاد الشيخ الكامل محمد بن عيسى دفني خارج باب السيبة من مكناس إقامة الموسم على المألوف عندهم حسبما وقفت على هذا التعليق مع مجموعة الخطب بخط يده في ميضته وسنورود الإملاء المقيد عليه بحول الله في محلة.

نثره: من ذلك قوله في بعض خطبه التي أنشأها (الحمد لله الجزيل الفضل، العظيم البذل، الحكم العدل، الذي لا يسأل عما يفعل، ومن سواء عن أفعاله يسأل، نحدها تعالى على ما أولاهم من النعم، ونذكره جل وعز على ما زوى عنا من النقم، ونستعينه ونستغفره من جميع الذنوب، التي أورثتنا الأحزان والكروب، 407
وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشهد أن سيدنا محمدًا عبده بالهدي ودين الحق أرسله صلى الله عليه وعلى جميع الصحابة والآلو، ومن لهم إحسانٌ ثالث، صلاة تقبلاً جميع البلايا، وتكفر عنا جميع الخطايا، من يطع الله ورسوله فقد سعداو فار، ومن يعص الله ورسوله فما له في عرسات القيامة من مفارح... إلخ.

ومن خطبة أخرى قال: "الحمد لله المجيب من دعاه، ومن تولى عليه كفاه، ومن احتسبه حماه، ومن اتجأ إليه أواه، نحمده حمدًا من غير عدو لا تناه، ونكره على ما أعنه به وأوالة، ونستعينه ونستغفره من كل ما جنيناه، وشهد أن لا إله إلا الله، وشهد أن سيدنا محمدًا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ذوي الانتهاء والجلاء، وعلى كل منيب أواء، صلاة تلقاً أرجاء العرش وما حواء، وتحول بها بيننا وبين الشر ومن نواع، من يطع الله ورسوله فساعدا، ومن يعص الله ورسوله فبلاها، نساله تعالى أن يجعلنا من لطاعته اجتياه... إلخ.

ومن صدر خطبة أخرى "الحمد لله الملك المعبود، المقر ووحدانيه أهل الإيمان والجماع، نحمده تعالى ونستعين الله عليه بما أثني عليه أحب خلقه إليه، اللهم لا أضيء ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ونكرك شكرًا نستوجب من فضله المزيج، ونستعينه ونستغفره من كل ذنب به الكاتب علينا شهيد، وشهد أن ل إلا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد، وشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الحميد الملجم، صلى الله عليه وعلى من تبعه فيما أوثى إليه صلاة نستوجب بها من الله تعالى رضاه، ويلطف النا بها فيما قدره وقضاء، من يطع الله ورسوله فقد فاز فأعذراً، ومن يعص الله ورسوله فقد ساق إلى نفسه عذاباً أليمًا... إلخ.

وفاته: مات بمكناس لعشر ليال خلت من رجب سنة ألف ومائتين وحاد٢

وأربعين ودفن بوضعة سيدي عبد الله القصيري الولي الشهير.
تم أرادته زوجته أن تدفن بنتها معه فوقاً بينها وبين أرباب الروضة شيء.
فأخذته ودفنت في دارها ودفنت البنت في محله، ثم بلغ الخبر لأمير الوقت جدناً.
من قبل الإمام عبد الرحمن بن هشام فقال: القبر حبس على صاحبه وأمر برده لمجلة المذكور وإخراج البنت منه، أخبر من حضور من أهل الروضة أن البنت لما أخرجت من القبر كان الناس يسدون أنوفهم من شدة النتيج، وأما هو فلم يوجد له شيء من ذلك لا أولاً ولا ثانياً، وجلسه لم يتجنب ووضع يده على الكفن فوجده كالعنكبوت. وقبره في الروضة المذكورة معروف أخيري بذلك شيخنا العراقي.

۶۰ - أبو العباس أحمد بن الرضي بن عثمان المكناسي.

حاله: نافية زمانه، علاءدة مشترك محمد نقاد تقصي بلغ، ذو ملكة واقتدار، ناظم نائر، محاضر محترف تحرير، وجهه نزيه، استجابة السلطان الأعظم سيدي محمد ابن عبد الله في بساط ملكة وقُدره قَدره وأسفل عليه أردي الإجلا والإكبار.

ذكره أبو القاسم الزياشي في خاتمة "بيستانه" من جملة كتاب الحضرة السلطانية المحمدية ووصفه بالمشاركة، ولاه النشابة الثابت بمطلع سيدي سليمان الحوات: بالأدب البلغ الهمام فيما وقفت عليه بخط يده وذكره لأشعاراً رائعة فاتحة تنزل على مهارة الرجل ومكانته في العلم والأدب والتنفس في أفانين البلاغة وحسن الصياغة.

وهو من جملة العلماء المحدثين الذين نقلهم السلطان المذكور لماركش وفرقهم على مساجدة بقصد تدريس العلم بها، وبه في صدور رجالها، والذين يحضرهم مجالس دروسه الحديثة وغيرها كما في "الترجمانة الكبرى" ونهاية بمن رشده ذلك السلطان الطائر الصيت في المشارق والمغارب المتضلع في سائر الفنون المقتدر الريان.
مشيخته: أخذ عن أبي حفص الفاسي المتوفي منسلخ رجب عام ثمان
وثمانين ومائتا وألف المدعون بزاوته بالمخفية من مدينة فاس، والشيخ أبي عبد الله
محمد التاودي ابن سودة، وأبي عبد الله محمد بن الحسن بناني المتوفي سنة أربع
وسبعين ومائتا وألف وغيرهم، من هو في طباقهم من أعلام عصره.

شعره: من ذلك قوله مغاطبا شيخه أبا عبد الله محمد بن الحسن بناني:

فترته منه نيرة الشمسم
فاحيا نشره ميت النفوسة
انثى بجالور الصدفي النفيس
مسامعتا بخاتصر السنوس
به حشيتته أنسى لبوس
منذاقا من معتقة الكنوس
وجدد ببني ولو يوم الخمس
ففتح في المجامع والطروس
ابن عبد الإله على الرووس

وقوله:

واشنب أبدي الحسن فيه بدأعا
كنجاه قد تأتت فرنت من الوجد
أراك حلول الروح في الحجر الصلد
به بين أرياب الشهي وريت زندي

410
وقوله مخاطبا بعض بطارقة الملك وخاصته، وواسطة عقد جهابذ الوزراء من دولته، على لسان بعض من لا يصل لاحتياجه من الأمير، إلا بواسطة هذا الوزير، وقد بلغ به الاحتياج الغاية، والإملاق فوق النهاية:

عماد الملك ما أعلى منارك
و ما أجرى من الجدوى بحـارك
فلا لن يشـق نهـا بـبارك
بـك القلم استطال علي رماح
وصرت من المكارم في مقام
تـخذت به ذرى الجـوار وـجارك
مختان عاطل أضحـى جوارك
وأوـدت في نواياتها تدارك
فـلا زالت تـخاطبـك المعالي
هـلـم مـعظـما يا بـن الـبارـك

وقوله يرثي شيخه أبا حفص الفاسي:

بـسلسل وبرـسـل ومسند
فـاحـل حدث الـدمـع عندـك حـجة
وأبـك العولـم أصولها وفروءها
واـبـك الدروس ولا تـكن كـالجملـد
والـبراعة والـيراعة تـهتـنـي
وـابـك السماحة والصباحة وـالفصاحة
واـبـك المجاـدة والـجلالة والـمكانـة
واـبـك الـمآءـر والـفـاخـر والـعـلا
وـابـك المواهـب والـنـاثرة تـخـمـد
لما فـقدت حـياة أفضل سـيد
قد أـحـرـوا رـبـب العـلا وـالـسود
كـهـف المـريد السالك المسترشد

۴۱۱
وضياؤها قطب الشيخ الرشد
النسابة الأسمى العلي المهتدي
والتحرير سبط العارفين الزهد
شم الأثوف من الطراب الجيند
بل سيداً عن سيد عن سيد
يوم يشيب الطفل قبل الموعد
ومالهم يفدونه أن لو فد
لم يقضه في خلقه لم يوجد
ام من به أجلو ظما قلبي الصدي
وكأتبى عند اشتباه المقصد
نس وحشتي في غربتي وتفردي
وتفسجي وتوجعي وتنهدي
يسخو به طول المدى والمسند
ومسيرة أوصفها لم تنفذ
عذبة في كل وقت مساعد
وتلالات فيها وفي كم مشهد
من لم يدق ما ذاقه فكان قد
ويثير إله الفردوس دار الخلد
معه ويتعم بالتعيم السرمدي
نور العلوم وتاجها وبها ؤها
العالم العلامة الفهماة
عمر آخر التحقيق والتدقيق
من معشر فوق السماء مارهم
ورث التقى والعلم ليس كلالة
لله يوم فينه غابت شمسه
المسلمون جميعهم بتفوسهم
ما شاء الرحمن كان وإن ما
ياليت شعري من أرجي بعده
ام من يبرج جهالي وضلالتي
ام من يفرج كربتي أم من يؤ
ام من ينزل تولهي وتلهفني
بخل الزمان بما يهات لا
اسف لايام مضت في سلوا
ولايفة ومودة ومواصلات
ومجالس قد أشرقت أنوارها
يا جملة الإخوان صبرا إنه
والله يسقي سحائث رحمة
وينبنا ذاك المقر تفضاً
فالمرء مع محبوبه هذا الذي صلى عليه الله خير صلاته وقوله:

شعر نظامك أم رياض الآس فكأنها ألفاظه نشر الصبا لولاك ما حط القريض لشامه لازلت موفور المجاهدة والسنا طودا على متن المكارم رأس وقوله مادحا مخدومه السلطان العظيم المقدار سيدي محمد بن عبد الله برد الله ضريحه:

وعشقو ليس يشربه لسان عظيم كمدف يمسكه العنان بما يلقى وإن عظم الهموان عليها الحضر يقصر والبيان به البطل المسوود والجبان سن الملك المؤيد ما استكنا مناطقها خدمته الحسان سبلا فيه رشده استبانوا له وبدا لعمركا ما تهان وإن غربت كما شهد الجبان

413
إذا سدنت أسهمها أمان
بصارمها يحذده سناً
طريقها لا يطاععه بنان
وثررك ما تنظم أم جمان
لبارق مبسميك به اقتراح
لمكر لا تُمَكَّرُه القياسان
بضواء من نشامه بعضاً
لسرع بالسجود إليه بان
تنزه أن يكشفه لسان
على الدنيا تجود بك الجنان
بقرب منك يسعدني الزمن
وغصن الوصول توجه افتنن
وبعذك ما به قمر يزان
بنور سناك عن عيني ران
عليه كمسودين فتى يدان
أسابهم ذاتي حيث كانوا
ولا أشكر إذا ناب امتحان
سواك ولا تنسيبه دنان
عمسى أن لا يبين له عيان

بديع الحسن من لحظك هل لي
اعمارت أعينا حورا وثارت
فكم مثلي صريع هوى لديها
أحذك ما أرى أم غض ورد
كان سناه بالآجال يقضى
تعلال الله حتى البرق يهدى
يؤمل أن يخادعه عسى أن
ولو أبدى قُوامك بعض لين
بل في كل عضو منك معنى
وما ظنني (وبعض الظن إثم)
مثى يأمن أنال البدر حسنا
رعاك الله من زمن تقضى
بربع كنت ألفه رياضا
 فلا صحبت رياح اليمين ركبا
أما اعلموا بأن الدهر حق
مطابا الشرق أتبعهم كأتي
من أشكر ضني يعتاد جسمي
معاذ الله نآسل بشيء
فكم أودعته صدرا ضيحا

414
قسمت العمر أجزاء لعلي
أشذهم ففروني افتتان
على حمل الغرام به أعان
أرجي الوصل أحبا وحننا
ولو أهل الصليب رأوا يوما
وقوله مخاطبا بعض الأدباء وهو مريض:
أحبنتا حتى الخروف تحرفت
فأصبح معمر الرسائل منكم
مهمه لا تنفك موحشة قفرا
كنا جنينا الود في دينكم وزرا
وعذبتنا بجفافا دون زلة
وقوله:
ذوو الدوق إذ كانوا بروضهم مكتا
باجمعهم قالوا فجهشت به شا
خشونة طبيع المرہ يستعمل البحثا
يثبت على تقفها ذو النهى حثا
وحينا وحينا فهو لم يستدم مكتا
مغالطة حينا وحينا خطابة
وقد عده أهل اللطفا وردة
فقد ناهقا إن لم تدق ذوقها ولا
تحش علينا من فروعها الروثا
وقوله مخاطبا شيخه أبا عبد الله التاوية ابن سودة:
إن أكن في العلوم روضا نضيرا
فلقد كنت ثم لازلت ماضي
أو أكن هاديا فعلامك نور
(1) في متن المطبوع: "فهمى وبهامشة كذإ" وما أثبه مناسب عروضا. ولعله مناسب للسياق. والبيان من الميد.
وقوله:

"ولن تجهل جاهل قد جهلته
ولن خير في عالم من أنفس أدخلا"

وقوله:

"فأكسبت البحر المحيط وجومها
فأطلعتها ليل الحداد نحومها
وتحرق سراق الفتي المشترك رجومها"

وقوله:

"أهدي سطور أم بحور تطفقت
أهدي معان أم غوان ترقوت
فشت شرق نورا يهتي بسائه"

وقوله:

"وانت على رغم الأنواع أمير
وانت بما في الخالنين خبير
وقد نبت في جنع الساقم يسير"

وقوله:

"رويدا فما قول الوضحة يضير
ولا يوجب الهجران والذقر بين
فما لك يا بدر الجمال تركتنا"

وقوله:

"فقيحتها تحت وريف الطلال
ذ او بين أنهار جردت بالزلال
وجمامات الراح برناك الغزال
وأثرت رقعتها في الشمال"

وقوله:

"له في على تلك العشايا التي
من بين أعهار رهت بالرذا
والورق في الأوراق راقصة
قد اهده في خده لونها
واكسبت الحاظه فعلها
لازالت في سكر لواحظه
ويكما رمت اقتطاف جني"
فإن رجعت القهقرى لدغت
وإن أحمر حول حفي شعره
من منشق من اسر طلعته
ووهم أوقف على تاريخ وفاته.

٦١ - أبو العباس أحمد بن علي العلوي.
نزيته زرهون.

حاله: فقيه معدل وقت فاضل جليل نزيه.
مشيخته: أخذ عن السلطان الأعدل مولانا سلیمان كما للزبانی في جمیرة
التیجان.

٦٢ - أبو العباس أحمد بن المجدوب ابن عزوز المکناسی.
قاضیها الأعدل.
حاله: فقیه جلیل عالم فاضل تولى الأحكام الشرعیة، بهذه الحضره المرعیة،
المولویة السلطانیة مدينة مکناس، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ متم سنة
سبع وثلاثين وستة والنصف، وغالب الظن أنه هو الذي تولى الخطة بعد المتربج
قبل الذي يلبیه، لان آخر تسجیل وقفت عليه للمتقدم في أول سنة سبع وثلاثین
وأول تسجیل للمترجم متم السنة المذکورة.

٦٣ - أبو العباس الحاج أحمد بن محمد المعروف بالمزبان.
ابن عامل سلا، والریاط القائد بناصر الصفار الفاسی الأصل المكناسی
الولادة والمدنی.
حاله: فقیه بركة ذاكر معمر صالح متبرک به وفاة مشغول الوقت بالذكر.

٤١٧
والعبادة، حج ثلاث حجيج، الأولى عام ثلاثة عشر ومائتين وثمانية، ودخل مصر
وبغداد، ولقى أهل الفضل واستفاد وأفاد، ورجع لمسقط رأسه وأقبل على عبادة
رهبة وإفادة خلقه، اعتقه عوازم الناس و الخواصهم وكان السلطان المولى عبد الرحمن
ابن هشام يحبه ويحله، ويذهب لزيارته في منزله.

مشيخته: أخذ بالشرق عن الشيخ إبراهيم شهاب الدين العباسي الإسكندري
عن الشيخ مرتضى، والغرب عن سيدى العربي بن المعطي الشرقي، وسيدى
محمد بن أحمد المتنوع من ذريينة سيدى علي بن منون، وعن مولاي عبد الرحمن
الإمام عن أبي العباس أحمد الخبيب، عن شهروش الجنى، وعن أبي محمد ابن
عبد الله بن بوبكر عن التنومي العوفي الفرجي عن شهروش وعن غير هؤلاء
من فصول النقاد، وسيرة المشايخ الأمجاد.

الأخذون عنه: منهم السلطان الأعظم مولانا عبد الرحمن بن هشام وأفاده
وأجازه بقراءة وان يكاد الذين كفروا ليغلفونك بأصابهم إلى العالمين [الآيتان 51،
52 من سورة القلم] وقال له: عَنَّي بِهَا إِلَيْكَ أَتَبَارَكَ وَهُوَ الْمَلِكُ وَالْقَبَدُ
العالم لك، يذكرها دير كل صلاة سبع مرات كما وجد ذلك بخط نقل
السلطان المذكور مولاي العباسي ومن خطبه نقلت، ومنهم قاضي مكناسة السيد
العباسي ابن كيران، ومولاي الهدي بن عبد المالك، والسيد عبد الكبير بن المجذوب
الفاسي دفين شالة، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المدعو الكبير
الكتاني، ومولانا العباسي بن عبد الرحمن بن هشام وغيرهم.

وفاته: توفي عام ثمانية وبعرين ومائتين وثمانية وفده ودفن بداره بأقصى درب قبالة
ضريح سيدى عبد الواحد الإشتر بالخومية المعروفة قدما بالقسطنيين بالبيت المقابل
للدخال بالركن الأيمن منه.
64 - السيد أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الطيب بصرى.

المكانيشة النشأة والمدار، الولهاشي الأصل شيخ أشياخ شيوخنا.

حالة: بيته يعتز علم وإجلاء وإكبار، وحسب ومرفعة ووقار، ملحوظة بعين
العتبار، كان هذا حظ واقف من النحو والفقه، بارع الخط له همة عالية، وزيد
وورع يعلم الصبيان، وتخرج على يده عدة من حكمة القرآن، ومنه فشا بارع الخط
بالحضرة المكانيشة حتى كان يضرب بجودته المثل واستكتب آخر عمره مع بعض
قود مجاصل.

وفاته: توفي في بلاد زعير بالوجه العام عم خمسة وثمانين وثمانين ولف
ولم يعقب رحمه الله.

65 - أبو العباس أحمد بن علي السوسي.

العلامة المشارك الوفاة.

حالة: علامة مشارك قاعد مدرس نفاعة، أخبرني ابن حفيدة شيخنا محمد
السوسي أنه حدثه غير واحد من ذويه وقرابته أن المترجم كانت له بد طول في
علم الوقفاء وسر الحرف، وأنه رحل إلى الحج، وأن قدمه من بلاده الساقية
الحرمراء كان في دولة السلطان أبي الربع مولانا سليمان، وأن السلطان المذكور هو
الراجل في مقدمته عليه، وأنه وجه من طرفه من بانيه بينه من مسقط رأسه، ولما
ورد وجد السلطان بالحضرة المكانيشية فأكرم مثواه ووضع له ونزل بمدرسة الجامع
الأزهر المعروف اليوم بجامع العروة عليه بطلب من المترجم، وأنه لما سمع بمقدمة
العازف بالله مولاي عبد القادر العلمي توجه إليه بقصد زيارته على عادته رضي
الله عنه، ففضلته وقه المشار إليهم بالخير والصلاح، فلما اجتمع سأل كل منهما
صاحب عن اسمه ونسبه عبلا ستة خير الأنام في ذلك.

64 - من مصادر ترجمته: إمتحان المطالع 7/2639 في موسمه أعلام المغرب.

419
وأخذ سيدي عبد القادر العلمي عن المتُرجم سر أسماء الله الحسنى كما أخذ هو عن العارف العلمي المذكور، قال حنفية المتُرجم العلامة السيد المفضل بن المكي ابن أحمد المتُرجم: ولم أقدر أن أسأله يعني العارف العلمي عما أخذه الجد المذكور عنه. أهابك إجلالًا... إلخ. 

وبعدما طالت مدة إقامتة طلب من الأمير المذكور أن يرده لمحله ومسقط رأسه فامتتنع من ذلك كليا، وزوجه بشريفة توفيت في الحين ثم بأخرى رجراجية. 

الأخذون عنه: منهم ولده العلامة المشارك السيد المكي أما وفاته فلم تخفظ. 

قلت: ولا يعرف له خبر ولا أثر من غير هذه الطريق بعد السحث الشديد وقرب العهد ويباء غير واحد من عناصر المولى عبد القادر العلمي وضطرب من أخذ عنهم ومن أخذوا عنه ومن تدبج معهم، وأغرب من هذا وأعجب كون المتُرجم بهذه المشاية القصص وما مات حتى خلف ولده من أعيان علماء وقته وعدولهم المبرزين وهو لا يضبط زمن وفاة والده ولا تعني قبره بل ولا في أي روضة دفن. 

٢٦ - الأستاذ السيد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد الكبير ابن الشيخ محمد - فتحا - الناصري. 

حالة: كان فقيها علامة مشاركًا متفناً ذات حسن، وهدى مستحسن، لساني رطب بذكر الله. 

وفاته: توفي سنة أربع وثمانين ومائتين وألف. 

٢٧ - السيد أحمد بن عبد الله الناصري: المقرئ من ذرية سيدي محمد الصغير ابن الشيخ سيدي محمد. 

حالة: كان أستاذا مقرنا فقيها متفضلًا خيراً ديناً مشارعاً في علم القراءات يقصده الناس للاخذ عنه والاستفادة منه كثير التلاوة والأذكار، لم يتخلف عن
درس مشابخه العلمية، إلى أن اختمته البنية، وكان مصداً دكانًا بالصابعين
يجلس فيه لإفادة الناس، وكانوا ينزلون إليه من كل حبل لأخذ علم القراءة
وغيره عليه، وكان مقتصراً في إقرائه على المتفرق والمفهوم وتفقيده ما يحتاج للتفقد
إفتح به خلق كثير من القرئين وغيرهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الاستاذ الزموري، والاستاذ عياد البخاري
والعلوم الننقلية والعقلية عن ابن الجيلاني السقاط، وهو عضده وعمن في طبقه من
الأعلام.

68 - أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر بن محمد فتحا ابن
أحمد الكنكسي الشهير بالجبلي.

الأخراوي أصل المكتاسي مشاغ واستيطاننا كما قال عن نفسه.

حاله: ففيه وجيه ميقاتي ماهر له معرفة بالفقه والنحو والتوقيت والتداعيل
ومن يرجع لذلك، وأسند إليه ذلك في غير محل حسبما صرح بذلك في عدة
تقاسيد له وقفت عليها بخطه، وفي التوقيت بينار أبي عثمان سعيد بن أبي بكر
المشرّّاتي (1) دفين خارج باب وجه عرس من مكناسة، كما ولي توقيت منار
مولانا إديرز الأكبر باشا زرهون.

وأما وقفت عليه من فوائده صدر مؤلف له في المولد النبوي قوله:
لما أن من الله علينا وألهمنا إلى الابتسال بجمع ما قد قبل وصنف في المولد
ال الشريف وذلك من أفضل الأعمال، والابتسال به من أجنح الأفعال، وقد ورد في
فضله ما يفوق أوقار الجمال، وقد وجب على كل مسلم أن يعرف نسب رسول
الله ﷺ ويعمله لأهله وأولاده وبحفظه عن ظهر قلبه إن أمكنه ذلك، وإلا نظراً أو

68 - من مصدار ترجمته: إphem الفعال 7/ 548 في موسوعة أعلام الغرب.
(1) تحرف في المطبوع إلى: المشرّاتي، ووصواه من دورة الناشر في الموسوعة 2/ 880.
كيفما أمكن، ولا يهمه إلا من لا خير فيه أو من حجب عن الله فكما يجب على المسلم معرفة الله عز وجل بحفظ السنة والستين عقيدة، فكذلك يجب عليه أن يعرف مولد رسول الله ﷺ ورضاعه وبعثه للناس وجهاده وما وقع من يوم مولده إلى يوم موته باختصار من القول، هذا للأمي، وأما القارئ فيتبع عليه البحث على ذلك والإطاب فيه فليس بعد قراءة كتاب الله شيء أفضل من قراءة شمسائه وأيام مولده ورضاعه. انتهى الغرض، ومن خطبه نقلت: مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله بن حلام إمام مسجد أبي العباس أحمد الشبلي المرجح فيما مر، والحمادي، وخميش، والشيخ أبي النسيج حمدون ابن الحاج السلمي، كذا قال عن نفسه فيما نقلته من خطبه. مؤلفاته: منها «النفحات الوردية والطبيعة في تاريخ مكتبة الزينون المولوية»، لكنه لم يكمل، وقالت على الموجود منه في ورقات بكتاش لبعض أصدقائي الأعلام، وروى الورد والزهر في مولد المصطفى خير البشر، وقامت على بعضه بخطه وغرض ذلك، وفاته: توفي في أواخر القرن الثالث عشر وقد كان حيا تاريخ ثمانية وأربعين ومائتين ولف. 29 - أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الكريم بن علي ابن طاهر بن مولانا الحسن الحسيني العلي. قاضي مكتبة الشريف الأصيل.
حاله: كان إماما عادلا له همة على، ونفس أبى، حسن السيرة صلبا في أحكامه محدثا مسندا راوية ممتازا بين أئمة التحرير، بالإتقان والثقة بدون نكر، خطيب بليغ مصفع، رحل إلى الحج وزياره جده خير الآب، وكان متمسرا خطة.
الشهادة بسماع عدول هذه العاصمة العلوية، ثم رشح خطة القضاء، وقفت على
تحليته في رسم منسجل عليه بتاريخ أربعة عشر ومائتين وألف بما لظهف:
الفقيه الأجل، العالمة الأفضل، الحافظ الحجة الأكمل، المدرس القدوة
البركة الأمثل، الشريف المنيف العلوي المجل، قاضي الجمعية بالحضرة الهاشمية
الإمامية مدينة مكناسة الزيتون وهو أحمد بن علي الحسني. انتهى.
وآخر مسجل عليه أيضا بتاريخ واحد ومائتين وألف وآخر بتاريخ ستة عشر
ومائتين وألف، وأخير بتاريخ ثمانية عشر ذكره في «الشجرة الزكية» وغيرها.

شعره: من ذلك قوله مرتجزا:
وقد دافع الكروب والأهوال
يا رينا مبلغ الأمال
يا ذا العطا والجود والإحسان
وانت أولى من حبنا إذا كنا
فما أصابنا بهذى الفتى
وحن في غم شديد وحزن
ومن الطغاة فوقنا راسفلا
قد عمنا جزء من قد نزلا
كما ترى يا رينا كن ناصرا
وترى ما حبل من بلاء
وودمعهن لؤلؤ منتشر
على قربه وذا الخطب أدلهم
فإنا أصابنا من كسبنا
والرحمة العظمى لكل تسع
عليك يا رب قد اعتمدنا

423
ليس لنا مال ولا من نلجأ
فبيدان ما نخفف أمنا
وكف كف الظالمين عنا
وشتن شملهم تشتيتا
ولتكفناهم بما قد شنتنا
وهبنا رضوانا رسول الله
صلى عليه رينا وسلم
والتابعين لهم بإحسان
ووفاته: توفي ليلة الأربعاء ثالث ربيع النبي عام أربعة وعشرين ومائتين
والله بالخضرة، ودفن بضريح سيدي بو كتيب برد الله ثرى الجميع بفضله أمين.

70 - أبو العباس أحمد بن مبارك.

وزير السلطان الأعدل مولانا سليمان واحد موالاه الذين نشروا في خدمته
من نعومة الأظافر إلى زمن الشبيب.

حاله: رجل صالح، تقي نقي فالح، لا يعرف لهوا ولا لعبة، كان أوحد
زمانه صدقًا وأمانة ونصحا وإخلاصا لمخدومه، مع中式ة دين ولين جانب،
وتواضع للقوي والضعيف، ورفق وحنان على الضعاف والأيتام والأرامل، محافظ
على الصلوات جماعة في أوقاتها لا تستفزه الدنيا بزهرتها، ولا يكبر في عينه
شيء من زخرفها الفاني مقبل على شأنه قائم بأعية ماموريته أحسن قيام، مواظب
على قراءة دلائل الخيرات في سائر أوقات فراغه عالي المكانة تام النفوذ مسموع
الكلمة مطاعها في سائر المملكة المغربية.

ومع ذلك خرج من الدنيا كيوم ولدته أمه قال في الجِيِّش: أحمد
السلطان العادل يعني المولى سليمان وقد ذكره يعني الترجم يومًا وأكثر من الثانى
عليه حتى قال: والله لولا أنني كفنته وجهزته ما وجد ما يكفي نبه فإنا وجدنا في صندوقه الذي وجدنا مفتوحا عليه ستمائة مثلث، ووجدنا زماما بخطه عليه من الدين ستمائة مثلث فقضينا ذلك الدين بتلك الدراهم فخرج من الدنيا كيوم وضعته أمه مع ما ظفر به من الشهادة. انتهى.

قال فنن سمع هذا وتحقيقه فليمعل أن من سبت له السعادة لا يضره شيء، فهذا رجل قد خاض في غمرات الدنيا وقام في مقام مجموعة الفتن وقوعة المظلم والسيئات التي تستفز الرجال، وتهذ الجبال، ووقف مع الذين قيل إنهم دعاة على أبواب جهنم، فلم يتعلق به من تلك الآثام شيء وأدرك القفر الذي وقف دونه أطماع السابقين فسبحان التفضل الكريم، الواسع العليم، ومن تشوق إلى البرهان، على ما ذكرناه، يقال له طلب البرهان على مثل هذا مما لا تقول به أوول العقول والأذهان، فهل رأيت هذا الرجل شيد القصور أو غرس البساتين أو تأصل الأصول أو أذكر الذخار أو استعد للنواب كما يفعله من عمر دنياه.

ولم يبال بما تخرب من أخباره، عافانتا الله بفضله آمين. انتهى.

وقال: ما نقلت عنه قط مظلمة أرتكبها ولا موثقة تعمدها ولا مسألة خان فيها مخالفه أو ليس عليه فيها أو مشرقة كثيروه عنه اتباعها لهواء أو موثقة لغيره، كان سلطانه العادل يذكر ذلك عنه ويمده به في كثير من المقامات وكانت وزارته ممندة بطول ولاية سيدته نحوًا من ثلاثين سنة ولا أظهره فاتته صلاة في جماعة حضرًا وسفاً ولا يفارقة دلائل الخيرات في قبه كما وجد فسحة من الأشغال خرجه وقرأ ما تيسر منه مع ملازمة أوراده وإقامة الرواتب المشروعة هكذا رأيتاه، وأما مباشرهه للناس وملاقاة الضعفاء وذوي الحاجات والضرورات فكان أرحهم وأرفع بهم من الوالدة بولدها ولا يخاطبهم إلا بالسياحة والتبجيل، وأما أن ينشر أحدا أو يسبه فإنه في البعد الأبعد عن ذلك.

425
وكان هو والده وإخوته مالك لولانا السلطان العادل رحمه الله أعطاهم له والده سيدنا محمد رحمه الله فنشأ الوزير المرجوم في كفاحه، وتخليق بأخلاقه زمن الصبا إلى مماته، وكانت حياته مقرونة بسعادة السلطان العادل، فإنه من يوم قتل رحمه الله انتشر نظام ملكته وأختفت أسبابها فلم تزل في اضمحلال حتى انطفأ سراجها.

وكان قته عبيد البخاري ظلما وعدوانتا بعد رجوع السلطان من وعقة زيان.

وكان السلطان بعد قته يقول في كثير من الأمور: لو كان أحمد حيا ما وقع هذا ولكن هذا. انتهى الغرض. وبالجملة فترجمة الرجل طويلة الذيل، ومحامده بعيده النيل.

وفاته: توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف ضربه عبيد البخاري برصاص باغبة حمرية ودفن يمين الخارج على باب أبي العمار، ولا زال على قبره إلى الآن بناء كان أحدثه بعض حفظه رحمه الله.

71 - أبو العباس أحمد بن الطاهر بادو المكتاسي النشأة والدار والوفاة.

حاله: صالح فاضل صوفي سني ناسك ذاكر مبتسل منحاش لأهل الله محب في الصالحين، معتقد في أهل الفضل والدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، كانت له وجاهة ومكانة قياسية عند سيدنا الجد السلطان أبي زيد بن هشام محمول لديه على الصدق والأمانة، يرشحه للمهمات ويفوض له في الأمور ذات البال وبالأخص فيما يرجع للأحباس.

وقفته في الحوالة الحبسية على عدة ظهائر من السلطان المذكور بالموافقة على ما وافق عليه المرجوم وإمضاء ما أمضاه، وإيجاب العمل بمقتضاء، من ذلك ظهير
ثبت أصله بصحيحتي 76 و 77 من حوالة الزاوية العلمية بتاريخ 22 حجة عام 1286.

ولي بلده خطة الحسبة وقام بتوظيفها فوق ما يطلب منه جهده وطاقته، وقف على جواب عن مكتوب له لقاضي مكاسة أبو عيسى المهدي ابن سودة بخطه حلاه فيه: بالفقيه الفاضل الصوفي بتاريخ فاتح جمادي الأولى عام سبعة وسبعين ومائتين وألف، وقد كان له جاه واعتراف عند الحاصلة والعامة من أهله بلده وغيرهم وينتمي نسب قبائلهم للعفار بالله أبي عبد الله محمد بن مبارك التشاوتي على ما في بعض العقود الحسبية القديمة.

72 - أبو العباس أحمد بن عمر بن العربي بن عمر.

أصله من أولاد غدو، فرقة من صنهاجة، قدم جده الأعلى عمر المذكور من الجبل واستوطن قصبة هدراش وتولى إمامها وخطبته مسجدها، وكان معتقدا عند أهلها عادة ملحوظة بعين الإجلال والاعتزاز.

حاله كان فقيهاً راهداً ناسكاً ذاك جد واجتهاد، وكانت فيه دعابة، وله مكاسبات، وأحوال خارقات، ظهرت على يديه كرامات، حدثني بها غير واحد من مشايخ الجلة الذين وقعت لهم معه وشاهدوها منه المرة بعد المرة، وكان حسن الصوت مجدداً لكتاب الله حلو التلاوة. أحمد نبي صاحبنا الفقهي أبو العباس الناصري قاضي الأحوار المكانية أنه حدثه أن من جملة أوراده اللازمة كل يوم ذكر ثلاثين ألفاً من اسمه تعالى الحي القيء، واسمه تعالى اللطيف أربعة آلاف وأربعمئة واربعة وأربعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم العظيم خمسة مرة وعلى رأس كل مائة يقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين وربما كسر الاسم اللطيف العدد المذكور سبع أو ثماني مرات في بعض الأيام.

427
ولد بمكتشة وازرم ضريح الشيخ محمد بن عيسى شيقي الطريقة العيساوية حتى أُسند إليه التقديم عليه وقام بخدمته أم قيام وأحسن، ثم لما تفاقست البذاع من أهل النسبة العيساوية وتكير نهجهم لهم وهم يستعيرون له أذناء صماء، وعندة عميا، وبالأخير في تمديدهم على اللحن الفاحش في حزبهم المعروف لديهم بـ«سبحان الدائم» تنازل عن ذلك التقديم وازرم داره وصار لا يخرج إلا للجمعية، وأقبل على عبادة ربه حتى آتاه البيضين، وكان يشار إليه بالمهرة الكاملة في علم الأسماء والأوقاف واستخدام الجبان تفصيله الزوار من الجهات القريبة والبعيدة.

مشيخته: أخذ الكتاب العزيز عن الفقيه البودراوي، والشريف سيدي محمد ابن إدريس البوعناني، والفقهين العلامة الشيخ الحاج مبارك الفياللي، وحصل ما قسم له من المعلومات وأخذ الطريقة العيساوية عمن تصدر لتقليبها إذ ذاك من مشاهير مقدميها.

الآخرون عنه: أخذ عنه ابن عنا العلامة النقاد، المتيني الذي له كل صعب اتقان، سيدي محمد بن أحمد العلوي قاضي زرهون سابقا قراءة آية الكرسي عند النوم إحدى عشرة مرة حسبما أخبرني بذلك مشافهة ومكابما، وشيخنا العلامة المشارك المطلع أبو العباس أحمد بن المأمون البلغيتي قاضي مكتشة الحالي أخذ عنه الصلاة المشهورة وهي: اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبائدين وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعليه وصبه وسلم حسبما شافهني بذلك ويا وفقه له معه من الكاشفات مشاراً، وحدثي عنه أنه نسي لنفسه وذلك أنه ودعه ذات يوم عام 1309 فأنشده المترجم:

يا مزمعاً بالرحيل عننا
أصدق الله في ارتعالك
كان لك الله خير واق
أمانك الله في المهلك

428
فائدته: من خط بعض العلماء ما صورته: وحكي عن بعض التابعين أنه كان إذا ودع مسافرا أنشدته هذين البيتين. انتهى.

وقال بعض العلماء هذان البيتان ما أنشدا قط على أحد يريد سفرًا إلا رأى في سفره نجاحا. انتهى.

وجدثي شيخنا البلغشي أيضا أنه زار هو وشريف من سكان فاس المترجم يوما من الأيام، وكان ذلك الشريف من خاصة أصحاب الركن الأشهر سيدي محمد الغياثي ويجردة ما وقع بصر المترجم عليه ساله عن حال شيخه الغياثي قائلا في سؤاله له هل لازال سيد محمد الغياثي منفردًا في داره لا يقبل دخول أحد عليه فيها؟ فأجابه بنعم وله هرمة، فقال المترجم: الله التحية أنا والله لا أحب إلا أن تكون الحدود معقية واحدة تعضني وواحدة تشدني وقلبي مع الله، ثم اتفق اجتماع شيخنا البلغشي بعد ذلك بعده مع الغياثي فجرى ذكر المترجم فأنى الغياثي خيرا، ثم سأله شيخنا المذكور هل له معرفة؟ فقال: أعرفه في عالم الرواح.

وفاته: توفي في الساعة الحادية عشرة من صبحة يوم الاثنين فاتح جمادي الثانية عام أحد عشر وثلاثمائة وألف ودفن بزاوية المولى النهاي بالبيت المقابل للداخل بإزار قبر الشريف المبارك به حيا وميتا سيدي محمد العربي الوزاني رضي الله عنه.

37 - الوزير الأعظم أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك.

الوزير ابن الوزير ابن الوزير.

ولادته: ولد سنة سبع وخمسين وثلاثين وألف.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول السوسي، والخاج محمد جنون وغيرهما

429
من فحويل أهل العلم بفاس ومكناس وغيرها من البلاد، وكان جل أخذه على طريق المذاكرة والبحث.

حاله: كان شعلة ذكاء ونباهة فقيها حارما ضابطا عفيف الآزور، طاهر الذيل،سياسيا آية في الدعاء وحسن التدبير كثير الصمت، محافظا على الظهارة والصلاة في أوقاتها مع الجماعة، صلبا في دينه، كثير الأذكار، حريصا على التعرف بالآخئان، طلق الوجه ظاهر البشر متواضعًا بشوعة، ذا مكايذ وحيل، مستبدا بالأمور، لا يشتر الأثير، إلا فيما تتوافق الأنظار فيه، على الأخذ برأي غيره، حزم وعزم وثبات، محاسل لا تخلو من العلماء ومذاكرتهم.

حجابه: تولى الحجاب عن الخليفة السلطاني بفاس الأول إسماعيل، السلطان الولى الحسن، ثم الحجاب لدى الجلالة الملكية الحسنية، وفيها تدرب على الخدمة الملكية وحنكته التجارب وعلم من أين تؤكل الكتف.

إسقاطه وزارة الجامعين وسبب ذلك:

ثم صار وزيرا صدرًا في الدولة العزيزة وفيها علا كعبه وارتفاع صيته، ووافق بأعذائه أولاد الجامع، واستكره من وظائفهم، وذلك بعد أن قاسي أحمد، وشدا في قد حياة مخدوءه الأعظم السلطان مولانا الحسن، كان اتهمهما بأنهما اللذان سعيا في إفساد ذات الدين بينه وبين السلطان المذكور حتى انحرف عنه، وهم بالإيقاع به لولا أن المنية حالت بينه وبين ذلك والواقع خلاف ذلك كله.

وحقيقة الأمر أن السلطان مولاي الحسن لما ولى الحاج الموظفين منصب الوزارة لعظمى أنف الترجم من ذلك، إذ كان يرى أنه ليس بكونه لذلك المنصب وقد تحقق السلطان بامتياز الترجم، و إطلاقه لساته بالطعن والتقيص، وأنه قال: إن هذا الرجل فقد عقله يعني السلطان فأسراها في نفسه ولم يبد له، وصار يحب الحاج.

430
المعطي ويوصيه بمخالفة المترجم والعض منه والتقشف به وعدم المبالاة فاظهر له من الغلطة والجفاء امتثالا لما أمر به ما زاد به حتفه، وأخذ لنفسه بالاحول، فكان كلما ازداد الوزير غلظة وجنف للمترجم زاد في إظهار اللين وخفف الجناح والخضوع والانحياش له ولاحية السيد محمد الصغير وزير الحرية وهو يتبرع بهم الدوائر وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن زمام الأمر يبدهما وأن الجو خلا لهما حتى صمم السيد محمد الصغير الذكر على القبض عليه بالرماط فمنعه من ذلك أخوه الصدر الحاج المعطي، وقال لا يسمع علينا أن ن قضب مرت السلطان فتحنا باب الشهوات والتوصل إلى الأغراض الشخصية، علينا أنه لا شيء بيننا وبين هذا الرجل والسلطان الذي كان يأمرنا بمضادته وعدم اعتباره قد لي داعي مولاه.

هذا والمترجم يدبر لهما الحيل ونصب شبك المكائد القاضية عليهما بالقاضية، فنسب لهم الخوض فيما لا يعمده عقباه.

من ذلك أنه لما لي السلطان مولانا الحسن داعي مولاه وبوعين لولده المولى عبد العزيز بال محل المعروف بالبروج من قبيلة بني مسكون استبد بالرأي دونهم، وصار يتداخل فيما هو خارج عن خطته اعتمادا على ما يعلمه من اختصاصه بالسلطان المولى عبد العزيز وتبقيت بعد خروجه عن أمره، وأنه لا يرى لهم أحد سواه، وكان علم ذلك كل من له أدني مسكة من بقية الوزراء، ولذلك تشارعوا لمحافظه، وتعاهدوا على تعزيزه ونصرته، والتزمن هو لهم ببقاء كل واحد منهم بملته وعلى وظيفه ما عدا الحاج المعطي الصدر ومحمد الصغير وزير الحرية، فإنهم كما كانا على خط مستقيم في مخالفته ومضادته، فأشار عليهما أنهما يرغبان الناس في نقش بيعة السلطان المولى عبد العزيز الذكر وهما في سكرتهم يعمون، ولا يعلمون أن المترجم لهما بالحرص يترقب انحراف الفرصة في المكر بهما ولا يصدّ عن ذلك إلا خوف انتشار الفتنة لقوة حزبهما من جيش شراكه وأولاد جامع والقوة الحربية كلها تحت سيطرتهما.

431
ولما فشا ما رمأهما به من خلع السلطان استفتى العلماء في شأنهما وقرر لهم أن مرادهما شق العصار واقتراق كلمة الجماعة، فأتي البعض بالقتل والبعض بالتخليد في السجن وأسر ذلك في نفسه ولم يبد لهما ورأى أنه لا يتم له مراده فيها إلا بعد حلول السلطان عاصمة سلفه المكناسية.

ولما نهض السلطان من الرياح صمم أولاد الجامعي على التوجه لفاس وقال: إنها قاعدة المغفر، وصم يوم التوجه لفاس، وقال: إن العادة قاضية بالمرور بها لكونها دار الملك ومقر الجوهر ووسيلة لزيارة مولانا إدريس الأكبر، فجعل السلطان لما صمم عليه صاحب الترجمة وزيف قول غيره.

ثم لما حل السلطان بعاصمه سلفه المكناسية، دخل عليه وهو على أريكة ملكه الوزير الصدر الحاج المعني المشير بسعود الأوامر السلطانية على عادة الوزراء في تقديم المكاتب للتوقيع عليها، فأمر السلطان بدفعها للمترجم فامتنع وأبي، وطلب الأمير بالتمشي معه على العرف المالوف الذي كان يتمشي معه عليه والده السلطان المقدس، فقال السلطان مجيبا له: أفعل ما آمرك به فغضب وترك الصكوك مطروحة بإرائه وخرج، فعند ذلك تم للمترجم ما أراد فامير الأمير قائد مشوره وهو إذ ذاك إدريس بن السلام البخاري بأن يأمر الوزير الجامعي بالانسلاخ عن كل ما يرجع لوظيفته ولزوم داره هو وأخوه، وذلك أمر دير بليل.

وكان من جملة ما خاطبهم به رئيس المشور السابق، على لسان السلطان المصور، قوله: لقد طغيت في البلاد وكفرتم نعم ما أنسده لكم مولانا المقدس من النعم، وارتكبتم بدلاً من جازة بالإحسان العقود، وقد بلغ سيدنا أبيه الله ما صممتم عليه من شق عصا الطاعة وإيقاق نار الفتن، ولولا رعاية محبة سيدنا المقدس فيكم وقرابكم منه لذا أكلتم سيدنا شديد الظلم وأليم العذاب، قوما أذينا لحال سبيلكم، فلم يسعهما إلا الانصراف ولزوم محلهم، واتفق أن كان يوم طردهم عن شريف الاعتبار يوم الثلاثاء.
السلطان السابق مولانا عبد العزيز
بيعه أهل فاس للسلطان مولاي عبد العزيز
ثم بعد ذلك أمر باشا مكناس حم بن الجيلاني بن حم البخاري بإلقاء القبض عليهما، وذلك صباح يوم الجمعة ثم على صهرهما العربي النزيلي واستصال أموالهما وأثاثهما، وبيعت تركتهما في العواصم المغربية، وبعد إلقاء القبض عليهم بذل المترجم العطاء للوفود وأديى للضعفاء والمسلمين بكل ناحية ولاسيما مكشكة وفام ووجه بالمفصولين مقيدين لسجن ثغر تطوان، إلا الأخير فنقل لأسفي سجينًا.

ويسجن تطوان مات الحاج المعطي وكانت مدة اعتقاله ثلاثة والثلاثين شهرا، ومن عجيب الاتفاق أن مدة وترته كانت كذلك ثلاثة وثلاثين شهرا.

وبقي به أخوته محمد الصغير إلى أن سرح أواخر الدولة العزيزية، ونقل لطينجة ويبقى في حكم الثاقب بها في أتم عيش، إلى أن اخترعته المنية.

وأما الزيدي فقد سرح بعد وفاة المترجم بأيام قليلة ولحق بالسلطان المولى عبد العزيز مراكش، فأكرمه وفادته ورده لوصيفه السابق، وأنزله بعمرة مواليه الشهيرة بجروحه الكتبية ولم يزد على وصيفه إلى أن بارح السلطان مراكش ووجهته محروسة فاس، وذلك في شعبان عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف، كلف بإتمام حساب ما بيع من مخالف المترجم وحساب بناءاته التي كان السيد محمد بن عبد الهادي زنير ملكًا بها وتصفيه ذلك أمر كله، فلما ذلك في ماموريته هذه إلى متم عام 1370، فأصدر له الأمر السلطاني بالقدوم لفاس، ولما لحق بالجلالة طلب الخدمة بوطنه رباط الفتح فأسعته رغبته وعين أمينًا على الديوانة والمستفاد وخليفة مستقلا عن عامل الغمر الرازي، وبيع على وظيفته المذكورة إلى أن حل الركاب السلطاني بالغير المذكور عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف، فأمر عندئذ بالطلع لمحل خدمته بالواسط الملوكي، وأقر زيادة على ذلك على أمانة المستفاد وأذن له في جعل ولده ناثبا عنه.

435
ولا جاءت الدولة الحقيظية عيّنه لوظيف الحاسبة ببلده الرباط والخدمة
الباهية وأمانة الديوانة بها، ثم أعيض في عام 1321 هـ، ثم عين للأمانة بديوانة
آسفي عام 1332 هـ.
ثم طلب الانتقال فنقل لديوانة القنيطرة إلى سنة 1342 هـ، ولم يزل على
وظيفه هذا إلى أن لقي ربي عام ستة وأربعين.
وزارة وصدارته العظمى:
هذا وبالقبض على أولاد الجامعي استقام أمر الملك لصاحب الترجمة وصفا
له الجو وطاعات له الرؤوس ولم يبق له منازع في الوزارة العظمى، وساعد بأمر
الملك كله وجعل أخاه السعيد وزيرا للحربية وأخاه إبراهيم حاجا، ولم يترك معه
وزيرا أجنبية إلا الفقيه السيد محمد المفضل غريب كان أبيه على وزارة الخارجية،
وأبي الحسن على المسفيوي أباه على وظيفه وزارة المظالم، وقد كان يجماله
ويحترمه.
والم يزل على وظيفه إلى أن لبي داعي مولاه، وإلا صديقه الحريم المخلص
السيد عبد السلام بن محمد التأري الرباطي فإنه بقي في وظيفه أمانة الأمانة (وزارة
المالية) كما كان قلده مولاي الحسن إياه بفاس في رمضان عام 1307.1 إثر وفاة أخه
السيد محمد التأري الرباطي الشهير المترجم في الاستقصا [4: 256]، وقد كان
المترجم يركن له ركوتا خاصا مشهورا سهما في الخارجية إلى وفاة المترجم التي
صادفت مريضا مراكش فاستعفي بعده.
وذهب للحج وأكرمه السلطان وأعانه على رحلته الحجازية، ثم ألقى عصا
سياره بالرباط إلى أن استدعاه السلطان مولاي عبد العزيز إلى فاس في العشرة
الأخيرة من جمادى الأولى سنة 1322 وقلده أمر النيابة بطنجة عوض النائب

436
وزير خارجية الدولة الحسنية والصدر الأعظم سابقًا
السيد محمد الفضل بن محمد غريط

437
الحاج محمد الطريس، على أن خليفته قائد سلا الشهير السيد عبد الله بن سعيد
ورفع للرباط لتهيئة الأسباب ومعه المكاتب السلطانية لعمال المغرب وولائه باعتماد
أوامرها في مأمنّرته، فدخله يوم الأحد 27 شعبان عامه في يوم مشهد، وجمع
محشود، حيث فيه أبراج العدوتين وحضُونهما بالدفاع الرسمي.

ثم توالى الأحداث التي اقتصت تأخير ذلك وتبعت تترى، فاستدعى السيد
عبد الله ابن سعيد المذكور إلى طنجة آخر رمضان منه، وصعدت السفارة الفرنسية
لفاس في شوال منه ثم استدعى وفد مدن المغرب ومراميه إلى فاس أواخر
القعدة منه للمدكارة في مطالب السفارة، ثم قدم غليوم إمبراطور الالمان إلى طنجة
يوم الجمعة 14 محرم 1327 للعاصمة السلطان ومعارضته السفارة الفرنسية، فقابله
ابن سعيد المذكور إذ كان الطريس بفاس، ثم عقد المؤتمر الدولي بالجزيرة الخضراء
في شوال منه ورئيس الوفد المغربي الطريس، وما يتبع ذلك من الحوادث فبقي
التارى المذكور بالرباط إلى أن لقي ربه ليلة الخميس 27 صفر عام 1325 موحود
المحسوب مشكور الأعمال والذكر للإنسان عمر ثانٌ.

وأما نهض السلطان من مكناس لفساس أعفي الوزير غريط وولي مكانه عبد
الكريم بن سليمان وكان كبيره لا يقعط أمراً دونه قلّ أو جل، وأضاف عماله فاس
لإدريس بن العلام قائد المشور السلطاني، حيث إنه كان عوناً له على الإبقاء بأولاد
الجامعي زيادة على وظيفة.

بعثة السفارة لأسبانيا وما حصل لها:
وفي تاسع عشرة يرجع عام 1312 موافق 26 يناير سنة 1895 وجه
الوجه الحاج عبد الكريم بن محمد المدعو براشة التطوانى سفيراً لدولة الإسبان
لإدخال إصلاحات وتعديلات على الوفاق المضي بمراكش بين جلالته السلطان
المقدس مولانا الحسن والجنرال (مرتينس كيو) النائب عن دولته المذكورة فيما يتعلق

438
سفارة الحاج عبد الكريم بريشة وابن سليمان لدى دولة أسبانيا
بحرب مليئة، وعزرا بالسيد عبد الكريم بن سليمان، ولما وصل لمدريد اقتبلتهما الدوائر الرسمية أحسن مقابلة وأكرمت وفادتهم وايدنت بشأنهما غاية الاعتناء
رغم غير كون الشعب ينظر لهم شزرا، وأفكاره لا ترضي بالمطلبهم.
ولما حل وقت الملاقاة الرسمية مع الملكة وخرج السفير من محل نزوله للركوب في العرفة المعدة له بقصد ما ذكر، اعتبره رجل إسباني بلباس مدني ولطمه على جبهه وعلى حين غفلة لطمة كانت تذهب بعصره ترجع السفير من طريقه وامتنع من الملاقاة مع الملكة التي كانت في انتظاره، ووقع القبض على المتعدد وبعد البحث عنه ألفي جنرال متوقعًا مختل العقل اسمه (بيك فونتينس).
وفي الحين حكم عليه من المحكمة بيقه طول حياته محجرا في المارستان.
ثم قدم على السفير كثير من المستطاعين من بين وزراء وكبار وألح عليه في الاستعذاب غاية طبيب السلطان المقدس مولانا الحسن (روبيلو) والترجمان بسفارة إسبانيا بطنجة (منويل سيديرا) واعترذوا له وأظهروا تصرهم على ذلك الواقع الفظيع، ولم يزالوا معه حتى لان وتوجه معهم للقصر الملوكی.
ولما وصله أبي أن يدخل لملاقاة الملكة حالة كون شرفه مسوسا فخرج إليه صديق وداؤه رئيس الوزراء الصليبي (ساقاسط) والجرنال (مارتينس) وأتقعو بما يرضي دولته ويحفظ شرفه فساعدهم إذ ذاك على ذلك، وتقدم لغرفة استقبال الملكة ولما دخلها أجملت الملكة استقباله فوق العادة جبرًا لخاطره، ومن غريب ما يذكر في ملافاته هذه أن الملكة نزلت عن كرسيها وصاحبه وهي قائلة: (يا سعادة السفير أناسف من صميم فرادي على التدعي الذي وقع عليك واني أشعر بالل تلك اللطمية داخل قلبي).
ولما تم الاقتبال على أحسن حال ورجع السفير لمحل نزوله تواردت عليه الوفود من المجامع وإدارات الجنرال وزاره كل الوزراء مطيعين لخاطره ورجع الذين

٤٤٠
كانوا ينظرون شراً من أخص المسألهين، وقامت جملة الجراحات وأندية الشعب والاحزاب الساسية ومجلس الأمة ضد ما وقع من التعدي الشنيع فلم يسع السفير المذكور إلا أن أفرق إلى جلالة السلطان مرسله بواسطة النائب أبي عبد الله محمد الطريض بما لفظه: إن ما يصلكم من التعدي علي هو شيء لا أهمية له ولا يمس عاطفة الوداد الإسباني المغربي، ولا يرى جناكم العالياً إلا ما يسره فتقرر بمجلس النواب وشورى الوزراء أنه من شرف إسبانيا واللائق بنخوتهما جبر خاطر السفير والاحتفال به كما يجب، وهذا انتقلت لهجة الأمة كلها فكان لهذه الحادثة أثر عظيم في تعديل العقد المراكي المشفي من الدولتين في 24 أفريل ومن أهم تعديلاته إسقاط 2000 ريال (دوروس) من 3000، التي كانت مقررة به، وبعد أن كان سيدفع بكيفية خاصة تصل دفع المقدار في ستة أشهر الموالية للتعديل وعلى ما قرره مؤرخو الإسبان وصرحوا به في عدة مواقف أن دولة المغرب نجحت في هذه السفارة نجاحاً لم يتقدم له مثل.
ثم بعد هذا عينت له بأخيرة خصوصية تحمله لطنجة زيادة في إرضائه وتكرمته، ولما وصل طنجة ورجعت الباقرة غرقت بما فيها على مقرية من طنجة.
ولما رجع من مدريد رفع نتائج أعماله للمتحارم فاستحسنها واستعفتمها وأجازه باسم السلطان بخمسين ألف ريال (خمسمائة ألف فرنك) وسماء نائباً في جمعية السفراء بطنجة لسن قوانين إدخال الإصلاحات للمملكة، ولم يزل على وظيفة هذا إلى أن ختمت أنفسه يوم الجمعة عاشر محرم عام 1315 موافق يوليو سنة 1878.

استخلاصه طرفاية من الإنجليز: وفي ثاني وعشري قعدة العام أوفد عن إذن السلطان لطرفاية صاحبنا الفقيه الميقاني الحسيوي السيد العلمي بن أحمد بن رحال صفة كونه ميقاتي والحسن بن خلق الأودي صفة كونه مهندسا، وإدريس بن
عبد الجليل خليفة باشا فاس إذ ذاك بصفة كونه أميناً، والعدل السيد العباس التطواني آل أبي عبد الله ابن مرزوق دفين أصيل، والتجار الطلب الحسين المباركی، والبناء الحاج موسى مارسیل الرباطی، والخاج محمد زنيبر السلوی الطنجی، والرئيس البحري خمسة وعشرين عسكراً بقصد حیازة المرسى التي كان أحدنها الإنجليز بطرافیة افنيتانا وتمکينه ما كان صرفه على بناء ذلك المحل.

وذلك دار بوسط البحر محمولة على الأرهرة وهو على هیئة فندق بالفوقي والسفلی بها هیان عظیمیان لجزّ البارود والقرطوس، وبسطح الدارستة مدافع وقصبة مربعة بها دور ثلاث إحداها كبيرة شیبة بالمرسى المذکرة معدة لسکی رئيس تلك المرسى، والثانية صغریاً كان يسكنها البشیر بن بیروک الودنونی، والثالثة يعمرها العسكر على هیئة قشلة إلا أنها بدون فوقي وبوسط القصبة خیام بعض العرب يدعون الأفیکات.

والسبب الوحيد في مد اعتناق الأجانب للبناء بذلك الشاطئ هو بیروک الودنونی التکنی والد البشیر المذكور، وكان ذلك في دولة سیدنا الجد السلطان أبي زید عبد الرحمن بن هشام حسبما وقفت على التصريح بذلك في ظهیر أصدره السلطان سیدی مکین ل صلى الله عليه وسلم دودنک لفظه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سیدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

تسلمًا ثم الطابع الفخم بداخله محمد بن عبد الرحمن الله وليه.

أخذنا الأعز الأرضی مولای العباس حفظ الیك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإن بیروک التکنی كان على عهد سیدنا ومولانا قدسه الله تواطاً مع بعض النصاری على البناء بشاطئ أرضهم، فبلغ خبره لمولانا فوجه له نور الله ضریحه من ذكره وحلفه في المصحف الكریم على أن لا يعود لذلك. ولا يسلك مع الكفار تلك المسالک، وظهر منه التوبة مما أوجب اعتباره ومراعاته.
عند سيدنا ونفذ له دارا بالصويرة، وكان محرا من الإعطاء على سلعة التي ترد
على التغر الصويري تأليفا له، وبنى على ذلك إلى أن لقي الله تعالى.
ثم خلقه من أولاده خلف أضاعوا تلك الوصايا، وأرادوا أن يعرضوا بلاد
المسلمين للزرايا، وبيعوا دينهم بدنياهم، وتفتوا مع النصارى جنس الصليبيون
على البناء هنالك، فسمعت تلك القبائل المجاورة لهم بذلك واتفقت على قتالهم
إلا لم يرجعوا عن غيهم.
ولا يخفى ما يتربى على ذلك من الفتنة والأهوال واتساع دائرة القتال،
وعله فيتعين الكلام مع الصليبول في هذا الأمر الذي يجر إلى ما لا يليق ليرجعوا
عنهم إن بدؤوك بالكلام فيه وإلا فلا، ومن المعلوم أن أهل تلك البلاد من جملة
رعيتنا وإيالتنا، ليس لأحد منهم أن يفعل في شبر منها ما شاء ولا تسلمها تلك
القبائل ولو أثناه القتال عن آخرين، ومرادنا أن تبقي هذا الأمر مكتوما حتى
يبدأك به الصليبول، فإن بدؤوك به فتجد عندك ما تقول لهم وتردهم به، وها كتاب
المرابط السيد الحسين الأليغي يصلك فطالعه لتعلم ما ذكر فيه، وإن ذكرنا لك أن
أهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه فأجبهم بأن الأمر يخلاف ذلك
وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة، وليس معه أحد فيما
رام فعله، واذكر لهم في ذلك ما يليق أن يذكر، وإن لم يذكروا لك شيئا فلا تذكر
لهم شيئا، ونسأل الله أن يرد كيده في نحره وقد أخبر خدينا الطالب عبد الله
أبهي مثلا ما أخبر به المرابط المذكور، ونسأل الله أن يعجل بهلاكه آمن والسلام في
11 من ربيع الأول عام 1278 هـ. من أصله بل buz.
وأدى السلطان في استرجاع ذلك أبرات 5000 خمسين ألف حيزة من
طينة بعد أن كانوا طلوا ريال 7000 عشرة آلاف وقدمنا قبل إن للتأخير آفة
وقوع الاتفاق على ذلك بشروط نصها:
الحمد لله وقع الاتفاق بين الراضيين اسمهما عقب تاريخه وهما الفقيه الوزير الأعظم الأجل الممثل السيد أحمد بن الفقيه الوزير المنعم السيد موسى بن أحمد والكثير المنير (ارتبته مسند ساطوا) على الشروط الخمسة التي مستذكر أسفله في شأن شراء المخزن لزينة البناء الذي للكبانية التجارية المسماه (نرف وست افرك) بعمال المعروف بالطرفايا الكائن ببلدة قبيلة نكية.

الشرط الأول) إذا أشترى المخزن زينة المخزن المذكور من الكبانية المذكورة لا يبقى كلام لأحد في الراضي الذي من وادي درعة إلى رأس بوخادرية المعروف بالطرفايا المذكورة، وكذلك فيما فوق هذا المخالب من الراضي لكون ذلك كله من حساب أرض المغربية.

الشرط الثاني) المخزن يعني الكلمة لمخزن النجليز أنه لا يعني شيئا من الراضي المذكور أعلاه لأجنبي إلا بموافقة مخزن النجليز.

الشرط الثالث) إذا أشترى المخزن زينة البناء الذي بالمحل المذكور أعلاه من الكبانية المذكورة أعلاه يكون شراوة لذلك عامة شاملا لزينة البناء حسيا أو خيالا الذي بالبحر والذي بالبر، كما يكون شاملا أيضا شراء المخزن لذلك لجميع ما اشتهر عليه جميع البناء المذكور الذي في البر الذي في البحر من مدافعين وغيرها، ولا يبقى كلام لأحد في ذلك ولا في تلك الراضي، والثنين الذي يعطيه المخزن في ذلك للكبانية المذكورة قدره خمسون ألف إبرة نصفها معجلا عند عقد هذه الشروط، والنصف الأخير مؤجلا عند حيازة المخزن للمحل المذكور من الكبانية المذكورة.

الشرط الرابع) مخزن المغبية إذا حاز المخالب المذكور من الكبانية المذكورة بالشراء يبقى مفتوحا للبيع والشراء والمخزن لا يبني فيه من بيت ماله دورا ولا خزانات للتجار لسكناه ووضع سلعهم، ولا يجعل فيه فلاك لالوسق والوضع إلا.
إذا أقتضى نظره الشريف جعل ذلك وقت ما شاء، وتكون أهالي السلم الداخلة له والخارجة منه مثل أهاليها بربري الكوشة.

(الشرط الخامس) من أراد من التجار المدينين بسلعته للمحل المذكور وأتي بكتاب من باشدور جنسه يعطيه المخزن طرفًا من الأرض بذلك المحل بالكراء عن مدة من عشرين عامًا وحيث تصرف يصير للمخزن.

وكتب ووزير الخارجية قبل ذلك لباشدور النجليز بما لفظه:

«الحمد لله: لمحل العاقل الناصح الساعي في الخير بين الدولتين المحتنين منسطر دولة (كريت أرسطون وانبريز) الهند الفخيم الكبيرة فلان، بعد مزيد السلام فقد انتهينا لحضرة سيدنا العالية بالله ما تطلب الكبانية الإنجليزية من أداء خمسين ألف ابرة في الحمالة الواقعة لها في تعاطيها التجارة بالطرفاءا بسبب تعرض ولاة المخزن لها في تجارتها، ووقع التعطيل لها فأمرت الحضرة الشريفة أن تفيك بأنها قبلت أداء الخمسين ألف ابرة المذكورة للكبانية من قبل ذلك مقسطة على خمس سنين، بحيث تدفع الكبانية خمس العدد المذكور كل سنة وهو عشرة آلاف ابرة وتبقى قصبة تزول الكبانية بالطرفاءا موقوفة كما كانت قبل وخمس في 10

رجب عام 1308 محمد بن محمد غريت لطف الله به.

ثم كتب تحت الشروط المذكورة يطلب من باشدور المذكور ما لفظه:

وبعد فقد أطلعت الشريف علم مولانا نصره الله بالشروط الحماسة المرقومة أعله الواقع الاتفاق بينا وبينك عليها في شأن حضرته الشريفة زينة المحل المذكور أعلاه، فسلما أبيده الله وأمضاها كما سلم أيضا شراء تلك الزينة لحضرته العالية بالله من الكبانية المذكورة أعلاه، بالخمسين ألف ابرة نصفها موجلا ونصفها عند حيارة المخزن للمحل المذكور، وذلك بعد مضي سنة أشهر أولها شهر شوال.
وآخرها شهر ربيع الأول الآثانين، وأمرني نصره الله بالكتابة لك بهذا وبيان المخزن له أن يوجه لل محل المذكور من الآن قبل أن يزوره أناسا من قبله وحيث يريد توجههم يعلموه لتمكنهم من كتابة لم نكن من الجليدين بنسبتهم واتختم في 16 من رمضان عام 1312.

وكان ذهب هذا الوفد المذكور أفراده في البابور المسمى بالكريكي، الذي كان شترا السلطان مولاي عبد العزيز ونفدت للوفد الكساوي بالصورة.

وكان وصولهم لطرفية زوال يوم 10 محرم فتح 1313 فوجدوا الباحة الإنجليزية في انتظارهم حاملة سارم ما كان لهم من القوة بتلك المرسي، وبمجرد ما أرسى البابور في المرسى جاءتهم الساندة حاملة كبار تلك المرسي الذين بيدهم الحمولة والربط من الدولة الإنجليزية فيما يرجع لذلك، ثم توجهوا بالكلفين الذين جاؤوا من قبل السلطان المرسى المذكورون بقصد تسليم البناو الحدث جميعه ودفع مفاتيحه، ولم يتركوا لهم من الشؤون الحربية عدا الدفاع والبارود والقرطوس ومركبا دفاعا، أي كبيرا وبعض الفئد وسافروا حينا لبلادهم.

ويقي الوفد المخزني بتلك المرسي ومكشوا هتالك نحو السنة وكانت المثونة تأتيهم من الصورة على رأس كل ثلاثة أشهر.

ولما استقر بهم الوردي وجه لهم الشيخ ماء العيين ولده أبو عبد الله السيادة وهو أكبر أولاده إذ ذلك وفي معيته صهره على ابنه الشيخ الأمجد وحفيده السيد المحفوظ في ليف من الانتساب يهينهم بسلامة القدوم ويستقدمهم عليه ووجه إبلا تلهم إليه.

وكان وصول هذا الوفد إليه صبيحة الآثينين 22 محرم وأقام مع الوفد السلطاني أياما خمسة ثم لبوا دعواه، وكان نهوضهم يوم السبت 27 محرم، ووصلوا لخليج الشيخ المذكور يوم الجمعة ثالث صفر وكانت المسافة التي قطعواها في 446
الوصول إليه سنة أيام كاملة، وحُمِّلَهَ نزوله يسمى ذي النبت من ناحية الساقية الحمراء، فأكرمه وفادتهم ونحِّر لهم ناقة هائلة على عادة الكرام، وكان جل ما يقدمه إليهم من الطعام النوع المعروف بالشعرية، وإِخْرَاجُهم صلاة العصر مع الشيخ، ولما فرغوا من الصلاة قام بعض تلاميذه الشيخ وهو العلامة الأدبُي السيد إبراهيم بن محمد البواري حول روب المسجد وأنشد:

بل خمسة كَدوَعَادِ الإسلام
اهلَّا بهم من خمسة أعلام
رَسِلُ الأمير ابن الأمير إمامًا
عبد العزيز ابن العزيز الإمام
من خصمه الوالي بأعلى رتبة
تلك الخلافة رحمَته الأنام
إذ خصَّنا بِأَيْمَانَ الآقْوَام
لائر مَخْصُوصًا بكل فضيلة
سَبَابِة كِبْراهم الإبهام
هم خنصر مع بنصر وسطاهم
ما وَفَاءَاً مَائِداً مَبْسُوطة
بِمَوَابِهِ مَشْكورةُ الأنعام
يا إلَيْنا مَدِها مَبَسُوطة
لا تنس أن تذكروهم وسراهم
أَعْنِي ثلاثَة سَمَاء خَنْدَام
مولانَم من عند شيخ فاضِل
مَاء العيون المصطفي بِمَقام
عَزُّ الوري أَسْقَاء ضِيَفُ ظَام
ساقِي الوري ساقِية الحمراء متي
وَكَانَت مَبارَحِتهم لمَلح الشيخ يوم الثلاثاء، سابع عشر الشهر المذكور على
غير الطريق الذي ذهبوا عليها، حيث إن الشيخ أخبرهم أنه ماؤون من قبل الأمير
بذلك والبلاد كلها تجد اليوم جبالا من هذِه هبَت الريح نسُفتها نسفا ونَقلَتِها
لموضع آخر.

وطرفاها هذه هي آخر حجرة المغرب، وسميت طرفاء بذلك لوجود أشجار
ثلاثة من الطرفة بها وهي بلسان الروم (دكاب جوبي) عرضها 12 وطولها 28.7

447
وقتئذٍ ٥٢ على ما حورسMr. رئٍض تلك المرسى، وطرفاية معتدلة في سائر الفصول
ومهما بعد الإنسان عنها بنحو نصف ساعة يجد حزارة عظيمة.
أخيرنٍ صاحبنا ابن رحال أنه كان مسافرا في بعض الأيام وهو راكب جملا
فصارت تنزل عليه نقط في غاية الحر فإذا هي دموع الإبل تحملها الرياح وتلقينها
عليهم.
وليس بها ماء غدا يصر ملح تأتي للسقي منه القوافل ليلة وتسافر به لحيامها،
أما الوفد السطاني فإنه كان يأتيه الماء الكافٍ من الصويرة، وأهل طرفية يتذوقن
أحجارا مثل القصع يملاونها من ذلك الماء الملح فوق آنية أخرى فينزل الماء من تلك
الاحجار للآثارية فيستحيل عليه.
وكان في نية السلطان أن تبقى تلك المرسى مفتوحة يعمرها التجار وغيرهم
وفق ما يقترح الإنجليز، ولذلك وجه التجار والبناء والمهندسين ولكن أمر ذلك لم
يتم.

ثورة الرحماتة بزعامة مبارك ابن سليمان:
وفي أواخر رباع الأول من السنة المذكورة، نهدى من فاس لتمهيد نواحي
مراكش الذي أضرم نيرانها فساد تلك القباب على ما يأتي بيانه، ورتب قواد قبائل
الحور بعد أن نظم جيشا عرموه رأس عليه الشريف سيدى محمد الأمرازي المترجم
فيما يأتي بحول الله، ومعه عمال دكالة وباقٍ عمال الحور، وخياما على الرحامنة
وندبوهم للصلح وحذروهم وأنذروهم عقوبة المخزن واشتداد شوكته وخوفهم
سطوته، فلم تفتح تلك المساعي ولم يرفعوا لقائمهم رأسا واستعظاموا عصبيتهم
وتمادوا على عيشهم وتمدروهم، وله قربت الجنود المولوية من مراكش اختل أمر تلك
الجماع الزائفة وانهزمت، وقد كان السلطان حشد الجيوش والقبائل المغربية برابر
وأعجابا بخيلهم ورجلهم وأصحابهم معه.

٤٤٨
ولما خُيم على الرحامة بوادي أم الربيع، واجهت بهم الجيوش السلطانية المشار لها، بعد أن قسمها سبع ملاحم، عقد عليها للشرفاء وكبار الجيش كأعمام والد الجلالة العزيزة الموالي الأمين، والموالي عبد القادر، والموالي عبد المالك فأوقعوا بالخارجين وقعة شنيعة وجاسوا خلال ديارهم ولم يسعهم غير الرضوخ للطاعة، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة، وأدوا المعارض ذات البال، وأسلموا عددا كثيرا من رؤسائهم أسرى وجه بينهم في السلاسل والأغلال للحضرة المكناسية، ورجع عليهم أعمال الذين نزعتهم الفوهة عصبة مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني - وكان عاملًا للسلطان مولاي الحسن علي درعة وأعمالها - الذي سعى في الأرض الفساد وخرب مدينة دماث وغيرها، ومن الفوارق على مدينة مراش وهم غير مرة بقائحة عنوة، ولولا قيام عاملها القائد (وحدة) قيام الأبطال المخلصين ومبالغته في الدفاع عنها جهده وطاقته خُربت ودِيست سرعاتها وذرو الحبيبات فيها بالقابض.

وأتي برك الفساد الزعيم المذكور من زاوية سيدى علي بن إبراهيم يتالا وذلك في رمضان عام 1313 ثلاثة عشر وألف، وفي مدينته ولده الفاطمي وأخوه سليمان فجعل في قفص من جديد وأحدق به مع حزبه وكلاهم مَهْيَمًـ بفتح الميم وكسر الهاء مشبعة بعد ما مفتوحة فراء ساكنة - الحرس المخزني المسيء بالمخزرين، وسبب ذلك انطفاط نيران بغية الفساد، وانكسرت شوكة أهل العترو والإلحاح، ووظفت عليهم أموال طائلة، وعدد عديد من الخيل والسلاح، ودفعوا ذلك عن يد وهم صاغرون، وكان الرجل منهم يأتي بفرسه ومكحالتة ويسلم كلا للمركض بحوزه من قبل المخزن، ويأتي الرجل نفسه ويسلمه للسجان فيدخله السجن إلى أن ضاق بهم، ففرقو في سائر السجون المغربية وأكثر ما كانوا بسجن الصورية.

وقد كتب المرجع بناء هذا الفتح الباهي لسائر الأمصار والاقطان وكان من
الخليفة مولاي الأمين في قضية غوغاء الرحامة
جملة من كتب له بذلك ابن عمنا التقيب قبل مولاي زيدان ودلونك لفظ الكتاب
بعد الحمدله والصلاة:

محبنا الأعز الأرضي نقيب الشرفاء مولاي زيدان، أمنك الله وسلام عليك
ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فموجه إعلامكم بأن سيدنا المنصور
بالله لما نهض من الرباط، في عز وفظر وانبساط، مر بمحبلة المنصور السعيدة في
جيوشه وعساكره الموفرة ذات الأعداد العديدة، على قبيلة الشاوية فوجدهم فضلاً
الله على غاية من الاستقامة مبتهجين بطلعته السعيدة ومن بنائهم في عز كامل،
وحفظ شامل، إلى أن خضع بعين كسر من بلاد أولاد ابنا داود وأقام هنالك مدة
في استنشاق أخبار فساد الرحاغنة ورئيهم النحيس بن النجس، فلم تكن إلا مدة
يسيرة حتى صار قوادهم القدماء يأتون للحضرة الشريفة ويتحلي بها أهل الصلاح
الباطني منهم مثيرين من سعيهم في الفساد ومصرحين أنهم كانوا مجبرين عليه
من القاسد الكبير وشيعته، ومعلمين بالثنية والإنابة.

وهناك كانت الأخبار تتوارد بأن المرجفين لا زالوا يستحيلون قدمون الجناب
الشريف للمحور ويتكون ذلك ويجسوبه عظماً وهو عند الله هين، وبائر ذلك
نهض أعزه الله في جيوشه السعيدة ونزل بمحله المنصور على ضفة وادي آم
الربيع، في زي بديع، ومكن هنالك أمية قالين وأدن للمحانة في العبور وبقي هو
دام علاه في السافة إلى أن تكامل العبور، وعبر هو بعدهم في جنده الداخلي
وخيت على الضفة الأخرى بتراب الرحاغنة، فغشيهم من اليم ما غشيهم؛ وسقط
في يدهما ما كانوا يدبرونه، ولم يسعهم إلا إعطاء هد الانقياد والقدم للمحلة
السعيدة خاضعين متزميلين تثنيين مصموبين بالمشاهيب والمجلات والذبائح
والعاريات، ملتزمين بكل ما يمؤرون به ويشترط عليهم، ولا غرض لهم إلا في
البقاء على أنفسهم، فوطف عليهم نصره الله أربعمئة ألف ريال وعشرين ألف

٤٥١
رئال وألفا من الخيل بسروها وعدتها وألفين من العسكر، فالتزموا ذلك وشرعوا حينا في الدفع، ولم تكن إلا مدة سبيرة حتى أكملوا الخيل والعسكر وجل المال، ولم يبق منه إلا البعض ولا رالوا يدفعون، وفي أثناء هذه الإقامة أمكن الله من الفاسد الغوات الدمناتي الذي كان حامل راية فساد النحيس بن النجس وأيي به فطيف به في المحلة السعيدة على حمار وصفد وسجن.

وبعد أن أسلم الرحمن كان الفاسد المذكور فألحق بالغوات في السجن، وكان كالبشرين بحصول رفيقهما الفاسد الكبير، فلم تكن إلا مدة سبيرة حتى أمكن الله منه كذلك، وأيي به للمحلة السعيدة مصفدا ذلبا حقيبا، فعياه سيدنا النصر بالله، وجمع عليه كبار الجيش والعساكر السعيدة وأعيان الحضرة وقواد القبائل، فعاينوه على هذه الحالة المقررة، ثم أركب على جمل أجرج وطيف به في المحلة السعيدة عاري الرأس والصبع في قفاه وسخط الله ينزل عليه من كل ناحية حتى كاد أن يموت من العذاب، ثم صفد من يده ورجله وعنته وسجن في قفص من حديد كالخنزير أو الكلب العقر.

ولا زال أيده الله ينظر في أمره بعد أن جمع القضاء والعلماء على نازله وحكموا عليه بما حكم به الشرع في المحاربين، وسجلوا الحكم ولم يبق من فضل الله وسعادة مولانا النصر بالله من يشار إليه بفساد في الحوز أصلا فقطع داب القوام الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، وحتى رفيقهم دخان الصنهاجي السرغيني الذي كان معهم على الضلال ساقته العناية قبلهم في خفارة ولد سيدي ابن داود تابعا خاضعا متذرلا، فاقتضت المصلحة تأمينه لظهور أدها سقته، وولاه سيدنا نصره الله على إخوته، وهو الآن على غاية من الاستقامة، وأعلمناكم بهذا على سبيل الإجمال والعجيل، ريشا ترد الكتب الشريفة بتفضيله لما نعلم من تشوفكم لأخبار ذلك، ولتسرروا بحقيقة الواقع، ولم يبق إن شاء الله
إلا دخل سيدنا أعزه الله لحضوره الشريفة المراكشية رافلا في حلل العز والسعادة والإقبال، ومن الله الكبير المعان، وهو المسؤول سبجانه أن يحسن في الباطني كالقضي ويجزي الأحوال على ما يراد ويرضى، وعلي الحب والسلام في 18 شعبان الآخر عام 1313 أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به.

ثم بعد استصال شأنه العائدة المفسدين دخل الترجم بالمحلة المظهرة للحضرة المراكشية متصف العشر الأواخر من رمضان عام 1313.

ثورة الأعشاش:

ثم في فتح ربيع الثاني عام أربعة عشر نهض لناحية الشارية لفرقة الأعشاش منها فنزل بساحتهم إلى أن قضى وطره منهم، والقي القبض على أركان بغيهم واستصب على أموالهم واستولى على ذخائرهم وحج منهم نحو ثلاثمائة رأس وقبض عليهم خمس عشرة مائة رجل منهم وأردوهم السجون، وبقيت شرذمة متحصلة بالكهوف من أولاد محمد فتحا إلى أن هلك أكثرهم جوعاً. ثم ارتل المحال عنهم فرجع أهل الغرب لبلادهم يرأسهم سيدى محمد الحاراني، وأهل الحوز رجعوا في معبية المولى الأمين بن عبد الرحمن بن هشام، وصاحب الترجمة إلى مراكش، وكان نزولاً هذه المجال بالمجال المعروف بصخرة الدجاجة وأوسع العائدة الفنانة المذكورة سجن مجابح، ولم يزل به إلى أن لقي ربه.

قصوره وجيئاته:

ثم لما خلأ الجو للمترجم وطأطات له الرؤوس العائدة وتهذب له البلاد، واستبعد سراة العباد، وجبيت له الأموال الطالبة وامتج العمال دام الرعية صرف همته لتشييد القصور وطرس الجنات بفاس ومكناس ومراكش، وأنشأ براكش جناناً متقاعم الأكاظف سماء (أجدال) وغرسه بأنواع الأشجار والأزهر، وأتبع له عيناً
خاصة به وعمل صهريجا يجمع فيه الماء لتسقيته منه، ولزال قائم العين إلى الحين الحالي، ومن قصوره المدهشة براش (قصر البارحة) المعد اليوم لسكنى المقيم العام بالديار المغربية.

عقبته السياسية:

وبالجملة فقد كان الترجم في الدهاء آية، وفي السياسة بحرا ليس له من غاية، علم الخاص والمفاعل رسوخ قدمه في الشبكة والمهارة في تدبير الشؤون الملكية، ولا غرابة في ذلك إذ ليس لغبره من معاصريه ما له من الاطلاع على النواحي الملكية والخبرة بسائرها وسرا تغذي بلى ذلك من ثدي أبيه وجدته، وشب في ذلك وشام، وقد ساعد المعز فاضرآب له الإعتاق، وطionate له الروؤس، وخضع لسلطته المشروفة وال الشريف، وامتلأت قلوب الحواضر والبوادي مهابة منه ورعايا، ولم يبق ناه ولا أمر سواء، واستولى بسبب ذلك على نفس الذخائر الملكية ولكنه صانها أي صون.

أماته: أخبرني صديقنا العدل الرضي العلمي بن أحمد بن رحال وقد كان من جملة خاصة الملائرين لباب المطلعين على حركاته وسكانه البيئية العالية بتفاصيل خزائه وأذخائره أن الترجم لما حانت وفاته أمر صاحب الحصوصي الطالب حمزة بن عبد العزيز المكتاسي أحد أصحاب الفراعش السلطاني، أن يحمل بعد موتة جميع ما بداره من الأموال السلطانية والذخائر الملكية وذهب به للقصور المولوية، وبحضر معه الوصيف ابن يدر أحد أصحاب الوضوء، إذ كان هو الواسطة في نقل تلك الأموال والذخائر من القطع السلطانية إلى القصور الوزارية، وأن مفاتيح الصناديق الحاوية لتلك الذخائر النفيضة الغالية كان المرجع سلمها للسلطان مولاي عبد العزيز لما أحس ببعض دائه وأيقن بعبارة دار الفناء.
عندما أخبرني بعض المؤذن بأن الطالب حمان الزعتر أطلعته على كتاب
إحصاء الأموال السلطانية التي كانت مصونة بدار الترجمة وطلعت للدار السلطانية
مختوم ذلك الكتاب بهمس صاحب الترجمة وآن ذلك القدر هو الذي دخل عليه
للجنب السلطاني العالي من العمال وغيرهم.

وقد تفرقت تلك الأموال شذر مذر ولم يبق حذر من قدر، انتهباه
الخانون وبدرواها في شهواتهم وحرم منها المستحق، وكان ما كان لما أدركه
وما مكّن السلطان بفأس، حتى أصيبت المالية بداء الإفلاس، وقضت الظروف
بالافتراس من الدول للوارق المضرور وما قدر على الجبين، يستوفي ولو بعد
حين.

واين عبد العزيز الذي هو الذي صار خليفة لحاجب الدولة العزيزة أبي
العباس أحمد الركينة ثم صار في الدولة الحفظية أمين الصائر على الدار السلطانية
بالحضرنة المكاسية وأمين مستفادات أسواقها، ثم انفرد بأمانة الصائر فقط أوائل
المخزنة الدولة اليوسفية.

ثم إن الترجم لما صفا له الجو وتم له الاستعداد رشح سائر إخوته للوظائف
المخزنية الهمامة كالحجازة لإدريس، وزوارية الحرب لسعيد، واستأثر بالسلطة
الاستبدادية التي كانت عاقبتها خراب بيه وبيوت عائلته والمغرب أجمع.

وفاته: توفي ببراشسباع عشر المحرم عام ثمانية عشر وثلاثمئة و ألف
وحضر السلطان فمن دونه جنازته، ودفن داخل قبة ضريح جد العائلة الملكية
الولي علي الشريف حذاء ضريح القاضي عياض رحم الله الجميع ورضي عنهم
وعنا بهم آمين.
وقد رمز لتاريخ وفاته الأديب الشهير أبو العباس أحمد بن المواز رئيس
الاستثناء العالي أخيراً بقوله:
قضى ابن موسى وزير الملك أحمد من
بقي مآثره في السفن الزمن
وسط المحرم من عام يؤرخه فلاخبر رفع له من واهب المند
متخلفه وما وقع فيه:
ولما ليبي داعي مولاه أمر السلطان بحيازة جميع متخلفه عقاراً وغيره ليبت
مال المسلمين، وقفت عليه عدة ظهائر سلطانية أصدرت لأمانة الصائرين لكل مدينة
من مدن الإيالة بيع أصوله، منها ظهيران لأمانة دار عديل بفاس دونك نص
أولهما بعد الحمدلة والصلاة والطاعان الشريف:
خدامنا الأربعين أُمناء الصائرين السعيد بدار عديل المعفيين والجدد والمكلفين
معهم ببيع الأملاك المتخلفة عن كاتبنا الطالب أحمد بن موسى وفطكم الله، وسلام
عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد وصل كتابكم صحبة تفيد بيان أملاك المذكور التي
بخارج المدينة وعلى من وقفت عليه بالسمسرة والثمن الذي وقفت به وصار
بالبال، فأمركم بيع جميعها لمن وقفت عليه على الضابط في ذلك بعد حيزة
جميع الثمن ومن نزلت عليه من غير تأخير شيء منه، ومن عجز عن أداء شيء
منها حالاً أموضوها لغيره الذي يباع جمعه، وأشهدوا البيع للمشترنين لها نبابة
عن جتانبا العالي بالله والسلام، في ٧ محرم الحرام فاتح عام ١٣٢٠.

ونص الثاني بعد الحمدلة والصلاة والطاعان:
تأمر خدامنا الأربعين أُمناء صائرين السعيد بدار عديل أن يمضوا البيع في
أملاك كاتبنا الطالب أحمد بن موسى لمن وقفت عليه في السمسرة بالثمن الذي
بيتم، كما نأمركم أن تشهدوا البيع في كل منها لمشتريه على الوجه الشرعي بعد

٤٥٦
حيازتهم شملته منا نبأبا عن جانبتنا العالي بالله والسلام في 12 صفر الخير عام 1320 هـ.

ومع الأسف فقد مدّت في ذلك أيدي الخائنين، وتفرق شّائر مدى، ولم يصل للمخزن من أمتعته المبعة بأسواق المدن بعد سمسرتها إلا النزر اليسير. كما مدّت أيدي النهب والاعتداس في أموال وأمتعة غيره من صدر الأمر بحيازة أموالهم. ليبت المال كباب العلام قائد المشور السابق الذكر والفشار، ولم يقع الاقتصاد على أخذ أموال من ذكر من المستخدمين وضمنا نبيت المال، بل مدّت اليد العادية في كل من له أدنى علقة واتصال بهما من الأقارب والأباعد، وكل من لبشي ذلك الوقت فيه شهوة وغرض بدعوى أن المذكورين أمنا عندهم من أموالهما وامتعتهمها فأخفواها، وسبب ذلك توصل لغصب أموال كثير من الناس، ولم يقدر أحد من المتهونين على النطق بنيت شفة فيما أصابه خوفا على نفسه من بطش ذلك الباشا المستبد الظلم.

وأما تفاحوش ذلك وبلغ للجلالة العزيزة أمر الأمين السيد الحاج محمد بن عبد السلام المقرى الذي هو الصدر الأعظم الآن بالبحث عنه والإعلام بحقيقة الواقع فيه، فأجاب بعد البحث بأن جميع ما بلغ لشرف العلم صحيح، وأن دخوله على تلك الدور يكون أولا من غير الأبناء المكلفين معه ليستد بما شاء من المال متمم، ثم يدخل ثانيا مع الأبناء والعدول أو يوجه من ينوب عنه وان ضرره قد عم أهل البلد ولم يقدر أحد منهم على رفع الشكاية به للحضرة السلطانية، وأن الفشار له الاطلاع النام على ما كان بدار ابن العلام ويبالغ يظهر ما استبد به ذلك المستبد لنفسه وحاني في السلطان، ثم تبرع المستول المذكور بطلب إراحة أهل البلد من جوره وتفاحوش ضرره بعزله عنهم حسبما ذلك مسوب في جوابه بخط يده وهو بتاريخ 12 ربيع الثاني عام 1319 هـ.

457
اختلال الأحوال بعده:

ويموت صاحب الترجمة حديثة حوادث وفظائع يشبه لها الرضيع ووقع الدخيل في الدولة، واحتل النظام، وفسدت الأحوال، وتركت الأحوال، وتمرت الذئاب، وفرزت البيادق، واتسع الضخ على الواقف.

ولما استحکمت الفوضى وأشرفت الأمور على الانحلال وانتشار الخوايات بالإيالة المغربية، أو استشار، وكشف شكي الدولة الفرنسية من مسألة الحدود الجزائرية، وجدت الدول ذات المصالح بالسماح بالمنع في طلب الإصلاح، واقترحت على الدولة المغربية، فسارع صبر النظام، ونصب ميزان العدل وفتح الطرقات بين العواصم لتسهيل المواصلات، وكانت الحكومة بيئة العجز عن تنفيذ ذلك كله معد امكان تأجيله لوقت آخر.

فبد ذلك ظهر للسلطان أن دعا للسماح جماعة من أعيان مدن المغرب الكبرى كمكناس ومراكش ورباط الفتح وأسمر وطنجة وتطوان فأتقاوا بحضرته بفاس، كنواب الأمة يتردون كل صباح ومساء على أبواب القصور السلطانية حيث مجلس الوزراء، لأجل المفاوضة في الشؤون الكبرى والمحاتي بالبلدا، فكانت هذه الجماعة لا يحسن أعضاؤها سؤال ولا يفقهون جوابا إذا استشيروا أجابوا بقولهم الخير فيما اختاره سيدنا السلطان، فكان وجودهم وعدمهم علی حذ السواء، وقد أنفق عليهم الخزينة أمرالا طائلة.

بعد السفارات لأوروبا ونتائج ذلك:

ولما وقف تداخل الدولة عند هذا الحد، وكانت قضية الاستيلاء على قصور توأت قربة العهد قرر رجال الدولة توجيه سفريات مندوبين لعواصم أوروبا لطلب التصريح من الدول العظيمة مثل فرنسا وإنجلترا والمانيا عن كيفية بث النظام.
سفارة وزير الحرب سابقا السيد المهدي المنيري لإنجلترا - الجلوس من اليمين
المنيري المنيري ومن يمينه قائد بعثة الحرابة الإنجليز القائد مكلين وواق من اليمين
مستشار السفارة باشا الرياط الحالي السيد عبد الرحمن بركاش

459
فانتدب زعيم الدولة إذ ذلك ووزير حربه المهدي بن العربي المنبي للذهاب إلى إنجلترا، وعين خليفة له ومستشاراً لديه السيد عبد الرحمن بركاش باشا الرباط الآن، والسيد الزبير سكيرج ترجمانًا، والسيد محمد بوستة كاتبًا.
ولما وصلت هذه السفارة للدولة آقامت بها نحو شهر وفي تلك المدة عقدت شروطًا رسمية تحتوي على أربعة فصول:
الأول: بناء القناطر وإصلاح ما تلاشي منها بسائر ال吡الة المغربية.
الثاني: تسديد الممتات بالمراسي المغربية لعموم الضرع بها.
الثالث: تسهيل وتسريع الخروج بحرية مرسى إلى مرسى.
الرابع: وسق البطاطا والخضروات بأسرها من مرسى طنجة إلى مراسي الأجانب من حيث هي.
وهذه هي الشروط الرسمية، وهناك شروط ومعاهدات سرية التزم رئيس السفارة للدولة البريطانية بالوفاء بها على ما قبل.
واتنتدب السيد عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية سفيراً لفرنسا وروسيا وألمانيا ومعيته أبو عبد الله محمد فتتحا الحياض الوزير الصدر سابقًا، والأمين بناصر غانم كاهة النائب السلطاني بطحنة الحاج محمد الطريس التطواوي.
ولما اجتمع السفير بأعيان الدولة الفرنسية وعرض رغبات الدولة المغربية أُجيب عن ذلك بما حققه أن ما الصفقه بعض الدول بجانبها وقررته في شأنها محض افتراض وزور، وأنه لا داعي إليه سوى إعادته نار الفتن بين الدولتين وتحقيق لديه أنه لا تتعلق قضية قصور توات بالسياسة الفرنسية وإنما بسبب الاستيلاء عليها ما عولما عليه من اتصال قطر الإيالة الجزائرية بوطني السودان بالسكك الحديدية، وبعد استياء الغرض المقصود من الدولة الفرنسية توجهت السفارة للدولتين المذكورتين.

٤٦٠
ثم بعد فضاء الوطير وفق المراد انقلب السفراء بما لديهم من المعلومات وقرروا للسلطان ورجال الدولة ما كان من سفارتهم وما رجعوا به من المقاصد المطلوبة.

ثم يؤثر ذلك زار إمبراطور ألمانيا (غلويه الشاني) مدينة طنجة فأوقد السلطان لمقابلته وتهيئته نيةهما عنه سموه ووالده مولاي عبد المالك بن عبد الرحمن بن هشام وبعض الآعيان فاستاء لذلك الإمبراطور المذكور إذ كان اعتقاده أن السلطان يقابله بنفسه، وذلك ما كانت تقتضيه المجلامات السياسية وتوجيه مصلحة المغرب الوطنية، وكان نزوله بطائفة يوم الجمعة الرابع والعشرين من محرم 1323.

كما زار قبلهملك الإنجليز (أدوارد السابع) جبل طارق وذلك بعد زوال يوم الأربعاء تاسع محرم فاتح عام 1321، فأوقد السلطان لمقابلته وتهيئته نيةهما عنه باشا فاس القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي، وكانت مقابلة النائب الريفي الملك في عشيته اليوم نفسه بدار حاكم مدينة جبل طارق، حيث كان نزول الملك.

ومن نتائج سفرة ابن سليمان لفرنسا تعديل مسألة الحدود الجزائرية المغربية، وكان الذي رشح للوقوف على تصفيتها الجباصل المذكور بصفة كونه رئيساً والسيد أحمد السعدي باشا مكناس الحالي معيناً أول والسيد محمد نجل الجباصل المذكور معينين ثانياً، والسيد محمد بن عبد الواحد المندوب المخزني بوجدة وباشا الدار البيضاء سابقاً كاتباً أول والفقيه السيد محمد الهواري قاضي طنجة والعضو الأول بالاستثناء الأعلى سابقاً كاتباً ثانياً، والسيدة لزهرة سكيرج مهندساً واستمر مكثفهم في هذه الأمور كان آخر سنة 1318 إلى آخر سنة 1321.

وفي الوقت نفسه تخلت الحكومة المغربية عن القبال الثلاثة: أولاد جرير، وذوي مينع، والقاتدة لعمال الجزائر لما كانوا يحدثونه ويتسببون فيه من القلاقل والمشاكل مع الرعايا الجزائريين.
استقبال الإمبراطور غلیوم الثاني بطنجة
(1) الخليفة السلطان مولای عبّد الملك بن عبد الرحمن، (2) السيد أحمد بن المواز خليفة
الوزیر الصدر، (3) مولای إدیس البوکیلی خليفة وزیر الخارجیة، (4) باشا طنجة حمزة بن
هیمة الأسفي، (5) السيد عبد الله بن سعید السلاوی، (6) السيد الحاج احمد الطريس
خليفتا الثانی بطنجة، (7) البیشا عبد الكریم الشرکی، (8) سيدي العری العناسیری، (9)
السيد الطالب مصنین، (10) سيدي محمد القادیر، (11) السيد أحمد جفیل، (12) الحاج
عبد السلام بن عبد الصادق، (13) السيد محمد عثمان، (14) السيد اللبادي، (15) السيد
العری ملن، (16) السيد المهدی التازی ووراءه مولای أحمد الصابونجي أعضاء دار النیابة
وامناء الديوانه وعدوانها.
462
زيارة الإمبراطور غليوم الثاني لطنجة
الفتان أبو حمارة الجيلاني الزرهوني
ثم بإثر هذا وقع اتفاق الوزراء على أنه لا يختص واحد منهم بإبرام شيء أو نقاطه من كل ما يتعلق بالأمور السياسية والأحكام المخزنية إلا بعد اجتماعهم على ذلك واتفاقهم عليه، وكل من وقع منه استبداد بنقض، أو إبرام تجري عليه العقوبة الصارمة ويطرد من السパス الملوكي، وتعاهدوا على ذلك وتحالفوا، وكل من تولى أمر شيء يحلف بمن مغفلة بالصحف الكريم أنه لا يخون فيما أسند إليه، ومن كان متولاً كذلك يحلف هذه اليمين حتى حلف سائر الموظفين.

كما اتفق رأيهم على إنشاء الترتيب الجاري به العمل الآن فلم يتم أمر ذلك، إذ لم يكن وقع عليه اتفاق جميع الدول الأجنبية.

وظهر في قبيلة بني مسارة اختلال وانحراف عن الطاعة، وكذلك قبيلة بني عروس وغيرهما من القبائل الجبلية التي أفضى بها الحال والاشتغال بالملح إلى أخذ صبي وصبية من أبناء الإسبان بنواحي أصيلا على وجه التدعي، فجهز السلطان جيشا لإرغامهم على الرجوع إلى الطاعة، ورأس عليه الشريف المولى عبد السلام الأموي وعززه بالآغا (1) الحاج علي السوسي بن معه من السلاطين، وما بلغوا أمنيته من الانتقام من جميعهم حتى طلع طالع نحس الفتان أبي حمارة بтарا.

ثورة أبي حمارة:

ومن الأحداث العظيمة بعد وفاة المترجم الوزير أحمد بن موسى حادثة قيام الجبلاني الزهري المدعو أبي حمارة التي كانت أعظم حادث وأقوى سبب في فاس الدولة ووحن قوتها المادية والأدبية بل فشل ووحن المغرب كله.

أصل هذا الفتان المارق من مدشر أولاد يوسف أحد الدعاش الشهيرة بجبيل زرَّعون، قدم في أول أمره فاسا وانتظم في سلك أعوان القائد عبد الكريم ولد أب

(1) الآغا: كلمة تركية الأصل، تعني: الأخ الأكبر، وفي اللغة التركية العثمانية تعني: سيد
ورئيس وقد منح هذا اللقب الكثير من الموظفين وبخاصة العسكريين.

425
محمد الشركوي، ثم انتقل للخدمة مع الخليفة السلطاني بفاس رفيقنا في الطلب
أبي حفص عمر بن السلطان مولانا الحسن، وكان آيا خدمته مع الخليفة المذكور
يرافق السيد المهدي بن العربي المبتهي.
ولما تولى المبتهي المذكور الخدمة مع صاحب الترجمة لم يزل يتزوج إليه حتى
صار من أخص الناس به وأقرب أعوانه إليه لبناهته وحذمه وشدة ملازمته حتى
حصل بعد رفاة الترجمة على رتبة الوزارة، جاء الفستان المذكور إلى المبتهي زمن
وزارته يت، به سابقة التعرف والصحة فلم يصادف منه قيصلا حننا، فأقسم إذ
ذلك الجيلاني الشاب بنيا ليزجعن أميرا، حيث صار رفيقه المبتهي وزيرا.
وخرج من حينه يجوب البلاد في صفة ناسك متفتش يدعو إلى الله ودخل
الجزائر وجاب أكناها وآترب التردد بين وهران ومعسكر ولقي آبا محمد عبد القادر
ابن عدة أحد شيوخ الطريق تامة، وذلك بمدينة غيلزان قرب مستغانم، ولازمه مدة
فبت له هذة الشيخ من التعاليم ما صلى مثاولا لإيقاد نيران الفت بالأرض المغربية
وذلك عام ثمانية عشر وثلاثمائة ولف.
وفي عام عشرين دخل وجدنا على الصفة المذكورة، وتردد بين قبائل آكاد
قرر مه تابعه ودخل في شبكة تدجيله مقاصده، ثم حل بعصر نطبقة منحذا حلية
المتصوفة شعراء، والتصنع بزعمه دثارا، فظاهر بين بعض بسطاء العقول بالنسك
والخشوع، وربما قطع أمامهم ليه بالسجود والركوع، ومنى قام للمروق معهم
اعتراه ذبول وتوله، واصفرا وتبذل، وأسهمهم من رقيق الأزجال، ما يطرب
سامعه في الحال، وربما نطق بعبارات، كانه من ذوي الإشارات.
وأما عزم على مصارحة نطبقة راود من كان يجلس فيها من الخياطين على
مصاحبته، ليكون من أعوانه وبياته، فلم يتخذ الخياط لدعوته، ولم يتابعه في
غوايته، فغادرها إلى الموضوع الذي اختاره لنشر دعوته، وأظهر النافذ من الحكومة
المخزنة، وأنها ذات خضوع للتمدن الأوروبي، وانفتقذ أشياء من هذا القبيل توجب
النفرة من الحكومة ورؤسائها. فوجد من أولئك الرعاع الساذج آذانا صاغية وقلوبا
قابلة لما يبذل فيها من البضائع والعداء للسلاطين ورجال دولته.
وفي عام واحد وعشرين دخل مدينة فاس يتجسس الأخبار ويطلع على
الأحوال، ولقي بعض من له بمعنئة وصداقته فصره بأن الملاي يتأمرون به وأن في
ظهوره بالمدينة خطراً، فخرج لقبيلة الحبابة حامليا على أتان كتب وأوراقا متلاشية،
فصادف بالقبيلة المذكورة موسم أبي عبد الله محمد – فتحا – ابن الحسن الجناني
معمورا بجميع أعيان القبائل الزناتية من غياثة والتسول والبرانيس وغيرهم، فأخذ
ينشر بينهم معابي الدولة ورؤسائها وربوبتهم للخرج عليها، ورفض طاعة
المخزن والسلطان ويرمي الجميع بالعار والشنار ويلصق بهم ما هو برأيه منه.
فوجد من بسطاطهم من أتباعه ونقل أقواله الكاذبة، ونشرها في الأفاق
الشاسعة، فصادفت قلوبًا خاوية، فتمكت فيها العداوة والبغضاء للمخزن ورجاله
أصبحوا يسعون جهدهم وطاقتهم في الانتقام من السلطان وآرائه دولته، ويرون
أن الخروج عليه وخلع رقبة طاعته من أعناقلهم قرية وطاعة لله تعالى وخدمة للدين
والوطن، ثم بعد الموسم انتقل لجلب غياثة ونزل على أهل الظاهر منهم.
وكان لهذا المعتدي الأليم معرفة بفينون من السحر أصل بها كثيرا من
الغوغاء، وصار يدعي أنه هو المولى محمد نجل السلطان المقدس مولاانا الحسن
وصنف السلطان المولى عبد العزيز، وأنه إذا يستمر باسم غيره خوفا على نفسه من
استولى على ملك والده واستبد به واستعبد الرعية التي أمر الله السلطان بحمايتها
ورعاناها والذب عنها والسعي وراء مصالحها، واشتغل ببعض دينه بدنياه، ومال كل
الميل لشهواته ولذاته وتتبع أغراضه الشخصية، وفتح باب كنز روزه ويهته، ورغم

427
أن قسطس العدل لا يقوم إلا على يده، وأنه قام يطلب ملك أبيه إذ هو أحق به من غيره.

وبذلك ارداد مكانة في قلوب الرعاع والذين لا يعلمون، وقوي استيلاؤه على بعض سخفة العقول ومن في قلبه مرض من طاعة الملحن، فالتقت عليه أولا سفهاء تلك القبيلة وبيعواه على نصرة الذين، وله فشأ أمره أهده بعض أشرافر تلك القبائل فرسنا من عشاق الخيل وخبياء وصار ينير في كل مجتمع الشتاء عليه قاعت الأعيان بذلك، وتهافتا عليه، وإذا أراد الله أمرًا هيا أسبابه.

ولما رأى الزنين إقبال الناس عليه وحصلوهم في شبكة تدجيله وشعودته وتيقن أن أفعالهم هواء، أخذ عليهم الواليق والعمود على تعزيزهم ونصره وحمايته من كل من يروم بسوء، فصاحفوه على أن لا يخالفوهم وأن يضحوا أنفسهم وأموالهم وأولادهم دونه شأن ضعفاء الأهلام سخفة العقول المتمسكون بأداب كل دجال أفاك.

ولما حصل على ضالته المشودة من الاستيلاء على عقولهم وتيقن بصلاح ما بذر في قلوب أولئك الأغنياء الأعمام من التمرد عن طاعة الملحن والعدارة والبغياء له ولسائر أتباعه والتمتين إليه، وكان من جملة من ركن إليه وقام بدعوته وتسابق إلى الإعلان بنصرته قبيلة غياثة، وله تمت له البيعة بها تهافت عليه رعاء تلك النواحي من السبل والبرانيس وصنهجة ومن جاورهم، فطير الإعلام بذلك عاملها وهو إذ ذاك الحاج عبد السلام الزمراني للحضرة السلطانية، وطلب إمداده بقوة عسكرية بيدادره بها قبل اضطراب نار فانته وتفاحش ضرره، فقوليل طلبه بالرشف ولم يرفع لمقاله رأس، وأهل الشائر حتى استفحل أمره ونسلت إليه سماء ظرة الفتى والمتمردون من كل حدب وصوب.

468
مولاي الكبير نجل السلطان مولانا الحسن رحمه الله
فمنذ ذلك جهز له السلطان جيشا عرما يرأسه صنوه مولاي الكبير ووجه له به، فنزلت المحلة بإزاره عين القندح من بلاد الحجاز، وما استقر بهم الثوى حتى هجمت عليهم محلزيم الفتنان صبيحة يوم الثلاثاء، وكان من دعاته في سائر حرية استقبال المحلة التي يروى قتلهاهم يوم الاثنين وابتداءها بالقتال يوم الثلاثاء، وكذا أخري من حضر جميع معارضه فانهزمت جيوشه أمام الجنود المخزنية هزيمة شنيعة، وأسر منه خمسة أثنا وقطعت سبعة رؤوس ووجه بالكل للحضره السلطانية بفاس.

ولما اتصل الخبر بذلك لفاس فرح الناس واستبشروا، وظنوا أن الأمر قد تم، فأصدرت الأوامر لمولاي عبد السلام الأمراني الذي كان نازل بجيشه كثير ببني مسارة بالإبان بما معه من الجيوش والتخيم بها مع مولاي الكبير المذكور باوطئ بوعبان ونهض السلطان مراكش.

ثم في يوم السبت من رمضان ساقت المحلة لهم مقتفيات إثر الفتنان بجبيل غياث من ناحية قصبة بني مطير فانهزمت المجال المخزنية هزيمة لم تعهد قبل، وله علم السلطان بذلك رجع من وجهته ودخل فاسا وعقد لسيد محمد الأمراني على جيش جرار من العساكر الأبطال، ومأربه باللحوم بالمحلة التي هزمت، ثم عقد لعامله عيسى بن عمر العبدي على جيش من المجال الحوزية له بالوحلقه بهم أيضا، ولما لحقت المحتجان الأخيران بالمحلة الأولى اتفقت رأيهم على التهوس من أوطى بوعبان والتخيم على قبالة التسول، حيث لم يفحص للمجال المخزنية منهم صداقة ولا عداوة قالوا: إذا نزلنا عليهم نقدمهم أمامنا لقتل الفتنان، وبذلك يظهر ما تكن صدورهم فإن قاتلوه ضمهم إلينا، وإن ابتدأناهم بالقتال، فنحضا ونزلوا بهحل يسمى قعدة الأراشيب علي رأس وادي اللبن، وكان ذلك يوم الأربعاء، ثم وجهوا للتسول يأتون إليه مرارا فلم تقع منهم إجابة، فعند ذلك
صنعت المحال المخزنية على محاولتهم، ونهضت إليهم يوم السبت، وكانت الحرب بينهم سجالاً في ذلك اليوم ثم رجعت المحال محل نزولاً.
وفي عشية يوم الأحد ورد الفتان علي التسلوك وقال الجنر المخزني، ثم أصدر أوامره لقبيلة الحاينة بناوشتها القتال مع المحال السلطانية، فإذا ساقت إليه يأتونهم من خلفهم ويحلون بينها وبين الأخبية والأستعة فيهجم عليهم هو وجوهته، فإذا انهزموا يجدون الخبائنة من خلفهم فلا يجدون خلاصاً، وإذا كان العكس وتقدموا يقع الطعن والضرب فيهم من ورائهم فيمشيوا وتذهب ريحهم على كلا الأمرين.
وفي يوم الاثنين مر المارق الفتان أمام المحال المخزنية كالمقترح تقاد خلقه تسعه من عتاق الخيل مسرجة فرمتة المحال المخزنية بعض قابلها فلم يلتفت لذلك.
وفي يوم الثلاثاء بدأت المناوشة بين الجنسيين مع الزوال، ثم اشتبك الفتناء وارتقب ودام إلى غروب الشمس، وكانت الكرة على المحال المخزنية وتشتم الشجر مذر، ودخلت فاساً مهرومة شر هزيمة، جلها حفاة عراة، واستولى الثائر على الأسلحة والخيام والمثون والدباب، وكان هذا الحادث المحزن في رمضان، ولما دخلوا فاساً على الصفة المذكورة عظم المصاب ووقع أهل الدوام الملوك في حمص يص، ثم جهزوا محلة أخرى وأصروا بالتخيم بالملح المعروف بالطافي قرب وادي سبو، من قبيلة أولاد جامع، وخيمت أحزاب الفتناء على ضفة وادي اسم الفتاني بقلعة النخيل، وفي يوم الخميس ساقت إليه المحال المخزنية فانكسرت جموعه وترك جلما كان أخذ من المحال المخزنية في الهزيمة قبل، وفر نحو عين مديونة، وهجم على المحالة المخزنية التي كانت مظلمة من الشرارة وشراكية فأوقعت به فهرب وترك موتى أحزابه صرعى فريضة للذاب والغبان

٤٧١
ومن الغد اقتفت المجال أثرها بعين مديونة فمزلقت جموعة الباغية كل مغرب،
وبعد ثلاثة أيام أعادت المحلة السلطانية السوقة لهوارة الحجر فأوقفت بهم وأراقتهم
أليه التكال والتكاد.

ثم بعد هذا حشد وزير الحربية المهدي المتبهى جنودا جزيرة تتوزن من القبائل
المغربية من أقصى بلاد السوس وتاغيلات إلى حضرة فاس وترأسها هو ورئيس
المولاي إديرس بن يعيش، وتوجها بها لمدينة تازا التي اتخذها الفتان محل
كرسي إمارة، وخطأ به على منابرها باسم مولاي محمد الخسن، ولما خيمت
تلك الجندو المجندة التي تربو علي السبعون ألف مقاتل بوادي الحضر هجمت عليها
السوس والبرانيس ثيقة الفتان ليسى فردتهم الملاح الحمزية ناكسين علي الأعقاب،
ولما أصبح الصباح اقتفت آثارهم وأخذت منهم المساجين وطردهم طرد الرماة
للذين.د.

ودخل الجنود المحزية مدينة تازا عنوة وفعلت بالمحتاجين من أهل البلد
العمرات التي تخجل منها الروعة ولا ترضها الإنسانية، فقد اقتفت الأبالا.
وهمدته الدية، وذلك في شهر صفر الثامن سنة 1321.

وكان دخول المتبهى المذكور بجنود تازا السياسة الشيخ أبي هاشم الثني
الوركيني السمالاي الحسن المتمدد عند أولئك القبائل النافذة الكلمة فيها ولكنه لم
يخض الاحتفيات اللازمة للخروج بعد الدخول، وفاته أن يشكل مع المستضعفين
من أهل تازا مسلك اللين والمجاملة فكان ما سيمر ببعضه.

ثم بعد دخول تازا رجع المتبهى الذي كان يرأس هذه المجال مع ابن يعيش
لفاس الفتان إذ ذاك بوجودا كان قد احتلها بدون قطرات في ربيع النبوي عام واحد
وعشرين وثلاثمائة ولفن حيث إن عاملها كان ملتها بامتياز.

وذلك أنه لما ظهر أمر أبي حصيرة عبد القاد العتيكي اليزاسي الذي ثار
بالالم - محل بالظهراء - وزعم أنه وليه عبد العزيز السلطان هرب من لندند
محفظة علي واعدة من أبي حصيرة المذكور.

ولما اجتمع الجيش توجه عامل واعدة أحمد بن كروم المكناسي الجيوري به إلى برديل قرب دار البشير ومسمود، ويُمجرد ما أقبل عليه أبو حصيرة انهزم ورجع إلى واعدة فحمل منها ما يعز عليه والتجأ إلى مغنين هو ومولاي عرفة فقبل أبو حمارة من الريف بعد طرده لسيدى محمد الامرازي من جنادة وسلوان واحتل واعدة وبويع له بها وخطب به على منابرها باسم مولاي محمد وهُيما بها لمواجهة الإمبراطورية من سباعان ومظلة وأتباع وأرباب الخدمات الخصوصية، وبينما هو يهىئ هذه الترتيب إذ بلغه خبر دخول عسكر المخزن مدينة تازار فسقط في يده.

وينما هو يهىئ أسباب الانقلاب إلى المغرب إذ وصلت حدود واعدة من طريق الجزائر هيئة من حكومة المخزن مؤلفة من الحاج الحجج أحمد الركينة بصفة كونه رئيسي تلك المجال المخزني والقائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي بصفة كونه معين ومستشار، فنزلوا مغنين وجعلوا يخبارون رؤساء القبائل وأعيانها ويحذرون إليهم الرجوع عن غيهم، وبينما نَثروه من الدرهم والدينار أمكناهم استجواب رؤساء قبائل آنذاك وتراجعهم لطاعة السلطان والبراءة من الدعي الثائر واسترجعوا مدينة واعدة وطردوا عنها حمية الثائر وجعلوها مركز أعمالهم.

ثم إن ابن عبد الله الصادق المزكور دس للركينة عند السلطان ما أوجب عزله.

وعن رياسة الحال واسترجاعه لفاس وإسناج الأمر في ذلك للداس.

ولما بقي الثائر مع من بقي معضاً له من اللقبة الساقطين بين تارين أكد العزم إلى الجهة الغربية وقصد تازار، فبينما هو في الطريق إذ وافاه الطبب بن أبي عمامة في جماعة من ذويه وفي معيته عبد المالك بن عبد القادر بن محي الدين
الذي جاء لتلك النواحي من فخيج يقصد ترويض النفس والسياحة ونزل على أبي عمامة.

فلمما ظهر هذا الثائر اشتكى نفسه أن يطلع على كهنه على عادة رجال الحرب فنتفظ بهم ونزل ماويما ولم قرب من قصة مسون من أرض هوارية لقيته مقدمة جيش تارا التي كان يرأسها القائد المدني ابن محمد الإجلاوي، وكان قد أُنزل بالقصبة المزورة حامية من الجيش تحت رعية القائد عبد الملك المتوكي. ووقع بين الفريقين معارك أصيب فيها الزنيم برصاصة أُجزته عن القيام والقعود فقر به أنصاره جريحا لقبيلة البرانيس، وعسكرو بوادي الأربعاء من بني فراس من السويس في أوعار وحصن حصن، ودام القتال بين أشياعه والمحلة المخزنية بقر بقر وتقطع خط الرجعة بين من بتارا وأوطو بو عبان إلى أن دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف واندلع جرح المارد الفستان ودخل تارا من غير مقاوم ولا معارض.

ثم إنه لم كان خرج الفئان من وحدة عمرها الجيش السلطاني الذي كان يغنيه مع فرقة عسكرية وجهت مدة من فاس على طريق طنجة ومنها نزلت بالغزوات ثم سعيدة عجرد ثم وحدة من غير قتال أيضا وذلك في ربيع الثاني عام 1371 وحاد وعشرين.

ولما ضاقت التسع بماتازا من الجنود المخزني وذاقوا بسبب ذلك من العذاب ألوان وكاتبوا من الأهوار والمصاصة، وعدد القوط ما تحدثت به الروى، وتقروا أن الفئة المأخوة أجمعوا أمرهم وصمموا على الخد باهرهم منهم فيما فعلوه بتازا من الأعمال الوحشية، طيروا الإعلام للسلطان بما وقعوا فيه وطلبوا منه أن يمدد بصد يخلصهم من الورطة التي ورثوا أنفسهم فيها، فرأى أنه لا بد له من التوجه لإتقانهم بنفسه فحشد الجنود من الأغوار والنجوه، وأفاد فيها العدة والمال، وعزز تلك الجنود بعساكره الواقفة وصار إلى أن خيم ببلاد الحياينة وهناك انضم إليه الجيش السابق الذي كان باوطي بوغان.

474
ثم نهض إلى قبيلة التسول فتفرقت أتباع التمرد الزنيم في وعر تلك الجبال ورموا بالقنابل المحرقة وشدو عليهم في الخصائر، ولكن لم يمكن اجتثاث أصل عيدهم بالكلية حيث حان إبان (1) البرد والمطر، ورأى الأمر أن ندأي جيوشه على الخصائر فيه أعظم خطر، انقلب إلى فاس وكتب لإيالته شرحب أسباب أوبته. ودونك لفظ ما كتب به بعد الحمدلة والصلاة.

وبعد، فقد كان الغرض من نهوض ركابنا الشريف هو القيام بما أوجب الله من إخماد فتنة المسدين، وتربية قبيلة التسول وأشكالهم المعتمدين، وقد ختم جيوشنا السعيدة على أودتهم وهضابهم، وخففت بنودنا المنصورة على جبالهم وشاعبهم، ونحن نحاول استرجاعهم من الغي إلى الرشاد، ونسنبرع عليهم قبل أن يعمهم من الهلاك ما لا يمكنهم معه استنجاد، وكرنا عليهم رحف الصوكات من جهات متعددة، وأشهدناهم آخر سطوة الله المتجدة، وضيقتنا عليهم الداهب، حتى أرتهن الخوار في كهوف الشواهد ومغارات المشارك، وفي كل صورة يقع فيهم عدد من الجريء والقتلي، وتبلغ فيهم العقوبة مبلغًا يزيدهم محتة وهولا ولام كان سبب تمازيهم على ما هم فيه من الضيق والمحنة هو استعظامهم لما فرط منهم من الشقيق والفتنة، حتى عدوا ذلك من الذنب الذي لا تسلم من عاقبتها عواقبهم، ولم يعتبروا أن المقصود عندنا هو استرشادهم لما تصلح به أحوالهم وتظهر بعقائدهم.

ورأينا استمرار الحرب عليهم يضيئ بهم إلى عوم الهلاك والتدمير، مع أن المراد هو إنقاذهما من مصاعب الضلال بتربيه واسترشاد وتحذير، وحقن بقاء الفاسد الفتان في حكم العدم، من الجرح الذي لم يطق معه من نجاح يد ولا قدم. وحل مع هذا إبان الشئاء الذي أشفقنا منه على المسلمين لاضطرارهم إلى

(1) إبان الشيء: أوائه.
حراثة أقواتها واقتنا معيشتهم وضرورةهم، أمرنا ملحننا السعيدة التي كانت
مخيمها بتازا للتوجه إلى نواحي وجدة وآنكا، وتكميل الغرض بها هنالك في
حسم مواد، وردنا وجهتنا السعيدة لمحورسة فاس، مصموينين بعناية الله التي هي
عمدة التدبير ووجة الأحترس. ربما نجد تقويم الحركة والاستعداد، وترقب ما
يظهر من أحوال هؤلاء الأوغاد، فإن أراد الله بهم خيرا وتابوا وأنابوا فذاك، وفلا
فتنهض لهم في الإبان الذي يقتضيه بما لا قبض لهم بحول الله، وأعلمناكم لتعرفوا
حقيقة الواقع وتأخذوا حظمون في فرح الأروية في عناية الله التي ليس لها من
دافع، وإنساه سببان: أن يحضر اجتهدنا في حياة دائرة النظام والدين، إنه ولى
التدبير والمستعين والمعين، والسلام في فتح شعبان عام واحد وعشرين وثلاثيناتة
والفاء.

أما المحال التي كانت بتازا فقد أصدر السلطان أمره إليها بعد رجوعه لفاس
بالذهاب لوجودة، وبعد رجوع السلطان لفاس ردت أحزاب القتال وجهتها للمحال
الحالة بوجودة وذلك عام اثنين وعشرين.

ولما وصلنا نزل بني بوزكو فرقة من زناثة، وبعث إليه رئيسهم حمادة
البوزكاوي بالطاعة، فطلب منه مصارعة على أبنته، فأجابه لذلك واقترح عليه أن
يوجه أعيان القواد والوزراء لمصاحبة العرس، فوجه الثائر من أعيان حزبنا
نحو السبعين.

ولما دخلوا دار الرئيس المذكور هاش وبش، وبنغ في الإكرام وبسط الموائد
وعدد الأطعمة فأكلوا وشربوا وانبطوا، ثم عرض عليهم دخول الحمام وأنه أحماء
وهيارة لهم فنجزروا من سلاحهم ودخلوا الحمام وراثة فاستحل حماما، فكانوا
طعمه لهد سيفه، ثم لحق الرئيس حمادة من ليته في أهله وأولاده بمدينة وجداث
ودخل في عموم المحلة المخزنية بها.
ثم فارق الطيب البوشيخى أبا حمارة واستأمن معتمد الدولة بوجدة ابن الصادق المذكور في اللحق به، فأنزل له، وتوجه إليه، وفي معية رفيقه الأمير عبد المالك في طائفة من فرسانه، وكان منهم في خدمة السلطان وحارب طائفة الفتان، ما سارت به الروكاب، رغم أن كون أبا عمامة والد الطيب لم يرض عن صنع ولده وظل موالياً للفتان بسائر قبيلته وأتباعه فكان عمدة في حروبه، ومساعدته فيما ظهر بعد ذلك من الخطوب وقسيمه في ذنوبه، ثم وقع الخلاف والنكران، بين أبا عمامة والفتان، ففارقه أبو عمامة وأبعد النجعة بقومه ونزل بأطرف الظهيرة.

هذا ولا أتصال خبر منبحة دار البوزكاراى بهائر قصد محل وقوعها وضربه وعات فيه، ثم نزل على وجدته وشب القتال بينه وبين المحلة التي بها، وكان الحرب سجالاً ودام متوصلاً بقية السنة وجزء من سنة ثلاث وعشرين، ثم رفع الثائر لقصبة سلوان وخرجت المحال من وجدته، ذهب للمحل المعروف بالجزيرة قرب مليلة.

ثم رجع ركن الفساد أبو حمارة لبلاد الريف مكسور الجناح، في عيان وجناح، ثم رجع لنواحي فاس وتازا تارة في انطفاء وآخر في انضمام والاموال الباهظة تصرفها الدولة في سبيله، حتى نشب ما في خزائر الدولة وفرغت أفتدة بيوت أموالها واضطرت للاستقرار من دول أوروبا بعد ثرواتها الضافية، واقترضت منهم فعلا مرات متعددة والرؤساء النهاب يملؤهم جيوبهم وأوعيهم من الآلاف المؤلفة من الدرة والدنانير إلى زمن الدولة الخليجية.

ثم أفاق من نومه، وتوهم أنه آن زمان بلوغ أبيه، فنهض إلى بلاد الحبيبة، وصار يشن الغارة المرة بعد الأخرى على القبائل المجاورة لفاس إلى أن بلغ لأولاد الحاج، فنظم السلطان المولى عبد الحفيظ جنوده مجندة من أبطال ذوى حزم وعزوم ووجهها إليه، فلما التقت الجمعان كانت النتيجة بتبديد جميعه.
الفتان أبو حمارة الجيلاني الزرهوني في قفصه
خريجاً مهناً.

وكان الظفر به يدشر أولاد كنون من قبيلة بنى مسارة في زرية السيد عمران عشيّة يوم الأحد خمس من شعبان عام سبعون وعشرين وثمانمائة وألف، موافق ثاني عشرى غشت سنة تسع وثمانمئة وألف، ودخل لنفس في فقس من حديد على جمل ضحى يوم الثلاثاء المتصلى الولاء بيوم القبض عليه.

وكان الذي تولى القبض عليه عسكري من قبيلة الشاوية من طابور بوعودة يسمى المعيش، وما ظفر به نزع له المفاتيح التي كانت ببطوه والGMT الدخان الذي كان بإصبعه ثم تسقط عليه النهاج والأوياش وسبله من كل ما يطلق عليه شئ وتركوه مكشوف العورة وأذاقوه اليم النكال، ولولا أن القائد الناجم كفههم عنه لأتمفوا مهجه، هكذا أخبرني من حضر الواقعة عايين ما ذكر من الثقات الأثبات.

وأما مثل بين يدي السلطان مولى عبد الخفيظ أظهر من التجدل و الوقاحة ما لا مزيد عليه، ثم بنيت له دكة يمشى باب البرجات، ووضع عليه قفصه وشُهر أيامًا حتى رآه الحاضر والباب، وأقيمت عليه الفراجات والأفراح في سائر البلاد، ثم بعد ذلك أدخل للقصور السلطانية بفاس، وكان ذلك آخر العهد به، وها قتل تنفيذاً للحكم الشرعي المتعين في شأنه الذي كان التخير في كيفيته للإمام، فأعدم رمياً بالرصاص في أصح الروايات خلافاً لما يشيء بعض ذوي الأضرار من الأوربيين وغيرهم، من أنه طرح للأسود التي كانت بالقصر السلطاني فمضقت شلوه.

وأما لم يشهر قتله أمام الجمهور صار بعض الخمقى يعتقدون عدم موتة، ولا سيما خاصته كصبره محمد بن شلال الريفي القلعي، فإنه كان يجزم بعدم موتة ورجوعه يومًا ما لسطوته، فحمله اعتقاده الفاسد على منح أخته التي كانت تحت
الثائر المذكور من التزوج بغيره لئلا يرجع ويجدها متزوجه فنعوذ بالله من الجهل والغباوة.

ثورة الريسولي:

ومن ذلك ثورة أبي العباس أحمد الريسولي الذي كان في أول أمره من اللصوص النهاب قطاع الطريق بالعقبة الحمراء وما والآها.

وقد اتفق أن كان بين النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس التطواني، وبين عامل طنجية الحاج عبد الرحمان بن عبد الصادق منافسة وشحناء، فوشي الطريس بالعامل الذكور للسلطان زاوها أنه المرى للريسولي على العيش في الطرق وأنه يشاطره جميع ما سلب ونهب، وذلك محض رور وافتراض فأصدر السلطان عند ذلك بالعامل أمرا باتا بالقبض على اللص المذكور وإلا فتكون مستوأما وما بلغه هذا الكتاب ضاق به التسعي وزار يضمر أحسماس في أسداس، ولما رأى أن لا ملجم ولا منجي له إلا بنصب جبال المكر والخديعة، أوعز لبعض الخاصة من أصحاب الريسولي بأنه يريد أن يرشح المذركون شيخا ولكن لابد من أن يدفع عن تسلم ذلك المنصب مبلغًا من الدراهم لا يقل عن ثلاثين ألف بسيطة حسنية، فنشط الحدن لتولية صاحبه واستعمت العدة وصار يطلب من العامل الحا من ذلك القدر وهو يشده ويظهر الإبادة من أن يضع ولو شيئا ما، ثم ذهب الصديق لصديقه وأخبره بما رأى بينه وبين العامل في شأنه فارتاح لذلك، وأجاب لأداء العدة المذكورة، وإنا يطلب دفعها مقطعة، ثم تأبط ثلاثمائة ألف بسيطة حسنية ليقدمها بين يدي نحوه للعامل، وتوجه مع الواسطة.

فلما أخبر العامل بما ذكر أمر بإزال الريسولي محل معدل الضيوف الأعيان، وكلف من يذهب إليه بالطعام والشراب وأظهر الاعتداء الزائد ودخل هو لداره مع الواسطة.
ثم نادي بعد الأبطال من خاصة أنواعه يسمى عبد السلام الأشقر وقال له:
إنى أريد القبض على الرسولى، وأنه لا يقوم بهذا المأمورية غيرك، وإنى لم أفضى بهذا السر لبشر من خلق الله سواك، ولا يقبل منك عذر فيه بالحال، فإن فهت بهذا أو توانت فيه فإنك تقبض مكانه وتذوق ألم طويل المحن، فأجاب الشرطي بالسمع والطاعة، واختار من أصحابه من يعتمد على إخلاءه وشجاعته وأفضى إليه بما شافه به العامل، وقال له: إنى إذا حضر الطعام وتارله الطست ومد يده للغسل أسقط عليه وأضمته إلى فإذا رأيته فعلت ذلك أدركني وأعيى فيه.
توافقا على ذلك.

ولما امد الشرطي بده في المسجون قال له: إنه مسجون السلطان قد بد جنبي يريد سلا سكين كان مستأبطا له فنزعه العون الآخر منه وأوقفوا يديه خلف ظهره، وذهبو به للسجن، وجعلوا عليه السلاسل والأغلال ثم أعلموا العامل بالواقع، فارتح بذلك وسر به، ثم وجه به سجينا لغر الصورة.

وبعد مدة جاء أقاربه وبنو عمه وتطارحوا على الطريق في الشفاعة فيه فاسعف رغبتهم وشفيه في السلطان فسرح، وما رجع محله ضاق التشيع بالعامل وشيغته فطلب الانتقال فنقل لعمالة فاس.

وعاث الرسولى وزاد عتنا وفسادا وصار لا يرقب في إنسان إلا ولا ذمة، كم أداد من عائلات وآراء من دماء في سبيل شهواته وأعراضه الشخصية! وأوقد من فن حيا في الرياضة حتى أهلك البلاد والعباد وأسر (القرونبل مكليل) الحرب الشهير في الدولتين الحسينة والعزيفة ودعاء بالملك لنفسه وخطب به على منابر تازروت وما والاه، والشفت حوله الصالحين وسماع العقول وسماعه الفتن اللذين حب إليهم تقدير الراحة والسلم العام وصار آئة يعج للإسبان وأخرى يكون عليهم، وقد تفسنت الجرائد والمجلات في نشر تفاصيل أخباره داخل الإيالة المغربية وخارجها فلا حاجة لنا لجلب ذلك وتبني وقائعه.
ولم يزل على طيشه ومترد إلى أن ابتلى بذاء الاستقامة واستفحل فيه، وأعيا
الأطباء علاجه وصار كالزق يمج منه الماء المنت مجا حتى كان يضطر إلى تغيير
ثيابه وفراسة في اليوم مرات، ولا يمكن تحويله من مهل إلى آخر إلا يجعله في
إزار يحمل فيه ودام على ذلك ستة عشر شهرا وهو مع ذلك مسجوع الكلمة نافذ
الامر صحيح اللسان بذاء، لا يقيم لأحد وزنا.
ثم في أوائل رجب عام 1342 احذق لفيف من الريفين أشبال محمد بن
عبد الكريم الريفي بداره بنازروت، ودخل عليه قوادهم وأشباخهم بعد أن دام
البارود بينهم يوما وليلة، هلك فيه عدد عديد من الأنفس واتخذوا له محمل
حملوه فيهم على عوائقهم إلى مرسى وادي (لو) بينه سعيد على حد غمرة
وركبوا به البحر وذهبوا به إلى جهد، ثم أخرجوا عائلته وسائر نسائه من تازروت
بكل احترام ووقار ووجهوا بهن لشفشاو.
وفي تاسع رمضان العام لي داعي مولاه، وبعد ذلك نقلت عائلته من
شفشاو إلى (سنادة) ويقت هناك إلى ان قامت قيامة ابن عبد الكريم نقلت
لتطوان، ولاذت به إلى الآن ولله في خلقه شهون.
مقتل الدكتور موشان واحتلال وجد:
ومن ذلك أيضا ثورة قتل الدكتور موشان الفرنسي براكش، وذلك كما
قدمنا أن بموت المترجم وتنص المناصب العليا غير مستحقينها ظهرت الأوابد
وانتقلت العقائد، وتعلمت رؤوس كأنها رؤوس الشياطين، وتغير نظام الحكومة
بالمرة، ووقع الانقلاب الفجائي في هيئتها، ولم يجد السلطان في دائرته رجلا
يعتمد عليه ولا بطلا يكل الأمر إليه، فجرت الأمور على غير المراد، وإذا أبرمت
الآقدار الإلهية أمرة فليس له من راد، وعادت الفتنة الحوزية لنشبها، وكثر القتل
والنهب والسلب بالطرقات، واذداد ذلك نشوا وشميا بحارة سلطان المولى عبد
العزيز للديبار المراكشية ومقامه بالعاصمة الفاسية وذلك عام تسع عشر وثلاثمائة
وألف 1319.

وعدد رفع الشكايات للحضرة السلطانة بما حق الناس من الأضرار وتورطوا
فيه من الاختلاف، بسبب سلب الأمان وتكاثف العين في الطرق، وقتل القوى
للضعيف، فأقيمت شكايتهم في روايا الإعمال وكتمها أولو الأمر من الديوان
المخزني عن السلطان واشتعلوا بلذاتهم وشهوتهم ولم يرفعوا لما يرفع إليهم ويقرر
لديهم رأساً، ولا قرأوا لعلامته الوخيمة حسباً فكانت النتيجة فرار الأفنتة من
خوف سطوة السلطان وشديد باسنه ومهابه صوته ويطسه وتشاذ نفوذ ولاة أمره
من قواد وعمال وخصوصا بمراكش، وبقى الناس كالفاوضي لا سرايا لهم.

فاتفق أن ركب الطيب المذكور علم دولته بباب محلة بعرصة موسى، وذلك
يوم السبت الرابع صفر عام خمسة وعشرين وثلاثمائة ولف على ما حقق لي بعض
الأعلام من عدول مراكش، والذى قرأته في بعض التقاريد أن ذلك يوم الثلاثاء
خماس صفر المذكور في الساعة الواحدة بعد الزوال، وفي الحين تسارع إليه همج
الرعاع وقثلوه بالضرب والحجارة والعصى وتركوا جثته ملقاة على الأرض بباب
داره، وانتشروا في أزقة المدينة يسرقون ويخطفون، واغتشمت اللصوص النهابون تلك
الفرصاً لما علما من أن من فرص القتل ضجة السوق والمجانين من الأوبايش،
وكثيراً ما هم يضحكون وينحرعون، ومن علم أن الفتنة أشد من القتل وتيقن المثال
والذي أول شرر لا ينتفؤ وقع في المغرب بكي وابكي وتهكك وتألم.

ثم لما اتصل بالعامل هذا الخبر المحزن والحادث الجلل وهو إذ ذلك الحاج عبد
السلام الورزازي قام من حينه يبكي بكاء الكئلي، ووجه قوة كافية من أعوانه
لتسكن روعة البلد، وذهب هو بنفسه في لفيف من أعوانه لمحل القتيل، ووقف

483
على عهده حتى جهزة وضع في تابوته وحمل لضويعه، وحضر في معية العامل المذكور من كان براكش من الأوروبيين.

ثم في يوم الجمعة الرابع عشر من صفر المذكور بقي احتلال وقعة من غير مقابلة ولا مشاغبة أخذ بثأر بقي الفعل والفصل فيما لها من الحقوق والدعوات غير ما ذكر ما هو مسطور في ظهير سلطاني خوطب به القائد عبد الرحمن بركاش وأعيان الصوايحة ودونك لفظه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله ثم الطابع الشريف بداخله عبد العزيز بن الحسن الله وليه وودائرته:

من نكن بررسول الله نصرته إن تلقه الاسد في إجامعة تجم

lxدينا الأرضي القائد عبد الرحمن بركاش وأعيان أهل الصوايحة المحروسة بالله ووفقكم والله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإن طيبة فروسيا كان مقيما براكش فركب علما بالخلال الذي هو به فتلي دين الله، فتليل، ومن قبله كان جرح فرسوسيا آخر ببلاد تكين، وكذلك في منطقه كان قتل آخر من كباره فرسوسيا، وكذلك برس جرح آخر.

ولما بلغ ذلك الدولة الفرنسية حصل لها انصهار واغتصاث للذالك وها لها ما وقع من هذه الحوادث التي يؤدي إليها طيش الرعاع الذين لا يعرفون مزية الهدنة والسكنينة، ولا يندبرون عواقب النزاع، ولا ينظرون لما نكابده من حسن المهادنة وسياسة الدفاع، مع أن ذلك لا حق له فيه من جهة الشروط، وإن المخزون قادر على رفع ما تشوه منه من غير ضرر منهم لصاحبة طريق الانصاف، وحملها الغيظ على احتلال عسكرها بوجبة طالبة الانصاف، وقبض الحق في هذه القضايا.
و الفساد فيما لها من الحقوق والدعوى وعلقت خروجها من وجة على إيقاع الفساد في ذلك.

إذ حلولوا مؤقت لاجئ ما تطلب من المعوضات لاجئ ذلك وها نحن جادون في مباشرة وجه الفساد معها بما يقتضيه الحق لها في ذلك، ومجتهدون في ارتكاب العمل المخلص من ذلك، حتى يخرج عسركما من وجة بحول الله ولاجل هذا كنا نحذركم ونحذر غيركم من رعيتنا السعيدة ونبالغ في الاسترعا وإلزام خشية التورط في مثل هذا، ونؤكد عليهم في إعلام جانبننا الشريف بكل ما تSHOWوا منه، ورفع أمره إلينا ليتدارك على الوجه الأسلم من غير افتيا ولا مديد في أحد، وعلى كل حال فلا ياخذكم هول ولا يروعكم تشويش، فإننا بحول الله مهتمون بهذا الأمر، ونبالغون في عناية حتى يخرج بسلام، فليسكن جاهزكم ويطعنكم بالكم، لأننا لا نأول جهدا في صيانكم والدفاع عنكم باموالنا ورجالنا بحول الله حالا واستقبالة، كمل الله المراد، رينا وآتنا ما وعدنا على رسلك ولا تخذنا يوم القيامة إنك لا تخفف المباعد والسلام في 18 صفر عام 1325. إنهي. من أصله.

ثم بعد مدة قدمت على مراكش لجنة أوروبية بقصد البحث في السبب الداعي لقتل ذلك الطبيب ومن تولى قتله والحاصل عليه، فهيا لهم عامل البلد المذكور مساعدة فاخرة، ونا أحضروا لهم الطعام امتنعوا من الأكل، وقالوا إما أننا للمباحثه لا للمواكبة، فلم ينزل ببلين لهم القبول وبلاغهم واستطاعوا حتى أكلوا وزال ما بهم، ثم بعد الفراغ من الأكل بحثوا العامل عما ذكر بحثا متداقا، فحقق لهم أنه لا علم له بشيء ما أصلا حتى وقعت الواقعة.

وقد كشف الغيب بعد ذلك أن الذي أخرج على قتله هو رجل من الألمان كان قاطنا بمراكش، له إمام ببعض العلوم الإسلامية، وكان كثيرا ما يتذكر في 485
تفسير القرآن وتردد على العلماء ويحبيب للمغلين سيرة دولته، أوّل هذا الآلماني لبعض الأغبياء الساقطين أن الطبيب المعروف عامر على نصب الراية الفرنسية بحله، وذلك دسيرة يدسه لهم، وحضهم على منعه من ذلك والتهرب له والقيام في وجه ولو أدى الحال إلى قتله فإنه لا يتقطع عليه عشائه.

ثم بعد مدة أمر السلطان بتوجيه ولد العامل المعروف صديقنا الفقيه البركة السيد محمد للمحاكمة بطنجة، ثم بعد أخذ ورد وبحث وتنقيح اتضح براءة العامل من كل تهمة ألصقت بجنيه في قضية القتل، وأنه لا مستحيلة عليه ولا على أحد من أولاده وعشيرته.

وبعد ذلك صدر الأمر بالإقامة القبض على المتهمين بالقتل فوقع القبض على خمسة عشر رجلًا، وأودعوا سجن مراكش، ثم نقلوا لسجن الصورة وذلك في يوم السبت الخامس عشر من ربيع الثاني ثم نقلوا لسجن طنجة، ثم ردوا لسجن الصورة بطلب من النائب الفرنسي بها حسبما وقع التصريح بذلك في ظهير سلطاني، ودونك لظهور بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديني الأرضي القائد عبد الرحمن بركاش وفائق الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فبعدما كان ورد لطنجة على يديك مساجين أهل مراكش المقبوضون في قضية الطبيب موشان الكبير مراكش، جاء نائب الفرنسي في ردهم للصورة ليكون بحثهم بها على يد القنصل المكلف بالقضية، وقد اقتضت المصلحة المساعدة على ما ذكر، وأمرنا خديمنا النائب الحاج محمد الطريس بتوجيه المساجين المذكورين بحرا إلى صاحبة من بعثهم مصاحبتهن، وتامرك أن تقبلهم وتختلي بهم بنفسك حتى تستوعب كلامهم وتستخرج ما في بواطنهم لتكون علًا بصيرة ثم تدعهم السجن، وإذا كتب لك خديمنا المذكور بالنبي تعلى ما تسلكه في شأنهم بما يثبت أقدامهم عند مباحثاتهم، فتامرك أن تجري في ذلك على ما تقضيه المصلحة»
مع الأخذ بالحزم والاحتياط، وإذا طلب القنصل المذكور إحضارهم للبحث، فإن
تمكن أن يكون بحثهم بحضوره فهو أولى، وإلا فكون بحضور من يمكن حضوره
من نوابك البهاء ولا تحتاج لزيادة إيضاح في بيان المقصود لما ذكر، والسلام في
8 رجب عام 1325

احلال الدار البيضاء:

ومن ذلك واقعة الدار البيضاء التي هي من أعظم الوقائع الشنيعة المتصلة
للكبد القاضية على قوى المغرب المادية والأدبية بالوهن والانتفاضة، تلك الواقعة
التي تنفس بها صبح الخطرب في أعمق القلوب، قام بحمل أعباء طمها الكبرى
جهال رعاع الرعية وأخلات الأوراش وسفهاء الأحلام، من سحفاء عقول قبيلة
الشاوية الذين لا يتبرون العواقب، ولا يعلمون أن الإنسان لا يحصد إلا ما بذرف.
ولذلك أن الدولة المغربية المغربية لما أنتى ركن سياستها المتين بموت صاحب
الترجمة، فرنت فيها البيناد ووساد الأمر لغير أهلها، وصارت الرؤوس أذنابا
والآذناب روعا، وانفجرت براكين الاستبداد التي هي شمرة الإنفراد في الضغط،
وشفا ذلك في الحواضر والبوادي وعم جميع البلاد، ونامت الصقر، وصرخت
الديكة، وادعى الصوروك أنه ابن جلا، وأدعت أن كثيراً من الشاجاني التنافس في
أفخاذ من قبيلة الشاوية المذكورة، وارتات أن الخروج عن طاعة السلطان متجر
ريح، وتمكن في قلبها حب الغبي والعدوان، وجار القوى على الصفيف، وغدا
الفساد في كل أونة يزداد، ورؤساء الدولة لا يستطيعون لرتب ذلك الفتى حيلة ولا
يهتدون سبيلًا بل هم في غمرة ساهون، وعن الأخذ الأخوات لاهون، إلى أن
مدد يديد العداء بعض الرuju من سماسرة الفتن الوقنين لدارها من جوار الدار
البيضاء وبالآخرين مدينة وأولاد زيان، كما عيينهم ظهير سلطان شريف دونك
لظفه:
خدمتنا الأرضين أمناء الوضع برسى الدار البيضاء المحرسة بالله، وفقكم الله وسلاماً عليكم ورحمة الله وبعد وصل كتابكم بشرح الواقع هنا كم من رفاع مدبونة وأولاد زيان وألكم قائمون على ساق في ترتيب العسة لحراسة الديونات وخصائصها وصار بالبال، فقد بلغ ذلك لشرف عالمنا وأمرنا فيه بالمعتين، وتردوا بالبا لصيانة الديوانات والخصائص، والسلام في ٢٧ جمادي الثانية عام ١٣٢٥.

وقد عاث المذكورون بأطرافها وقثلوا عداً من النصارى خارجاً بسبب جلوس مراقب فرنسي مع أمناء مرسى التغر المذكور للمراقبة على المداخل المعينة لهم التي هي ستون في المائة من مدخل المراسي كما ينبئ عن ذلك ظهير شريف عزيزي دونك نصه بعد الافتتاح.

خدمتنا الأرضين أمناء الموضوع برسى الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فتأم كم أن كونوا تدفعون للأمن الطالب العربي بن كيران ما يحصل لجلب المخزون في مدخل الأربعين في المائة السالمة له كل يوم بيمه، وأن كونوا تعلمون جنابنا العالى بالله في كل أسبوع بقدر ما حازه فيه وأن يكون ابتداء إجرائكم هذا العمل من يوم التاريخ الذي هو الثامن والعشرون من رمضان هذا، والسلام في ٣٨ رمضان عام ١٣٢٦.

وقد هذا القدر على كانت وقعت المسيرة من الجناب العزيزي والدولة المقرضة للدولة فرنسا، ولم يزل عنوان أولئك الغوغاء يتفاحش حتى أوجس القنصل الفرنسي بالغ، كونه العذر في نفسه خيبة اضطر بسبيها إلى إنزال بعض عسكريهم من مركب حربي كان لهم هناك، فلما تزول تعرض لهم بعض أهل الطييش بالضرب، وجرحوا منهم كبرنا وخمسة أثنا عشر من العسكر، على ما سيمر بك إيضاحه.

وكانت المدة التي وقع الاتفاق بين السلطان مولاي عبد العزيز وبين الدولة الفرنسية على جلوس أحد الفرنسيين مع أمناء الديوانة بصورة كونه مراقبا خمسة أعوام حسبما وقع التصريح بذلك في ظهير عزيزي شريف دونك لفظه:

٤٨٨
بعد الحمدلة والصلاة والطيب الكريم:

خديتما الأرضى القائد عبد الرحمن بركاش وفقل الله وسلام عليك ورحمته الله، وبعد فلأجل مصلحة تحسين خدمة المرسي وزيد الضبط في عملها اقتضى نظرًا الشرف على وجه الاختيار تنفيذ إجراء عمل المراقبة بالفعل على يد أرباب الفرض الفرنسوى الجرئ بجلسوس أحد الأعضاء منهم بالديوانة السعيدة مع أمنيتها لمدة خمس سنوات من تاريخ الشرع في العمل، وقد أصدرت شريف أورينا للأمانة المذكورة قبله للجلسوس معهم وتمكينه من التصرف على مقتضى ضابط خدمته وعليه فنامارك بقبوله لذلك والكون منه على بال وشذ ده فيما يتوقف عليه من أمر تكليفه الراجع ضد خدمة المرسي، وضبط جميع أعمالها، والسلام في 10 جمادى الأولى عام 1325.

ثم ثار كمدين الفتنة ولم يزل شرته يطابر إلى أن عمد ذات يوم ليفيف من تلك القبيلة الباغية المتهمدة لشاطئ البحر، حيث بيد المرسي ثغر الدار البيضاء الذي كان وقع الاتفاق على بنائه بين السلطان أيوب فارس عبد العزيز وإحدى الشركات الفرنسية، وذلك لما رأى السلطان أن من المصلحة العائدة على بلاده وتوسيع نطاق تجارة رعيته وغيرها من يتجر بها من الدول الأجنبية النازلين، بإيالته، بناء المرفأ لتلك المرسي بناء نظامها على الطراد العصري، وخيل أسف فإن القاضي على زمام إدارة الحكومة لم يتخذ فيما رامته الاحتياطات اللازمة لردع المفسدين وكسر شوكتهم برشيش رجال حكتهم التجارب للوقوف على تنفيذ ذلك الأمر المهم كما يجب، بل عزلت باشا ذلك الغفر الذي كان يعرف من ابن تؤول الكتف، عينت خلفًا عنه أبا بكر بن بوزيد السلوى، فعقد المزوم وتحرر لغزاء أخوانه على إيقاد نيران الفتنة وتشويش راحة البلاد فأجابوا لذلك، والباشا الجديد أدخل إلى العجز، وأظهر غاية الجين، وأبان عن عدم لياقته وكفاءته لما رشح له.
ولا تم الاتفاق على الوجه المذكور شرعت الشركة المذكورة في مد السكك الحديدية لسير القطار المعد لحمل الأنقاض اللازمة للبناء رفقا بالعملة وتسهيل عليهم. فاتخذ أولئك الرعاع الأحساء مكادم توصلهم لتكسير ذلك القطار شأن العتاة الأتيا، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، حولون تديرهم بدمارهم وأعاذنهم على سوء فعلهم قريتهم اللعين.

ولما وضع القطار في شبكة مكرهم بجعلهم أحجارا وأعوادا في ممره انتقل وتكسر ومات بسبب ذلك تسعة من العملة الفرنسيين وأسبانيين وإيطاليين، فمن الفرنسيين سائق القطار وهو السماوي (ربات) ورئيس الخدمة بعدين الحجر ثم ذهوا للمعدن وقتلوا من وجدوا به من العملة وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادي الثانية عام خمسة وعشرين وثلاثمائة والف موافق 30 من يوليو سنة 1907.

ثم إن أولئك العتاة لم يقفوا بخيشين عند ذلك الحد بل دخلوا البلد ومدوا يد النهب والقتل وقاسوا خلال الديار والأسواق، وعجزت من استهلوه الشياطين من هو على شاكلتهم من العسكري المخزني المظلم الذي كان هثالك واخلاص أهل البلد، فلم يتركوا بابا من أبواب الفحش إلا وطرقوه، ولا نهجا من مناهج الفسوق إلا سلكوا، نهجوا الديار والدكاكين والأبنك والملاح وأوقدو النار. في جميع تلك الأمكنة، وبالأخص جهة باب الرخا، وذلك بعد نهب ما بها من أموال وممتلك، ودام القتل والتهرب والمرج بالبلد ثلاثة أيام بلياليها فعظم الخطب، واشتت الكرب، والولاة الذين بيدهم السلطة المخزنية أغلقوا عليهم أبواب ببترهم وناموا وتركوا عيون العدا ساهرة.

ولما تلاطلت أمواج الفساد، واضطررت نيران الفتنة ومنا الناس بعضهم في بعض وبلغت القلوب الخناجر، واختلط الحابل بالنابل، وجهت الدولة الفرنسية إحدى بوارجها المعدة للمياه المغربية المسماة (كيللي عدد 20) حاملة لفرقة حرية

490
لحراسة قنصليتها طبق ما أشرنا إليه تنظم تلك الفرقة من ستة وستين جندياً، فأخير القنصل الذي كان تم عامل البلد إذ ذلك وهو بوبكر بن مدين السلاوي المذكور بنزول الفرقة المذكورة للصدق الذكور وهدهر من التعرض لها بسوء وأعلمه أنها إذا مست بسوء فإن البارجة الفرنسية لابد من أن تضرب البلد فتكون العقاب وخيمة.

فاستشار العامل المذكور في ذلك مولاي الأسَم بن الأَمير مولانا عبد الرحمن بن هشام الخليفة السلطاني في ذلك الحين هنالك، فأجاب به أنه لا دخل له في صعود ولا هبوط، وإنما هو مكلف بحماية البلد من حيث فساد الشاوية، ثم جمع العامل المذكور بعض أعيان البلد وفاوضهم في الأمر فأشاروا عليه بغضب الطرف عليهم تحركاً من وقوعه في ورطة المسئولية التي لا تحمد عقباها مع السلطان.

فاستحسن رأيهم الفاسد، ونظرهم الكليل الكاسد، فأمر أحد أعوانه المدعو البدوى بأن يأذن للمكفل بفتح باب مرسى الغفر قبل الوقت المعتاد لفتحه، والمكفل إذ ذاك المدعو محمد - فتحاً - ابن القلوي، فامتثل ما أمر به، واما فتح الباب وجد القبارب الحامل تلك الفرقة على الشاطئ والعسكر شباكي السلاح فرام سد الباب في وجهه ثم التفت أحد البنائن الذين كانوا هناك قبل لم يعرف وقيل هو محمد الخياني المسفيوين من حوله من حرس وقال قوموا اضربوا على أنفسكم وأولادكم يا كباب، فإن التيار جاءت لأخذ بلاك لمقام بعض من لا يبصر رشدمن الحمقى وأطلق بندقه، في وجه تلك الفرقة. ثم عزع فعلا المشتهى أحد المكفين بحراسة الصالة من رماة المدافع وحسن محمد وست - بفتح الهاو ومكسن الشين المعجمة والناء المثلثة - الحداد حرة بكونه إذ كان العامل المذكور أوعز لهم ضرب تلك الدارعة، إذا هي ابتدأ الضرب.

فعت ذلك تراصت تلك الفرقة على صف واحد وأطلقت بندقها على من
رام مقاومتها واقتتحمت باب المرسى ودخلت البلد عنوة بعد أن تركت المبتدئين لها بالضرب صرعى، وجرح بعض الضباط منهم وهو الفيشان (بلانز) السعى باسمه الشارع الممتد من ضريح أبي الليث إلى الباب المجاور للسقاة المهديا المقابل الآن للبستان العموي الكائن بجامعة أبي الحسن علال القرواني صاحب المزارة الشهيرة إلى الآن بذلك الشرع، وأثنان من البحارة، ثم إن الفرقة المذكورة توجهت لدار قنصليتها شاهرة سلاحها تطلق بنادقها على كل من صادفه في طريقها.

ولما وصلت دار القنصلية وجدت الحرس المخزني المعد لحزيتها على الباب فقام وأدى التحية العسكرية، فأطلقت فيه تلك الفرقة مكاحلها وارتدت على سطوح الدار وصارت تتبع طلقاتها النارى على سائر المارة من جميع الجهات حيث كانت تعتقد عدداً الكثي، كما أن الدارعة المذكورة صارت تمطر البلاد بوابل كور مدافعها المدمرة وذلك قبلاً يزوع شمس يوم الاثنين خاصى عشري جمادى الثانية من العام المذكور، مؤنف خاصى غشت سنة سبع وتسعة وألف.

وفي رمال اليوم نفسه وردت على الثغر المذكور دارعة أخرى تسمى (دوشيلة) حاملة لفرقة عسكرية أخرى آنفلتها تعززاً لأولى تنتظرون من مائة وعشرين جندى يرأسها الكمدنان (مanggalان)، وشاركت الدارعة كليلة في إطلاق القنابل على المدينة، وفرق الكمدنان المذكوراً العس على دور القنصلية الأجنبية كالمسلمى والإنجليز والبرتغال، واستدت إيه قيادة الجيش النارى ونظم البوليس فأنحسن التنظيم والإدارة.

هذا والمخزن باذل جهده في تطمن قلوب الرعاية ونشر المكاتب لعملة وولاية أمره بتحقيق الحقيقة وتحريرها لأولى العصبة من القبائل.

قراء في ظهير سلطاتى عزى بالاريخ المذكور مخاطب به باشا الرباط في وقتنا الحاضر، حنة السيد عبد الرحمن بركاش باشا الصوبية إذ ذاك بعض ما يتعلق

492
بما شرحناه جلبنا نصه هنا تتميمًا للفائدة ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطيب المنيف:

«خديمنا الأرضي القائد عبد الرحمن بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فإن بعض الرعاع من القبائل المجاورين لغرد الدار البيضاء بدأوا يد العداء بخارجه بسبب جلسات المراقب الجنيجي مع أمناء الثغر المذكور، وصاروا يتحدثون في ذلك بآيائل غير مقبولة ولا معقولة لجهلهم بحقيقة الأمر وعدم معرفتهم إياه، لأن جلوس هذا المراقب مع من ذكر تقدمت له نظائر عديدة في عهد أجدان الجوهر الله، وفي حياة سيدينا المقدس بلال للمراقبة على مال السلف الذي كان بحوزته من المراسم في السلف الذي اقتصر منهم وقتئذ، ولما توصلوا به انصرفوا علهم، وهمفدا هؤلاء المراقبين الذين جلسوا آن بالمراسم فإنهما فإذا جلسوا للمراقبة على مال سلفهم الذي اقتصره منهم المخزن على القاعدة الجارية في ذلك من قديم العصور، ولمجرد ما توصلوا به ينضرون لشأنهم كذلك ولا ضرر على المسلمين.

وعل كنا نعلم حصول أدنى ضرر لهم من ذلك ونحوره لدفعته عنهم بأي وجه أمكن، نعم إن حدث عندهم ما فهموا فيه ضررا فليف教えوه لحضرتنا الشريفة على يد عاملتهم لنتنور فيه، فإن ظهر وجه لكلامهم ينفذ الأمر فيه بما يتبعن، وإن يجابون بما يرفع عنهم الإبهام والإشكال، وعليه فندرك أن تكون على بال من القبائل الذين بناحية ذلك الفغر إن حركوا معلك كلاهما في ذلك لتجيهم بما قرر لله على الوجه الذي يفهمون منه المقصود ولا يبقى عنهم إشكال في حقيقة الأمر بحول الله، وها نحن كتابنا لهم بذلك أيضا حسبما يصلك لتتركه تحت يدك احتياطاً إن حدث ما يوجب دفعه لهم تجهة تحت يديك، وإن فاتركه عندك -حتى تكتشف تلك العوارض وردها لحضرتنا الشريفة والسلام في 25 جمادى الثانية عام 1325». 

٤٩٣
ثم في اليوم نفسه في الثانية بعد الزوال وردت بارجة إسبانية صغيرة من جزر كنارية على الثغر المذكور حاملة لفرقة عسكرية لحماية قنصليتها أيضاً، وعززت الدارعتين الفرنسيتين في سبب هاتطل الكر كار على البلد، وكان الضرب بالغا حده فضحت الناس وافتننا ولم يجدوا ملجأ ولا من جهة وظل بعضهم يمرح في بعض كأنهم سكارو يعيرون ونار الفتن تتوقف وشرف وقفها يتطاير في قلب العجزة من الرجال والنساء والصبيان.

ولما جل الخطاب وطم أمرهم الخليفة المؤسس الأيمين المذكور بعد الموافقة مع القنصالية الفرنسية بالخروج للمحل المعروف بالسور الجديد الذي كان محل تخيمه بالقوة التي كانت إلى نظر من عساكر وخيل ورماة، وصرح لهم بأن كل من حل به فهو أمي على نفسه وضلاعه فانقسم الناس قسمين:

قسم انتمرما أمر به الخليفة المذكور فخرج مسرا إلى السور الجديد حيث القوة المخزنية ومثوى الخليفة السلطاني الذي جاء ليحاصر البلد وذويها.

وقد كان هو دخل المدينة يوم الجمعة بقصد إطفاء نار الفتن وإجلاء البادية عن البلد ونزل بدار المخزنة هناك وأقام بها يوم السبت والأحد وفي صبيحة يوم الاثنين وقعت الواقعة.

ولما خرج من خرج للسور الجديد حين بين موالى الأيمين الخليفة المذكور وبين ما آراد من اللحوق بعائشة والقوة التي كانت معه لتفاحش عيش المفسدين في الطريق ولم يبق معه بالمدينة غير وصيف وطباخ.

وفي عشية يوم الأربعاء سبع عشر موافق سبع عشر جمادى المذكور أطلقت الدارعتان الفرنسيتان قنبلتهما على المنتجين بالسور الجديد حيث رأت أحزاب العتاة المسدين تجمهرت حوله ورامت الهجوم على من به وقصدها تبديد
جميعهم وتشتتهم حتى لا يلحق من بالسور منهم أدنى أذى وعزيتهما الدارعة الإسبانية فسار الكور ينزل على المفسد والمصلح وعم البلاء واشتباك وارتباك لعدم إمكان التحرر ولأن الحب إذا كثر هلك الصالح والطالح فهلك عدد عديد من أولئك البؤساء المرفوعين الجياع العطاش المسلمين المنبوحين الذين كانوا بالسور الجديد، وولى الثور ناكسين على الأعاق ولم يبقى واحد منهم يروج بالمدينة ولا يحوم حول السور.

وفي عشية ذلك اليوم نزل بالبلدة المذكورة القائد الجنرال (درود) واحتل البلد

بخيله ورجله، وتم الأمر على يده وانتشر الهدوء والسكن.

ثم بعد ذلك نزلت فرقة من العسكر الإسباني للاحتلال أيضاً واتخذت المساجد أروية لربط بهائمها والواح الصينين الذين يقرعون القرآن خطاً وبالغت في الامضاء والتدمير داخل المدينة وخارجها.

أما القسم الآخر فإنه انقسم إلى قسمين: قسم خرج ناجياً بنفسه إلى البادية للاستيجار ما به صداقة وسابقة مودة عساه أن يؤمن روعته، ويرحم لوعته، وقسم النجاح بدور بعض القناصل فالتقلب على الحضري الناجي بنفسه البدوى الأجلف الذي كان صديقاً حجمماً عدوا مبيناً فكان الحضري يلقى صفية البدوى في حين له ويراجل لرؤيته فيبادره بجفافه الغريزي المركز في طبعه الخشن ويربده بكل شدة وقاسة وبيعده من كل ما عسّى أن يكون عليه من ثياب أو بيد من التماع كل أو جل، ويتكرر مكشف العورة صغر اليدين ويقول له آنا أولى بسبيل من غيره بلغ بهم الإفراط في الحب والدناية إلى أن شقوا بطن امرأة حامل وأخرجوا جنينها منها ظناً منهم أنها ابتلعت نقوداً، وممخضًا شريفًا مخضاً ذريعاً لاتهمهم إياه بيلغ نقود كذلك.

وكم افتضموا من أبكار واسترقوا من أخبار، فمن جملة من استرق وبيع

495
الخليفة مولاي الأمين رئيس لجنة التعويضات بجزءه الرسمية بالوسط وعن
يمينه الأمين الصديق احترسان الطنجي وعن يسره الأمين بناصر غنام
الرباطي مع نواب الدول والتراجمة والكتاب.
عبد الكريم نجل صديقنا ناظر الأحباب في ذلك الحين بذلك الغبر السيد إدريس الفيلالي، ثم بعد أخذ ورد أدي والدها لم كان إشراها قبل مائة ريال سكة حسنية.
ثم بعد انحلاء غياحب هذا الحادث المدلم جمعت أكادس تلك الجثث المتنوعة وذلك ثامن غشت وألفيت في أخذود وصب عليها الخكاز وأطلقت النار وردم رمادها ورفاتها بالمحل الذي صار الآن جناة عمومية مقاومة لتلك الروائح الكريهة المؤذية، وتحفظا عما ينشأ عنها من الأضرار الفتاكة المعدية المدمعة، وكان المكلف بجمع تلك الجثث والأشلاء المعين (بريطانيا) الفرنسي الولوع بجمع الآثار العتيقة، والنقود الثمينة الشهيرة إلى الوقت الحاضر بالدار البيضاء.
أخبرني أنه مات من اليهود نيف وأربعون، وجرح منهم خمسون، واختطف من قتياتهم مائه وخمسون كما اختطف من المسلمات عدد عديد.
وبعد إطفاء نيران الثم بالدار البيضاء قام أهل الحمايات بطلب تعويض ما ضاع لهم في الواقعة ومن نهبت له عشرة أدعى بالآلاف وشددوا في ذلك وأفرطوا، فأصدر السلطان ظهيرا بتشكيل لجنة تنظف في الحسائر وعين أعضاء من الوطنيين والأجانب وإليك نصظهرب.
بعد الحملدة والصلاة.
لاعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره وثبت على الهدى مزاره، أنت أذنا بتشكيل جمعية بغة الدار البيضاء للنظر في الخسائر الخاملصة بالغبر المذكور وقت حادثته بال-xlابالي والأجانب وتحقيق الحق عنها وإبطال الباطل وتقدر التعويضات اللازمة في ذلك موجباتها، وعيا من قبل جانينا الشريف عمسرة الأرضي مولاي الأيمن للرياسة عليها وخديمتنا الطالب بناصر غنام معتتمدا أولا والطلاب الصديق احرضان معتمدا ثانيا والطالب الحسن كاتبا ليقوموا بالتمعين في ذلك مع الأعضاء
المعينين من قبل الدول المعترفين ذوى العلاقة بالموضوع ويجروا في تحريرهم كذلك
على طريق العدل والإنصاف ويعينوا المختبرين والمختصين المحليين لأعمال الأبحاث
البدائية، وأيضًا لأعضاء المخزون المحامي والمستشار إبراهيم بمنت والترجمان كرم
والسلام، صدر به أمرنا الشريف في 27 ربيع الثاني عام 1326.

والأعضاء الأجانب المشار إليهم في الظهور هم: معتمدو آلمانيا وإسبانيا
وابطانيا وفرنسا وإيطاليا والبرتغال وهؤلاء مع نواب المخزون هم الذين لهم الحق
في النظر في كل دعوى تعرض على بساط اللجنة، بخلاف النواب الخاصين،
وهم نواب أميركا والنمسا وبلجيكا والسويد والدانمرك وهولندا، فلم يكن لهم
حق في سن ضابط ولا إبداء رأي في غير دعاوى تابعهم، وقد ناب عن السويد
معتمد دولة الالمان وعن الدانمرك المعتمد البريطاني.

أما الدولة العلياء العثمانية فكان ابتداً مباشرة دعاوى تابعها وهي أربعة
دعوى معتمد فرنسا بصفة نائب الرئيس ثم بعد أن أعلنت قنصلية إنجلترا بالثغر
أنها كلفت رسميًا بحماية رعايا تركيا رجع إلى مباشرة الدعاوى المذكورة معتمد
إنجلترا (المستر تورون).

فكان عدد الدعاوى التي عرضت على البحث 6350، والقيمة المدعية بها
فرنكات 274804666617، والقيمة التي حكمت بها اللجنة فرنكات
135940626757.

ثم أضيف لذلك دعاوى تقدمت على المواضع والأملاك التي احتلتها الجنود
الفرنسيين الإسبانية وعدد دعاويها 61 والقيمة التي حكمت بها اللجنة الدولية
فرنكات 19570581.
رئيس اللجنة التنفيذية لأداء غرامة الدار البيضاء الخليفة السلطاني سيدي محمد الأميري من يسار الحاج عبد الرحمن لحلو وعن يمينه الأمين السيد العربي بن كيران هؤلاء الثلاثة مفارقة ومن يسار الحاج عبد الرحمن لحلو طيطوتي نالب إيطاليا وبينه وبين الخليفة السلطاني كورن الإنجليزي وريبو الفرنسي ولابليخا الإسباني وبين الخليفة السلطاني وأبن كيران شامبى ونضرو ومكري الفرنسي كاتب اللجنة.
ولم يتم أمر ذلك حتى جاءت الدولة الحفظية، وتخلّى الخليفة المولى الأمين عن وظيف الخلافة، وولى مكانه أبو عبد الله محمد الأموي آتى الترجمة، وفي مدة توليه تمت المسالة ووقع الأداء بطنجة.

هذا وأبو زيد عامل البلد المذكور فقد ألقى عليه القبض ونفّع على ظهر الدارة "كليلى" عقوبة له على ما أجرمه ثم سرح بعد.

وقع القبض على بعض النهاب، وأعدم البعض منهم حينا وذفنا ما يزيد على ثلاثمائة من المسلمين، ووجد بين الأسوار وتحت أطلال الدهم والردم والجهة التي خرجت عدد عديد من الجثث.

ثم بعد التطهير بالحرق ابتدأ في تنظيم أمور الديوانة، وكان المتولى للأمر إذ ذاك (الكمندان منجان) وعلال بن عب الصنّج خليفة الخليفة السلطاني المذكور.

وأما الصور الجديد - الذي ذكرنا أن الناس التجاوا إليه لما دهاهم من ضرب الدوارع الحربية ما دهاهم - فهم عبارة عن فسيح يحتوي على عدة هكتارات محاط بالسور من جهاته الأربع، بها أبراج محكمة البناء كان بناء السلطان المقدس مولى الحسن وقصده أن يتخذ قصبة تختط بها دور الأجانب الأوروبيين النازلين بذلك الثغر من قناصل وتجار وغيرهم سعيا وراء جلب الراحة إليهم، ويعاداؤا لهم عمن يخالفهم في العوائد ويعيبهم في الذوق، إذ لا تتم الراحة للإنسان إلا يجعله مع مناسمه وملائمته وتمكنها ما اعتاد على الطراز الذي ألف من غير متسبد ولا مشغب وكان بناؤه إياه على يد الأمويين محمد بن سعيد المعروف بالكردي، ثم الحاج عبد الخالق فرج محتمسب الرباط الشهير بالموافق والمناقب والغيرة الوطنية والصدق والإخلاص والأمانة، ثم لما مات السلطان الباني ولم يتم ما كان أراد بقي المجل معا لتخيم الجيوش المخزنية وقتصا مرت بذلك الثغر، وقد تنفس فيه أهل
البلد عند فراغه من الجيوش وبالخصوص في زمن الربع، وتقام به نزهة سلطان الطلبة، ثم بعد الواقعة أحدث فيه شارع عمومي.

وانتخذ بجانب منه مستشفى عسكري لزال قائم العين إلى الآن.

ولقد كان لهذه الحادثة الحالية دوى ورثة في العالم تناقلتها السنة الجرائد الرائجة في ذلك العصر عربية وعجمية وذهب الكتام في أسبابها كل مذهب كل على حسب أغراضه الشخصية ومغامره السياسية والحقيقة وراء جل ما حبروا وخبروا.

ومدينة الدار البيضاء هذه هي المعروفة في كتاب التاريخ قديماً باسم آنفا، وهي واسعة بلاد تامسنا وإحدى عواصم بلغرشطة، قد كان بعد تقلص ظلمهم أنزل بها يعقوب المنصور الوحدى عرب جشم بن معاوية وسليم وبني هلال بن عامر، وقد هلك أكثر هؤلاء بالاندلس في واقعة الناصر الوحدى في قضية العقاب، فقتل عددهم ووقع الفقراء المحسوس في وطنهم، فلما كانت دولة بني مرين عمدا يعقوب ابن عبد الخالق لنقل طوابض من أهل المغرب الأوسط لما غلب على بني زيان وواستولى على جنوب بلادهم إلى جنوب الزاب، فكان من نقلهم لضيواح آنفا قبيلة المذكرة من عرب سويد الهلاليين إخوة رباح، ومن المذكرة قبيلة صبيح كان منهم في دولة بني مرين الوزراء وأرياب الدولة، ونقل منهم أوراعا من توجين وزراب من زناتة ومغراوة من زناتة أيضا، وأشغثهم بالقيام على إبل الدولة وشثتها، فأطلق عليهم اسم الشاوية وذلك سنة ست وسبعين وستمائة وجعلوا مقر رياستهم مدينة آنفا، فلم يلبسوا أن خلفوا على الدولة وقطعوا السلم وأساءوا الجوار مع غيرهم، فحرذ إليهم أبو ثابت بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة سبع وسبعمائة فأرغملهم على الطاعة وقبض على ستين رجلا من شيوخهم وأرغمهم سجن قصبة آنفا، وقطع رؤوس عشرين من عشائهم قاطمهم السبيل وصلبهم على أسوار آنفا.
باشا الدار البيضاء بويكرا بن بوزيد على ظهر الباحرة آسيرا
وفي سنة ست وسبعين وستمائة نزل عليها أسطول البرتغاليين فهد أسرارها و خرب أثنتها وصبرها أثراً بعد عين وجذب ليخن سبيله، ثم نزل إليها سنة عشرين وتسعمائة فأسن بناءها وسماها بلغته الدار البيضاء، وكان اسمها في القدام البيضاء كما ذكره أبو عبيد.

ولم يزالوا بها إلى أن أخرجهم منها السلطان سيدى محمد بن عبد الله سنة أربع وخمسين ومائة وألف، وعمرها بقبائل الشاوية أهل الناحية، ولم يزل للملوك دولتها من حفظته ونبره اهتمام بها ونظائرها من التغيرات المغربية وحياتها شرعًا وسياسة إلى الدولة العزيزة.

ولذكر لك جزيئات على سبيل التمثيل لباق عليها.

فمن اهتمامها لأي الدولة العزيزة بحياتها لو وجدت على ذلك أوعانا وأكفاء ما وقفت عليه في ظهائر عديدة دونك لفظ أولها بعد الحمدلة وصلاة والطالع العزيز الشريف.

خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء، ووفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر الأمين الطالب عبد السلام والزهراء الرباطي بأن المهراسين الذين بالبرج العزيز أحدهما ملقى على الأرض والآخر بملة الإشارة خارج البرج على سرج مكرس، وكانت له طبلان ثلاشية فرشهما واندثر بناهما بإبهامهم وتركم الأزبال حولهما من النوائل والبناء، وعلى نفسه فأحرم بالوقوف على عين المحلة الذي مهار الإشارة وتنظيمه وتصوينه ورد لحالته القديمة وتجديد سرير المهراسين كما كانا بما يحتاج إليه ورد البا باللذي في المستقبل، وقد أمرنا العام بالوقوف معكم وشيد العضد في ذلك والسلام في 17 جمادى الثانية عام 1325.
خادمانا الأراضيين أمناء مرسى الدار البيضاء حرسها الله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد بلغ لعلماني الشريف أن محل ترسية الفلاحين بتلك المرسى مفتقر للتحسين والإصلاح، وأن صائر حصول المقصود من ذلك قوم بنحو سبعة آلاف فرنك وعليه فنأمركم أن تشرعوا في إصلاح ذلك بما تحسن به هيئة من الصفات الرادة والسلام في 27 شوال الآخر 1325.

وينضاف إلى ما ذكر من حيائها اهتمامها بحيازة الطرق والأطراف، وبريقها في التنبية فيه ظهيران شريفان وقفت عليهما دون نظهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

خادمانا الأراضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر القائد قاسم الأودي أن المثوبة مقطعة عن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرة ديمن وقوع الحادثة هناكم، وعليه فنأمركم أن تبينوا ما توفر لهم من المثوبة في البدة التي لم يتوصوا بها وتكونوا تؤدونها لهم على العادة والسلاط في 5 قعدة عام 1325.

خادمانا الأراضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبرنا القائد قاسم الأودي إدالة إخوانه الذينبقصبة الصخيرة يسألون للأمناء قبلكم من قبل مثوبتهم، واجب أربعة أشهر كما يسألون لكم واجب سنة أشهر دفعتم لهم منها واجب شهر واحد، وعليه فنأمركم أن تدفعوا لهم ما يسألونه لكم وللأمانة قبلكم من قبل ذلك والسلاط في 22 حجة الخرام عام 1325.
ونص آخر بعد الحمدلة والصلاة:

«خدماناه اردنيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفطكم الله، وسلام علىكم ورحمته الله، وبعد: فقد أخبر القائد إدريس بن العربي الأودى أن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون من قبل مشونتهم المنذة لهم بالرسى هنا كم واجب عشرة شهور وقد حقهم الضرر من ذلك عليه فتكون أن تبينوا الواقع في ذلك ودمة من توفرت لهم هذه المدة وقدرا ما توفر لهم فيها والسبب في عدم تمكينهم منها لزى في ذلك السلام في ٢٢ حمادي الأول عام ١٣٢٦».

وكذا اهتمامها بضبط الصادر والوارد الذي يكشف في التنبية عليه ظهيران شريفان وقفت عليهما ودونتهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني:

«خدماناه اردنيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفطكم الله، وسلام علىكم ورحمته الله، وبعد: فقد طلب من على جنابنا الفريلية الصبيليون إقام الإعان علىهم بعد بحث حراهجهم الخاصة بهم المسرح لهم دخولها بدون أعبار واستظهروا بظهائر شريفة لأسلافنا الكرام مصريحة بعدم فتح صناديقهم التي ترد لهم، وقد ساعدناهم على طلبهم ونامرهم أن تبدروا حوائجهم مجري حواج القناصل في دخولها من غير فتح ولا تغيش والسلام في ١١ حجة عام ١٣٢٥».

لفظ الثاني:

«خدماناه اردنيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفطكم الله، وسلام علىكم ورحمته الله، وبعد: فالسلام الذي تسروحون إدخاله للمرسي على مقتضى ضابطه نامركم بأن تكونوا تقبضون من صاحب ما يلزمها في أعساره بحسب عشرة في المائة، لأن مضمن ما يأتي به إليكم من طنجة هو التسرع فقط لا إسقاط الأعشار، والسلايم في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣٢٦».
ومن اهتمامها بالملاجئ الخيرية فيها وأمر المسجونين ما وقفت عليه في ظهائر

شريفة عزيزة نص أولها:

تأمر خديمتنا الأرضي ناظر أحياس الأولي الصالح سيدى أبي الليمث

ابحوس ثغر الدار البيضاء أن يكون يدفع الأجرة المتعارفة للمعلمين الذين يختارون

الصبيان اليتامى وأولاد الضعفاء بالزاوية القادرية هنالك، وأن يكسوهم بما يناسب

حالهم كل عام وقت الاختتان من فتوحات الوالي المذكور والسلام في 8 ربيع

الثاني عام 1316.

ونص الثاني:

»خدمنا الأرضي ناظر الشيخ أبي الليمث بمحروسة ثغر الدار البيضاء،

ووفقك الله، وسلام عليك ورحة الله، وبعد: فقد بلغ علمنا الشريف أن المرضا

من الأفقارين وأهل البلد الذين لا مأوى لهم يمرضون في الطرقات ويتبلون لبيوت

خارج المدينة ويعيون هنالك حتى يموتون جوعاً وعطشاً، وقد اقتضى نظرنا الشريف

جمعهم بالبيوت التي قرب ضريح الشيخ المذكور، فنأمل أن تجتمعهم فيها وتختص

الرجال بيوت منها والنساء بيوت منها كذلك بعد أن تصلح ما لا بد من إصلاحه

منها وتزيد ما يتوقفون عليه من البيوت وتكون تدفع لكل مريض خزتين أو ثمنهما

في كل يوم، ومن توفي منهم يقوم بتجهيزه ناظر المواريث، ومن حصلت له العافية

بتوجه خالاه وتسقط مثوته، ومن زاد تزاد له مثونه أمثاله، وهكذا وقد أمرنا الخديم

أحمد المديوني بالوقوف في ذلك وشد العضد فيه حتى ينفذ شريف أمرنا على

مقتضاه، والسلام في 6 قعدة عام 1318.

ونص الثالث:

»خدمنا الأرضي ناظر أبي الليمث وأحجاس الدار البيضاء الطالب إدريس
الفيلالي وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد وصل جوابك عما أمرت به من تنفيذ الخنزير للمرضى والأقباط والبيوت لهم، بأنك نفذت ترتيب الخنزير لهم من مستفيد الضريح المذكور غير أن العامل أطلبعك على كتاب شريف بأن الصائر يكون من ربيعة الشيخ مع أن الربيعة تفتح على يد أمينة المرسوم والقاضي ويفرق ما يوجد فيها، فالثلث على الضعفاء القاطنين بجوار الشيخ والباقي يصير في ختان البتاهى وأبناء الضعفاء، وتعين عليك أن تصير على المرضى ما تحت يدك من المستفيد مبادرة لا.asListما ما أمرناك به والعمل على ما يصدر لك في المستقبل، وعليه فإن الذي يكون عليه عملك هو أن الصائر يكون ثلثاه من وفر الأحباس الكبرى، والثلث الواحد هو الذي يكمل من فتوحات الولي المذكور، وما عداه من بقية الفتوحات ينفذ في مصالحه ووظائفه المعهودة فيه، فليعمك عليه، وقد كتبنا للقاضي والأمناء والعامل بمثله، والسلام في 15 قعدة عام 1319.

ونص الرابع:

الحمد لله وحده وحده وحده على سيدنا ومولانا محمد والله ثم الطابع

الشريف بداخله عبد الحفيظ بن الحسن وفقه الله.

خدمتنا الأرضي ناظر أحباب الدار البيضاء وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فتأمرك بتنيذ عدد الخنزير الذي كان يدفعه أمين المستفيد كل يوم للأقباط الذين يسكن البلاد بعد تسراهم مرتين في كل شهر، وصير ذلك من جملة صوائر الأحباس، وقد كتب لعامل البلد بذلك، والسلام في 28 محرم عام 1329 استقلل.

507
ونص الخامس:
خادمنا الأرضين آمناء مرسي الدار البيضاء المحرسة ونفقم الله وسلام
عليكم ورحمة الله، وبعد:
فقد أخبرنا باشادور الفرنسيس أن المقبرة المعدة لدفن الأجانب هنالك ضاقت عليهم وطلب زيادة بقعة أخرى بجوار المقبرة المذكورة ومحل آخر يكون طولها خمسين مترا وعرضها كذلك ليجعلوه مقبرة لذلك، وقد ساعدنا ونأمرك أن تجتمعوا مع عمنا مولاي الأمين وأمين المستفاد والناظر وتفاوضوا في تعيين بقعة هنالك تصلح لما ذكر في مجاورة المقبرة القديمة أو محل آخر وتبيبا قدرها وتوجهوا لشرف حضرتنا صورتها ليظهر، وقد كتبنا لعمنا المذكور والخدام المذكورين بثله، والسلام في 11 قعدة 1325.

ونص السادس:
خديمنا الأرضي ناظر أحساء ثغر الدار البيضاء المحرسة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر باشادور الفرنسيس أن المقبرة المعدة لدفن الأجانب هنالك ضاقت عليهم وطلب زيادة بقعة أخرى بجوار المقبرة المذكورة أو محل آخر، يكون طولها خمسين مترا وعرضها كذلك ليجعلوها مقبرة كذلك، وقد ساعدنا ونأمرك أن تجتمع مع عمنا الأرضي مولاي الأمين والخدام المدنيو وأمناء المرسي وأمين المستفاد وتفاوضوا في تعيين بقعة هنالك تصلح لما ذكر في مجاورة المقبرة القديمة أو محل آخر، وتبيبا قدرها وتوجهوا لشرف حضرتنا صورتها ليظهر، وقد كتبنا لعمنا المذكور والخدام المذكورين بثله، والسلام في 11 قعدة عام 1325.
نوص السابع:

خدمتنا الأرضي أمانة مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: وصل جوابكم عن أمرنا الشريف الصادر لكم بالاجتماع مع عمنا الأمين والخديم المديوني وأمين المستفاض والناظر للمفاوضة في تعين البطاقة التي طلب باشادر الفرسس زيادتها لدفن موتي الأجانب بها بجوار مقراتهم القديمة ثم، بأنكم اجتمعتم لذلك وبعد المفاوضة خرجتم لتعينيها صحبة القبطان نائب الفرسس ثمة وترجمان قنصلهم، فاختاروا البطاعة التي سميت ونفذ لهم القدر المطلوب منها وميزوا وشرعوا في الدفن فيه وصار بالباب، والسلام في 16 صفر عام 1326.

ومن اهتمامها بالتعليم ونشر العلم ما وقفت عليه في ظهاير تتعلق بنصب المدرسين وتثبيت الرواتب لهم وللخطباء دونك نص أحدها:

خدمة الأرضي ناظر أحيان الدار البيضاء حرسها الله، وفقكم الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فتأمركم أن تنفذ للطلابين المدرسين الباردين لهناد من فاس بقصد التدريس وثبت العلم داراً من دور الأحيان لنزولهما وعشرين ريالاً للواحد من مدخل الأحيان في كل شهر حتى تكمل مددتهم وفى سنة واحدة ليتين بدلهما عند انقضائها بحول الله على يد قاضي فاس والسلام في 16 جمادي الأولى عام 1326.

وص النص الثاني:

خدمة الأرضي ناظر أحيان الدار البيضاء المحروسة بالله الطالب إدريس الفيلالي وفقكم الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أصدرنا أمرنا الشريف لقاضي فاس بتعيين فقهين مدرسين وتوجيههما على بد خليفة العامل ثمة وواصلين

509
للنضر المذكور بقصد بث العلم ونشره وتدريبه به والتمشي على الضابط المبين بطرية، وأمرنا أمياء دار عدل لتوجههم لهم من وفر الأحجام المذكورة بعد بياته، وعلى فمارك أن توجه لهم ما يدفعه لهما في ذلك عند تبئينهم ذلك لك بفور وصوله إليك على يد العامل ثمة ليوجههم لهم بواسطة خليفة عامل فاس، فقد أمرناهما به كما نأمرك أن تعين لها محلا مناسبا لهما للنزول وتنفيذ لهذه المثونة التي تحصل لهم للكفاية بها من الأحجام بعد إعلام جانثنا العالى بالله بقدرها والسلام في 13 صفر عام 1316."

والضابط المشار له هو ما لفظه في أول النهاي نصاب في المختصر بما يناسب البندتين، ومن الساعة العاشرة إلى الزوال نصاب في التحفة كذلك، ومن الظهر إلى العصر نصاب في النحو بالأنفية، وبين العشاءين نصاب في الرسالة أو المرشد، وفي بكرة الخميس أو الجمعة نصاب بالجرومية لصغر المتعلمين. انتهى.

ونص الثالث:

"تأمر ناظر الأحجام بالدار البيضاء حرسها الله أن يكون يدفع من مستفادها آخر كل شهر لكل واحد من الفقهين السيد محمد بن الطاهر بناني، والسيد محمد بن محمد الصنداحي ثلاثين ريالا في مرتبه الشهري إعانة له على تدريس العلم الشريف بها والسلام، صدر به أمرنا المعز بالله في عشرى رجب الفرد الحرام عام 1316."

ونص الرابع:

"خديعنا الأرضى ناظر الأحجام بمحروس ثغر الدار البيضاء، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أمرنا بإبدال الفقهين المدرسين هثال السيد محمد بناني، والسيد محمد الصنداحي، وتأمرك أن تدفع لكل منهما خمسين ريالا من وفر الأحجام صلة، والسلام في 25 رجب عام 1318."

510
وعم اهتمامها بضبط أحباسها ما وقفت عليه في عدة ظواهر تتعلق بضبط
أملاك أحباسها والإسراع لتدارك إصلاح ما يفتقر للإصلاح من رباعها وضبط
المتصرين فيها ورفع حساباتها دونك لفظ أولها:

"خديمتنا الأرضي ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله، وفقه الله،
وسلم عليك ورحمة الله، وبعد: فتأمر أن تجعل تقيماً جمع رباع الحبس الذي
على يدك هنالك كل محل على حدته، وتقييد ما بإذائه اسم مكتيره وإن كان رعاية
فته على، وإن كان حماية فذلك وذكر اسم حامي، وإن كان أجنبياً بين اسمه
وجشه، وقد أمام اسم المكترى الكراء الذي يدفعه في ضلع وما يساويه اليوم كراء
في ضلع آخر، ومن كان متقعاً عن الأداء نبه عليه ويناسب تقاعدته، ثم قد
عقب ذلك المنذ منها بدون كراء ويد من هؤ، وهلم يعتبر المنذ له أو يكره على
يده، وهكذا إلى أن تأتي على جميعها على الوجه المذكور، ووجه التقيد بها
واصلا خضرتنا الشريفة والسلام في 28 جمادي الأولى عام 1315.

ونص الخامس:

بإمضاء النائب أبي عبد الله محمد بن العربي الطريس:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، محبينا الأرضي ناظر
أحباس الدار البيضاء: أمنكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا
نصره الله، وبعد: فقد دعت الحاجة لصرفة الأجانب وأهل الخمايات المتقاعدين
على أملاك الأحباس هنا كم الممتنعين من إعطاء الواجب عليهم فيها، وعليه
فوصول هذا إليكم بيننا لنا كل من يليه ملك جانب الحبس وهو مستثدي عليه
ممتنع من أداء كرائه مع بيان قدر الكراء الذي يساويه كراوه الآن، وعجلوا بذلك
وعلى المحبة والسلام في 10 رمضان المعظم عام 1324 محمد بن العربي الطريس
لطف الله به".

511
ونص السادس:
بعد الحمدلة وما يتبعها من السلام والطابع السلطاني العزيز الكريم:
"خذمنا الأرضي ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن تشرع في إصلاح ما لابد منه من ربع الأحباس المتهدمة والمتهربة لما تقدم وقوع هنالك وتنمضي على الضابط المهد في إصلاحها بعد تقديم الأهم فالأهم منها، ومراعاة المصلحة في كل شيء، وقد أمرنا العام بشد عضدك فيه وسلام في 13 قعدة الحرام عام 1325.

ونص السابع:
"خذمنا الأرضي ناظر أحباس الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن توجه لشرف حضرتنا العالية بالله حساب مدة خدمتك بالأحباس المذكورة داخل وخارج مبنايا على آخر محاسبة صدر بها أمرنا الشريف إن كانت، وإلا فموم يوم تصرفك إلى تاريحك مع بيان القدر الموفر الذي تحت يدك، كما نأمرك بأن تكون توجه لشرف أعتابنا عند استهلاك المحروم من كل سنة نسخة من الحساب داخل وخارج مفصلا بكتاش خاص والسلام في 17 صفر عام 1326.

ومن اهتمامها بالتجارة والعدل فيها من غير مراعاة الجنسية ما وفقتك عليه من ظهائر تعيين بقعة لنشر التجار الأجانب ما يشترونه من الجاود فيها، وظهر إنشاء بنك مغربي، وظهرى إنشاء البسطة، وظهور إنشاء المعاملة بالواردين، ودونك نصوصها على التتابع، فلفظ الأول:
"خدمنا الأرجون، أمام مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد كان طلب تجار الأجناس بذلك
الــ疄ـغـرـالـبـيـضاًوـيـاـقـأـىـاـلـحـوـطـتـأـًـتـعـيـنـ بـقـعـةـ لـغـسـل الـجـلـوـدـ وـنـشـرـها هـنـاـكـ، وـكـنـا أـصـدـرـنا
شيـرـف أـمـرـنا لـكـ وـالـمـعـالـمـ وـالـنـاظـرـ لـلـمـعـافـوضـةـيـاـتـ تـعـيـنـ مـسـحـل يـصـلح لـذـلـكـ مـن
مـحـلـاتـ الـمـخـزـنـ أوـ الـأـحـبـاصـ، وـيـكـوـنـ الـتـجـاـرـ يـوـدـون كـراـءـهـ، ثـمـ جـدـد الـآن بـاـشـدـور
الأـلمـان طـلـب تـجاـرـه ذـلـكـ، وـعـلـيـه فـنـأـمـرـكـم أن تـجـمـعـوا مـعـ خـدـامـنا العـامـلـ وـأـمـين
المـستـفـادـ وـنـاظـر الـأـحـبـاصـ وـتـنـفـاـضـوا فـي تـعـيـنـ بـقـعـةـ لما ذـكـرـ مـا لـا يـضـرـ فـيـهـ على
الـمـخـزـن وـلا عـلـى أـهـل الـبـلـدـ بـعـد اـتـفـاقـكـمـ مع الحـسـب عـلـيـهـ وـعـلـى قـدر الـكـرـاء الـذـي
يـوـدـيـه الحـسـب فـيـهـ، وـتـعـلـمـونـا بـذـلـكـ وـقـد أـمـرـنا الحـسـم الـذـكـورـيـن بـمـثـلـهـ، وـالـسـلـامـ فـي
قـعـدـة عـاـمـ ١٣٢٥٤٠

وـلـفـظ الـثـانـى:

خـدـيـمـنا الأـرضـي نـاظـر الـأـحـبـاص بـالـدار السـبـيـضاًـةـ الـمـحـروـسـةـ، وفـنـقـكـ الـلـهـ،
وـسـلـام عـلـيـك ورـحـمـة الـلـهـ، وـبـعـدـ: فـقـد أـخـبـر نـائب الأـلمـان بـأـن الـتـجـاـر هـنـاكـ لـمـا
طـوـلـبـوا بـعـدـم نـشر الـجـلـوـدـ فـي المـحـل الـذـى يـنـشـرـونـهـا بـهـ حـرـصـاً عـلـى تنـظـيـف الـبـلـد
اـحـتـراـجـوا لـمـحـل أـخـر يـنـشـرـونـهـا بـهـ وـطـلـبـوا تـعـيـنـ مـحـل بـحـوـمـة الـسـوـر الـجـدـيد هـنـاك
لـذـلـكـ، وـقـد أـجـبـ بـكوـن بـقـعـة الـسـوـر الـجـدـيد حوـطـها المـخـزـن لـغـرـض مـهـم وـلا يـمـكـن
عـسـتـعـمـالـهـا فـيـما طـلـبـهـ، وـقـد أـمـرـنا الشـرـيف صـدر بـتـعـيـن مـحـل يـصـاحـبـهـ طـلـبـهـ وعـنـد
اـخـتـيـارـهـ يـحـوـطـهـ نـاظـر الـجـبـس وـيـكـوـن الـتـجـاـر الـذـين يـنـشـرـونـهـ فـيـوـدـون كـراـء الـجـبـسـ،
وـعـلـيـه فـنـأـمـرـكـم أن تـجـمـعـوا بـخـدـيـمـنا الـقـاـتـدـ بوـكـر بـنـ بو رـيـد وـأـنـمـاءـ الـمرـسـي وـالمـسـتـفـاد
وـتـنـفـاـضـوا فـي تـعـيـن مـحـل مـنـسـبـ لـمـا طـلـبـهـ كـالـمـحـل الـذـى لـجـانـب الـجـبـس قـبـلـة بـاب
الرـخـي الفـاـصـل عـن مـحـل الـخـزـاـئـن الـذـى سـبـتـيـنـهـ لـلـتـاجـر لـامـ أو غـيـرـهـ، وـإـن يـكن خـارـج
الـبـلـد فـوـأـلـى، ثـم بـعـد اـخـتـيـارـكـم لـلـمـحـل الـلـائـق تـشـرـعـ فـي تـحـوـيـطـهـ وـيـمـكـن الـتـجـاـر
مـهـ وـيـطـالـبـون بـأـدـاء الـكـرـاء عـنـه لـلـجـبـس، وـقـد كـتـبـنا لـلـمـعـالـم وـالأـنـمـاء بـمـثـلـهـ، ولـتـعـلـم
بـالـمـال فـي ذـلـك، وـالـسـلـام فـي ١٨ رـجب عـاـم١٣٢٤٤٠.
ولفظ الثالث:

خديمنا الأرضي ناظر أحياس الدار البيضاء المروسة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد كان طلب تجار الأجناس بذلك الثغر البيضاوی المحوط تعين بعقة لغسل الجلود ونشرها هناك، وكنا أصدرنا شريف أمرنا لك وللمعامل وأمانة المرسي بالفاوضة في تعين محل يصبح لذلك من مولات المخزن أو الأحياس، ويكون التجار يؤدون كراءه، ثم جدد الآن باشا دور الألمان طلب تجارهم ذلك، وعليه فتأمرك أن تجتمع مع خدامنا العامل وأمانة المرسي وأمين المستفاد، وتفاؤموا في تعين بعقة لما ذكر مما لا ضرر فيه على المخزن ولا على أهل البلد بعد اتفاقيكم مع التجار عليها وعلى قد الخراء الذي يؤديه التجار فيها وتعلمنا بذلك، وقد أمرنا الخدام المذكورين بتلته والسلام في 28 قعدة عام 1325.

ولفظ الرابع:

ماحبا الأعز الأرضي الأمين السيد إدريس الفيلالي، أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فلا يخفى أن من جملة ما تضمنة وفق المؤتمر الدولي تأسس بنك بالمغرب يسمى بالبنك المخزني مؤلفاً رأس ماله من بانكست الدول الذين حضر أعضاؤهم لجمع المؤتمر المذكور، وحيث لم يكن بهذه الدولة الشرفية بنك حالى يتوسط دفع ما ناهبه في رأس مال البنك المخزني من السهم المغربي، أنعم سيدنا أيد الله على بعض أعيان أين الرسميته السعيدة ليتونوا دفعه ويكون لهم السهم بالبنك المخزني، ويستمدون نفعه على قاعدة أرباب السهم بالبنك وليس من مقتضيات السياسة الربتية والمصلحة الراجعة لجانب المخزني والrylic الربط السهم المغربي لبية الدول والإعراض عنه بالكلية، وقد رشح أيد الله للنيابة عن أرباب السهم المغربي بالبنك المذكور الأمين الحاج إدريس بن

514
كلن، وتوجه لما هو بصفته من ذلك العمل بعثة ملتزماً بواجب السهم المغربي ودفع ربعه حالاً، بحيث كنت من جملة المقتضى عليهم السهم الذكور فيامرك موالانا أبده الله بمجرد وصول هذا إليك أن توجه للمدين المذكور واجبك في ربع السهم وقدره خمسون أربعة سكة الفرنك يجب فرنك 125 وبنفس ما يعلمك بتوجيه السليم الثاني وجهه له من غير تأخير، وهكذا إلى أن تكمل له واجبك في ذلك وقدره مائتا أربعة، وما توجهله له من ذلك يكون يجيبك عنه بالتوصيل وحلوله محله ليكون جوابه حجة لديك كما تكون مصارفتك معه فيما ينويك من الربح في ذلك وعلى المحبة، والسلام في 12 حجة الحرام عام 1324 محمد التايزؤ.

ولفظ الخامس:

الفقيه الأرضي السيد أحمد بن سودة سدد الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف تأسيس ضابط لعقد المعاملات التي تكون بين تجار الأجانب وبين المشترين منهم بالواردين على وجه يرفع به الضرر عن
الجانين، وهو أن لا يبيعوا لأحد شيئا بـ (الوردن) إلا بشهادة عدول ثقتين بعينهم القاضي لذلك بكل بلد، بحيث لا يشهدون إلا بإذن العامل لذلك على شرط أن يكون المشترى مليا وأن يضمه أربعة من أهل خطته، ومن لم تكن بيده هذه الشهادة العدلية بإذنه وإذن العامل وبهذين الشرطين وادعى على أحد بشيء فلا تقبل دعوته ولا شيء له، فعم من أراد أن يبيع لأحد شيئا بدون هذين الشرطين بعد تقررهما له وطلب من القاضي والمعامل الإشهاد فقط من غير ضمان ولا ثبوت ملاء فيه شهاده عليه أولئك العدول أنه رضي ذمة ذلك المشترى بعد أن علم أنه ليس بملك وليس له ضمان وأنه منه إليه ولا يدعى بدعويه فإن تعذر له شيء عنده بخسارة أو عدم أو نحو ذلك، وكذلك يكون هذا الضابط بعينه في المخلقات التي تكون غير الواردين من سائر المعاملات، وعليه فننكر أن تحضر مع البشا حين يستدعيك لتأسيس هذا الضابط المذكور عند ظهور أحد من تجار البيع هناك بقصد إرادة المعاملة مع الناس بالواردين أو بغيرهما، وتحضرلوا ثجاء مكتاس حرسها الله من مسلمين ويهود وعراج الخرب وتقروا لهم أمره، وتعين أربعة من ثقات العدول وصورةهم وتبيين أسماءهم لوصيفنا الباشا المذكور، وتقصير عليهم الإشهاد بما ذكر بعد أن تشترط عليهم أن يستأذنوك في كل شهادة، وكذلك البasha لتكون على الشرط المذكور والضابط المحصور وتخرذ من عبادهم من الإقدام على الإشهاد لشيء من ذلك ومن خالف منهم تلزمهم العقوبة الشديدة، وخذ في ذاك بالجزم ورد البال والتيقظ وعدم التساهل، لأن العدول في عهدتك وقد كتبنا للبشا بهذا وأكذنا عليه في الوقوف عنه والاستحباب فيه والمضي معاً على مقتضاه، والسلام في 22 صفر عام 1313.

ومن اهتمامها بضبط ماليتها ما تقدم من ضبط أمنيتها والراقيين عليها ما وقفت عليه في ظهيرى تعين أجور الأميين والعدين وظهير توجه حسابات مستفادات المرسي كل أسبوع، ودونك لفظ الأول بعد الخدمة والصلاة والطاع

السلطاني:
خدمة الأردنين أميني الموضوع برسى الدار البيضاء الحبيرة والله وفلكما الله، سلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأملكم أن تكونوا تقتضان في أجركم على مائتي ريال تذكية مشاهرة لكل منكم وفي أجرة العاملين معكم على مائة ريال مفردة مشاهرة لكل واحد منه وذالك من شهر تاريخه، والسلام في صفر عام 1326.

ونص الثاني:

بعد الحمد له والصلاة والطيب المنيف:
خدمة الأردنين أميني موضوع برسى الدار البيضاء، وفلكما الله، سلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فلاجل مصلحة تخفيف صوت ورسى من حيث هي: اقتضى نظرنا الشريف أن يكون فقر راتبكم الشهري وراتب العدل معكم مائتي ريال بالثنية وعشرين ريالاً للأمين الأفاقى معكم، ونصفها وهو مائة ريال وعشرة ريال للعدل الأفاقى معكم، ومائة وخمسون ريالاً للأمين البلدي معكم، ونصفها وهو خمسة وسبعون ريالاً للعدل البلدي معكم، وعليه فنأملكم أن يكون عملكم في تصبب الرواتب المذكورة على مقتضى ما ذكر وثبتوا نسخة من كتابنا هذا بمجلة من كناش ضابط خدمة المرسى ليتمشي عليه الأثمان بعدكم، والسلام في 17 صفر الخير عام 1326.

ولفظ الثالث:

بعد الحمدله والصلاة والطيب السلطاني:
خدمة الأردنين أميني موضوع برسى الدار البيضاء الحبيرة والله وفلكما الله، سلام عليكم ورحمة الله، وبعد: وصل كتابكم بمحصول الأسبوع المغيب سابع شهره وصار بالبلد زياد الله ونعمه والسلام في 23 جمادى الثانية عام 1326.
فهذه جملة يعتبر بها غيرها استطردانًا تنبها على أن أمراءنا كان لهم
الشفع بضبط ما ولقا عليه لو أسعدهم الدهر بولاية أهل كفاءة واقتدار مثل
صاحب الترجمة.

البيعة المفنوية:

ولم يزل أمر الدولة ينحل، ونظامها يختل، إلى أن قام بعض رؤساء من
أعيان القبائل الحورية يدبر في رتق ذلك الفتى على أن ترجع المبايع لمارجتها، فأطاح
بجهدها إلى أن ذلك لا يتم إلا بجمع الكلمة على مبايعة الخليفة السلطاني الذي
كان بين أظهرهم بالحضرة المراكشية في ذلك الحين وهو المولى عبد الحفيظ لزمه
وجده ونبيته وتبيقه وعلمه، فأعلنا بنصره وخلع أخيه المولى عبد العزيز
مراكش صيحة يوم الجمعة سادس رجب عام خمسة وعشرين وثلاثمئة وألف،
وفي ذلك قال الأديب السيد عبد الله بنادي الرباطي مؤرخًا:

قد بدأ عبد الحفيظ المرتضى ملكًا ما مثله قبل ملك
سأل الإقبال ما تاريخه قلت يا إقبال (بشر بالملك)

١٢٠٧
١٣٢٥

وأسباب الخلع والبيعة مبنية في صك بيعتهم التي وقعت بعد أخذ فتوى
العلماء في المخلوع وكفاءته وثلت بيعة مراكش بيعة الجديدة واسفى، إلا أنهما
أعيدتا بعد لطاعة المخلوع.

ولا قدم المخلوع للربط بنية استرجاع طاعة مراكش إليه أعلن بخلعه أيضا
بفاس يوم الجمعة الثاني وعشري قعدة الحرام عام خمسة وعشرين المذكور بعد
استفتاء العلماء في شأنه وإفتائهم بوجوب عزله لتقضي الله أذرا كان فعولا، ومن

٥١٨
السلطان السابق مولانا عبد الحفيظ
الغد بيع بها للمولى عبد الخفيظ بعد هرج ومرج تركت لغيري تفصيله، وكان ذلك على شروط مدنجة في عقد البيعة وهي من إنشاء أبي العباس أحمد بن عبد الواحد بن المواز صدر الكتاب وواستة عقدهم ودونك لفظها:

الحمد لله الذي جعل كلمة الحق هي العليا، وأرشد المؤمنين من عباده لاتباع مقتضياتها أمرا ونهيا، وفضل الأمة المحمدية على سائر الملل والأجناس كما فضل آل بيته الكريم على الناس، وشرف هذا الوجود بن يرقي الله من خيارهم منصب الخلافة، فتبعت في الشرعية والعدل والسياسة سنة جده، ويتفق في ذلك الكرام أسلافه، تصديقها لقوله ولاية أهل بيتي، أمان لامتي.

نحذيه سبحانه أن تفضل على المسلمين بالهديا لقبلة الرشاد، والتمسك بحل التوفيق والإسعاد، والعدل عن مواضيع الزين والتفرط والعناص، وشكره أن هدى خاصة الأمة وعمائها لتقليد من يوفي بالعهد الشرعية، ويقوم بحفظ الدين ومصالح الرعية.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي يؤتي الحكمة من يشاء، وينزع الملك من يشاء.

ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسله الشفيع في أمه يوم يتميز القاطلون من المقتضين، والحافظون للأمانة من الفرطين، صلى الله عليه وعلى أهله وأصحابه الذين اجتهدوا في كشف غياب الضلال، وكانوا يميلون مع الحق حيث مال ولا يحابون من يتسلل في أحكام الشريعة بحال.

أما بعد، فإنهما لما أراد الله تعالى أن يزين ليل الجهالة عن عباده، وأن يجدد الدين من يطلعه شمسا في أرضه وبلاده، ليعود عز الإسلام لشبابه، ويبقت استناد الإمارة العليية إلى سنته وكتبه، وتعلقها من الشرع بأسبابه، تدرك سباحته

520
الوجود، وأعز العالم الموجود، واستطارت الأنواع الضيقة للأغوار والنجود، بِبابِعَة
من يُعِيد الله بِشمس الخلافة إلى بِرج شرفها، ويرد به نقطة العدل والحلم إلى
مِركَّزها، ويحكي بِأثير الخلفاء الراشدين، ومكارم الآسلاف الكرام المهديين، وهو
من حاز من الأوصاف الكاملة غايتها، ويبلغ من الزيايا الجسيمة نهايتها، فاكتسي
العلم لِباساً، والشجاعة أُنْرِاساً، واتخَذ العِلم أُسأساً، والحلم شعاعاً، والكرم
دثاراً، والدين قواماً، والسياسة الشرعية نظاماً، مولانا أمير المؤمنين ابن مولانا أمير
المؤمنين الذي جعله الله خيرآية ناسخة، وآتيت له في الكمالات قدما راشعأة،
nَخْبَة الخلافة العلوية، وجوهرة عقد المملكة الإسلامية، المتفائل باسمه، في حفظ
الإسلام ورسمه، أبو المعالي مولانا عبد الحافظ بن مولانا الأمام المقدس بالله سيدنا
الحسن ابن سادتنا المولبد الكرام، المقدسين في دار السلام، لما ألقى الله له في
قلوب الخلاقين من الحب الجميل، والاعتقاد الذي هو بنصرة الدين كفيل فحذًا من
إمام تهتز لِذكره أطعاف المنابر، وتقلد من شريف دعوته بأيوبين من نفس الجوهر،
وستضِئ البلاد باكليل شرفه الزاهر، وتستحسن العابد تحت ظله الوُدَب الوافر، أبقى
الله أيامه، بقاء يُعِيد النصر دواهم وخدله لم واعقبه هذا الأمر الكريم إلى
يوم القيامة، فانشد من وقتهم مبطنة التوفيق، على حضررة الإخلاص
والتصديق، وأخذت بهم آزامة السعادة إلى حيث الفوز برضا الله ورسوله حقائق
من جميع أهل فاس الإديسية، لا زالت مصونة محبة، وسائر أشرافهم ورمانهم
وعلمائهم وقضائهم وكبارهم ونقيبائهم ومرافقهم ومصابهم وأعيانهم وخاصتهم
وعامتهم، وكذلك أهل فاس الجديد، لشمول التوفيق لهم والتسديد، على تقليد
الجمع بيعة مولانا أمير المؤمنين المذكور، المختص بالسعد الباهر واللواء المتصور بيعة
تؤسس على تقوى من الله ورضوان، ويهدي عقدها الكريم ملائكة الرحمن.
فبايعوه كلههم على الأمان والأمانة، والعفاف والديانة والعدل الذي يشيد

521
للمجداد كانه، مبايعة شائعة على عقدها الكريم بحكم الوفاق، وعموم الاتفاق، والمواثيق الشديدة الوفاق، وجمع الأباء، الصادقة الإيمان، أعطا بها صفقة أبدية، ورفع العقيرة بها منادينهم.

وندمو إليها سائر القبائل التي بنوا فيها، عارفين أن يد الله فوق أديهم وأمضاها الكل المجموعي والجماعي على السمع والطاعة، والانتظام في سلك الجماعة إمضاء يبنين به في الجهر والسر، والمعنى واليسر، والتزموها رغبة منهم وطوعا، واستوعبوا شروطها أصلا وفرعا، وجنسا ونوعا، خالصة صادقة واعدة من الله بالخير لهم سابقة، وسعادة بالحسنى لاحقة، أبروا عقدها، وأحكموا عهدها، وعرضوا عليها أفرادا وأزواجا، زمرنا وأفواجا، وناذهم داعي السعادة.

إعلانًا، يقوله تعالى: «فألف بين قلوبكم فأصبحم بعMITEإنها». وكيف لا وهو المتصرف بالكتفية الشرعية التي بيئة في كتاب الفقه بأن يكون مهتمديا إلى مصالح الأمور وضبطها، ذا تجدة في تجسير الجيوش وسد الغرف، وذا رأى مصير في النصر للمسلمين، لا تروعه هواة النفس عن التتكيل لمستوجي الحدود. انتهى.

فقد جعله الله زمام الأمور ونظم الحقوق والخطاب الذي عليه مدار الدنيا وهو حمى الله في بلاده، وظله المحدود على عباده، به يمنع حريمهم وينصر مظلومهم وينقمع ظالمهم وعُمان خائفهم، قال تعالى:

الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة واتقوا الزكاة وأصروا بالمعروف.

الآية، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لما نزلت آية أطيع الله وأطيعوا الرسول الأولي الأمر منكم قد أمرنا ببطاعة الأئمة وطاعتهم من طاعة الله"، وفي الحديث عن مولانا علينا كرم الله وجهه: "إمام عادل خير من مطر وابل"، وفي الحديث السلطان ظل الله في الأرض ورحمه، وفي الحديث من أجل سلطان الله أجله الله

522
وفي الحديث القصطون على نور من نور عن يمين الرحمن وفي الحديث: «إن الله ليزعم بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ويله سهل أي الناس خير؟ فقال: السلطان، لأن الله في كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس، ونظرة إلى سلامة أبكارهم فيفعظ في صلىبه، فغفر له ذنوبه.

وفي السراج ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نَيْن مرسل أو ملك مقرب.

وقالت الحكمة: أسواس الناس برعيتة من قاد أدناها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها ولا عحور أن يولانا أميراً المؤمنين، الذي انتظمت بيعتته في أعناق المسلمين، أجل أن صدقت في ظنونهم ونياتهم، وتوجحت إليه آمالهم وأمنياتهم، ومدت له الرعاية أزمنتها، وقدمت إليه الوحد أو اعتياه، راجين من شريف همته، وركم عنايته، أن يلبسهم رداء نعتهم. ونزلله ظل كرامته، ويعمهم بسيرة المدة، ويشملهم بالحلم والفضول والرحمة الكاملة، ويعمهم جهدة في رفع ما أضر بهم من الشروط الحادة في الخنزيرات، حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمته ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها ولا علم لها بتسليم شيء منها وأن بعمل وسعه في استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية وأن يباشر إخراج الجنس المحتال من المديتين اللتين احتل بهما ويزين صلىبهما الظاهرة بحسة استخلاصهما، وأن يستخير الله في تطهير رعيته من دنس الحدايات وانتزاعه من اتباع إشارة الأجانب في أمور الأمة، لمحاشأة همتها الشريفة عن كل ما يخل بالحرمة.

وإن دعت الضرورة إلى اتخاذ أو تعاضد فليكن مع إخوانا المسلمين كآل عثمان وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة، وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية فلا يبرم أمرا منها، إلا بعد الصدع به للأمة، كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة، حتى يقع الرضا منها بما لا يقدح في دينها ولا عقائدها ولا في استقلال سلطانها.
وأن يوجه أبده الله وجهته الشريفة لاتخاذ وسائل الاستعداد، للمدافعة عن البلاد والعباد، لأنها أهم ما تصرف فيه الدخائر والجسيمات، وأوجب ما يقدم في البدايات والنهائيات، وأن يقر بفضله العبوي والنفوذ، برفع ضرر المكوس، ويحقق رجاء خدمته وكافة رعاياه بالذب عن حرماتهم ودمائهم وآمالهم وأعراضهم وصيانة دينهم وحياطة حقوقهم، وتجديد معالم الإسلام وشعوه بزيادة نشر العلم وتقويم الوظائف والمساجد، وإجراء الأبحاث على عملها القديم، وانتخب أهل الصلاح والمروة والورع للمناصب الدينية.

وكف العمال عن الدخول في الخطط الشرعية، وترك ما أحدث من الجمع المستلزم لاستبازاد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم في القضايا والأغراض مما تحقق والحمد لله من كمال أوصاف مولانا الإمام، واعتماد المسلمين على كفاهته في الأمر الخاص والعام.

فهو أبده الله العضب الكافى، ورأبه العلاج الشافى، وما يقضي به حسن سيرته وكمال وفائده جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين، واعتبار مقام الأشراف وأهل العلم والدين وإقرار ذوى الخرومة على ما عهد لهم من البرات والاحترام، وظهائر الملوك الكرام، وإبعاد الطالحين، وإحساء المفرعين والواشين، ومعاملة المؤمنين، بما تعوده منه من أصالته المقدسية، من إيثار العنف والحمض والأناة. وتجديد مكارث الخير في حالة العز والثبات وحسن الظن بسيدة أيده الله حمل أهل ملكته الشريفة المتينين بكريم بيعته المنفعة على أن صدروا جلالته بما أثرا فيه مضرته، عالمنهم أنهم لا يكشف ما بهم إلا عنابة مولانا المنصور وهمه، ومستسلمين مع ذلك إلى الله بالقلوب الحاشعة، ومتبهمين بالادعية التافهة، أن يعرفهم الله خير هذا العقد الكريم بدأها وختاما وينجحهم بركته التي تصبحهم حالا ودوما، لا رب غيره ولا خير إلا خيره، أشهدوا على أنفسهم بما فيه عنهم عموما

٥٢٤
والواضعون أشكالهم عقبه خصوصا وهم عارفون قدره وأكمله وفي فاتح ذي الحجة الحرام عام خمسة وعشرون وثلاثمائة وألف.

وما خرج المولى عبد العزيز المخلوع إلى إرجاع مراكش لطاعته انكسر ورجع إلى الدار البيضاء، فباعت طنجة أخاه الذكور يوم الاثنين 1262 رجب العراش والعدوانان سلا، والرباط وكانت بيعهما في يوم الثلاثاء 26 رجب المذكور ثم الجديدة وآزمر يوم 28 منه ثم الصورة يوم الأربعاء 12 شعبان عامه.

وهكذا.

وكانت هذه البيعات مبعث ارتياح واستبشر من الناس بسلطانهم الجديد العالم فطافعا يتفاوتون بسماه ويرجون أن يكون له من اسمه نسبة فتحفظ البلاد من أزعاء التفكك والانحلال، ويعود لها ما انسقص من أطرافها، وقال الشعراء في ذلك مظهرين شعور الأمة فكان من جملة ما قيل قول الأديب الكبير السيد أحمد ابن قاسم جنسون:

بشري الخلاصين لا تزال أريد
ذهب العنان جميعه وتتربعت
والمشر يد ما يشا ويعد
وهي قصيدة من غرر مشناه.

وقد حققت الأيام بعض ما كانوا يرجون على يديه، فقبض على أبي حمارة

كما تقدم تفصيل ذلك قريبا، ولجسوس المذكور قطعة في ذلك يقول منها:

لله من نبا غدت أفراحه
تبني لدينا بالنعيم الطيب
نبا الشقى المارق القدم الذي
كم شب من نار بقطر المغرب

525
نباً الخبيث أبي حمارة والذي هو في المنابث لم يكن بالطيب
أشعى الورى في عصره وقدرته وغروره وتتتمرد وتتوب
ولكن الفتي كان فوق قدرة الرائق فرغمما عن هذا كله لم يزل الأمر ينحل،
والرعية تنترا وتتمرد، إلى أن كان مما لست أذكره.

هذا بعض ما حدث بموت المترجم أحمد بن موسى.
ولو تتبعتنا الأحداث التي وقعت بموته وتفاصيلها لاحتجنا لمجلدات،
وبالجملة فترجمة هذا الرجل طويلة الذيل، بعيدة الذيل، ما أجدها بأن تفرد
بتاليل ولبعض الشاميين نزاء المغرب فيه تصنيف معا، تغري السهم في مأثرة
الوزير أحمد بن موسى الهمام في مجدد وسط أثى على تفاصيل من أحواله
وسياسته ومزاياه وترجم لعدة من علماء المغرب بافس والرباط.

٧٤ - أحمد أبو العباس ابن الحاج عبد القادر بن علال العرياشي المكناسي
النشأة والدار والإقبار.
حاله: له معرفة بالفقه والنحو والفرائض، فمهارة تامة في الحساب والتوقيت
والعدل، ومعرفة الطوالع وأحكام النجوم والأووق والرمل، تولى خطة الكتابة
مع شيخه العلامة الحاج المختار بن عبد الله، ثم الأمانة على أمراء خز الخيب
والزيوت المولوية التي تجي من أشعار الإيالة المغربي ثم الكتابة مع محسن مكناس
الحاج محمد بن العربي أجنا، ثم اسناخ عن ذلك كله وأقبل على تدريس الحساب
والتوقيت والعدل، ودرس القلصادي، ومنية ابن غازي، والمقنع وروضة الأهرار،
وعمل الفريد المجيب، والرسالة الستينية في الضرب، والقسمة، وتسهيل المطالب،
ومنهج ابن البنا، وابن العاشر، والجرموية، والألفية وغير ذلك فنفع الله به
أقوامًا.

٨٢٤ - من مصادر ترجمته: إثنا العالله في موسوعة أعلام المغرب ٨/
مشيخته: اخذ عن العلامة الحاج المختار مختصر خليل والآلفية، وعلى غيره
من هو في طبته من أعلام وقته، وأخذ التحويل والحساب والتشويت وغير ذلك
عن موقت مكناس السيد الجليلي (1) الرحالة، وعن ميقاني فاس السيد إدريس
الجابي، وبه كان كامل إتقانه.

الآخرون عنه: أخذ عنه الأستاذ المعبد أبو محمد عبد القادر بن المعطي دعى
الصيغي بالت sprzęح، والوجيه الميقاتي الطالب العلمي بن رحال والعدل الفقهي أبو علي
الحسن المتنى، والطالب مصطفى بن موسى وخلق.

وفاته: توفر رحمه الله في ذي الحجة عام ثمانية عشر وثلاثمئة وآلف ودفن
بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية.

75 - أحمد بن الطالب بن سودة الورى.
قاضيها أبو العباس، وسودة بفتح السين وسكون الواو كما في شرح
القاموس، وضم السين هو الجارى على الألسنة.

حالة: كان أعجوبة ساعة، فريق العصر، فقيها مشاركا بحرا لا يدرك له
ساحل، جبلا راسخا في العلم والإنفتاح والتحرير والتحبير، عزيز الممثل، فارس
مقدمة الفنون، محيد بعنوان تراجهما وأبوب وأسرار سرح المصون، عارفاً بمعانيها
وبدع محاسنها مع بيان ما انطوت عليه من فصيح الكلام وبلاغته، من غير تناقر
ولا مخالفه قياس في تأديته وتبليغه، حسن الإلقاء والتعبير، لا تذكر قاموس
إملاءاته دلاء الباحثين، جهده حلاحل، بعيد الشأو في تحرر عووص المسائل.

تولى نياية قضية مكناسة الزيتون بطلب من أخيه قاضيها أبي عيسى المهدي
حسبما وقفت على جواب الوزير إذ ذاك للقاضي المذكور بإسعاف رغبة ونصبه بعد
الحمدلة:

(1) تحرف في الطبع إلى: الجليلي، وصولاه من إخوان المطالع في المجموعة 8/2789.
75 - من مصادر ترجمته: إخوان المطالع 8/2833 في موسوعة أعلام المغرب.

527
محبنا الأرضى، العلامة الأحظي، السيد المهدي بن سودة، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فقد أنهينا لمولانا أيده الله ما ذكرنا لنا في شأن ما أردت من إستنزا أخليك الفقيه السيد أحمد فيما يكون من الدعاوى الصغار، فأذن لك في ذلك أمر الله غرسه والسلام، في رأبع رجب الفرد عام خمسة وسبعين ومائة وعشر ألف محمد الصفار وفقه الله.

ثم تولى خطة القضاء بأمر مولانا مؤقتا عام خسة وثمانين ومائة وعشر ألف على عهد السلطان سيدى محمد، ودونك نص ظهير توليته بعد الحمد لله والصلاة والسلام على الطيب السلطاني المحمدي:

أحباؤنا أهل آمور كافأ أعوانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإننا قللنا الفقيه السيد أحمد بن سودة خطة القضاء بذلك التغر السعيد على سبيل قضاء الحاجة مدة محدودة، وأياما معدودة، وأمرنا بفصل الخصوم، ومطالعة الرسوم، والحكم بمشهور مذهب الإمام مالك، أو بما به العمل سالكا في ذلك أوضح المسالك، فعليه بتنقى الله العظيم ومرتقبته، في سره وعلانية، وعليكم بالسمع والطاعة، وتثبيذ جهده قدر الاعتناء، والله ولى التوفيق، والهدى إلى سواء الطريق، والسلام في متمم رجب الفرد عام خمسة وثمانين ومائة وعشر ألف.

ثم طلب الإعفاء بواسطة الحاجب السلطاني إذ ذاك موسى بن أحمد فاسع السلطان رغبته، وفقت على جواب الحاجب المذكور له عن طله ولفظه بعد الحمد لله والصلاة:

محبنا الفقيه العلامة القاضي أبا العباس سيدى أحمد بن الطالب بن سودة سلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فقد وصلنا كتابك مجددا العهد بما وسائلا عن أحوازنا، فاننا سائل عنك كذلك ونطلب الله أن يسلك
بنا ويكم أحسن المسالك، وعلمنا أنك تنشفع لنا بمولانا نصر الله في نذك مما كلفت به لأنك أثبت على الأمر المحدود وطالبا أن تكون من العلماء الناشرين للعلم بالقرؤين إذ هو الإسلام لدينك والأركي لدينياك، ومستغفا أن تعرش في زمرة الابناء لا زمرة القضاء، فقد أنهتنا ذلك مولانا نصر الله وسر الله في قضاء الغرض، وكتب مولانا أبيه الله لنجله وخليفته الأسعد مولانا الحسن حفظه الله بأن ينظر من مراكش فقهي يصح للغرض المذكور، وقد توجه له كتاب سيدنا أعزه الله بذلك وعلى محبتك وطلب صالح دعاكم، والسلام في ربع قعدة عام ١٢٨٥، موسى بن احمد لطف الله به».

ثم عين في جملة من عين من الأعلام للتوجه لطنجة بقصد فصل قضايا الأجانب مع الأهالي.

ثم في سنة الثمانين وتسعين ومائتين وألف وله فلي قضاء فغر طنجة في ثاني ربيع الثاني حسبما يظهر توليه ودونك لفظه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ثم الطابع السلطاني الشريف بداخله الحسن بن محمد وليه ومولاه:

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله وأعز أمره، وجعل فيما يرضيه سبحانه لهه ونشره، أنا بحول الله وقعته، وشامل يمنه ومته، ولينا خطة القضاء بشغر طنجة المحروس بعنابة الله الفقى الأهل الأرضي السيد أحمد بن سودة لما علمناه فيه من الجد والتحري والوقوف في حقوق العباد، واتباع طريق الرشاد، وأسندنا له النظر في فصل الخصوم، وتصفح الرسوم والحكم ومذهب الإمام مالك، رضي الله عنه أو ما به العمل، فتعهد إليه أن يراقب الله تعالى في ذلك، وأن يسلك فيه أحسن المسالك، وأن يقوم بأمره في حق المشروفي الشريف، والقوي والضعيف،
فَنَّاسَ الْلَّهُ أَن يَسَدِه وَيَوْقِفْهُ لَمَّا فِي هَذِهِ رَضَا أَمِينَ، وَالسَّلَامُ فِي ثَانِي رَيْعُ الْثَانِي عَامٍ

۱۲۹۲

ثُمَّ فِي ثَلَاثَ قَعَدَةِ الْحَرَامِ عَامٍ تَلْيَاءَةٌ وَتَسْعِينَ - بِتَقْديِمِ المَنْتَقِةِ عَلَى الْسَّينَ -

وَمَا تَثَانِيَ وَأَلَفَ أَسْنَدَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِي جِمْهَرِ الْقَبَائِلِ الْمَضَفَّاءِ لِتَلَنْجَهُ وَفَوْضُهُ لِفِي قَضَاءِ

بَادِيْتِهَا بِالْتَّوْلِيَةِ وَالْعَزْلِ، وَدُونَكَ نَصُّ الْظَّهِيرِ الصَّادِرُ لَهُ بِذَلِكَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدُهُ وَسَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحْمَتَهُ وَبَرَاهِيمَ وَمُولَاهُ مُحَمَّدٌ وَآلَهُ وَصْحَبِهِ، ثُمَّ

الطَّابِعُ الشَّرِيفُ بِدَاخِلِهِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، اللَّهُ وَلِيُهُ وَبَيَائِرَهُ:

وُلِكَ تَكُنُّ بِرَسُولِ اللَّهِ نَصْرُهُ ۖ إِنْ تَلْقَىْ الْأَسْدُ فِي أَجْامِهَا تَجْمَّعُ

مِنْ يُعَتِّصِ بِكَ بِأَحْيَى الْوَرْدِ شِرْفَا

اللَّهُ حَافِظُ مِنْ كُلِّ مَنْتَقَمٍ

يَتَعْرِفُ مِنْ كِتَابِهِ هذَا أَسْمَى اللَّهُ قَدْرَهُ، وَأَعَزُّ أَمَرُهُ، وَجَعَلَ فِي مَا يَرْضِيهِ

سبِحَانَهُ لَفَهُ وَنَشَرَهُ، أَنَا بِحُولِ اللَّهِ وَقُوَّتهِ، وَشَامِلُ يَمِينِهِ وَمَنِهِ.

وَلِيَتَنَّ الْفَقِيْهُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ الْتَلَّابِ بْنُ سُودَةَ خَطَّةِ الْقَضَاءِ بِطَنْجَةِ حَرْسَهَا

اللَّهُ وَبِجَمِيعِ الْقَبَائِلِ الْمَضَفَّاءِ إِلَيْهِ الْمُحْسُوْبَةُ مِنْ عَمَالِهَا، وَاذْنَا لَهُ فِي تَصْفِحِ

الرَّسُومِ وَالْفَلْسِ بَنِيِّ الخَصْوَمِ، وَالْحَكَمِ مِنْ مَنْذِهِ الإِمَامِ مَالِكَ بِالْمَشْهُورِ أَوْ مَا بِهِ

العمل عند الجمهور.

وَفِي تَفْقِيدِ أَحْوَالِ قَضَاءِ بَادِيَةِ العَمَالَةِ المَذِكُورَةَ، وَعِزْلُ مِنْ لِمْ يَصْلِحُ مِنْهُمْ

وِتَوْلِيَةً مِنْ يَصْلِحُ فِعلِهِ بِتَقْوَىِ اللَّهِ وَمَرَاقِبِهِ، وَتَحْرِي جَهَدَ اسْتَطَاعَهُ، وَلِيَتَذَكَّرْ ما

وُرَدَ فِي حَقِّ أَهْلِ الْعَدْلِ مِنْ الْرُّعَدَ بِالْثَّوَابِ وَالجَنَّةِ، وَفِي حَقِّ أَهْلِ الجُوُرِ مِنْ الْوَعْيَدُ

بِالْعَقَابِ وَالْمَلَحةِ، وَقُولُهُ عَلَىِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضِيَ فِي الجَنَّةِ،

وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهُ عَالِيٌّ بِرَاهِ، وَأَنَّ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ تَعْرِضُ عَلَيْهِ فِي أَخْرَاهِ، وَتَنَبِّئُ اللَّهُ

أَن يَسَدِه وَيَوْقِفْهُ لَمَّا يَحْبُّ وَيَبْرَاءُ.

۵۳۰
والسلام في 3 ثالث قعدة الحرام عام 1293

ثم ولى ضاء مكاسبة الزيتون والخطابة بجامع قصبتها السلطانية عام أربعة وتسعين ومائة ونصف، وفق ما ظهير توليته ونصبه بعد الحمذة (1) والصلاة والطابع السلطاني الحسن:

يعلم من كتبنا هذا الناقي في أوج اليمن والسعادة قدرته، النافذ بعزة الله في البسيطة نهيه وأمره، أننا بقوة الله وحوله، وصِصته وطوله، وليا الفقيه الأرضي السيد أحمد بن الطالب ابن سودة خطة القضاء بكناية الزيتون وزهون، وأذننا له في تسخيف الرسوم، وفصل الخصوص، والحكم بينهم من مذهب الإمام مالك بالمشهور، أو بما جرى به العمل عند الجمهور فعليه بقوى الله ورعايته، والتحرى جهد استطاعته، وليذكر وعدا منجزا ووعيدا، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضا ومما عملت من سوء تود له أن بينها وبينه أبدا بعيدا، ويعلم أن الله تعالى سائله عما حكم به وقضاء، وأنفذه وأمضاه، يوم لا تملك نفس شيئا، والأمر يومئذ لله، ونطلب الله تعالى أن يوفقه لما يحب ويرضا.

والسلام في عاشر رمضان عام أربعة وتسعين ومائة ونصف.

وأُسند له توليدة النظر في محاسبة نظر جبل زهون ومكاسب وقف على إقرار السلطان الملكي عبد العزيز له على ذلك، ودونك لفظه بعد الحمذة والصلاة والطابع السلطاني:

اقربنا بحول الله وقوته ماسك الفقيه الأرضي القاضي السيد أحمد ابن سودة على ما تضمنه كتاب سيدنا المصدر الذي بيد من الإذن له في محاسبة كافة نظر مساجد مسجد جبل زهون على نفس محاسبته مسجد مكاس ومسطرتها عندهم إقرارا تاما، وفي خامس عشر صفر الخير عام اثنا عشرة وثلاثمئة ونصف.

(1) حمدلله، قال: الحمد لله.
كما كان تولى قبل ذلك الخطابة بضرحي الإمام الأشهر، مولانا إدريس الأزهر، وبقيت بيده إلى أن لقي داعي مولاه ثم صارت لولده من بعد إلى الحين الحالي.

ورحلترجم إلى الحج عام سبعة وستين ومائتين وآلف على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام في رفقة أخيلة الذكورين في ترجمة أخيه القاضي أبي عيسى المهدي رحمه الله فحج وزار، ولقي فطاحل مشايخ تلك الديار، ودخل مصر والإسكندرية وتونس وأفاد واستفاد.

مشيخته: أخذ بفاس عن أخوته الحاج المهدي، والحاج عمر، وعن الشيخ الطالب ابن الحاج، والقاضي ابن كيران، والشيخ بدر الدين الحموسي والفقهيه الكردودي، والقاضي ابن عبد الرحمن، وسيدي عبد السلام بو غالب وغيرهم.

وبعثته عن الحافظ العارف أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي الجغبوبي الطرابلسي.

والإسكندرية عن الشيخ مصطفى ابن محمد الكباطي الجزائري المتوفى بالإسكندرية سنة ثمان وستين ومائتين وآلف.

وبتونس الشيخ محمد بن أحمد النيفر وأجازه الثلاثة الآخرون عامة وغيرهم.

الأخذون عنه: أخذ عنه جل بل كل شيخ العلم بمحمروسة فاس ومكناس وغيرهما من بلاد المغرب كشيخنا أبي عيسى المهدي الوزاني العمراني مفتى الديار الفاسية، وشيخنا العلامة أبي العباس أحمد بن المحموم الشريف البلغيشي قاضي مكناسة الحالي، وشيخنا الناقد كبير أبي العباس أحمد بن الجيلاني (1) الفيلالي الأمغارى ومن في طبقاتهم، وشيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام

(1) تعرف في المطبع إلى: الجيلاني.

542
الشريف الطاهر المكناسي قاضي مكناسة سابقا اتسعف به كثيرا، وكان يخصه بدروس بداره كما أخبرني لذا قد الله ثراه شفاهيا، وشيحنا القبيه العلامة السيد الحاج المختار بن عبد الله، وحبيبا المعقولي الناظم النائر الغالي بن المكي الستيسي، وشيحنا أبي عبد الله محمد بن الحسين العراشي، ووالدنا روح الله ووجه، وخلق.

تألفه: منها حاشية على صحيح البخاري حكى لي غير واحد من شيوخي أنها في أعلى طبقة من النفاسة والتحرير، وتحرير المقال، وشرح على الشمائل، وحاشية على المنطق لم تكمل، وشرح على الهمزية إلى قوله ليته خصى برؤية وجه، وخدمته لصحيح البخاري وغير ذلك.

ومن بديع ما وقفت عليه من استنباطاته ما نقلته من خظه على هامش رحلة العباشي لما تكلم على تاريخ أحد السلطان سليم مصر: قد رام بعض الناس استخرج دولة سيدنا ومولانا وإمامنا المنعم علينا بكل طارف وتلبيد مولانا الحسن أبني الله فخري وعلاه، من حديث: «لا تزال طائفة من أمتي». إلف فاستخرج من ذلك ما توجه الأسماع، ففكرت في ذلك فألقيت على طائفة من أمتي هو عدد دولة الحسن أبني وبنيه بعد فانتظم الحديث هكذا: لا تزال دولة الحسن أبني وبنيه بعد ظاهرين على الحق. إلف، ولما أطلعته أعزه الله ونصره على ذلك أثاني عليه بعثية سنية لها بال، كثر الله خيره وأدام عزه ونصره ومعنى والمسلمين بطول حياهه أمين، وذلك في شوال عام 1305.

ومن مفاداته أيضا الدالة على عنايته بالتقيد ما لفظه ومن خطة نقلت:

الحمد لله الذي استقر عليه عمل سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، مدة تنفف على العشر سنين، في سرده لصحيح الإمام البخاري في الثلاثة أشهر أنه يقرأ في سنة وثلاثين نصابا، وبينان أول كل نصاب هكذا، 1 بده الوعي 2 الوضوء 3.
التيما 4 المواقيت 5 الصف الأول 6 أبواب العيدين 7 فضل الصلوة بسجد مكة 8
الزكاة 9 سقابة الحاج 10 فضائل المدينة 11 يا أبا الذين آمنوا لا تأكلوا الربا 12
كتاب الشرك 13 الهجة للولد 14 وبينوا الياتي 15 الجهاد بإذن الآباء 16 بذ
الخلق 17 ولقد أتينا قمان الحكمه 18 مناقب عثمان 19 هجرة النبي 20
غزوة الحديبية 21 حديث كعب بن مالك 22 سورة الأنسام 23 سورة لقمان 24
سورة والسمس وضحاها 25 قوا أنفسكم وأهلكم نازرا 26 رهزي اللك بجذع
النخلة 27 الرقي بالقرآن 28 الأدب 29 أحب الأسماء إلى الله 30 الوضوء عند
الدعاء 31 الأيمن والنذور 32 فمن لم يستطيع منكم طولا 33 تعير الرويا بعد
صلاة الصبح 34 كتاب التمنى 35 عالم الغيب والشهادة 36 والله خلفكم وما
تعلمون.

ولادته: وجدت بخطة أنه ولد ليلة الثلاثاء تاسع عشر رجب عام واحد
وأربعين ومائتين وألف:

وفاته: في بفاس عن خطته اثر شروق شمس صبيحة يوم الجمعة في الساعة
السابعة عشرة رجب عام واحد وعشرون وثلاثمئة وألف، ودفن بعد العصر من
يومه بزاوية الشرادي قبالة درب الدرج (1) من فاس.

76 - أحمد بن إدريس الخطابي أبو العباس المرابط الزرهوني.

من راوية مولانا إدريس.

حاله: فقيه ماجد، تولى نيابة القضاء بزوايا زرهون عن أبي عباس بن سودة
الترجم قبله يليه واستمر على نيابه إلى أن توفي عنها.

مشيخته: أخذ عن جمع من شيوخ فاس، وسمع البخارى على العلامة
سيدى الفضل الحسيني الشهبهي بزرهون.

(1) في المطبوع: الدروج، وثبت من ترجمته في الموسوعة.
وفاته توفيَ ببلدة ليلة يوم الأربعاء الخامس أو السادس من جمادى الثانية عام
ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٧٧ - أحمد بن القاطعي بن محمد بن محمد بن النقيب مولاي عبد القادر
ال الشريف الإدريسي الشبيه.
من زاوية زرهون.

حاله: نشأ في عفاف وصياني، ومهر في علم الحساب، وله معرفة بالهيئة والتعديل والتنديم والجدول والاسماح حسبما ذلك بخط وله المولى محمد، تولى رئاسة فن الحساب في وقته، وأكبر في آخر عمره على العبادة والتلاوة والاذكار، والتهجد في الأسحار، والاعتكاف وسماحة الزاوية الدرقاوية والمسجد الجامع ولم يزل على ذلك إلى أن لبي داعي مولاه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ عبد الله ابن النخير العطار شهير بـ(ناس الخياط)
وعن الإمام النظار شيخ الجماعة بقاس سيدى محمد بن عبد الرحمن النفيضلي الحجري، وأبي العباس أحمد بن محمد الرسول، وسيدى أحمد بنائي، وسيدى عبد السلام بو غالب، وسيدى محمد بن حمدون بن الحاج السلمي المردادي ومن فقههم من شيوخ فاس وقاداته، وكان يحضر دروس أخيه العلامه مولاي الفضيل، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن سيدى مالك بن خدة دفين الزاوية.

الأخذون عنه: أخذ عنه علم الحساب ولده سيدى محمد، وجماعة من طلبة
الزاوية الإدريسيه

ولادته: كانت ولادته قبل ولادة أخيه سيدى الفضيل بثلاثة أعوام، وذلك أواسط العشرة الخامسة من المئات الثالثة بعد الآلف.

وفاته: توفى رحمه الله بقاس الفروين السادس عشر قعدة الحرام عام أربعة

٥٣٥
78 - أحمد بن محمد بن عزوز أبو العباس.

حاله: كان قفيها وجيها عدلا مبرزا موثقا فرضيا حسسيا ماهرلا، له معرفة حسنه بالنازل، ويشفي للحجة ولاية الزقاقة حفظا مشغولا، من أجل الناس وأتقاهم، يقصده وجهاء بلده وغيرهم في مهمات إشاداتهم.

مشيخته: أخذ عن السيد الحاج المهدي بن سودة، وأخي الحاج أحمد، والحاج مبارك، وابن الجيلالي (1) السقاط، والمفضل ابن عزوز، والسيد المختار الأجراوي ومن في طبقيهم من جلة الشيخ.

وفاته: توفى في ربيع الثاني عام ثلاثة وعشرون وثلاثمئة وألف ودفن بالزاوية الجيلالية من بلدة مكناسة الزيتون.

79 - أحمد بن الشيخ الجماعة في وقته بمكناس السيد مبارك بن عبد الله السلجلماسي.

حاله: كان فقيها عالما نحريا أستاذًا، رحل إلى درعة واستوطنها واستفاد فيها وأفاد.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من في طبقيه من الشيخ، يروى عن والده دلائل الخيرات، وهو يرويه عن أبي حفص عمر بن المكي الشرقاوي عن شمروش الجني، عن مؤلفه ابن سليمان، والمسند إلى شمروش عن النبي ﷺ. يروى: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ﷺ ورسله النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين، وأن مرة واحدة منها تعدل بسمتة فدية من النار. إنهية. أجاز له والده عامة.

(1) تمر في المطبوع إلى: "الجيلاني"، وصوله من ترجمته في إجابة المطالع في الموسوعة 2771/8 536
الآخرون عنه: منهم صديقنا المؤرخ الناقد السيد عبد الحفيظ بن الطاهر
الفاسي أنه أجازه عامة.
وفاته توفي بدرعة عام خمسة وعشرين وثلاثمئة وألف.
80 - أحمد بن الحاج رجال البخاري.
حاله: لين العبرية رقيق الطبع حسن الخلق والخلق مزروع جد متشغلا به
يعنيه عدل رضى ووجه نزهه حتى نبهه فقته، موجود ثال ذكر خاشع ناسك، محب في آل بيت الرسول، لا يفارق بهاء أعينهم حتى كان يعتقد من لا يعرفه أنه شريف النسبة، تولى خطة العدالة عام سبعين ومائتين والالف وكان يقره الصبيان، وينوب عن أمين أمانتها المولوية المكناسية السيد بوعزة بن العربي الشقري في خطة أبي المواريث وغيرها، نسخ بخطه كتاباً عديداً، وكان له إلم بالحساب والتوقير، أخبرني ولده العدل الرضى السيد العلمي أنه أخبره أنهم من ذريه ولي الله سيدى عبد القادر المدعو بوالكرزات - بالكاف المعقود دفين دار أم السلطان وأحاله في رفع نسبهم إليه على عمه شقيق المترجم الأساتذة السيد عياد، ومع الأسف فإنه لم يلق بالآلا للسؤال عن ذلك، وفات استدراك تحقيق ذلك بموت الوالد وشقيقه.
مشيخته: أخذ عن شيخ جماعة القراء في وقتا بالحضرة المكناسية الأساتذ
السيد البزيك والعدل البركة السيد ابن يشو البخاري وغيرهم.
الآخرون عنه: منهم ابن عمنا العلاوي الآسيوي مولاي إدريس ابن السلطان
مولانا سليمان المترجم فيما يأتي كان يكتب له كل يوم نصف حزب من القرآن في لوحه ويكرر معه كذلك خمسه أجزاء مباشرة بضريح السيد محمد الغماري المترجم في المحمدين.
537
وفاته: توفي أواخر شوال الأبرك سنة تسه وعشرين وثلاثمائة وألف ودفنه
بوسهة ضريح السيد عمرو الجصيني رضي الله عنه.

81 - أحمد بن محمد بن المامون بن هشام بن محمد بن عبد الله بن فخر
الملوک وجد سلاطين المغرب الأولي إسماعيل.

حاله: كان وجه نبيها حبياً أريحاً تالية لكتاب الله ذا تؤده وصوت حسن
مثلا إلى الأدب ماهراً في الحساب ومعرفة أحكام الزناتي والرمل والجدول
ومغالطة فن التنجيم.

مشيخته: أخذ عن شيوخنا الجلالة منهم السيد محمد القصري، والسيد محمد
ابن الهادي الفيلالي، وسيدي حسن بن البزيد وشيخنا العراش، وعن السيد
فضول العراش موضع مسجد الضريح العلمي وغيرهم.

وفاته: توفي رحمه الله عام ثلاثين وثلاثمائة وألف ودفنه بالضريح
الإسماعيلي.

82 - أحمد بن الجيلالي (1) الطهارة.

من أهل الزاوية الإدريسية.

حاله: كان فقيهاً عدلاً تولى نيابة القضاء ببلده مرتين ثم أفضى ومات فجأة
وذلك أنه صبيحة يوم وفاته خرج للتوفيق مع عائلته في بستان له بضواحي الزاوية
وظل به مع أهلته في أنت ونشاط وبعد أن تناول الغذاء معهم تقدمهم في الرجوع
ل منزله فادركته منتهي في الطريق فمات من حينه قبل وصوله منزله.

وفاته: توفي عشية يوم الخميس السادس عشر رجب عام ثلاثين وثلاثين
وثلاثمائة وألف.

82 - من مصادر ترجمته: إعجاب المطالع في الموسوعة 8/2888.

(1) تحرف من المطبوع إلى: الجيلالي، وصوابه من ترجمته في إعجاب المطالع.
83 - أحمد بن القائد محمد الشاذلي البخاري.

حالة: كان فقيها حياسياً ومستيقلاً في جميع أنواعه وله المام تام بمهام فن الهندسة وجهه السلطان سيد محمد لقراءة الفنون المذكوره بحاضرة فاس.

مشيخته: أخذ عن الوالي أحمد الصويري الموتى مراكش عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف وعمى في طبه من المتضلين المشار لهم في الفن.

الأخذون عنه: منهم السيد محمد بن المدنى المكن في دور الدولة العزيزية بخزائن العدة والسيد محمد الرجراجي وغيرهما.

وفاته: توفى عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف بالحضيرة المكاسية.

84 - أحمد بن العالم - اسمآ - ابن عبد الله الشريف القادر.

الرباطي النشأة والدار والوفاة.

حالة: كان علامة نقادا أديباً هادماً وقوراًحياً متواضعاً ذا سكينة وتؤدة بساماً في وجه الطلبة، صدر خطة الشهادة أواخر المائة الثلاثة عشرة، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي، وكان من ذوى الوجاهة الثامنة مجدلاً عند سائر قضية بلده وحكامها وكافة أهاليها واستخدم خدمات سلطانية في بعض البلدان كطنجة والعراق والحدودية وراكش ومكاسة الزيتون وكانت خدمته بمكناسة أواخر الدولة العزيزية ورحل لحج بيت الله الحرام، وزارة روضة الحبيب الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، أواخر هذه المائة.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجامة برباط الفتى أبي إسحاق السيد إبراهيم التادلي الموتى بعد غروب يوم الخميس لسبع عشرة خلت من ذي الحجة عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بماحل درسه من دار سكاه رحمه الله تعالى ورضي عنه لأزمه في كثير من دروسه الفقهية والحديثية والعربية، وأخذ عن الفقيه المفتي

539
السيد الجيلاني

السيد الجيلاني (1) ابن إبراهيم الرازي المتوفي في أواص جمادى الأولى عام ستة
وثلاثين وثلاثمائة وألف، وعن الفقيه الصوفي العلامة الشهير السيد الحاج عمر
عاشور المتوفي في ذي الحجة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، وعن العلامة الأجل
القاضي السيد على دنيا الرازي المتوفي عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

تأليفه: منها شرح على المرشد المعين من مطولات الشروح أكثر فيه من
القول.

وفاته: توفي رحمة الله أواخر عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن
بزاويةهم القادرية من رياض الفتح، أفانى بجميع ما ذكر عته بلديه العلامة الظائر
أبو حامد المكي البطاريق مكاتبته.

85 - أحمد بن الصديق المعروف بالتواني.

نسبه لتوات البلدة الشهيرة الشريف الحسني العلوي.

حالة: شاب نشأ في عبادة الله عالى الهمة ذو نفس غيبة، وأخلاء نبوية
مصفية، فقيه نبيه، علامة مشارك وجهه نزيه، ذو مروة وديانة، وعفة وصيانته،
رحل إلى الحج عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف، وهاجر لمدينة جده عليه
الصلاة وأزكي التسليم، وطاب له بها المشورة، ودرس بمسجدها النبوى وأفاد
واستفاد، لقيته أيام رحلتي لتلك الديار المشرفة وكان لي خير رفيق، وأجل
صديق، مدة مقيم بالمنورة على مشرفها أفضل صلاة وأزكي سلام ما
فارقني ولا فارقته مدة من ثلاثة أشهر كملا.

مشيخته: أخذ بمكتبة عن علمائها الجلة كشيخنا العرياش، وشيخنا
السوسي، وسيدي محمد الشيبى وغيرهم.

(1) تعرف في المطبوع إلى: الجيلاني، وصوابه من ترجمته في إتحاف المطالع في الموسوعة

29/8/2001

540
وبفاض عن شيخنا العلامة الناسك السيد الفاطمي الشرادى حفظه الله
غيره.

وبالمدينة المنورة عن عائلها ومسندها شيخنا السيد أحمد البرزنجي، وعن
شيخنا البركة القدوة سيدى محمد بن جعفر الكتاني أبقى الله وجوده، والعلامة
المحدث المفسر شيخنا الشيخ توفيق الأبري الأنصاري الشامي، وعن صديقنا
العلامة المفضل الشيخ عمر حمدان المحرثي التونسي، وخلانا الشيخ الزاهد الناسك
المعقولي عبد الباقى الهندي وغيرهم من فطاح أهل العلم الجلة.

الآخرون عنه: منهم الفقيه التجيب حسن الأخلاق محبنا في ذات الله حمزة
التكرتي وجماعة.

وفاته: توفي بالأرض المقدسة دمشق الشام بعد خروج المجاورين بالمدينة
وغيرهم من أهاليها في الحادثة الشهيرة التي تنطر لها الأكبار.

86 - أحمد بن العربي بن الحنفي بن الطالب بن العربي بن الطالب الشريف
الحسنى العلوى الأغراني يدعي صميم.

حاله: مجهود مصطلح ساقط التكليف، ورد من بلدة تافيلات وهو باتمه
وكان يتطلع إلى حفظ الدباغة في أول أمره مشتغلا بما يعتنيه تاركا لما لا يعتنيه إلى أن
حل به ما حل فسق لا يكلم احدا ولا يتأويل إلى أحد، يمكن دكاكا خربا مهدهما،
حدثني غير واحد أنه كان يأتي من بيع الخبز ويتخذ منه ما شاء من غير أن يؤدي
له ثمما ولا يجد ذلك البائع نقصسا في مدحوله، دام معه حتى ذلك أعواما، وأنه
جاء يوما بعض أوباش الأخلاق وسار يهدأ به ويسخر منه وهوى يطلب البعد منه
فلما لم يردعو رفع يده بهدبه وأوما لبطنه كأنه يريد أن يعطنه من غير أن يمسه،
فصاح ذلك المستهزئ وخر مغشيًا فحمل ملحة فمات من حينه.

86 - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب 8/1930. 290.

541
وفاته: توفي عشية يوم الخميس عاشر ربيع الثاني عام واحد وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفنه من الغد بالضريح الإسماعيلي بعد أن صلى عليه بالجامع الأعظم بعد خطبة الجمعة، ولم يتخلف أحد من أهل الفضل والدين عن تشيع جنازته رحمة الله رحمة واسعة.

تم الجزء الأول
المقدمة في علم التاريخ ومبادئها
المطلب الأول في مكتاسة والقليلة المؤسسة لها والبعد بينها وبين
فاس وغير ذلك من الفوائد
فصل: وفيه الكلام على تارجا وقصر فرعون وخيل زرحن والزاوية الإدريسية والفروع التي بين هذه المسميات وغير ذلك من الفوائد والاستطرادات كتعريف المجوسية والنصرانية
فصل: وفيه الكلام على تاورا وأبي العمار والعيون التي خارجه وعين تاكما
فصل: وفيه الكلام على قرية الأندلس وتلاجدهوت
فصل: وفيه الكلام على تاورا وحوائرة وفواكهها وسكانها وساتينها
فصل: وفيه الكلام على البربر وخيل درن وذئب القرنين والدفاع عن البربر بما رميا به وذكر بعض مفاخرهم وما ورد في فصل إفريقية
فصل: وفيه الكلام على ورزيغة والروم على اختلافهم وبحث في الأسد والفهد والنمر
فصل: وفيه الكلام على قصر ترهوجين وتاجرية وبرج ليلة وسوق الغبار وقبر الشهداء وبحث يتعلق بمهدى الموحدين
فصل: وفيه الكلام على جامع مكتاس الأكبر بأبوابه وذخائره التوقيعية وصفوه وصوموعته وخزائنه ومجلس القراء
الجزء والصفحة

الأسبوعي وبحث في الوظائف والتعريف بالصاعقة ثم
الكلام على مساجد مكناس والمعد منها للخطبة وصوامعها

وسقاتها

فصل: في حماماتها ودورها ودكاكينها وحرماتها وأرحاء مائها

وأفرائها وعدد سكانها

فصل: في بناء قصبة مكناسة ومدرستيها وزاويتها وما شبهه أو
أسماءه أو جدها الملوك العلويون بها إلى الآن من قصبات
أبواب وفنانتر وآضرحة ومساجد وقصور وأجنة وبساتين
ومدارس ومكتاب وغير ذلك من الآثار ثم ذكر أبوابها من

عهد ابن غازي إلى الآن

المطلب الثاني: في وصفها شعرًا ونثرًا بأعلام المتقدمين والمتأخرين

المطلب الثالث: في تراجم السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء

(حرف الألف)

رقم الترجمة

١ - إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ.
٢ - إبراهيم بن موسى المحمدي.
٣ - إبراهيم بن عبد الكريم.
٤ - إبراهيم بن أبي الفضل الحجري.
٥ - إبراهيم بن عبد القادر الزهوني.
٦ - إبراهيم بن عبد العزيز الخياطي.
٧ - إبراهيم بن القائد الطبيب.
٨ - مولاي أحمد الذهبي السلطان.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>644/1</td>
<td>علاقات السياسة</td>
</tr>
<tr>
<td>646/1</td>
<td>9 - أحمد بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>646/1</td>
<td>10 - أحمد بن عبد القادر زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>647/1</td>
<td>11 - أحمد بن عابرة المخزومي.</td>
</tr>
<tr>
<td>653/1</td>
<td>12 - أحمد بن علي الزهوني.</td>
</tr>
<tr>
<td>654/1</td>
<td>13 - أحمد بن محمد البكري.</td>
</tr>
<tr>
<td>654/1</td>
<td>14 - أحمد الشبلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>655/1</td>
<td>15 - أحمد بن عبد الرحمن البتمني.</td>
</tr>
<tr>
<td>655/1</td>
<td>16 - أحمد بن العربي الغماري.</td>
</tr>
<tr>
<td>656/1</td>
<td>17 - أحمد بن عاشر.</td>
</tr>
<tr>
<td>663/1</td>
<td>18 - أحمد بن عبد الملائ.</td>
</tr>
<tr>
<td>666/1</td>
<td>19 - أحمد بن سعيد الحباك.</td>
</tr>
<tr>
<td>668/1</td>
<td>20 - أحمد بن سعيد المكناسي يكنى أبا العباس.</td>
</tr>
<tr>
<td>668/1</td>
<td>21 - أحمد بن محمد الحباك المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>669/1</td>
<td>22 - أحمد بن محمد بن غازي.</td>
</tr>
<tr>
<td>670/1</td>
<td>23 - أحمد الشهيد.</td>
</tr>
<tr>
<td>671/1</td>
<td>24 - أحمد بن ميمون المسطassi.</td>
</tr>
<tr>
<td>671/1</td>
<td>25 - أحمد بن أحمد بن أبي العافية.</td>
</tr>
<tr>
<td>672/1</td>
<td>26 - أحمد بن علي المتجزور.</td>
</tr>
<tr>
<td>675/1</td>
<td>27 - أحمد بن عمر الحارثي السفياني.</td>
</tr>
<tr>
<td>676/1</td>
<td>28 - أحمد بن إبراهيم الجنان.</td>
</tr>
<tr>
<td>679/1</td>
<td>29 - أحمد بن سعيد المجلذي.</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>30</td>
<td>أحمد العمار.</td>
</tr>
<tr>
<td>31</td>
<td>أحمد بن عمر الخصيني.</td>
</tr>
<tr>
<td>32</td>
<td>أحمد الزناتي الشهير بابن القاضي.</td>
</tr>
<tr>
<td>33</td>
<td>أحمد بن بلعيد بن خضراء.</td>
</tr>
<tr>
<td>34</td>
<td>أحمد بن عبد القادر الناصوتي.</td>
</tr>
<tr>
<td>35</td>
<td>أحمد الخضر زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>36</td>
<td>أحمد بن محمد بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>37</td>
<td>أحمد بن ناجي القاضي.</td>
</tr>
<tr>
<td>38</td>
<td>أحمد بن محمد الزعبري الغماري.</td>
</tr>
<tr>
<td>39</td>
<td>أحمد بن يعقوب الوالي.</td>
</tr>
<tr>
<td>40</td>
<td>أحمد بن أبي يعزى.</td>
</tr>
<tr>
<td>41</td>
<td>أحمد الصيقال.</td>
</tr>
<tr>
<td>42</td>
<td>أحمد الشدادي.</td>
</tr>
<tr>
<td>43</td>
<td>أحمد بن عزو.</td>
</tr>
<tr>
<td>44</td>
<td>أحمد الخزيرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>45</td>
<td>أحمد بن سعيد السوسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>46</td>
<td>أحمد بن مومع.</td>
</tr>
<tr>
<td>47</td>
<td>أحمد بن مسطار.</td>
</tr>
<tr>
<td>48</td>
<td>أحمد بن عبد الرحمن زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>49</td>
<td>أحمد بن عبد الصمد.</td>
</tr>
<tr>
<td>50</td>
<td>أحمد بن عبد القادر.</td>
</tr>
<tr>
<td>51</td>
<td>أحمد بن مغنيث.</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>399/1</td>
<td>أحمد بن سعيد العمري</td>
</tr>
<tr>
<td>400/1</td>
<td>أحمد بن عبد الرحمن المجاصي</td>
</tr>
<tr>
<td>400/1</td>
<td>أحمد بن عبد الملك البرعصامي</td>
</tr>
<tr>
<td>401/1</td>
<td>أحمد بن علي العليوي</td>
</tr>
<tr>
<td>401/1</td>
<td>أحمد بن أحمد الحكيمي</td>
</tr>
<tr>
<td>405/1</td>
<td>أحمد العمراوي</td>
</tr>
<tr>
<td>405/1</td>
<td>أحمد المكناسي</td>
</tr>
<tr>
<td>405/1</td>
<td>أحمد بن عبد الملك العليوي</td>
</tr>
<tr>
<td>409/1</td>
<td>أحمد بن عثمان المكناسي</td>
</tr>
<tr>
<td>417/1</td>
<td>أحمد بن علي العليوي</td>
</tr>
<tr>
<td>417/1</td>
<td>أحمد بن عزوز</td>
</tr>
<tr>
<td>417/1</td>
<td>أحمد بن محمد المزيان</td>
</tr>
<tr>
<td>419/1</td>
<td>أحمد بن الطيب بصري</td>
</tr>
<tr>
<td>419/1</td>
<td>أحمد بن علي السوسي</td>
</tr>
<tr>
<td>420/1</td>
<td>أحمد بن عبد الله بن محمد الناصري</td>
</tr>
<tr>
<td>420/1</td>
<td>أحمد بن عبد الله الناصري المقرئ</td>
</tr>
<tr>
<td>421/1</td>
<td>أحمد بن محمد الجبلي</td>
</tr>
<tr>
<td>422/1</td>
<td>أحمد بن علي الحسيني العليوي</td>
</tr>
<tr>
<td>424/1</td>
<td>أحمد بن مبارك</td>
</tr>
<tr>
<td>426/1</td>
<td>أحمد بن الطاهر بادو</td>
</tr>
<tr>
<td>427/1</td>
<td>أحمد بن عمر بن العربي</td>
</tr>
<tr>
<td>430/1</td>
<td>أحمد بن موسى، وفيها من الاستطرادات:</td>
</tr>
</tbody>
</table>
رقم
الترجمة
الجزء والصفحة
430/1
436/1
438/1
448/1
454/1
454/1
456/1
458/1
460/1
460/1
481/1
482/1
487/1
018/1
026/1
027/1
034/1
035/1
036/1
036/1
037/1
038/1
038/1

إسقاط وزارة الجامعيين وسبب ذلك.
وزارته وصدارة العظمى.
بعث السفرات لأوروبا.
ثورة الرحمانية بزعامة مبارك بن سليمان.
عبارة السياسية.
أمانة.
متعلقه وما وقع فيه.
بعث السفرات لأوروبا ونتائج ذلك.
ثورة أبي حمارة.
ثورة الرسول.
مقتل موسى واحتلال وقفة.
احتلال الدار البيضاء.
البيعة الخفية.

74 - أحمد بن عبد القادر العرائسي.
75 - أحمد بن سودة الفاضل.
76 - أحمد بن إدريس الخطيبي.
77 - أحمد بن الفاطمي الإدريسي.
78 - أحمد بن محمد بن عزوز.
79 - أحمد بن مبارك بن عبد الله السلماني.
80 - أحمد بن رجال البخاري.
81 - أحمد بن محمد بن الأمون.
82 - أحمد الطهاري.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>039/1</td>
<td>أحمد بن القائد محمد الشاذلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>039/1</td>
<td>أحمد بن العالم القادري.</td>
</tr>
<tr>
<td>040/1</td>
<td>أحمد بن الصديق التواتي.</td>
</tr>
<tr>
<td>041/1</td>
<td>أحمد بن البروي الأمراني.</td>
</tr>
<tr>
<td>11/2</td>
<td>إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل.</td>
</tr>
</tbody>
</table>

بحث في أول من ضرب السكة قبل الإسلام وبعده، وأول من ضرب السكة المركبة.

88 - إدريس المعروف بإدريس الأثور.
89 - إدريس بن السلطان سليمان.
90 - إدريس بن النهامي أجانا.
91 - إدريس بن الطيب منون.
92 - إدريس بن الطيب بوعشرين.
93 - إدريس بن أحمد بن مساح.
94 - إدريس بن أحمد الخطابي.
95 - إدريس بن أحمد البخاري.
96 - إدريس بن المكي البخاري.
97 - إدريس بن حفيد برادة.
98 - إدريس بن القائد محمد الفضي.
99 - إدريس بن البيزيد المقرئ.
100 - إدريس بن إدريس الوزير الأدب.
101 - إدريس بن بوعزة الميسوري.
102 - إدريس الأمراني.
الجزء والصفحة | الترجمة
---|---
٢٦/٢ | ٤٣ - الأمين العطار.
٢٢/٢ | ٤٤ - إسماعيل الحسيني السلطان.
٩٠/٢ | وفي الترجمة استطراد في تاريخ المهدية والعرايش وأصيلة وطنجة.
٩١/٢ | ١٠٥ - أيوبس المفتى.
٩١/٢ | (حرف الباء)
٩١/٢ | ١٠٦ - بوسهلام بن المؤذن الخلطي.
٩٨/٢ | ١٠٧ - بوعزة بن العربي الفشار.
١٠٠/١ | ١٠٨ - بلقاسم بصري.
١٠١/٢ | ١٠٩ - بوبكر المراكشي المفتى.
(حرف الناء)
١٠٣/٢ | ١١٠ - الدهمتي بن عبد العزيز المرى.
١٠٣/٢ | ١١١ - الدهمتي الغيائي.
١٠٣/٢ | ١١٢ - الدهمتي الحمادي المطيري.
١١٧/٢ | ١١٣ - الدهمتي بن المهدى الموزار.
١١٧/٢ | ١١٤ - الدهمتي بن الطيب أمغار.
١٣٣/٢ | ١١٥ - الدهمتي أجانا.
١٣٣/٢ | ١١٦ - الدهمتي البوري.
١٣٤/٢ | ١١٧ - الدهمتي بن الحداد.
<table>
<thead>
<tr>
<th>رقم الترجمة</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>118</td>
<td>الجيلاني بن الهاشمي</td>
</tr>
<tr>
<td>119</td>
<td>الجيلاني بن حم البخاري</td>
</tr>
<tr>
<td>120</td>
<td>الجيلاني المدعو القصعة البخاري</td>
</tr>
<tr>
<td>121</td>
<td>الجيلاني بن عزوز الرحلاي</td>
</tr>
<tr>
<td>122</td>
<td>الجيلاني بن الباشا حم بن الجيلاني البخاري</td>
</tr>
<tr>
<td>123</td>
<td>السلطان مولاي الحسن</td>
</tr>
<tr>
<td>140/2</td>
<td>وفي ترجمته من المباحث والترجم:</td>
</tr>
</tbody>
</table>

- بيعته وحوادث سنة 1290
- كيف كان تأهبه للحركة
- قضية ابن المدني بنيس
- ثورة المولى سليمان الكبير
- حوادث سنة 1291 وثورة دباغي فاس
- ثورة بوعزي الهبري
- حوادث سنة 1293
- واقعة غياثة وخروج السلطان لنازا ووحدة
- القبض على ابن البشير
- حوادث سنة 1294
- عمل المولد النبوي
- حوادث سنة 1295
- حوادث سنة 1296
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>235/2</td>
<td>حوادث سنة 1297</td>
</tr>
<tr>
<td>236/2</td>
<td>حوادث سنة 1298</td>
</tr>
<tr>
<td>247/2</td>
<td>حوادث سنة 1299 وحركة موسى الأولى</td>
</tr>
<tr>
<td>259/2</td>
<td>حوادث سنة 1300 ونصيحته الدينية</td>
</tr>
<tr>
<td>278/2</td>
<td>حوادث سنة 1301 ومسألة ماء وادي فاس</td>
</tr>
<tr>
<td>283/2</td>
<td>حوادث سنة 1302</td>
</tr>
<tr>
<td>284/2</td>
<td>حوادث سنة 1303 وحركة سوس الثانية</td>
</tr>
<tr>
<td>291/2</td>
<td>حوادث سنة 1304</td>
</tr>
<tr>
<td>292/2</td>
<td>حوادث سنة 1305 وحركة بني مجدل</td>
</tr>
<tr>
<td>298/2</td>
<td>واقعة آيت شخمansk</td>
</tr>
<tr>
<td>302/2</td>
<td>حكم البغاة المحاربين</td>
</tr>
<tr>
<td>305/2</td>
<td>حوادث سنة 1306 وحركة الريف وتطوان وطناجر</td>
</tr>
<tr>
<td>308/2</td>
<td>حوادث سنة 1308</td>
</tr>
<tr>
<td>311/2</td>
<td>حركة تافيلالت</td>
</tr>
<tr>
<td>322/2</td>
<td>عدد الحركات الحساسية</td>
</tr>
<tr>
<td>324/2</td>
<td>علاقات السياسية والسفارة الزيتية للدول الأربعة</td>
</tr>
<tr>
<td>378/2</td>
<td>الكلام على بقية علاقات السياسة:</td>
</tr>
<tr>
<td>390/2</td>
<td>مع فرنسا</td>
</tr>
<tr>
<td>418/2</td>
<td>مع إسبانيا</td>
</tr>
<tr>
<td>421/2</td>
<td>مع إيطاليا</td>
</tr>
<tr>
<td>424/2</td>
<td>مع إنجلترا:</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>مع ألمانيا:</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الترجمة

قلم الدولة العثمانية
مع البرتغال
مع أمريكا والبلجيك
مع البابا
ذيل في وثائق تتعلق بقضايا مع نواب تلك الدول
مؤطر مديد ووفقه
ضرره السكة الحربية
اهتمامه بالمعادن ووضوعته فيها
الولاء لل-API الأوربية
قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية وجلب ما تحتاج إليه من
المقومات الحربية واستخدام المخرجين في الهندسة من البعثة
المغربية
الكلام على بقية استعداداته الحربية وذكر قوته العسكرية
واهتمامه بالأطلاع على المخترعات العصرية وما كان على
عهده بالعديد والهواتف السلطانية
استعدادات البحرى
ضبط أوقاته وتقسيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال
دولته
كيفية ترتيب الملاثة
كيفية تعمير المشور
الهيئة الرسمية وما تتألف منه
قواد الجيش العامل
رقم الترجمة

الجزء والصفحة

2108/2
قواد الحناتي البارين
قواد الحناتي الداخليين
ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه
اللباس الرسمي

2113/2
كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن
كيفية وفراء الدول على السلطان
كيفية دخول مثالي الدول من السفر

2114/2
كيفية ملاقة الأجانب مع السلطان
كيفية تقديم هديته للسلطان
زيارة السلطان لأولئك من بلد إلى بلد

2116/2
كيفية نصب الأفواكه ومرافق المستخدمين والجيوش

2117/2
كيفية خروج السلطان يوم السفر
كيفية نهر تلك من المحلة
كيفية تسير السلطان في السفر
كيفية دخول السلطان للمحلة
خروجه للأحكام في السفر
كيفية تموين المحلة
كيفية ترقية المؤنة اليومية على المحلة
كيفية وصول الجنوب السلطاني إلى الملح المقصود
العاد في الولائم السلطانية
كيفية الحقيقة
نزمة شعبانة
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>٦٢٣/٢</td>
<td>العادة في الجنازة</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٢٦/٢</td>
<td>بيان تموين الدار العالية بمكافحة ومشاركة ومساندة</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٢٧/٢</td>
<td>مشيخته</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٢٨/٢</td>
<td>بنائه</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٢٨/٢</td>
<td>ما خلفه من الأولاد</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٣١/٢</td>
<td>الشريفات من نسائه</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٣١/٢</td>
<td>الخرازات منه</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٣١/٢</td>
<td>المطلقات منه</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٣١/٢</td>
<td>وفاته</td>
</tr>
<tr>
<td>٩/٣</td>
<td>١٢٤ - الحسن بن عثمان الوشريسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٢٥ - الحسن بن عطية.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٢٦ - الحسن بن محمد السهلي الشهير بامكراز.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٢٧ - الحسن بن أحمد بن حرزوز.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٢٨ - حسن بن أحمد المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٢٩ - الحسن بن رحال.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٣٠ - حمدي بن عبد الواحد الجمادي.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٣١ - الحسن بن مبارك السوسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٣٢ - الحارث بن المفضل الحسناني.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٣٣ - الحسن بن المهدي العلوي.</td>
</tr>
<tr>
<td>١/٣</td>
<td>١٣٤ - الحسنين بن الحسن العلوي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢/٣</td>
<td>(حرف الخاء)</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٣/٣</td>
<td>١٣٥ - الخياط الزهاني.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٥/٣</td>
<td>١٣٦ - الخياط الخياطي.</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الجزء والصفحة

137 - خيانة بنت بكار.
138 - خليل الخالدي.

(حرف الدال)
139 - الديز: المجزوب.

(حرف الراء)
140 - رشيد بن الشريف السلطان.
استبلاوه على الزاوية الدلائية
علاقته السياسية
بناءاته وآثاره
141 - راشد بن منصة الأوروبي.
142 - رحمة بنت الجنان.
143 - روان أبو الروائن.

(حرف الزاي)
144 - زيدان السلطان السعدي.
145 - زين العابدين بن المولى إسماعيل.
146 - زكرياء الفران.
147 - زيدان بن المولى إسماعيل.

(حرف الطاء)
148 - الطيب بن الشاذلي الدلائي.
149 - الطيب بن عبد الرحمن ابن القاضي.
150 - الطيب بن محمد بصري القاضي.
151 - الطيب بصري المكسي.
152 - الطيب بن علي القادري.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>153</td>
<td>الطيب بن إبراهيم بسير.</td>
</tr>
<tr>
<td>154</td>
<td>الطيب بن أحمد غازى.</td>
</tr>
<tr>
<td>155</td>
<td>الطيب البجيري.</td>
</tr>
<tr>
<td>156</td>
<td>الطيب الزكاري.</td>
</tr>
<tr>
<td>157</td>
<td>الطيب الفيلالي.</td>
</tr>
<tr>
<td>158</td>
<td>الطيب بن عبد الرحمن كدران.</td>
</tr>
<tr>
<td>159</td>
<td>الطيب الخشاش.</td>
</tr>
<tr>
<td>160</td>
<td>الطيب بن عبد السلام الواسترى.</td>
</tr>
<tr>
<td>161</td>
<td>الطيب بن عبد الرحمن زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>162</td>
<td>الطيب بن محمد فتحا بن بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>163</td>
<td>الطيب بن اليماني بن أحمد بوشرين.</td>
</tr>
<tr>
<td>164</td>
<td>الطيب بن إدريس بن الفضيل.</td>
</tr>
<tr>
<td>165</td>
<td>الطالب بن عبد الواحد البوعناني.</td>
</tr>
<tr>
<td>166</td>
<td>الطاهر بن عثمان المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>167</td>
<td>الطاهر بن محمد بن المكي.</td>
</tr>
<tr>
<td>168</td>
<td>الطاهر بن الحاج الهادي بن الع냐ة.</td>
</tr>
<tr>
<td>169</td>
<td>الطاهر بن الهادي بن أحمد المجذوب.</td>
</tr>
<tr>
<td>170</td>
<td>الطيب بن العناية بن عُثُمة.</td>
</tr>
<tr>
<td>171</td>
<td>الطيب بن عبد الله الإسماعيلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>172</td>
<td>الكمال بن أبي زيد.</td>
</tr>
<tr>
<td>173</td>
<td>الكامل بن عبد الله بن الطاهر بن محمد.</td>
</tr>
</tbody>
</table>
(حرف الميم)

- 174 - مبارك بن سالم الشيشمي.
- 175 - مبارك بن عبد الله الفيضي.
- 176 - محمد بن الشريف العلوى السلطان.
- 177 - محمد بن عربي السلطان.
- 178 - محمد بن عبد الله السلطان.

مولدته وشهوجه وحجه صفته وحاله خلافته العراكش بيعته، وبعض حوادث أعيانه
- حوادث سنة 1173
- حوادث سنة 1174
- حوادث سنة 1175
- حوادث سنة 1176
- حوادث سنة 1177
- حوادث سنة 1178
- حوادث سنة 1179
- حوادث سنة 1180
- حوادث سنة 1181

محبته للعلم واعتناؤه بأهله اختياراته المذهبية وما رأى من المصلحة حمل القضاة والمدرسين عليه 224/3
الجزء والصفحة

253/3
263/3
279/3
293/3
298/3
312/3
323/3
332/3
339/3
349/3
360/3
372/3
376/3
382/3
382/3
386/3
389/3
391/3
391/3
392/3
401/3
402/3
403/3

الترجمة

نصيحته للأمة
عطيانه وأحباسه
شعب الأدارسة
الترتيب والمداخيل المالية في عهده
اهتمامه بالأساطيل البحرية
علاقاته السياسية مع فرنسا
مع السويد
مع الدنمرك
مع البرتغال
مع الدولة العثمانية
مع إسبانيا
مع مالطة
مع نابولي
فتوحاته
آثاره
سككه
قضايا
وزرآته
كتابه
شعراؤه
سفراؤه
عماله
نقباؤه على الأشراف
لا توجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>258/3</td>
<td>نقباؤه</td>
</tr>
<tr>
<td>260/3</td>
<td>عملائه</td>
</tr>
<tr>
<td>260/3</td>
<td>قواته</td>
</tr>
<tr>
<td>260/3</td>
<td>أمتناؤه</td>
</tr>
<tr>
<td>260/3</td>
<td>أولاده</td>
</tr>
<tr>
<td>262/3</td>
<td>بعض ما قيل فيه من المديح</td>
</tr>
<tr>
<td>265/3</td>
<td>وفاته</td>
</tr>
<tr>
<td>265/3</td>
<td>180 - محمد بن عيسى الصدفي.</td>
</tr>
<tr>
<td>266/3</td>
<td>181 - محمد بن حمد زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>267/3</td>
<td>182 - محمد بن عبدون.</td>
</tr>
<tr>
<td>268/3</td>
<td>183 - محمد بن أحمد بن أبي العاصية.</td>
</tr>
<tr>
<td>269/3</td>
<td>184 - محمد بن قاسم المالقي.</td>
</tr>
<tr>
<td>269/3</td>
<td>185 - محمد بن ورياش.</td>
</tr>
<tr>
<td>270/3</td>
<td>186 - محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحداد.</td>
</tr>
<tr>
<td>271/3</td>
<td>187 - محمد بن أبي الفضل بن الصباغ.</td>
</tr>
<tr>
<td>274/3</td>
<td>188 - محمد بن أحمد بن أبي عفيف.</td>
</tr>
<tr>
<td>270/3</td>
<td>189 - محمد بن أحمد الحسني.</td>
</tr>
<tr>
<td>275/3</td>
<td>190 - محمد بن موسى العبدوسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>276/3</td>
<td>191 - محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني.</td>
</tr>
<tr>
<td>278/3</td>
<td>192 - محمد بن سعيد المكلاني.</td>
</tr>
<tr>
<td>278/3</td>
<td>193 - محمد المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>278/3</td>
<td>194 - محمد بن أبي غالب بن أحمد عرف بابن السكاك.</td>
</tr>
<tr>
<td>280/3</td>
<td>195 - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفريني.</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الجزء والصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>-----------------</td>
</tr>
<tr>
<td>196</td>
<td>٦٨٠ /٣</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٨٦ /٣</td>
<td>محمد بن يحيى بن جابر الغساني.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٨٦ /٣</td>
<td>محمد بن أحمد التلمساني شهر بالبحار.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٨٨ /٣</td>
<td>محمد بن قاسم بن محمد القوري.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد القطراني.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن أبي البركات الحسيني.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن سعيد الفيصلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن عيسى بن حرزة.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن عبد العزيز المعروف بالخاج.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن علي بن أبي رمانة.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن عبد الله بن محمد البغري.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن أحمد بن غازى العثمانى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد فتحى بن عيسى الفهدى السفيانى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن مخلوف الفضري المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن قاسم المكناسي الحسينى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن أبي القاسم بن أبي العافية.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن محمد بن غازى الملقب غازي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٩ /٣</td>
<td>محمد بن حسين العبدلي السهلى شهر بأبي الروأين.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٨ /٤</td>
<td>محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهر سببى القاضى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٨ /٤</td>
<td>محمد بن محمد بن أبي العافية الشهر سببى القاضى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٨ /٤</td>
<td>محمد بن عبد الرحمن بن بصرى المعروف بسيدى بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٨ /٤</td>
<td>محمد بن فتحى بن أبي المحاسن.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٨ /٤</td>
<td>محمد بن محمد المدعو العسيرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٩٨ /٤</td>
<td>محمد الوقاد المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>رقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>---------</td>
<td>------------------------------------------------------------------------</td>
</tr>
<tr>
<td>219</td>
<td>محمد بن أحمد الشناني يعرف بابن الرقاد.</td>
</tr>
<tr>
<td>220</td>
<td>محمد بن قاسم الامير الشهرة بابن قاسم.</td>
</tr>
<tr>
<td>221</td>
<td>محمد بن محمد الغماري.</td>
</tr>
<tr>
<td>222</td>
<td>محمد بن مبارك الزعري.</td>
</tr>
<tr>
<td>223</td>
<td>محمد السنع عبد الرحمن المجهول.</td>
</tr>
<tr>
<td>224</td>
<td>محمد بن أبي القاسم بن أبي العاص الشهير بابن القاضي.</td>
</tr>
<tr>
<td>225</td>
<td>محمد بن أحمد بن عزون.</td>
</tr>
<tr>
<td>226</td>
<td>محمد بن أحمد بن عزوز.</td>
</tr>
<tr>
<td>227</td>
<td>محمد بن أحمد الصباغ البوعقلة.</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>محمد فتحا بن أحمد بن يوسف الفاسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>محمد العراقي.</td>
</tr>
<tr>
<td>230</td>
<td>محمد الغماري.</td>
</tr>
<tr>
<td>231</td>
<td>محمد بن يحيى بن جابر الغساني.</td>
</tr>
<tr>
<td>232</td>
<td>محمد بن الحسن المجاصي.</td>
</tr>
<tr>
<td>233</td>
<td>محمد بن أحمد الزناتري.</td>
</tr>
<tr>
<td>234</td>
<td>محمد بن محمد العناية.</td>
</tr>
<tr>
<td>235</td>
<td>محمد بن عمر السلماسى.</td>
</tr>
<tr>
<td>236</td>
<td>محمد البصري.</td>
</tr>
<tr>
<td>237</td>
<td>محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري الخرائ.</td>
</tr>
<tr>
<td>238</td>
<td>محمد بن محمد القبيسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>239</td>
<td>محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني.</td>
</tr>
<tr>
<td>240</td>
<td>محمد بن المولى إسماعيل.</td>
</tr>
<tr>
<td>241</td>
<td>محمد بن أبي القاسم عليش.</td>
</tr>
<tr>
<td>رقم الترجمة</td>
<td>الجزء والصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>------------</td>
<td>----------------</td>
</tr>
<tr>
<td>242</td>
<td>104/4</td>
</tr>
<tr>
<td>243</td>
<td>107/4</td>
</tr>
<tr>
<td>244</td>
<td>110/4</td>
</tr>
<tr>
<td>245</td>
<td>118/4</td>
</tr>
<tr>
<td>246</td>
<td>118/4</td>
</tr>
<tr>
<td>247</td>
<td>118/4</td>
</tr>
<tr>
<td>248</td>
<td>119/4</td>
</tr>
<tr>
<td>249</td>
<td>128/4</td>
</tr>
<tr>
<td>250</td>
<td>129/4</td>
</tr>
<tr>
<td>251</td>
<td>130/4</td>
</tr>
<tr>
<td>252</td>
<td>143/4</td>
</tr>
<tr>
<td>253</td>
<td>143/4</td>
</tr>
<tr>
<td>254</td>
<td>144/4</td>
</tr>
<tr>
<td>255</td>
<td>146/4</td>
</tr>
<tr>
<td>256</td>
<td>146/4</td>
</tr>
<tr>
<td>257</td>
<td>146/4</td>
</tr>
<tr>
<td>258</td>
<td>146/4</td>
</tr>
<tr>
<td>259</td>
<td>160/4</td>
</tr>
<tr>
<td>260</td>
<td>163/4</td>
</tr>
<tr>
<td>261</td>
<td>169/4</td>
</tr>
<tr>
<td>262</td>
<td>173/4</td>
</tr>
<tr>
<td>263</td>
<td>174/4</td>
</tr>
<tr>
<td>264</td>
<td>176/4</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٦٥</td>
<td>محمد بن الطيب بصري.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٦٦</td>
<td>محمد بن عثمان السفير.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٦٧</td>
<td>محمد بن قاسم بن حلام.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٦٨</td>
<td>محمد بن عبد القادر الزهورني.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٦٩</td>
<td>محمد بن العربي الزمورى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٠</td>
<td>محمد بن عبد الرحمن بن هنو البازغي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧١</td>
<td>محمد بن أحمد بن الكبير العوфи.</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>نسب آل ابن سودة</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٢</td>
<td>محمد بن الكبير العوфи.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٣</td>
<td>محمد الزهورني المدعو بركشة.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٤</td>
<td>محمد بن عبد الوهاب أجانا.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٥</td>
<td>محمد بن عمر الصنهاجي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٦</td>
<td>محمد بن حمادي الصنهاجي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٧</td>
<td>محمد السلاوي الوزير.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٨</td>
<td>محمد الزهورني الكاتب.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٧٩</td>
<td>محمد بن الطاهر بن محمد البولسلامي الوزير.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨٠</td>
<td>محمد بن منصور الفوسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨١</td>
<td>محمد بن الطيب الشريف الحسني الخليلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨٢</td>
<td>محمد بن إدريس الوزير.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨٣</td>
<td>محمد بن علي بن حرزهم.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨٤</td>
<td>محمد بن عبد الله الأمرانى.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨٥</td>
<td>محمد بن العربي الصنهاجي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٢٨٦</td>
<td>محمد بن الهادي غريط.</td>
</tr>
<tr>
<td>رقم</td>
<td>الاسم والصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>-----</td>
<td>----------------</td>
</tr>
<tr>
<td>287</td>
<td>محمد بن عبد السلام بن عبود</td>
</tr>
<tr>
<td>288</td>
<td>محمد بن محمد بن عبد الله غريط الوزير</td>
</tr>
<tr>
<td>289</td>
<td>محمد أمزاج</td>
</tr>
<tr>
<td>290</td>
<td>محمد بن هاشم العلوي</td>
</tr>
<tr>
<td>291</td>
<td>محمد بن محمد النهامي</td>
</tr>
<tr>
<td>292</td>
<td>محمد بن الهادي بن عبود</td>
</tr>
<tr>
<td>293</td>
<td>محمد العياشي</td>
</tr>
<tr>
<td>294</td>
<td>محمد بن المجنوب بن عزوز</td>
</tr>
<tr>
<td>295</td>
<td>محمد بن محمد المعمودي</td>
</tr>
<tr>
<td>296</td>
<td>محمد بن الهادي الشريف الحسني العلوي</td>
</tr>
<tr>
<td>297</td>
<td>محمد بن محمد بن العناية بن فقيرة</td>
</tr>
<tr>
<td>298</td>
<td>محمد بن محمد بن محمد بن فقيرة</td>
</tr>
<tr>
<td>299</td>
<td>محمد الأمراطي</td>
</tr>
<tr>
<td>300</td>
<td>محمد الزهني</td>
</tr>
<tr>
<td>301</td>
<td>محمد الأمراطي البصاره</td>
</tr>
<tr>
<td>302</td>
<td>محمد بن علي الي شر</td>
</tr>
<tr>
<td>303</td>
<td>محمد بن محمد بن الجيلاني السقاط</td>
</tr>
<tr>
<td>304</td>
<td>محمد بن عبد الله الغربي</td>
</tr>
<tr>
<td>305</td>
<td>محمد الخزرا</td>
</tr>
<tr>
<td>306</td>
<td>محمد بن عبد الله بن محمد العلوي اسماعيل</td>
</tr>
<tr>
<td>307</td>
<td>محمد بن المعلطي المسطاري</td>
</tr>
<tr>
<td>308</td>
<td>محمد بن إدريس الواسري</td>
</tr>
<tr>
<td>309</td>
<td>محمد بن الخليفة التونسي المعروف بالرقاع</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الترجمة

310 - محمد بن العربي المنوني.
311 - محمد بن أحمد السوسي.
312 - محمد بن محمد المنوني.
313 - محمد بن زيدان.
314 - محمد السوسي أبو عبد الله.
315 - محمد الريفى أبو عبد الله.
316 - محمد بن الهادي فرّوج.
317 - محمد بن المهدي المنوني.
318 - محمد بن عمر العلوي المدغرى.
319 - محمد بن محمد بن هاشم العلوي.
320 - محمد القسري العبدري.
321 - محمد بن عبد الواحد الشيخى.
322 - محمد بن محمد الأمرانى.
323 - محمد بن العباس.
324 - محمد بن أحمد حلام.
325 - محمد منصور الشترى.
326 - محمد بن علي بن الكبير العلوي.
327 - محمد بن عبد السلام الطاهري.
328 - محمد بن حمدوش.
329 - محمد بن إدريس البوساتى.
330 - محمد الروجاحى.
331 - محمد بن محمد بن العربي.
332 - محمد بن عبد الله الوزاني.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>372</td>
<td>محمد بن أحمد الوزاني</td>
</tr>
<tr>
<td>374</td>
<td>محمد اليماني</td>
</tr>
<tr>
<td>375</td>
<td>محمد غازي</td>
</tr>
<tr>
<td>376</td>
<td>محمد القباب</td>
</tr>
<tr>
<td>377</td>
<td>محمد بن عزوز</td>
</tr>
<tr>
<td>378</td>
<td>محمد الغماري</td>
</tr>
<tr>
<td>379</td>
<td>محمد الإسحاقي</td>
</tr>
<tr>
<td>380</td>
<td>محمد دادوش</td>
</tr>
<tr>
<td>381</td>
<td>محمد الزرهوني</td>
</tr>
<tr>
<td>382</td>
<td>محمد الزولاني</td>
</tr>
<tr>
<td>383</td>
<td>محمد الجربى</td>
</tr>
<tr>
<td>384</td>
<td>محمد اقلال</td>
</tr>
<tr>
<td>385</td>
<td>محمد الطاعى</td>
</tr>
<tr>
<td>386</td>
<td>محمد الوعاصمي</td>
</tr>
<tr>
<td>387</td>
<td>محمد بن محمد الوعاصمي</td>
</tr>
<tr>
<td>388</td>
<td>محمد مخلوف</td>
</tr>
<tr>
<td>389</td>
<td>مالك بن العنانية الغرباوي</td>
</tr>
<tr>
<td>390</td>
<td>المختار بن الحاج الأجراوي</td>
</tr>
<tr>
<td>391</td>
<td>المختار بن عبد الله الصدر</td>
</tr>
<tr>
<td>392</td>
<td>الملك بن أبي القاسم العمري</td>
</tr>
<tr>
<td>393</td>
<td>الملك بن المختار الخناشش</td>
</tr>
<tr>
<td>394</td>
<td>الملك بن أحمد السوسي</td>
</tr>
<tr>
<td>395</td>
<td>الملك أبي زكري</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>361</td>
<td>مائة وثمانية.</td>
</tr>
<tr>
<td>362</td>
<td>المبتكري بن محمد الكبير العلوي.</td>
</tr>
<tr>
<td>363</td>
<td>المرتب بن العناية الغربى.</td>
</tr>
<tr>
<td>364</td>
<td>المرتبط الشاذى.</td>
</tr>
<tr>
<td>365</td>
<td>المرتب بن عبد المهدى بن عبد.</td>
</tr>
<tr>
<td>366</td>
<td>مهاتم زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>367</td>
<td>المفضل الفللسي الزهرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>368</td>
<td>المفضل بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>369</td>
<td>المفضل بن عزوز.</td>
</tr>
<tr>
<td>370</td>
<td>المفضل السبسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>371</td>
<td>المستضيء السلطان.</td>
</tr>
<tr>
<td>372</td>
<td>رسالة السلطان.</td>
</tr>
<tr>
<td>373</td>
<td>مسعود الطليطي الموتى الأندلسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>374</td>
<td>مسعود بن جلون.</td>
</tr>
<tr>
<td>375</td>
<td>مسعود البريشي.</td>
</tr>
<tr>
<td>376</td>
<td>المهدى الزريهى.</td>
</tr>
<tr>
<td>377</td>
<td>المهدى بن عبد المالك العلوي.</td>
</tr>
<tr>
<td>378</td>
<td>المهدى الكهان.</td>
</tr>
<tr>
<td>379</td>
<td>المهدى بن الطيب بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>380</td>
<td>المهدى بن الطالب بن محمد فتحا.</td>
</tr>
<tr>
<td>381</td>
<td>المهدى بن علي الإسماعيلى.</td>
</tr>
<tr>
<td>382</td>
<td>المهدى بن فضول بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>383</td>
<td>موسى بن محمد بن معتى العبدوس.</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>379</td>
<td>موسى الغزاف.</td>
</tr>
<tr>
<td>380</td>
<td>موسى بن الحجاج.</td>
</tr>
<tr>
<td>381</td>
<td>موسى بن علي الزهراني.</td>
</tr>
<tr>
<td>382</td>
<td>موسى بن أحمد بن مبارك الوزير.</td>
</tr>
<tr>
<td>383</td>
<td>الموهوب بن الإدريس الشبيهي.</td>
</tr>
<tr>
<td>384</td>
<td>المؤذن الكاتب.</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>(حرف الصاد)</td>
</tr>
<tr>
<td>385</td>
<td>صالح المكامي.</td>
</tr>
<tr>
<td>386</td>
<td>صالح الحلموني.</td>
</tr>
<tr>
<td>387</td>
<td>صالح بن يوسف البخاري.</td>
</tr>
<tr>
<td>388</td>
<td>الصديق البخاري الأجراوي.</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>(حرف العين)</td>
</tr>
<tr>
<td>389</td>
<td>الموالي عبد الله السلطان.</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>بحث اجتماعي</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>خلفاؤه</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>حجابه</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أطباؤه</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>عملائه</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>قضااته</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>محتمبوه</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>نظاره</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>آثاره</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>ما خلفه من الأولاد</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٤٦/٤</td>
<td>وفاته</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٤٧/٤</td>
<td>بعض ما قيل فيه من المديح</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٤٩/٤</td>
<td>علاقته السياسية</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٥٧/٤</td>
<td>(ب) - عبد الله بن عمر الحضرمي. ٣٨٩</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٥٧/٤</td>
<td>- ٣٩٠ - عبد الله بن حماد زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٥٩/٤</td>
<td>- ٣٩١ - عبد الله الندايلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٦٠/٤</td>
<td>- ٣٩٢ - عبد الله بن أبي مدين الحاجب.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٦٢/٤</td>
<td>- ٣٩٣ - عبد الله بن الحسن اللخمي عرف بابن الأصفر.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٦٣/٤</td>
<td>- ٣٩٤ - عبد الله بن حمد.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٦٦/٤</td>
<td>- ٣٩٥ - عبد الله بن العريف.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٦٧/٤</td>
<td>- ٣٩٦ - عبد الله بن محمد بن مطيع العبدوسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٦٩/٤</td>
<td>- ٣٩٧ - عبد الله بن محمد اليقظني.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٧٩/٤</td>
<td>- ٣٩٨ - عبد الله البايضة.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٧٩/٤</td>
<td>- ٣٩٩ - عبد الله بن إبراهيم بن الجندوز.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨٠/٤</td>
<td>- ٤٠٠ - عبد الله بن أحمد، ابن القاضي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨١/٤</td>
<td>- ٤٠١ - عبد الله مولى الرئيس ابن حكم.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨٤/٤</td>
<td>- ٤٠٢ - عبد الله بن علي المعروف بالحجام الصحيحي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨٥/٤</td>
<td>- ٤٠٣ - عبد الله الجزاز.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨٧/٤</td>
<td>- ٤٠٤ - عبد الله بن محمد الحاج الدلائي.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨٩/٤</td>
<td>- ٤٠٥ - عبد الله القصير.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٩٠/٤</td>
<td>- ٤٠٦ - عبد الله بن محمد البايضة.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨٣/٤</td>
<td>- ٤٠٧ - عبد الله بن العريف.</td>
</tr>
<tr>
<td>٠٨٣/٤</td>
<td>- ٤٠٨ - عبد المظلوم.</td>
</tr>
</tbody>
</table>
رقم الترجمة

409 - عبد الحق بن سعيد المكناسي.
410 - عبد الحق الزرهوني.
411 - عبد الحق السحيمي.
412 - عبد الرحمن بن هشام.

ولادته وحاله

اهتمامه بأمور الدين

اعتناؤه بنشر العلم

تبرعاته وأوقافه

استعداده البحرى

علاقاته السياسية

خلفاؤه ووزرائه

كتابه

قضاياه

قواد مشورة وقواد المسخرن وعماله

أمانؤه - محتبسوه - نظاره

بناءةه وأثاره

نساؤه الحرائر والشريفات

ما خلفه من البنين والبنات

بعض ماقيل فيه من المديح

وفاته

413 - عبد الرحمن الكاوية.
414 - عبد الرحمن بن أحمد القرموني.
415 - عبد الرحمن المجذوب.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>416</td>
<td>عبد الرحمن بن أحمد الوقاد.</td>
</tr>
<tr>
<td>417</td>
<td>عبد الرحمن بن قاسم أعراب.</td>
</tr>
<tr>
<td>418</td>
<td>عبد الرحمن بن أحمد بن عزون.</td>
</tr>
<tr>
<td>419</td>
<td>عبد الرحمن بن أحمد المحجوب.</td>
</tr>
<tr>
<td>420</td>
<td>عبد الرحمن بن الحسن البازغي.</td>
</tr>
<tr>
<td>421</td>
<td>عبد الرحمن كدран.</td>
</tr>
<tr>
<td>422</td>
<td>عبد الرحمن بن عبد القادر الشبّيبيّ.</td>
</tr>
<tr>
<td>423</td>
<td>عبد الرحمن بن محمد الفاسي الشاوي.</td>
</tr>
<tr>
<td>424</td>
<td>عبد الرحمن بن أحمد دادى الزهونى.</td>
</tr>
<tr>
<td>425</td>
<td>عبد الرحمن بن محمد بصري.</td>
</tr>
<tr>
<td>426</td>
<td>عبد الرحمن بن علي بن زيدان.</td>
</tr>
<tr>
<td>427</td>
<td>عبد الرحمن بن النهاري الإدريسى الزهونى.</td>
</tr>
<tr>
<td>428</td>
<td>عبد الرحمن القرشي.</td>
</tr>
<tr>
<td>429</td>
<td>عبد الرحمن الناغى.</td>
</tr>
<tr>
<td>430</td>
<td>عبد الرفيق بن مسعود بن عبد.</td>
</tr>
<tr>
<td>431</td>
<td>عبد الكريم بن محمد الخنسى العلوى.</td>
</tr>
<tr>
<td>432</td>
<td>عبد الكريم الوزاني.</td>
</tr>
<tr>
<td>433</td>
<td>عبد الملك السلطان بن السلطان إسماعيل.</td>
</tr>
<tr>
<td>434</td>
<td>اعتباره من يشار له بخير.</td>
</tr>
<tr>
<td>435</td>
<td>علاقاته السياسية.</td>
</tr>
<tr>
<td>436</td>
<td>عبد الملك البوعصامي.</td>
</tr>
<tr>
<td>437</td>
<td>عبد الملك بن محمد الخنسى.</td>
</tr>
<tr>
<td>438</td>
<td>عبد الملك بن عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله.</td>
</tr>
</tbody>
</table>
رقم
الترجمة

376/0 - عبد الملك بن السلطان عبد الرحمن.
379/0 - عبد النبي الشاوي.
379/0 - عبد العزيز الم злоزي.
380/0 - عبد العزيز بن محمد اليرني.
380/0 - عبد العزيز بن أبي العافية الشهير بابن القاضي.
380/0 - عبد العزيز المكناسي المندى.
381/0 - عبد القادر الجموطي الحسين.
382/0 - عبد القادر المدغري المعروف بابن شقرون.
393/0 - عبد القادر الجيلاني.
394/0 - عبد القادر الشاوي.
395/0 - عبد القادر بن محمد بن عبد الملك العلوى.
397/0 - عبد القادر بن الحران الحسين.
397/0 - عبد القادر بن عبد الرحمن الفاسي.
399/0 - عبد القادر العلمي.
404/0 - أزجاه.
418/0 - عبد القادر بن عبد الله سقط.
419/0 - عبد القادر بن عبد الرحمن بن زيدان.
420/0 - عبد القادر بن علي الحسين العلوى.
421/0 - عبد القادر بن المعطي بن العتابة.
422/0 - عبد السلام ابن الشاذلي الدلائي.
423/0 - عبد السلام بن محمد الدلائي المستاوي.
424/0 - عبد السلام البيجري.
425/0 - عبد السلام بن أبي يعزى.
426/0 - عبد السلام بن أبي يعزى.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الجزء والصفحة</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>429/5</td>
<td>عبد السلام الرامي الزهوني.</td>
</tr>
<tr>
<td>429/5</td>
<td>عبد السلام بن الحاج محمد بن عمرو.</td>
</tr>
<tr>
<td>430/5</td>
<td>عبد السلام بن محمد التازى.</td>
</tr>
<tr>
<td>438/5</td>
<td>عبد السلام بن فتحا الأموي.</td>
</tr>
<tr>
<td>446/5</td>
<td>عبد السلام المحب الإسماعيلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>461/5</td>
<td>عبد الهادى بن عبد المالك العلوى.</td>
</tr>
<tr>
<td>462/5</td>
<td>عبد الهادى الفيلالي.</td>
</tr>
<tr>
<td>463/5</td>
<td>عبد الواحد بن علي الكتاني.</td>
</tr>
<tr>
<td>464/5</td>
<td>عبد الواحد بن علي منون.</td>
</tr>
<tr>
<td>468/5</td>
<td>عبد الواحد بن عبد الرحمن الشهيبى.</td>
</tr>
<tr>
<td>469/5</td>
<td>عبد الواحد الدربالي.</td>
</tr>
<tr>
<td>464/5</td>
<td>عبد الواحد بن حمادى العلوى.</td>
</tr>
<tr>
<td>464/5</td>
<td>عبد الواحد بن محمد ابن فقيرة.</td>
</tr>
<tr>
<td>466/5</td>
<td>عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ.</td>
</tr>
<tr>
<td>468/5</td>
<td>عبد الوهاب العزائى.</td>
</tr>
<tr>
<td>469/5</td>
<td>عبد الوهاب بن أحمد بن عمران.</td>
</tr>
<tr>
<td>470/5</td>
<td>عبد الوهاب بن أحمد أدراق.</td>
</tr>
<tr>
<td>476/5</td>
<td>عبد الوهاب أجانا.</td>
</tr>
<tr>
<td>477/5</td>
<td>العباس بن محمد بن كيران.</td>
</tr>
<tr>
<td>478/5</td>
<td>العباس بن السلطان عبد الرحمن.</td>
</tr>
<tr>
<td>479/5</td>
<td>العباس بن الهادى فرموح.</td>
</tr>
<tr>
<td>480/5</td>
<td>عثمان بن عبد الواحد المطلي.</td>
</tr>
<tr>
<td>481/5</td>
<td>العربي بن محمد بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>الجزء والصفحة</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>500/5</td>
<td>482 - العربي بن مسعود بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>500/5</td>
<td>483 - العربي بن علي القسمتينى.</td>
</tr>
<tr>
<td>502/5</td>
<td>484 - العربي بن أبي فارس ابن ولد عربية.</td>
</tr>
<tr>
<td>502/5</td>
<td>485 - العربي بن عامر.</td>
</tr>
<tr>
<td>502/5</td>
<td>486 - العربي بن الطاهر بصرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>503/5</td>
<td>487 - العربي بن السائح العمرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>513/5</td>
<td>488 - العربي بادو.</td>
</tr>
<tr>
<td>513/5</td>
<td>489 - العربي بن علي بن فارس العلوى.</td>
</tr>
<tr>
<td>513/5</td>
<td>490 - العربي العلمى الموساوي.</td>
</tr>
<tr>
<td>515/5</td>
<td>491 - العربي بن شمشى.</td>
</tr>
<tr>
<td>518/5</td>
<td>492 - على الأعرج بن إسماعيل.</td>
</tr>
<tr>
<td>520/5</td>
<td>493 - على بن حمود.</td>
</tr>
<tr>
<td>526/5</td>
<td>494 - على بن عيسى بن دافال.</td>
</tr>
<tr>
<td>526/5</td>
<td>495 - على بن مزاحم.</td>
</tr>
<tr>
<td>527/5</td>
<td>496 - على بن عبد الرحمن الليفرى.</td>
</tr>
<tr>
<td>527/5</td>
<td>497 - على بن موسي الكتاني.</td>
</tr>
<tr>
<td>528/5</td>
<td>498 - على بن محمد منون.</td>
</tr>
<tr>
<td>529/5</td>
<td>499 - على بن هارون.</td>
</tr>
<tr>
<td>529/5</td>
<td>500 - على بن محمد بن عبد الرحمن الآقاوى.</td>
</tr>
<tr>
<td>531/5</td>
<td>501 - على بن محمد بن أبي الفضل بن العافية.</td>
</tr>
<tr>
<td>531/5</td>
<td>502 - على بن سعيد المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>532/5</td>
<td>503 - على بن يحو.</td>
</tr>
<tr>
<td>532/5</td>
<td>504 - على الزرهونى الدشير.</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>الترجمة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>532/5</td>
<td>علي بن حبق.</td>
</tr>
<tr>
<td>533/5</td>
<td>علي بن عمر.</td>
</tr>
<tr>
<td>533/5</td>
<td>علي بن حماد زغبوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>534/5</td>
<td>علي بن إبراهيم الخياط.</td>
</tr>
<tr>
<td>534/5</td>
<td>علي بن قاسم الوقاد.</td>
</tr>
<tr>
<td>535/5</td>
<td>علي الزرهوني.</td>
</tr>
<tr>
<td>530/5</td>
<td>علي بن أحمد المكناسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>530/5</td>
<td>علي بن عمر ابن العربي.</td>
</tr>
<tr>
<td>530/5</td>
<td>علي بن حمدوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>536/5</td>
<td>علي بن سعيد العمري.</td>
</tr>
<tr>
<td>530/5</td>
<td>علي بن عبد الرحمن بن عبود.</td>
</tr>
<tr>
<td>536/5</td>
<td>علي بن صائبة البخاري.</td>
</tr>
<tr>
<td>537/5</td>
<td>علي بن زيدان.</td>
</tr>
<tr>
<td>538/5</td>
<td>علي بن صالح.</td>
</tr>
<tr>
<td>539/5</td>
<td>علي بن محمد المسفيو.</td>
</tr>
<tr>
<td>540/5</td>
<td>علي بن الشاذ الأشراطي.</td>
</tr>
<tr>
<td>541/5</td>
<td>عمر بن عثمان الوشنسي.</td>
</tr>
<tr>
<td>542/5</td>
<td>عمر الخراق.</td>
</tr>
<tr>
<td>543/5</td>
<td>عمر الوقاش.</td>
</tr>
<tr>
<td>544/5</td>
<td>عمر الخطاب.</td>
</tr>
<tr>
<td>545/5</td>
<td>عمر بن عبد العزيز الخطاب.</td>
</tr>
<tr>
<td>546/5</td>
<td>عمر بن مبارك الحصيني.</td>
</tr>
<tr>
<td>547/5</td>
<td>عمر الكوش.</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم</td>
<td>المرجع</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>576/0</td>
<td>عمر بن عواد</td>
</tr>
<tr>
<td>577/0</td>
<td>عمر بن السلطان مولاي الحسن</td>
</tr>
<tr>
<td>581/0</td>
<td>عمران بصري</td>
</tr>
<tr>
<td>582/0</td>
<td>عمران الجاناتي</td>
</tr>
<tr>
<td>583/0</td>
<td>عباد السوسي</td>
</tr>
<tr>
<td>585/0</td>
<td>عائشة العدلية</td>
</tr>
<tr>
<td>580/0</td>
<td>عيسى بن دافال</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(حرف الفين المعجمة)

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>المرجع</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>587/0</td>
<td>غازي بن الشيخ ابن غازي</td>
<td>535</td>
</tr>
<tr>
<td>587/0</td>
<td>الغازى ابن عبود</td>
<td>536</td>
</tr>
<tr>
<td>588/0</td>
<td>الغزوانى الدلالى</td>
<td>537</td>
</tr>
<tr>
<td>589/0</td>
<td>الغالى السيسي</td>
<td>538</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(حرف الفاء)

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>المرجع</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>599/0</td>
<td>فتحون البيزازة</td>
<td>539</td>
</tr>
<tr>
<td>600/0</td>
<td>فاطمة بنت محمد بن عبد الرحمن بصري</td>
<td>540</td>
</tr>
<tr>
<td>600/0</td>
<td>فرج الأندلسى</td>
<td>541</td>
</tr>
<tr>
<td>601/0</td>
<td>الفاطمى بن محمد الشبيهى</td>
<td>542</td>
</tr>
<tr>
<td>602/0</td>
<td>الفضل بن الفاطمى</td>
<td>543</td>
</tr>
<tr>
<td>604/0</td>
<td>الفاطمى بن الفضل</td>
<td>544</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(حرف الكاف)

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>المرجع</th>
<th>الترجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>607/0</td>
<td>القاسم بن عبد الله زغبوش</td>
<td>545</td>
</tr>
<tr>
<td>607/0</td>
<td>قاسم بن محمد ابن القاضى</td>
<td>546</td>
</tr>
<tr>
<td>613/0</td>
<td>قاسم بن رحمون</td>
<td>547</td>
</tr>
<tr>
<td>الرقم والصفحة</td>
<td>الترجمة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>---------------</td>
<td>---------</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>616/5</td>
<td>548- قاسم البندوري.</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>616/5</td>
<td>549- قاسم الدامى المكناسي.</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>621/5</td>
<td>550- قاسم الحسني.</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>622/5</td>
<td>551- أبو القاسم ابن الأبرش.</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>622/5</td>
<td>552- أبو القاسم بن حبيب الحريش.</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>622/5</td>
<td>553- أبو القاسم بن دري الشامي.</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>627/5</td>
<td>554- أبو القاسم بن العميري.</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>